مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

أوراق مصطفى كامل



المقالات

د. يواقيم رزق مرقص

الهيئة المصرية العامة للكتاب

أوراق مصطفى كامل
المقــالات

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

أوراق مصطفى كامل

المقالات

الكتاب الأول

من ١٨٩٣ - ١٨٩٩

تحقيق واشراف
دكتور يواقيم رزق مرقص



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٦

أعد المادة وشارك فى التحقيق:

- خلف عبد العظيم سيد الميرى
- آمـــال الفيــــومى
- أســتيرة غالى تاوضروس
- عفــاف محمــد خــيرى
- ســامية عبد المعطى ثابت

الاخراج الفنى : انعام صالح

تصدير

عندما تناول مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر نشر تراث الزعيم الخالد (مصطفى كامل) لم يكن غرضه احياء ذكراه ، فذكراه حية فى قلب مصر المعاصرة دائما ، وانما تقديم أعماله بعد جمع شتاتها فى شكل علمى يخدم الباحثين فى مجال تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، فبدأ بتقديم الجزء الأول وهو « المراسلات» وتلاه الجزء الثانى وهو « الخطب » وها هو ذا يقدم « المقالات » .

ولما كانت مقالات الزعيم من الكثرة بمكان ، فانها ستظهر تباعا فى أجزاء ثلاثة ، يفصل بين كل منها فاصل تاريخى واضح .

فيبدأ الجزء الأول من هذه المقالات — وهو ما بين أيدينا — منذ باكورة كتابته فى مجلته « المدرسة » التى أصدرها ، وهو بعد طالب فى مدرسة الحقوق ، حتى ١٨٩٩ ، وهى السنة التى بدأ يفكر فيها فى انشاء صحيفة خاصة بمجموعته .

ويبدأ الجزء الثانى منذ انشائه صحيفته (اللواء) فى عام ١٩٠٠ حتى الاتفاق الثنائى بين فرنسا وانجلترا فى ١٩٠٤ وقد صادف منتصف الطريق الى النهاية ، حيث تغيرت بعد ذلك السياسة الفرنسية تجاه الشرق عامة ومصر على وجه الخصوص .

ثم الجزء الثالث الذى يبدأ من ١٩٠٤ الى نهاية حياته فى ١٩٠٨

وهكذا يغطى باحثو المركز مساحة كبيرة من التاريخ المسجل فى صحائف جهاد مصر ضد وطأة الاحتلال البريطانى الذى بدأ يجثم على صدرها منذ عام ١٨٨٢ .

والله ولى التوفيق ،

مركز
وثائق وتاريخ مصر المعاصر

مؤمنا بالنشء على أساس أنهم قوام المستقبل ، فكتب لهم لتكون كتابته سدا يحول دون تسرب اليأس — الذى أحاط بالكبار — الى قلوبهم »(١) ٠

ثم تلقفته الصحف قلما ناريا ، وطنيا ، فالتقى بقرائه من خلال الأهرام والمؤيـد ٠

قرأ المصريون له فى السياسة والوطنية على صفحات الأهرام ، ولم يكن بين الصـديقين من خلاف فى السياسة العليـا ، فهما يناصران فكرة مصر للمصريين ، ويريان أنه لا بأس أن تحكم الصلة بين القاهرة والآستانة ، ففى ذلك ضمان لكيان مصر ، التى لولا هذا الرباط لأصبحت قطعة من انجـلترا أو مستعمرة لها ، وهما أيضا متفقان تمام الاتفاق على أن الحياة السـياسية الداخلية لن تستقر الا اذا عاشت مصر فى ظل دسـتور حر وحيـاة برلمانية صحيحة »(٢) ٠

ولقد حظى مصطفى كامل فى الأهرام بمكانة عظيمة ، فآمنت به أسرتها ؛ ونشرت له مقالاته دون اختصار ، أو تعليق ، لدرجـة أنها كانت تدافـع عنه اذا ما أراد به خصومه وقيعة أو انتقاصا ، حتى نشرت أخبارا عنه هو بالاضافة الى ماكان يدبج ٠

ولم يكن قلمه وفكره موضـع اجلال واعتبـار فى الداخل فقط ، بل رحبت به صحف الخارج أيضا فرحبت به صحف فرنسا والمانيا والنمسا ، بل وانجلترا ذاتها ! لم تنتظر مقالاته أو ترجماتها ، أرسلت مندوبيها اليه ليحظوا منه بالأحاديث والتصريحات ، وأبدوا اعجابهم به ، شابا ، كاتبـا ، مفكرا ، صحفيا ، وهو بعد وقبل كل شىء ابن مصر المخلص لها ٠

وفى نفس الوقت نحس ونحن نقرأ لمصطفى كامـل أنه كان متحمـلا للمسئولية كاملة ، فتسلح بالعلم عندما نبذ العنف والثورة وسفك الدماء ،

---

(١) أصدرها فى ١٨٩٣ وكان يديرها ويحررها كلها بقلمه ، ثم بعد ذلك اشترك معه كتاب آخرون من أقرانه ، فكانت أول مجلة مصرية يصدرها طالب ، وكان يطبعها فى مطبعة المحروسة ، وقد اتخذ لها شعارا « حبك مدرستك ٠٠ حبك أهلك ووطنك » ، وقد بلغ عدد المشتركين فيها ٢٤٠٠ مشترك ، أكثرهم من طلبة المدارس الابتدائية ، وبلغ قيمة الاشتراك السنوى فيها ثمانية قروش ، كانت تصدر عشرة أشهر وتحتجب شهرين فى العام ، الا أنه لم يصدر منها الا تسعة أعداد فقط ، تنشر هنا أهم المقالات التى وردت فيها ، وقد اشتركت فيها نظارة المعارف ، بشراء خمسين نسخة من كل عدد ٠

(على فهمى كامل : مصطفى كامل باشا فى ٣٤ ربيعا ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٠٨ ، ص ص ١٨٤ — ١٨٥) ٠

(٢) ابراهيم عبده : (دكتور) : جريدة الأهرام ، (تاريخ مصر فى خمس وسبعين سنة ، القاهرة ١٩٥١) ص ١٢٥ ٠

وآثر الحكمة والموعظة الحسنة ، ودعوة الخصوم الى كلمة سواء تكون بينه وبينهم ٠

فنحس بمقدار حصيلته من العلوم ، فاستشهد بوقائع التاريخ قديمة ووسيطة وحديثه شرقه وغربه ؛ مدللا بالسياسة والعلاقات الدولية ؛ مقدما الأمثلة للأمم والشعوب ، دارسا لعاداتها وتقاليدها ٠

كل هذا يدفع قارئه الى العيش معه ٠٠ وفيه ، من خلال كلماته المؤثرة ٠٠ الواعية ٠٠ الداعية ٠

سرنا وراءه جامعين كلماته من مصادرها :

١ ـ المدرسة : منتقين المقالات التى تحدثت عن أغراض وطنية ، تاركين بقية المسامرات اذ ليس هنا مجالها ٠

٢ ـ الأهرام ٠

٣ ـ المؤيد ٠

٤ ـ الصحف الأجنبية ٠

٥ ـ وما جمعه شقيقه على فهمى كامل فى مصر والاحتلال الانجليزى ، وكتابه « مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا »

٦ ـ وما جمعه محمد مسعود فى كتابيه : مصطفى كامل والانجليز ٠٠ وغيره ٠

هذا فى حدود ما وجدناه من مجلدات الصحف ، لأن منها ما هو ممزق ، وما هو غير موجود ، وأشرنا الى ما هو ممزق أو غير مقروء بعلامة ( ) ٠

وكدأبنا ، أشرنا الى ظروف كتابة المقال ، ومكان نشره ، وتاريخه ، ثم التعليق على ما ورد فيه من وقائع تاريخية أو حربية ، وأشخاص وبلاد ، فضلا عن تحليل المواقف السياسية والعسكرية والمعاهدات التى يحتمل موضوعها ذلك ٠

كما راعينا ـ أمانة فى النقل ـ ألفاظه كما كتبها وان كانت تخالف أحيانا أسلوب الكتابة الآن (كمسئلة ـ فرنساويين وطليان) ٠

ونرجو بهذا أن نكون قد وفقنا فى هذا العمل القومى الجليل ٠

والله نعم المستعان ،،،

القاهرة فى ديسمبر ١٩٨٥

دكتور

يواقيم رزق مرقص

المشرف بمركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

مقالات مصطفى كامل
فى
مجلة المدرسة

الجزء الأول

يوم السبت ١ شعبان سنة ١٣١٠ – ١٢ امشير ١٦٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مدبر الأعمال ٠ وفى مدارس الكمال ٠ على محـور الاعتدال ٠ موهب الانسان ٠ القلم واللسان ٠ المعبرين عما فى الجنان ٠ والصلاة والسـلام على نبيه محمد روح مدرسة المعجزات الباهرة ٠ وصاحب الأخلاق الطاهـرة ٠ مدينـة العلم والكرم ٠ ومصدر الفضل والحكم ٠ (وبعد) فلما كانت عموم الجرائد على اختلاف مشاربها ٠ وتنوع مذاهبها ٠ لا تفيد الا الآباء ٠ دون الأبناء ٠ من تثقيف عقولهم وتنمية أفكارهم ٠ أمر من أهم الأمور الشريفة ٠ وغاية نوالها من أكبر المزايا المنيفة لأنهم عماد دولة مستقبل الزمان ٠ ومتى صلح المبدأ صلحت الغاية فى كل آن ٠ (من يزرع الشوك لايجنى به عنبا) رأيت أن أهدى أبناء جلدتى ٠ وصغار بلدتى ٠ جريدة على الأخص تهذيبية لما فى ذلك من النفع والسداد ٠ والهداية الى سـبيل الرشـاد ٠ تصدر فى كل شهر مرة واحدة الا فى شهرى محـرم وصفر (زمن الصيف فى هذا العام) فلا تصدر لما يحيط بكل من الاشتغال بالراحة وتبديل الهواء بعد طول العناء ٠ وقد جعلت قيمة الاشتراك فيها سنويا رجاء للنفع العام (والله على ما أقول شهيد) ثمانية قروش صاغا حتى يسهل للجميع تناولهـا وتعم بذاك فوائدها ولنا الأمل الوطيد فى مساعدة حضرات نظار المدارس الابتدائية لنا فى هذا المشروع لأنهم جميعا رجال همم عالية ٠ وغاياتهم شريفة سامية ٠ لايبتغون الا نجاح بلادهم وعلو شأن أوطانهـم فى ذلك العصر الزاهر عصر أميرنا المحبوب حامى حمى الديـار المصرية ورافع شأنها ٠

(عباس باشا حلمى)

من أصبح شكر جنابه المستطاب أسمى من شكر الرياض لبنت السحاب (١) حفظه الله ورجاله الكرام وأهله وذويه الفخام أمين ٠

---

(١) المطر ٠

لماذا أنشئت المدرسة

ما أنشئت المدرسة الا لكى تكون مركزا لجمع درر فرائد الأستاذ ومنهلا غزيرا لاتحاف التلميذ بأثمن الفوائد وأسماها · وأبهج اللطائف وأسناها · فيهدى الأول من محاسن معارضه ما يجود به علينا · ويهدى الثانى من حلل العلم والأدب ما نورده وما يرد لينا · وما عليه الا استقبال تلك الجريدة لعصماء · والمجلة العذراء · بالترحيب والاجلال · والتردى بما تهديه له من أثواب التهذيب وطيب الأعمال والتقاط ما تتحفه به من المسائل السنية الثمينة · والنفائس النفيسة المكينة · وأن تعسر عليه الوقوف على أصل كلمة أو معنى جملة أو حسن خريدة فما عليه الا الرجوع بها الى محل ثقته وسنده القديم صامع جواهر فكره أستاذه العليم فيستفسر منه عما أعيته معرفته وما تعذر عليه نيله واياه أن يقصر فى السعى وراء التعليم والتهذيب وقد سهل الله عليه كل أمر مريب فأهداه جريدة تباع اليه بثمن بخس ما أخاله الا حقيرا وأمره عند الآباء يسير ليس يسيرا ·

فعليك أيها الصبى المجد أن تستطلع أسرار تلك الجريدة التى لم تسطر الا لمنفعتك وخيرك وسعادتك وبرك وتعتنى كل الاعتناء بأمرها فسوف يأتى يوم تسلم اليك فيه مقاليدها وتعطى من مديرها زمام أعمالها فترشد اذ ذاك بالاتفاق مع رفقائك صغار اخوانك وضعاف أبناء بجدتك فتصفحها الآن وقف على حقيقتها وأنت صغير حتى تهدى غيرك فيما بعد وأنت كبير والله يهدينا جميعا الرشاد وما فيه خير البلاد انه سميع يجيب دعوة الداعى اذا دعاه ·

(شرف الأستاذ ومجد التلميذ)

أعلم أن الناس على اختلاف مراتبهم وتفرق درجاتهم بين عالم وجاهل اى محصورون جميعا فى طبقتين عليا وهى طبقة العلماء وسفلى وهى طبقة الجهلاء وكلاهما فيه أقسام عديدة ، فمن العلماء من تبحر فى الفلسفة ومنهم فى الفقه ومنهم فى النحو ومنهم من هو أعلم من الآخر ، كما أن فى الطبقة السفلى من هو أجهل من أخيه ولاشك أن المرتبة العليا أشرف كثيرا من السفلى فى الآخرة والدنيا « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون » كيف لا وهم هم العلماء دون غيرهم أهل المعارف والكمال ورجال المجد والفخام اذا عرفوا خواص ما يحيط بهم من الأجسام فاستخدموها أحسن استخدام ووقفوا على دقائق خواص المخلوقات فزادوا بربهم وثوقا ولأنبيائهم تصديقا ولله من قال · العلماء فى الأرض كالنجوم فى السماء ولولا العلم لكان الناس كالبهائم :

العلم فيه جلالة ومهابة   والعلم انفع من كنوز الجوهر
تفنى الكنوز على الزمان وصرفه   والعلم يبقى دائما فى الأعصر

وعليه فالناس بعلومهم لا بزيهم واحترامهم متوقف على علومهم لا على ملابسهم وأعلم أن العلماء قسمان : قسم علم وعلم وقسم علم وما علم ولامرية (لاشك) فى أن القسم الأول أشرف من الثانى بكثير وهو لايشمل على الأخص الا الأساتذة الكرام والمعلمين الأعلام فهم على ما بينا أشرف الناس على الاطلاق وأعظمهم مجدا وارفعهم قدرا يهذبون الروح وهو أمر لو تعلمون عظيم ولايغرنكم معشر التلامذة قلة مالهم أو عدم بهائهم فهم الذين على أيديهم تبلغون غاية عظمى وتخطون فى مدارج الكمال خطوة كبرى .

اذا علم مامر من القول وتأملتم قليلا الى حالتكم عند الدخول بالمدرسة وعند تتميم دروسها والخروج منها وقارنتم بين الحالتين لرأيتم فرقا بينا يوضح لكم أنكم عند الدخول بالمدرسة كنتم فى ذيل طبقة الجهلاء وعند خروجكم منها (وهى مهد تعليمكم وتربيتكم) تعدون من طبقة العلماء بمعنى أن المدرسة هى التى تنتشلكم من حضيض الجهالة الى أوج المعارف والنجاح اياكم أن تعدلوا عن السير فى منهج الكمالات بل عليكم عليكم أن تجهدوا كل الجهد فى سرعة الانتقال من مستوى الجهلاء الى مستوى العلماء الذين قد شرفهم الله والناس ، كما أنه يجب عليكم أن تحترموا الأساتذة جميعا فقد صرفوا كل عنايتهم فى تثقيف عقولكم وتربيـة أفكاركم وسـعوا كل السعى فى تقدمكم ونجاحكم واتعبوا الآن فى تحصيل العلوم وأنتم أهل لذاك قبل أن تمر الفرصة فتأسفوا على مافات ولات حين مندم ·

فيما يجب أن يتبع فى مطالعة الدروس

كثيرا مانرى بعضكم معشر التلامذة يطلع الدروس لا لقصد الوقوف على حقائق الأشياء بل لتحصيل نمرة أو لنيل درجة يفتخر بها اخوانه فيجتهد كل الاجتهاد فى حفظ ما بالكتاب على قلبه دون أن يبحث فى معناه أو يدقـق فى مبناه فيصـير بذلك كالببغاء بل أضل سبيلا فلو لاحظنا أغلب التلامذة فى مطالعة علم التاريخ مثلا لرأيناهم تجنبوا المنهج القويم وعدلوا عن الصراط المستقيم وذلك لكونهم يحفظون مدة حـكم الملوك ويعرفون أعمالهم ووقوع الحوادث حفظا قلبيا لا روية ولا تدقيق فيه ، ولو سألت أحدهم سؤالا رأيته أما أن يجاوبك بسرعة بحيث لو أوقفته فى طريقه لعطل عن الاجابة أو أجابك بجواب آخر غير الجواب الحقيقى فيصير بذلك شبيها برجل مرضت رجله فلقنه الحكيم أن يضع عليها لبخة عيش ففهم أن اللبخة هى الدواء الوحيد لكل الأمراض فصار فى كل مرض يحيط به يضع اللبخة التى ربمـا أتت بمصيبة أكبر من الداء ·

ليس الغرض من دراسة التاريخ مثلا حفظ مدة حكم الملوك وتاريخهم ، بل التبصر فى سياستهم وفى حقيقة الأعمال فنرى مثلا أن هذا كان محبا لوطنه غيورا وذاك خائنا لئيما فنقتدى بالأول ونبغض ما شاكل الثانى هكذا تكون الدراسة الحقيقية والا فليس فى قدرة أحد منكم معشر الأبناء ان خالف هذه الخطة أن يطبق العلم على العمل ويكون تعبه بلا فائدة ان لم نقل قد ضيع حياته دون أن يجنى شيئا ·

فعليكم جميعا أن تطالعوا علومكم مطالعة الباحث المدقق وان تعسر عليكم فهم شيء فاسئلوا معلمكم عنه فهم يرشدونكم الى سواء السبيل ٠

(محاورة بين الأستاذ والتلميذ)

التلميذ : أستاذى الأعظم وملاذى الأكرم ٠

الأستاذ : ماذا تطلب يا ولدى العزيز ؟

التلميذ : ان عندى بعض أسئلة أوقفتنى معرفتها وفى أنها تفيدنى كثيرا ٠

الأستاذ : سل عما تريد ٠

التلميذ : رأيت البارحة بيد أحد اخوانى جريدة علمية اسمها « الفتاة » فأخذتها منه عندما قرأت ما على الغلاف علمت أن سيدة تديرها فتعجبت من ذلك جدا أهل للمرأة قدرة على الانشاء والتحرير كالرجل ٠

الأستاذ ــ اعلم يا ولدى أن المرأة مثل الرجل لها مقدرة على الفهم والانشاء وطالما رأينا جرائد وكتب من انشاء سيدات شرقيات عربيات ٠

التلميذ : اذا كان الأمر كذلك فعل يمكن أن النساء يستخدمن بالمصالح مثل الرجـــال ؟

الأستاذ : ان قواعد الشرع والأدب تقضى بضرب الحجاب على النساء (بوضع البراقع على الوجوه) فليس لهن أن يستخدمن بالمصـــالح كالرجل وانما يكفى أنهن يدبرن الشئون المنزلية ويهذبن أولادهن » (١) ٠

التلميذ : لك الشكر يا سيدى تلك مسئلة علمتها وأريد السؤال عن شيء آخر ٠

الأستاذ : سل يابنى رعاك الله ٠

التلميذ : كنت مجتمعا مرة مع بعض اخوانى نتحدث فى مسائل علمية وبيننا تلميذ يبلغ من العمر عشر سنوات يظهر عليه أنه من بلاد الصعيد تلوح عليه علامات النباهة وبينما نحن بالمجلس وقد صعب علينا حل مسألة رياضية اذ قام ذلك الشاب وشرع فى حلهـــا ولم يلبث أن نطق بجملتـــه الأولى حتى أسـكته أكبرنا بقوله :

(اسكت أيها الفلاح ألنت مثلنـا متمدن أما تحمد الله على وجودك معنا) فبهت الشاب وسكت وعند ذلك أخذتنى الشفقة عليه متعجبا من شكل احتقار الفلاح أليس

---

(١) هذا فى الواقع رأيه هو فى تعليم المرأة ٠

مصريا متلنسا وعزمت فى الحال على توبيخ ذلك الكبير ، الا أنى استحسنت تأخير السؤال اليك حتى أعلم الخطأ من الصواب وأعمل الخير وأجتنب السوء ٠

الأستاذ : خيرا ما فعلت يا ولدى وشرا ما عمل صاحبك الكبير لأنه لافرق بين الفلاح والاسكندرى والدمنهورى والمنياوى والأسيوطى فالجميع مصريون ملكهم واحد وقانونهم مشترك لا تمييز بين هذا وذاك (١) ٠

التلميذ : اذا كان الأمر كذلك فهل يتأتى أن أحد الفلاحين يستخدم بدواوين الحكومة ٠

الأستاذ : لا شك فى ذلك أما رأيت أن أعظم الأساتذة والنظار والرؤساء وأغلب الأمراء من بلاد الفلاحين ٠

التلميذ : أبقاك الله لنا ، قد فهمت المقصود ولكن بما أن الجميع مصريون هل يكون من الصواب أن يقول الانسان أن الحمار وسائق العربية والعالم والجاهل فى درجة واحدة ٠

الأستاذ : هم فى المعاملة القانونية على حد سواء الا أن بين العلماء والجهلاء من جهة الاحترام والشرف فرق كبير ٠

التلميذ : ولم الجهلاء جهلاء والعلماء علماء ٠

الأستاذ : ان سبب ذلك هو التعليم فالجهلاء أهمل أمر تربيتهم وتعليمهم والعلماء بالعكس ٠

التلميذ : حفظك الله لنا سندا قويما ووقانا من شر الجهل آمين ٠

(مكـارم الأخلاق)

ان مكارم الأخلاق هى جميع الصفات الجليلة التى تجعل الأنسان عظيما موقرا محترما محبوبا عند الخالق وعند الناس ، وقد اتصف أشرف الأمم وروح الفضائل والكرم سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بعموم مكارم الأخلاق فكان رقيق الطبع لطيف المعاملـة شديد العزم يأمر أصحابـه وأمتـه على لسان شريعته بالاتصاف بتلك المكرمات التى ذكرها أحد الشعراء بقوله :

ان المكارم أخـــلاق مطهـرة ... فالعقل أولهـا والدين ثانيها
والعلم ثالثهـا والحـرم رابعها ... والجود خامسها والعرف ساديها
والبر سابعها والصبر ثامنها ... والشكر تاسعها واللين عاشيها

وهاهى نوردها لك على الترتيب .

---

(١) وهو ما سعى اليه طوال حياته فيما بعد ، فكان يهدف ان يظهر الوطن كالبنيان المرصوص فى وجه الاحتلال ٠

(١) العقـــل

أعلم أن العقل هبة (هدية) من عند الله سبحانه وتعالى وهبها للانسان لكى تدير أعماله وترشده الى طريق الهداية فمن الناس من خالف عقله فخسر وندم ومنهم من اتبعه وخالف اتباع نفسه (والنفس من طبعها ميالة للشر تأمر الانسان باتباع شهواته فمن خالفها نال خيرا ومن وافقها نال شرا) فربح وحمد ربه ٠

فالعقل هو الذى يهدى المرء الى طيب الأعمال ، وما هو الا جوهرا حاله كحال الفضة والمعادن النفيسة ، ان ترك وأهمل أمره ضعفت قوته وتأكسد ، وان اعتنى به بالتربية والتهذيب نما وعظمت فائدته ، وهو مصدر مكارم الأخلاق على الاطلاق ، فباتباعه يتبع الانسان دينه الذى هو أشرف المكرمات (انظر فى العدد الآتى الكلام على الدين وما تأمر به الشريعة من الصفات المطهرة) ٠

وللعقل أمور تؤيده وأخرى تضر به فالمؤيدة له هى مشاورة العلماء وتجربة الأمور وحسن التثبت والمضرة به هى الاستبداد والتهاون والعجلة ٠ فالمشورة هى صفة جليلة بها يهتدى الانسان بآراء من هو أعلم منه الى الصواب ولا يخفى أن فوق كل ذى علم عليم فاذا اقتصر الانسان على رأيه يعد جاهلا ٠ وقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد الذى هو أكمل الناس جميعا لكى يعلمنـــا فوائد المشـــورة ٠ (وشاورهم فى الأمر) وقد قال حكيم عربى ٠ المشـــورة عين الهداية وقد خاطر (دفع نفسه فى الخطر) من استغنى برأيه ٠

وضد المشورة الاستبداد بالرأى وهو أمر قبيح (كما يظهر من محاسن المشورة) نعوذ بالله منه ٠

وتجربة الأمور هى صفة حميدة تعلم الانسان ما ينبغى اتباعه فى صغير المسائل وفى كبيرها فلا يخفى أن الدهر لايبقى على حالة ، فتارة يكون الانسان غنيا وأخرى فقيرا فمن جرب الأمور عرف دواء الفقر بعمل الاقتصاد (التدبير والتوفير) فى زمن ثروته حتى يعيش كذلك هنيئا فى زمن فقره والتهاون أمر ذميم يبعد الانسان عن طريق الخير لأن عمل الأشياء فى أوقاتها ممدوح (وهو ما يسمونه بانتهاز الفرصة) فان تأخر أحـــد عن أن يعمل شيئا ما فى زمنه لا يمكنه أن يتحصـــل على الفائدة المقصـــودة ٠

وحسن التثبت أمر جليل لا تنجح الأمم الا به ، ومن تركه كان معرضا لكل أذى لأنك اذا كنت رئيسا لجيش بلادك مثلا وقت دفاعك عنها وقد أقبل العدو بعسكره لملاقاتك وتركت اذ ذاك التثبت فى الأمور وخفت الخطر على نفسك فهربت وتركت جيشك فقد سلمت بيدك تطرك وبلادك للهلاك وغير ذلك من الأحوال العديدة التى تأتى المرء (وربما لأهله وبلده) بأعظم سوء .

وكما أن التثبت ممدوح فالعجلة مذمومة وخير الأمور الوسط فلا يجب عليك أن تكون متهاونا ولا عجولا بل كن منتهزا للفرص متثبتا فى الأمـــور لتنال الخير والسعود .

الجزء الثانى

يوم الأحد ١ رمضان سنة ١٣١٠ – ١١ برمهات سنة ١٦٠٩

الموافق ١٩ مارس سنة ١٨٩٣

المكرمة الثانية

الدين

أن الله سبحانه وتعالى خص من بين عبيده رسلا يهدون الأمم الى طريق الخير وأنزل عليهم الشرائع لاتباعها فى سائر الأحوال فمن صدق هؤلاء الهادين فى دعوتهم فرضى الله عنه وحباه من لدنه جنة وحريرا ومنهم من خالف ذلك فكان من المغضوب عليهم وتعست حاله ٠

وليس من الواجب أن نصدق النبى فى قوله دون أن نتبع أحكام شريعته بل يجب علينا وجوبا حقيقيا أن نتبع شريعته فنأتى بما أمرنا به الله على لسان نبيه ٠ على أن فى اتباع الشريعة المطهرة من الفوائد الدنيوية والأخروية مالايمكن حصره مطلقا كيف لا وهى التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وهى التى تجلب رضاء الله على العبيد ورضاء الناس على بعضهم وهى التى تأمر بمكارم الأخلاق جميعها فتأمرنا بالتقوى والتعاون والصبر والحلم والعدل ٠ الى غير ذلك مما ستراه بأوضح بيان ٠

ومعلوم أن اتباع الشريعة أمر سهل هين لأن نتائجها من أشرف الأمور وأجلها لانحصار السعادتين الدنيوية والأخروية فى اقتفائها وهاكم معشر الأبناء شهر الصيام قد أقبل فحيوه أجل تحية بالصيام والصلاة وفعل المبرات فهو أمر فى طاقتكم لأنكم ان قمتم به فى الصغر تعود تموه فى الكبر وصبغتم أنفسكم بصبغة الدين فتحظون بخيرى الدنيا والآخرة وتناولون من لدن ربكم مكانة علياء وكونوا على وفاق تام فى سائر الأمور فقد قال الخالق جل شأنه وتعاونوا على البر والتقوى وقال أيضا انما المؤمنون أخوة ٠

(الجواهر السنية)

« فى نظام الهيئة الاجتماعية »

ذلك اسم الكتاب عزمنا على تأليفة (لم يؤلف بعد) فى النظامات العمومية للهيئات الاجتماعية نأتى هنا على خلاصته افادة للمبتدئين ٠

(الباب الأول)

« أصـول أوليـة »

لو تأمل الانسان قليلا الى أهله وذويه واخلائه وأصدقائه وقومه ومن يحيط به من كل جانب ثم التفت الى الحيوانات العجم وحالها واجتماعها واتحادها وائتلاف كل فريق منها ونظر بعد ذلك لصغار الدواب وتعصبها واتحادها فى السير وجلب الغذاء وتوحيد المسكن للكثير ، لشاهد من خلال ذلك حكمة بالغة وسرا عجيبا للخالق فى مخلوقاته ، ألا وهو الاجتماع ، ذلك الأمر الذى لايتأتى انحلال عراه أو انفصام حبل اتصاله لأن كل المخلوقات الحية فى حاجة عظيمة اليه ، وعدمه مستحيل لأن كل حى خلق ضعيفا لاسيما الانسان الذى بمفرده لايمكنه أن يقوم بعمل أى شيء ولذلك يقول أغلب الفلاسفة (الانسان مدنى بالطبع) أى أنه طبع على حب المدنية أى الاجتماع مع أبناء جنسه للتعاون والتعاضد فى المعاش .

ولكن لما كان من أصعب الأمور أن ذلك الاجتماع لايخلو عما يكدره من النزاع والخصام والسلب والنهب والقتل الى غير ذلك دعت الحاجة الى تقسيم الناس الى قسمين : حكام ومحكومين أى هيئة حاكمة وهيئة محكومة وأعضـاء الهيئة الحاكمة يجب أن يكونوا من ذوى الفضل والذكاء ، حتى يمكنهم أن يحسنوا ادارة الأعمال . ولكن ربما يقوم بالفكر فى هذا الموضع ان تكوين هيئة حاكمة وهيئة محكومة اجحاف وظلم لما أن عموم الناس متساوون ، لا فرق بينهم فى الحقيقة . لكن نقول أنه لو تركت الناس لا حاكم يحكمهم ولا رئيس يفصل بينهم عند الخصام لتلاشى البشر وانقضت دعائم الأكوان لما يقع من سفك الدماء بين الناس وحب الانتقام وتغلب القوى على الضعيف والغنى على الفقير .

من ذلك كله نرى أن وجود هيئة حاكمة ضرورى جدا والا تكون نتيجة الاجتماع خرابا بدل أن تكون عمرانا .

وتلك الهيئة الحاكمة التى روعى فيها الصدق والأمانة تنقسم الى قسمين : قسم يضع القوانين والأصول التى يجب اتباعها وقسم ينفذ تلك . فالأول يسمونه

(القوة التنفيذية) (١) أى التى تنفذها وذلك القسم الثانى يشتمل على قسمين : قسم يحكم بين الناس وهو المحاكم (أى القوة القضائية) (٢) وقسم يدير الأعمال وينفذ أحكام تلك المحاكم وهو (القوة الادارية) (٣) .

اذا علم كل ذلك بقى عليك أن تعرف أن هذين القســمين العظيمين (القوة التشريعية والقوة التنفيذية) وفروعهما محكومان بسلطة رجل واحد وهو أمير القوم أى رئيس الشعب (الأمة) وهو فى حكومتنا المصرية سمو الخديو المعظم وأعلم أن الخديوية المصرية وراثة للأكبر فالأكبر من أولاد الأمير .

محاورة بين الأستاذ والتلميذ

(ملاحظة عامة — من يضع لنا من تلامذة المدارس الابتدائية المشتركين فى جريدتنا هذه المحاورة فى قالب مقالة تقع لدينـا موقع الاستحسان ترسـل اليه مكافأة نفيسة جدا واذا تعددت الرسائل على شرط أن لاتتأخر عن الثامن عشر من هذا الشهر يخصص ثلاث مكافئات لثلاثة من أوائل المجيدين .

أما التلامذة الذين لم يشتركوا لكنهم يودون ذلك فيكون لهم الحق فى هذه المكافأة الجليلة ان أرسلوا طلبات الاشتراك مع القيمة قبل الخامس عشر من هذا الشهر) .

الأستاذ — هل قرأت جريدة (المدرسة) يا أحمد .

التلميذ — قرأتها يا سيدى !

الأستاذ — هل فهمت ما بها ؟

التلميذ — فهمته جيدا الا أنه تعسر على فهم جملة مكتوبة على الغلاف .

الأستاذ — ما هذه الجملة ؟

التلميذ — هى قول الحكيم (حبك مدرستك حبك أهلك ووطنك) .

الأستاذ — لم لم تفهمها ؟

التلميذ — لأنى لا أعرف لكلمة الوطن معنى .

الأستاذ — وما يظهر لك من وضع هذه الجملة على الغلاف ؟

التلميذ — يظهر لى أنها جملة مهمة .

---

(١) وهى السلطة التشريعية فيما بعد .

(٢) السلطة القضائية .

(٣) السلطة التنفيذية .

وهذه أولى محاولاته وهو بعد شاب صغير لطلب الحياة الديمقراطية .

الأستاذ ـ واذا كانت مهمة فلماذا تأخرت عن أن تسألنى عنها ؟

التلميذ ـ قد عاقنى عن ذلك مرض أحد أقاربى والا فانى مولع بمعرفة كل الأشياء لاسيما المهمة .

الأستاذ ـ لك العذر يا أحمد هذه المرة ولكن أوصيك أن لاتتأخر مطلقا عن أن تسألنى فيما يصعب عليك فهمه وها أنا أعرفك الآن معنى كلمة الوطن فأقول :

تعلم جيدا يا ولدى أن لك عائلة مكونة من أبيك وأمك وأخوتك وأخوانك وأقاربك وخدمك يعيش الجميع معا كما أن لكل شخص فى الدنيا عائلة مثلك غالبا يعيش فيها فمجموع تلك العائلات على اختلافها التى فى القاهرة والاسكندرية ودمياط ورشيد والمنصورة وطنطا وأسيوط وسوهاج ... الخ . وفى البلدان والقرى والى غير ذلك يكون القطر المصرى الذى هو وطنك والذى يجب عليك أن تحبه أكثر مما تحب عائلتك التى تعيش فيها .

التلميذ ـ وهل لكل شخص فى الدنيا وطن مثلى ؟

الأستاذ ـ نعم لكل شخص وطن فيقال زيد من الناس عربى أى أن وطنه بلاد العرب وخالد تركى أى أن وطنه بلاد الترك وعمر سودانى أى أن وطنه بلاد السودان .. الخ .

التلميذ ـ واذا كانت بلاد مصر وطنى فلماذا يجب على أن أحبه واذا لم يكن بد من حبه فكيف يكون ذلك ؟

الأستاذ ـ يجب عليك أن تحبه لأنه كأم تحنو عليك وعلى غيرك من أبنائه فجميع العائلات المكونة له تستنشق هواء متحدا وتأكل غذاء واحدا تشرب ماء كذلك واحدا وهو ماء النيل السعيد فهم كأخوة أمهم الوطن ومعنى حبك له أن تسعى فى نفعه وجلب الخير اليه .

التلميذ ـ وماذا يحصل لو أهمل اثنان أو ثلاثة محبته وتركوه وراء ظهورهم ؟

الأستاذ ـ يحصل ضرر عظيم لأنهم يكونون بمثابة داء تنتشر عدواه الى غيرهم فضلا عما عساه يحصل للوطن من النفع ان لم يهملوا محبته .

التلميذ ـ عظيم ولكن ربما نأنى محبته بضرر جسيم للانسان !

الأستاذ ـ لا بأس بذلك الضرر فانه عند محبى الوطن ألذ شىء لأنهم ينفعون آلافا مؤلفة من الناس فى جانب ضرر شخص أو شخصين أو عائلة .

التلميذ ـ لقد ظهر لى ياسيدى من كلامك أن محبة الوطن من الواجبات الانسانية وانى أعتبر من الآن من يقصر فى محبة وطنه أكبر خائن وأعظم مجرم وكيف

لايكون أعظم مذنب وهو منكر للجميل عاص لوالدته الكبرى التى ربته فى المهد صبيا ؟ ولكن كيف يمكن الانسان ياسيدى أن يخدم وطنه خدمة صادقة جدا .

الأستاذ ــ أما الكبير فيجب عليه أن يقوم بما عهد اليه من الخدم بالذمة والصدق وأن يسعى فى نشر المعارف وتعميم التربية والتهذيب بين الأمة والدفاع عن الوطن بقدر ما يمكنه وأما الصغير فيجب عليه أن يعمل بقول الحكيم (حبك لمدرستك حبك أهلك ووطنك) .

التلميذ ــ أى يحب مدرسته .

الأستاذ ــ نعـــم .

التلميذ ــ وكيف يكون ذلك ؟

الأستاذ ــ يكون بالمواظبة والاجتهاد فى الدروس والطاعة والامتثال لرؤســـائه ومعلميه .

التلميذ ــ ولم ذلك .

الأستاذ ــ لأنه متى كان كذلك أمكنه أن يخدم وطنه فى الكبر بمعارفه ومعلوماته التى حصل عليها فى الصغر .

التلميذ ــ وهل المواظبة والاجتهاد والطاعة كافية فى حب الوطن .

الأستاذ ــ نعم كل ذلك مع حب الفضيلة والحقيقة والسعى فى اتقان معرفة اللغة الشريفة العربية .

التلميذ ــ وما معنى حب الفضيلة والحقيقة ؟

الأستاذ ــ معناه أن يكون الانسان منزه النفس بعيدا عن الأغراض غير الشريفة عالى الهمة يقول الحق متى وجد اليه سبيلا مراعيا فى كل ذلك الآداب .

التلميذ ــ وهل ياسيدى يجب على أن أتقن معرفة اللغة العربية أكثر من غيرها واذا كان فلم ذلك ؟

الأستاذ ــ نعم يجب عليك اتقانها أكثر من غيرها لأنها لغتك الشريفة التى أنزل بها القرآن المعمول بها فى البلاد .

التلميذ ــ واذا أتقنت معرفتها أيجب على أن أتكلم بها دائما ؟ .

الأستاذ ــ ولم لا .

التلميذ ــ كيف ذلك وانى أرى أغلب الناس يتكلم باللغة الدارجة ؟

الأستاذ ــ ان تكلم الناس باللغة الدارجة لايمنع من تكلمك أنت ورفقاؤك باللغة العربية الصحيحة ·

التلميذ ــ لكن اذا تكلمت باللغة الفصحى مع العوام ربما لايفهمها أحد ·

الأستاذ ــ كيف تقول ذلك وأنت تعلم يا ولدى أن البلاد المصرية قد انتشرت فيها الصحف والجرائد العربية انتشارا عظيما وكلها مكتوبة باللغة الفصحى وأغلب الأفراد تقرأها كل يوم وتفهم ما بها جيدا ·



الجزء الثالث

يوم الثلاثاء ١ شوال سنة ١٣١٠ و ١١ برمودة سنة ١٦٠٩
الموافق ١٨ ابريل سنة ١٨٩٣

الجواهر السنية فى نظام الهيئة الاجتماعية

الباب الأول

أصول أولية ـ تابع ماقبله

ذكرنا لك فى العدد الماضى تقسيم الناس الى قسمين هيئة حاكمة وهيئة محكومه وقسمنا لك الهيئة الحاكمة الى قوتين قوة تشريعية وقوة تنفيذية ولعلك تسأل الآن عن انطباق هذه الحالة على جميع البقاع وسائر الجهات وتشفع ذلك بالسؤال عن تاريخ وجود هذه الحالة وهل ابتدأت من النشأة الانسانية أم ابتداؤها قريب العهد بنا فتدعونا الى التكلم عن تاريخ الاجتماع والعائلات بعبارة مختصرة وما كانت عليه من قبل وما هى عليه الآن فنقول :

اعلم أيها القارىء رعاك الله أن الهيئة الاجتماعية أساسها العائلة والعائلة هى اجتماع بعض أشخاص تجمعهم جامعة القرابة أو الالفة للتعاون على نيل المآرب فى هذه الحياة الدنيا فلو تأمل كل فرد منا فى هذا التعريف ونظر الى عائلات المجتمع الانسانى لرأى أنهــا تتكون فى الغالب من أب وأم وأجداد وأخوة وأخوات وأقارب وخدم ولو نظر بعد ذلك فى أساس هذه العائلة لشاهد أنه الزواج الذى هو اجتماع ذكر وأنثى على حسب قواعد الشريعة المطهرة بقصد التعاون فى المعايش والنســل لتكوين عائلة فمن ثم نرى أن الزواج أساس الاجتماع الانسانى كله ولذلك كان من أعظــم العقود البشرية ووجوب على المرء أن يعتنى بأمره كل الاعتنــاء فيلزمه أن لا يتأهل الا بزوجة شريفة أحسن أهلها تربيتها بدون مراعاة الثروة أو علو الصيت لأنه لو راعى ذلك وترك اعتبار التربية والتعليم لوقع فى أكبر المصائب وأضر بنسله ضررا فاحشا حيث يشب قليل الأدب جاهلا حسب ما عودته أمه فى الصغر أى فى مدرسته الأولية التى هى أجل مدارس الحياة .

هذا ما يجب على الزوج قبل الزواج أما ما يجب على الزوجين فى آن واحد فهو الصدق والمساعدة ولطف المعاملة بينهما فعلى الزوج أن يحمى ويساعد زوجته وعلى الزوجة الامتثال لأوامره على الاثنين أن يعتنيا أشد الاعتناء بتربية أولادهما ويكون ذلك باللين والرفق لا بالعنف والشدة عليهما أن يبعداهم عن الخسائس والرذائل ويقرباهم من الفضائل والكمالات وأن يغرسا فى قلوبهم من الصغر محبة أوطانهم

والذب عنها وعليهما أن يبادرا بادخالهما المدرسة متى جاءت السن التى فيها يتعلمون ٠

وخلاف تربية الأطفال يجب على الزوج أن ينظم المعيشة على قدر ما يكتسبه سواء كان ذلك الكسب يوميا أو أسبوعيا أو شهريا وعلى الزوجة أن تنظم المنزل وتستعمل التوفير والتدبير غير المضر ٠

وفى كل حال يلزم تعادل المصروفات المتحصلات دون أن تفوقها ولا بأس من أن تكون أقل منها :

اذا فهمت مامر وعلمت أنك ستكون يوما من الأيام رئيس عائلة ورب بيت وجب عليك أن تعرف واجبات رئيس العائلة وهى :

يجب على رئيس العائلة أن يكون دمث الأخلاق يعامل جميع أفراد عائلته باللطف والحسنى وأن يؤدى ما عليه من الحقوق نحو أبويه وزوجته وأبنائه وأن يصرف فى المنزل مكسبه (لأن الرجل الذى يصرف ما يكتسبه فى اللهو خارج بيته جبان غبى) وأن لايسىء معاملة زوجته ٠

هذا ما يجب على رئيس العائلة واما ما يجب على الولد فى العائلة فهو أن يخلص فى محبة أقاربه وأن يحترمهم ويطيعهم وأن يظهر لهم فرحه وترحه ويقر لهم بغلطاته وهفواته ان وقع منه شىء من ذاك وأن يساعدهم فى كبره ان احتاجوا للمساعدة وأن يحب اخوته واخواته وأن يحن اليهم ويلاطفهم وأن يحافظ على شرف عائلته ما استطاع وأن يتجنب النزاع والخصام بينه وبين أفراد العائلة ٠

هذا نظام العائلة وواجباتها وحقوقها والآن بقى علينا أن نشرح لك تاريخ العائلات والاجتماع ٠

محاورة بين صديقين

عبد الخالق ــ كيف حالك أيها الصديق العزيز أمسرور أنت من المدرسة ومعلميها ٠

محمود ــ والله يا أخى ان حالى أسوأ حال لأنه لايمر على يوم أو يومان الا وأوبخ وأزجر من الأساتذة أمام جميع التلامذة ٠

عبد الخالق ــ وما السبب فى ذلك ٠

محمود ــ ان السبب كما يدعون هو عدم حفظى للدرس ٠

عبد الخالق ــ ولم لم تحفظ دروسك وأنت كما أرى ذكى نبيه ٠

محمود ــ انى أحفظها جيدا ولكن المعلمين والضباط يكرهونني ويودهم أن ألقى فى شر المصائب ٠

عبد الخالق ــ ياللعجب أتبغضك يا أخى الأساتذة والضباط بلا سبب ؟ لابد أنك سيىء الأدب معهم أو مقصر فى حفظ دروسك ٠

محمود ــ وهل تصدق اننى سيىء الأدب أو مقصر فى حفظ الدروس ٠

عبد الخالق ــ واذا كان يصعب عليك أن أصدق أنك سيىء الأدب أو مقصر فى واجباتك أفلا نستعظم انى أنسب للأساتذة والضباط الظلم والاجحاف ٠

محمود ــ أن من البيان لسحرا لقد أوقفتنى بحجتك القوية عن أن أجيب ٠

عبد الخالق ــ ان من المقرر فى الأذهان ان الذى يلفق القول ويطلى الأمور بطلاء الخداع والبهتان لابد أن يكون كاذبا غير صادق محتالا على بلوغ أمر وأنت قد نوعت الكلام ونسبت المعلمين والضباط للظلم وهذا أمر خطير فقل لى بالله عليك ماذا تقصد وما تنوى ؟

محمود ــ لقد أجبرتنى ياصديقى بما نطقت به على أن أظهر لك ما يكنه ضميرى وما ينطوى عليه فؤادى فاعلم انى أود الخروج من المدرسة والانضمام الى أحد مكاتب المحامين لأتمرن على الأعمال وبعد ذلك أفتح لى مكتبا مستقلا وأكون مدرها (محاميا) واحتال على ضعفاء العقول فأسلب أموالهم وأصبح من كبار الأغنياء ٠

عبد الخالق ــ أعوذ بالله مما نويت عليه لعمرى انى لم أسمع من مجنون أحمق فى حياته قولا مثل قولك لأنه كله مبنى على الغش والدناءة وانى أخشى عليك من تنفيذ أفكارك فتصبح أسوأ الناس حالا مع أنك لو اتبعت نصائحى أيها الصديق لبلغت المرام ولكن أخاف أن أجهد نفسى فى القول ولا أجد منك آذانا صاغية وقلبا واعيا ٠

محمود ــ قل تجدنى لك مطيعا ٠

عبد الخالق ــ أقسم ٠

محمود ــ بمن أقسم ٠

عبد الخالق ــ أقسم بالوطن العزيز فالقسم به عظيم ٠

محمود ــ أقسم بوطنى العزيز وبلادى التى لها على أجل فضل انى متبع نصيحتك يا أخى ٠

عبد الخالق ــ اعلم أن الطريق السهل يوصل الى المرام بسهولة كالطريق الوعر فانه يوصل بعد تعب شديد بصعوبة وأنت قصدت طريقا يضر بك أكثر مما ينفعك

وهو أنك أردت أن تستعمل فى الحصول على المعيشة طرق الاحتيال والخداع (وهي لعمرى أقبح الطرق) عوضا عن أن تستعمل طرق الشرف والذمة على أنك عزمت أن تكون محاميا وهي مهنة شريفة جليلة لايقرع بابها الا كل فاضل أديب طاهر الذمة شريف المقاصد لأنه يناضل عن الحق لا عن ضده • هذا وانى على ما أرى أن التلميذ الذي يتمم دروسه فى المدارس ثم يتجه الى أى مهنة شاءها ينال الخير ويبلغ أقصى المراتب العلية •

محمود ـ كلامك كله حكم ودرر ولكن قل لي يا عزيزى لقد عزرتنى باقوال وشددت علي فى ذم استعمال الاحتيال بدل الشرف أليس القصد هو الحصول على المعيشة بأية طريقة كانت •

عبد الخالق ـ كيف ذلك يا أخى أترضى نفسك أن تحصل على معاشك بطرق الاحتيال بحيث أنك ترى غيرك يحصل على معيشته بطرق الشرف أيتساوى عندك سارق محتال وقاض جليل •

محمود ـ كلا •

عبد الخالق ـ اذا كنت تقول كلا فما بالك بعدت عن الحق وزغت عن الصدق •

محمود ـ دعنى من التأنيب وقل لى نصيحتك التى تحتم على سماعها والعمل بها •

عبد الخالق ـ أن من رأيى أن تعدل وتجد وتستمر فى المدرسة وتداوم على طاعة الرؤساء والمعلمين • ومتى تمت الدراسة ونلت شهادة الحذاقة الثانوية (أى شهادة البكالوريا (١) تدخل فى أى مدرسة عالية ترغب فيها •

محمود ـ لك الشكر يا أخى على ما أبديت من النصائح الجليلة الصادرة عن عقل وحكمة • وكن على ثقة من أنى سأتبعها وعن قريب ترانى التلميذ الأول من فرقتى ان شاء الله تعالى •

صغائر الامور تولد كبائرها

لو تأمل الانسان فى المخلوقات وحالتها وأصلها بل وفى سائر الأمور وكنهها وأسبابها علم أن للخالق فى الكون أسرارا وحكما يبعد فكر المرء عن أن يحيط بها وتقصر المذكرة (٢) الانسانية عن أن تدركها بأسرها منها أن صغائر الأشياء تولد

---

(١) كان يحصل عليها التلميذ بعد دراسة أربع سنوات بعد حصوله على شهاده اتمام الدراسة الابتدائية التى كانت مدة الدراسة فيها أربع سنوات كذلك •

(٢) يقصد ذاكرة الانسان أي عقله •

كبائرها ودليل ذلك كل مافى العالم ، ألا ترى أن الانسان كسائر الحيوانات كان فى المبدأ نطفة ثم علقة والنبات كان بذرا صغيرا والجماد منشأه ذرة حقيرة · ذلك ابن آدم الذى يعمل الأعمال الجسيمة ويشيد المبانى العظيمة ويتسلط على سائر الحيوانات والدواب ،فيستخدمها انى شاء الله · متى أراد بل ويكون طوع يديه كل ما خلقه الله من غير جنسه الانسانى : أصله نطفة · وتلك الثمار اللذيذة والفواكه الجليلة والخضر أنواعها الأصل فيها بذرة حقيقية لا قيمة لها · وهذه القصور الهائلة والدور الشاهقة التى يقطن بها ابن حواء وقومه أصلها حجر واحد بل ذرة واحدة · ومع هذا لو نظر الانسان الى الأشياء الخارجية لرأى ذلك السر وتلك السنة فيها جارية على محول الانتظام بلا آختلال · فرب رجل واحد كان سببا فى حقن دماء ألوف مؤلفة من أكابر الفرسان ورب نزاع بين صغيرين يسبب قتالا بين قبيلتين ورب قطعة من الصوفان تسبب حريقا هائلا تقومه آلاف من الدراهم ورب بابمفتوح ينشأ عنه سرقة منازل شتى الى غير ذلك مما لايدخل تحت حصر وعد · والعاقل العاقل من يعتبر بتلك الحكم الباهرة ولايجعل التوانى له خليلا ولا التقصير زميلا لئلا يقع فى مهاوى الخسران ويندم حين لا ينفع الندم ·

الجزء الرابع

يوم الأربعاء ١ ذى القعدة سنة ١٣١٠

و ١٠ بشنس سنة ١٦٠٩ الموافق ١٧ مايو سنة ١٨٩٣

أدوار الحياة

للحياة البشرية أدوار مختلفة يقضيها الانسان بأشكال متنوعة وأعمال متميزة يمكن حصرها تحت أربع وهى الطفولية والشبيبة والرجولية والكهولة ٠

فدور الطفولة هو الدور الأول الذى يبتدىء من يوم ولادة الانسان وينتهى فى السنة الرابعة عشرة من عمره فيكون فيه صبيا غلاما ثم يافعا حتى اذا صار حزورا (١) انتقل من هذا الدور الى تاليه ٠

ودور الطفولية هذا هو الدور الذى عليه تدور سعادة المرء أو شقاؤه ففيه التهذيب المبدئى والتعليم الأولى الذى متى أتقن وأحسن نشأ الطفل وقد تأهل لتلقى العلوم السامية ودرس الأخلاق الكاملة ٠ وهو دور ليس على الطفل فيه واجب بل كل الواجبات على والديه فهما المنوط بهما تربيته أكمل التربية الجسمية والعقلية فالجسمية بمراعاة الصحة والنظام فى الغذاء والعقلية بعدم مخالطة الأوباش (٢) الذين يعودونه النقائص والقبائح كأن يوحوا اليه أن سبب هذا ولاحرج عليك اليوم فأنت صغير فينشأ الطفل قليل الأدب عديم التربية يسب كل من قابله ويفوه بأسفل الأقوال وأهله ضاحكون مرتاحون حتى اذا حان وقت ادخاله المدرسة تهاملوا فى الأمر تحت حجة صغر سنه فيشت ويشيب جاهلا قليل الحظ سيىء الحال لا يجد من نفسه رادعا ويسرى الداء منه الأولاده فيكون رئيسا لعائلة أعضاؤها فى الجهل يرتعون ٠

هذا اذا تهامل الأهل فى تربية ألولد ٠ ذلك الأمر الذى هو قوام سعادته ودعامة حسن مستقبله ٠ وأما ان اهتموا به وأعاروه جانب الالتفات فقد أعدوا لنسلهم بذلك مستقبلا حسنا وحظا وافرا بل ولنسل نسلهم وسائر الذرية ٠

وغاية القول أن هذا الدور هو أهم الأدوار وأجلها لما له من عظيم الأهمية وجليل المزية ٠

---

(١) رجلا ٠

(٢) غير المؤدبين من البشر

ودور الشبيبة يبتدىء من غاية الدور الأول وينتهي في ما بين الثلاثين والأربعين وهو الدور الذى فيه يتعلم ما أعد له من فن أو صناعة أو حرفة تخدمه لمعاشه ولمنفعة أهله وبلاده والشاب منوط به فيه الطاعة والامتثال لأوامر أولياء أمره الذين عليهم نجاحه وفلاحه كما أنه يجب عليه أن لايقصد فيه الا العلم والعمل والكد والجد فى تحصيل نفائس المعارف وذخائر العلوم والآداب وقد يتمم التلميذ فى الغالب دراسته فى منتصف هذا الدور الزاهر ويقضى النصف الآخر فى تحصيل معاشه بنفسه فيهمل بما تعلم فى مدارس التهذيب • وأغلب الشبان تتم هذا الدور بالزواج ولا يفوتك ما ذكرناه فى العدد الماضى من وجوب الاعتناء بذلك الأمر وحسن انتقاء الزوجة •

أما دور الرجولية فيبتدىء من غاية السلف وينتهى بين الخمسين والستين وهو دور الشغل والعمل الذى يعيش فيه الانسان اما هنيئا ان كان قضى الدورين الأولين خير قضاء وأما شقيا ان كان قد قام بضد ما يجب وفى هذا الدور يوهب الانسان غالبا النسل والذرية ونقصد بذكر ذلك أنه ملزم فبه بمزيد تربيتهم كما قدمنا •

وهذا الدور هو الذى يتسنى للانسان أن يقدم فيه أجل الخدم ولوطنه العزيز ولانقصد بذلك أن غيره من الأدوار خال عن هذه الغاية بل انه دون غيره أكثر استعدادا لتأدية هذه الخدم •

وآخر الأدوار دور الكهولة (١) وهو الدور الذى يبلغ فيه المرء من الكبر عتيا فيستريح فيه من الأعمال ويقضيه فى معالجة أمراض الشيخوخة حتى تأتيه المنية فينتقل الى الدار الآخرة هنيئا بما فعل ان كان خيرا وعليه غضب من الرحمن ان كان شرا والسلام •

(١) هذا تقسيم مصطفى كامل وان كان يخالف الآن التقاسيم التى تقوم على مقاييس ومعايير وضعها علماء النفس والتربية •

الجواهر السنية فى نظام الهيئة الاجتماعية

البـــاب الأول

أصول أولية ــ تابع ما قبله

وقد استمرت كل عائلة منفصلة عما سواها عائشة بنفسها زمنا مديدا قضته فى الصيد أولا ثم فى حفظ الحيوانات النافعة والقيام بخدمتها ثانيا حتى اذا دعتها الضرورة للانضمام وتكوين قبائل لكل واحدة منها رئيس مخصوص . وكان ذلك الانضمام عنوانا على تشكيل الحكومات الذى ابتدأ بعد هذا الحين بقليل . والمعاملة فى ذلك العهد كانت عبارة عن مبادلة الحاصلات الموجودة عند بعض القبائل والمفقودة عند البعض الآخر ببعضها وتشكيل الحكومات استغرق أجيالا طويلة لا يهمنا الآن تاريخها بل غاية ما نعلمه أن الحكومات تنقسم فى هذه الأيام الى ثلاثة أقسام جمهورية وملكية مقيدة وملكية مطلقة . فالجمهورية هى ما كانت الهيئة المحكومة فيها منتخبة للهيئة الحاكمة من أولها لآخرها وفيها القوتان التشريعية والتنفيذية .

والملكية المقيدة هى ما كانت القوتان التشريعية والتنفيذية فيها خاضعتين لسلطة الملك ومنصبه فى الغالب وراثى أى ينتقل الملك من الأب الى الابن ومن الابن الى ابن الابن وهكذا .

والملكية المطلقة هى ما كان الملك فيها مطلق التصرف مصدرا للتشريع والتنفيذ .

ولكل نوع من هذه الأنواع أحزاب وأنصار يميلون اليــه ويفضلونه عن غيره وأكثر الأنواع انتشارا وأحزابا هو الثانى منها وهو الذى جرى عليه نظام حكوماتنا الاسلامية بمقتضى شريعتنا المحمدية من يوم ما أنزلت الى الآن . وحقيقة أن الانسان لو تأمل فى الحكومة الجمهورية لرآها عرضــــة للاخطـار أن تقدمت خطوة تأخرت خطوات وان ارتفعت بصعوبة انخفضت بسهولة كما أن الحكومة التى فيها السلطة مطلقة للملك تكون مركزا للظلم ومحطا للاجحاف بخـلاف التى استحسناها فانهـا مجلبة للعدل وموضع التقدم والنجاح .

واعلم أن حكومتنا المصرية هى من الحكومات التى منحت الشـــورى (١) .

---

(١) كان قد صدر الأمر من الخديو فى أول مايو ١٨٨٣ بتشكيل الهيئات النيابية الآتية : مجالس المديريات ــ مجلس شورى القوانين ــ الجمعية العمومية وهى وان كان لها شكل الشورى الا انها كانت استشارية فقط .

ويرأسها أمير جليل هو خديويها وسيدها • تتبع دولة اسلامية عظيمة الجاه قوية حصينة الا وهى الدولة العلية الخافق على نواحيها العلم العثمانى الجليل •

(الى هنا انتهى الباب الأول من الكتاب وسنبتدىء بالباب الثانى فى العدد الآتى وينحصر الكلام فيه على القوة التشريعية) •

محاورة بين صديقين

أولهما صغير وثانيهما كبير

حسن (بعد السلام) ـ قد مضت مدة طويلة لم أتمتع فيها بمشاهدة سيدى وصديقى الأجل •

عبد الفتاح ـ لقد كنت مسافرا بالبلد لقضاء بعض مصالح خصوصية •

حسن ـ الحمد لله على سلامتك يا أخى • أيسمح لك الزمن أن تتجادى معى قليلا •

عبد الفتاح ـ انى فى خدمتك مدى الأيام •

حسن ـ حفظك الله وحرسك • لقد سمعت بالأمس بعض الناس يقول (لقد فتح معرض شيكاغو يوم الاثنين أول شهر مايو الجارى ولابد أنه سيكون فى غاية الحسن والجلال مزدحما بالأفاضل من كل جانب) فاندهشت من سماع هذه الجملة لشدة غرابتها على سمعى فقل لى رعاك الله ما هى شيكاغو وما هو المعرض ولماذا سيكون مزدحما بالناس • انى غاية ما أظن أنه مولد كمولد بلدتنا •

عبد الفتاح ـ ان المعرض هو عبارة عن محل تعرض فيه الأشياء فمعرض شيكاغو هذا هو معرض اقامته الحكومة هناك فى هذا العام تعرض فيه أغلب مصنوعات الدنيا وتشاهد فيها عجائبها ولذلك ذهب الكثير من أعاظم الأمراء لمشاهدته •

حسن ـ اذا هو عبارة عن سوق عظيمة تعرض فيها الأشياء •

عبد الفتاح ـ نعم انها سوق عظيمة كثيرة الشوارع والنواحى تعرض فى كل ناحية من نواحيها مصنوعات مملكة وفيها مندوبون من كل حكومة تنوب عنها •

حسن ـ وما هى شيكاغو •

عبد الفتاح ـ ان شيكاغو هى احدى مدن أمريكا الشمالية •

حسن ـ انى لا أعرف أمريكا الشمالية أيوجد غير مصر وبلاد العرب والتركية (تلك البلاد التى درسناها فى المدرسة) بلاد أخرى •

عبد الفتاح ـ نعم يا أخى يوجد بلاد أخرى كثيرة •

حسن ـ اذا كان الأمر كذلك فارجوك أن تعرفنى بماهية هذه البلاد .

عبد الفتاح ـ أعلم أن هذه الدنيا خمسة أقسام (أى خمس قارات) :

أفريقيا التى منها وطنـنـا العزيز (مصر) وبلاد تونس وطرابلس والجزائر ومراكش .

وأوروبا التى منها الدولة العلية والروسيا وفرنسا .

وآسيا : التى منها بلاد العرب (وهى مسقط رأس سيد الأمم ومصدر الفضل والكرم سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام) والهند والصين واليابان .

وأمريكا وهى قسمان : (شمالية) ومن ضمن حكوماتها الولايات المتحدة التى فيها شيكاغو و (جنوبية) .

والجزائر الأوقيانوسية التى منها استراليا .

حسن ـ الآن علمت الدنيا وأقسامها ولكن هل كل هذه الأقسام متصلة ببعضها .

عبد الفتاح ـ ان بعض القارات متصل بالأمر من نقطة واحدة انمـا ليست متلاصقة والبعض الآخر منفصل وبين كل قارة والثانية بحر عظيم .

حسن ـ وما مساحة هذه القارات والبحار .

عبد الفتاح ـ ان مساحة الكرة الأرضية بما فيها القارات والبحار يبلغ ٥١ بليون هكتار (أى ٥١٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ مترا مربعـا) تشـمل البحار ثلاثة أرباعها والقارات الربع الآخر .

حسن ـ ولكن فى كم يوم خلقت الدنيا بأكملها .

عبد الفتاح ـ فى ستة أيام .

حسن ـ فى ستة أيام ... ان ذلك زمن يسير ولكن لم لم يخلقها الله فى لحظة واحدة مع أنه يقول للشيء كن فيكون .

عبد الفتاح ـ خلقها فى ستة أيام ليعلم الانسان أن التأنى فى الأمور محمـود وان العجلة عاقبتها وخيمة .

حسن ـ لله هذه الحكمة البالغة . ولكن قل لى يا أخى لماذا تعمل حـكومة الولايات المتحدة معرضا مثل هذا يكلفها أموالا جسيمة .

عبد الفتاح ـ انه ان كلفها أموالا جسيمة فانه سيكسبها أكثر من ذلك لأنه بسببه تروج تجارتها وتربح فنادقها وأسواقها بالنزلاء المتفرجين والأجانب المدعوين

فضلا عن أنها تظهر للعالم بأسره تقدمها وعلو شأنها فيسمو قدرها بين الدول وترتفع كلمتها ٠

حسن ــ لله ما أقدرك على خدمة اخوانك وما أحبك لنفعهم ٠

عبد الفتاح ــ انى رهين اشارتك لا أتأخر ولا أستقدم متى دعوتنى لأى أمرمهم ٠

حسن ــ جزاك الله عنى الجزاء الحسن ٠

زينة الباطن خير من زينة الظاهر

لله قائل هذا القول الحق فانه حكيم متبصر نطق بالصواب وفاه بحكمة لو عمل بها الانسان فى هذه الحيـاة الدنيـا هى الصراط المستقيم وسلك الطريق القويم وقليل من يعمل بها من بنى آدم ٠ فالعدد العديد منهم يغتر بالظواهر وهو لايدرى ماتطويه السرائر ٠ فكم من رجل لبس الحرير وتقمش بأفخر القماش وأثمن الملابس فاغترت الناس بزيه وأضحت طوع اشـــارته وهو مع ذلك على جانب من الضلالة عظيم ٠ وحبا فى بلوغ أوطاره وهو لايصـدق بربه ونبيه ٠ وكم من فاضـل العلم شعاره والأدب وشاحه أضاع الناس قدره لقلة ماله وعدم بهائه ٠ والشواهد على ذلك كثيرة ينقلها لنا التاريخ وتقصها القصص وتحكيهـا حكاية الطفل الذى كان يتنزع على شاطىء البحر صحبة والده فشاهد من بعد شراع مركب وقد راقه شدة بياضه وأعجبه حسن منظره فأظهر لوالده عظيم ارتياحه من هذا الشراع فتبسـم الوالد دون ان يجيبه بشىء حتى اذا اقتربت الباخرة منهما اندهش الطفل من استمرار لون الشراع الذى شاهده من بعد فى أبهى أثواب البياض ٠ فلما رأى منه والده هذه الدهشة قال له : لاتغتر يابنى بظواهر الأمور واعلم أن زينة الباطن خير من زينة الظاهر ولله من قال :

الأسبع سـبع ولو كلت مخالبـــه
والكلب كلب ولو بين السباع ربى
وهكذا الذهب الابريز خالطـــه
صفر النحاس فكان الفضل للذهب
لاتنظـرن لأثـواب على أحـــد
ان رمت تعـرفه فانظـــر الى الأدب
فالعـود لو لم تفح منـــه روائحـه
لم يفرق الناس بين العود والحطب

فخير الناس معاملة من اعتبر أن شرف العلم والفضل فوق كل شرف وأن ثوب التقى أشرف الملابس وراعى أن السعادة الحقيقية فى طهارة السريرة وحسن الطوية لافى كثرة الأموال وعلو المقام بين الرجال ٠

الانشـــاء والتحرير

لايقصد بالانشا تنميق العبارة وتحليتها بالنثر والنظم بل القصد الأصـلى هو وضع عبارة عربية صحيحة سليمة يفهمها القارىء ويقف بها على قصد الكاتب ، ولما كانت موضوعات الكتابة شتى كان من الواجب على الكاتب أن يستعمل فى كل موضوع طريقة مخصوصة ففى الموضوعات العلمية يجب عليه أن لايراعى غير سلامة العبارة من التعقيد وفاسد التركيب لا السجع والتنميق وفى الرسائل والخطابات لا بأس من استعمال السجع وغيره من المحسنات بشرط أن يكون بدون تكلف فى العبارة · تقول ذلك لأننا طالما شاهدنا الكثير من التلامذة وغيرهم من حاملى القلم يدعون أن الاجادة استعمال السجع لوضع ألفاظ لا لزوم ولا معنى لهـا · ولذلك تصير عبارته ساقطة خلوا من الذوق السليم وفى كل الأحوال فالكتابة الطبيعية أى الخالية من التكلف أعظم الكتابات مقاما عند أرباب الأقلام ·

وللكتابة آداب يجب على الكاتب مراعاتهـا بمعنى أنه لو كتب لأمير يلزمه استعمال العبارات اللازمة لذوى المقامات الغالية وان كتب لصديق يلزمه استعمال عبارات النظير وان كتب لمن هو أقل منه مقاما فان كانت الكتابة على مر يلزمه أن يستعمل ما يلزم من كتابات الرؤساء للمرؤسين وان كانت بصورة ودية لزمه أن يكتب له ما يكتبه الى صديقه ·

من أعظم ما يلزم مراعاته فى التحرير الاجابة على خطاب المرسـل اذا دعت الحاجة لذلك أى أنه لو خاطبك شخص « ولو كان أقل منك مقاما » فى مر يدعو للاجابة أو طلب منك ذلك المرسل الاجابة لزمك أن تجيبه فى كل الأحوال وألا تعد قليل الأدب خارجا عن دائرة المدنية وأهلها فان المرء الذى يظن فى نفسه أنه عظيم وما عداه حقير يكون فى الحقيقة جاهلا لئيما قليل التربية وان كان فى أعلى المناصب وأجلها لأن الادب والتواضع يجعلان الانسان يعتقد فى نفسه أنه أقل الناس مقاما وأصغرهم قدرا ·

ومما يلزمنا أن ننبه عليه هنا افادة لأخواننا التلامذة أن بعضهم وان كان نزرا يسيرا) يستعين فى الكتابة بغيره وهو أمر قبيح وفعل ردىء يحط من قدر الانسان وينقص من معلوماته ويسبب له التقهقر على حين تقدم غيره وما أحسن قول القائل :

وانمـا رجل الدنيـا وواحدها

من لا يعول فى الدنيـا على رجل

الجزء الخامس

يوم الخميس ١ ذى الحجة سنة ١٣١٠
و ٩ بؤونة سنة ١٦٠٩ الموافق ١٥ يونيه سنة ١٨٩٣

بأى كتاب نقتدى وبأى دستور نهتدى

نقتدى بكتاب مجيد ودستور فريد شرعه لنا فاطر السموات والأرض وما فرط فيه من شيء • كتاب شريف وقرآن منيف • الحق يقدمه والنور يحيط به من كل جانب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه • كتاب يكفل لنا السعادة الدنيوية والأخروية ويحقق لنا ان اتبعناه رضاء الخالق والناس والسريرة الانسانية علينا • كتاب آياته بينات وبالحق ناطقات • تنشرح لقراءتها الصدور وينتقل بتلاوتها من فى الظلمات الى النور ، كتاب انواره ساطعة وأحكامه باهرة تأخذ بلب من رآها حتى ان أعداءه الكافرين وحساده الخاسرين أقروا بأنفسهم أنه الدستور الجدير بأن يتبع القانون الكافل للمعاش والمعاد ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين •

ألا ترى أيها القارىء النبيل كيف أن فئة قليلة من العرب تحت قدوة الطاهر الشريف سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام غلبت فئات قوية وآدخلتها فى ذلك الدين الحنيف القويم •

ألا ترى كيف أن المسلمين فى صدر الاسلام ملكوا الأرض من مشارقها الى مغاربها وتفردوا بالكلمة وتوحدوا بالسلطة حتى علا مجدهم الفرقدين وغدت أنوار الشمس لاتغيب عن أملاكهم تلك الأملاك الشاسعة والأراضى الواسعة والقصور الشاهقة والمبانى العالية والحصون القوية والقلاع الحصينة مما لم تستطع أية دولة من أعظم الدول قوة واقتدارا أن تجارى دولة الاسلام فيه •

كل ذلك باتباع القرآن الشريف الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر • فما بالنا معشر المسلمين لانتبعه وقد علمنا أنه عنوان سعادتنا وقائدنا الى طريق مجدنا فلنجعله نبراسا فى أعمالنا وسراجا وهاجا فى حركاتنا وسكناتنا ولانكن كمن غره السراب فهو يغتر بأقوال الحسرة المموهين والكفرة الخاسرين الذين يقولون ان القرآن أنزل لعصر لا لكل الأعصار ولقوم لا لكل الأقوام بل لنعلم حق العلم أن فى اتباع القرآن الوصول الى أعلى المنائر الحضارة والمدنية كيف لا ونحن لو نظرنا لأى

أمر من أوامره أو نهى من نواهيـــه لرأينا منه حكما جليلة وفوائد جمة عظيمة • ولو أمعنا النظر فى تحريم الخمر مثلا لرأينا فى ذلك من المنافع مالاينكره الا كل عدو للحق عتيد فالخمر تسلب الشرف والصحة والمال تلك الأشياء التى تدور عليها رحى حيـاة الانسان •

وكذلك الزنـا فان فى تحريمـه حفظـا للشرف والعرض والآداب العموميـة ومحافظة على عدم اختلاط الأنساب وفساد الأخلاق الى غير ذلك •

وفى جانب هذا لو نظرنا الى الفرائض لشاهدنا فيهـــا من المنافع الدنيوية والأخروية ما يعجز اليراع (١) عن حصره • فى الصلاة مثلا التى طالما يتأخر الكثيرون عن القيام بها فوائد جسدية دنيوية وأخروية فهى التى تجعل للانسان مخلصـا فى مجلة الخالق (٢) ومتواضعا لكل اخوانه يفرح لفرحهم ويتكدر لكدرهم طاهر الجسـد والثياب فضلا عن أنها تنشط الجسم وتقوى العضلات مما يعلمه كل من واظب عليها هذا ما أدرنا ذكره اليوم فى هذه النبذة الصغيرة حتى لايفتر (٣) الناس عن عبادة الله واتباع كتابه الكريم وسنة نبيه الهادى • والله يهدى من يشاء الى ما يشاء •

المحاولات التهذيبيـــة

ان المحاورات التهذيبية فضلا عن كونها شديدة التأثير على النفس قوية المفعول ينشرح الفؤاد لقراءتها • والقارىء لا يميل لها أكثر من ميله لغيرها ولذلك كانت طريقا سهلا يسلكه أعظم الواعظين والنصحاء حبا فى الوصول الى بث الفضائل فى النفوس ورغبة فى نشر الحقائق بين الأمم علمنا ذلك حق العلم فاتبعنا طريقة هؤلاء القوم الأفاضل وتشبهنا بهم طمعا فى الحصول على ضالتنا المنشودة فملأنا أعداد جريدتنا بالمحاورات التهذيبية وقد رأينا بأنفسنا شدة ميل القراء اليها وانكبابهم على مطالعتها • فبذلنا الجهد فى الاعتناء بها أكثر من سواها واليوم نهديهم محـــاورة جليلة عثرنا عليها فى بعض الكتب النفيسة الأجنبية فعربناها مع بعض التصرف حتى غدت ملائمة لمشربنا المصرى الوطنى •

محاورة بين الجد والحفيد

وقعت هذه المحاور فى يوم جمعة عقب الصلاة بقاعة الجد حيث كان فى راحة وقد رأى حفيده لوحة مكتوبا عليها (حب الوطن من الايمان) فابتدأ بالقول :

الحفيد ــ ما معنى كلمة الوطن يا جدى الجليل

---

(١) اليراع = القلم
(٢) مجلة = اجلال واحترام
(٣) يفتر = يتكاسل

الجـد ـ هل تريد أن أفهمك معنى الوطن ؟

الحفيد ـ نعم أريد ذلك ٠

الجد ـ اذا كنت تريد ذلك فقل لى أولا من ذا الذى خدشك فى وجهك ٠

الحفيد ـ هـو هـو ٠

الجد ـ قل الحق انى لا أظن ذلك ٠

الحفيد ـ انى تشاجرت بالأمس مع حسن ٠

الجد ـ لماذا ؟

الحفيد ـ لأنه سب والدى ٠

الجد ـ اذا أنت تحب والدك وتدافع عنه ٠

الحفيد ـ لاشك فى ذلك ٠

الجد ـ أظنك لاتحب غيره ٠

الحفيد ـ كلا بل أحب أيضا والدتى وجدتى وأنت يا جدى العزيز وشقيقى الأكبر على

الجد ـ أنت تحبنا حينئذ ٠

الحفيد ـ كيف لا وأنتم أهلى ٠

الجـد ـ اذا كان الأمر كذلك فاظنك كنت مسرورا عندما تعينت قاضيا ٠

الحفيد ـ أجل وقد كنت بك معجبا ومن شدة فرحى فى هذا اليـوم حفظت دروسى جيدا وأديت ما على من الواجبات بكل همة ونشاط ٠

الجد ـ ولما تعين أخوك ضابطا هل نالك من الحبور (١) ما نالك يوم تعيينى قاضيا ٠

الحفيد ـ نعم انى كنت منشرح الخاطر يوم ما ترقى وودت أن أكون مثله لألبس تلك الملابس البهجة ٠

الجد ـ قد ظهر يا ولدى العزيز من أجوبتك أنك تفرح لفرحنا ولكن هل لو ألمت بنا مصيبة تشاركنا فى الكدر ٠

الحفيد ـ أما نظرت يا والدى الأكبر ما كنت عليـه من الكدر وسـوء الحال يـوم مرض والدتى ؟

الجد ـ اذا أنت تحبنا وتفضل أن تعيش معنا عن أن تعيش مع غيرنا ٠

الحفيد ـ لاشك فى ذلك ٠

الجد ـ اعلم يا ولدى العزيز أن اجتماع أناس متحابين يفرح الواحـد منهم لفرح الآخرين ويتكدر لكدرهم ويدافع عنهم اذا هاجمهم العدو ويفضل أن يعيش

---

(١) الحبور = السرور ٠

سيء الحظ عن أن يراهم يتألمون من مصاب ومتحدا معهم قلبا وقالبا يكون ما يسمى بالعائلة ٠

الحفيد ـ نعم يا والدى الأعز ولكنك لم تعرفنى للآن معنى كلمة الوطن ٠

الجد ـ أصبر قليلا لا تعجل ولنقرأ خطابا أتى من أخيك قبل كل شيء ٠

« سيدى وجدى الأجل :

انى أتأسف كثيرا لمفارقة عائلتى التى نشأت فيها ولكنى لحسن الحظ وجدت مع زمرة من الأوفياء الذين لاقصد لهم الا خدمة الوطن العزيز تلك الأم الشفيقة التى ربتنا وعلمتنا صغارا وهذبتنا حتى صرنا أهلا لخدمتها كبارا وأنا فى موضع نهاجم فيه الأعداء وندافع عن الوطن والأهل والأحباء ٠ الضباط رفقائى هم كاخوتى وقائد الجيش كوالدى وخدمة أوطـــانى نبراسى واخــــلاصى لأميرى قدوتى فقــــل معى « لتعش مصر » ٠

الحفيد ـ لتعش مصر ٠

الجد ـ ان مشاهدتى يا ولدى العزيز لمصرى نبيل تبهج ناظرى ورؤيتى لوطنى نشيط تأخذ بمجامع القلب والفؤاد كما أن مشاهدتى لآثار آبائى وأجدادى العظمـاء تجعل فى قلبى محلا للفرح ومحلا للترح (١) فافرح لأن تلك الأعمال أعظم من أن يأتى المعاصرون بمثلها وأتكدر لما أرى أننا معشر المصريين الحاليين لم تتبع خطواتهم ولم تجر على منوالهم فانا والحق يقال قد قصرنا فى واجباتنا فيجب عليــكم أنتم معشر الناشئين أن تقوموا بأجــل الخدم لبــلادكم التى ربيتم أنتم وآباؤكم وأسلافكم فيها وتمتعتم بخيراتها ٠

الحفيد ـ حقا ماتقول ياسيدى المكرم ٠

الجد ـ الآن بما أنك فهمت قولى وعلمت أنك مدين لبلادك بأشــياء كثيرة ينبغى أن تكون التلميذ الأول من فرقتك ٠

الحفيد ـ لايمكننى ذلك لأنه يوجد من أعلم منى ٠

الجد ـ ومن أسبوع الى أسبوع تصير التلميذ الأخير حتى ثبت فى ذهنك أنه يوجد من هو أهم منك أما تدرى أن لا شيء على الانسان بعسير ٠

الحفيد ـ ولكنى لو اجتهدت وصرت الأول أخاف أن الذين هم قلبى الآن يعادوننى ويكرهوننى ٠

الجد ـ لم ذلك أأنت تكره من يتقدم عليك ٠

---

(١) الترح = الحزن

الحفيد ـ نعـم ٠

الجد ـ ان هذه صفة قبيحة يجب عليك أن تتركها وأن تحب للناس ما تحب لنفسك واذا تقدم عليك أحد فكن مسرورا مادام مصرّيا واجعل محبـــة الوطن نصب عينيك آناء الليل وأطراف النهار وثبتها فى فكر من لم يعلمها حتى تنجح على أيدى أمثالك البلاد وتعيش فى هناء واسعاد ٠

الاقتصـــــاد

الاقتصاد أو التدبير هو تنظيم المعيشة وجعلها مناسبة لحالة الانســان وهى صفة جليلة حميدة العواقب تحمى المرء من نكبات الدهر وملماته (١) ولايقصد بها التضييق فى المعايش كما يفهمه البعض بل ترتيبها ترتيبا منتظما به تفوق الحاصلات المصروفات بمعنى أنك لو كنت رب بيت مثلا وتكتسب فى شهرك مبلغ كذا فلزمك أن توفر منه الثلث على الأقل حتى ترجع اليه عند الحاجة لأن الدهـر خوان (٢) ان سالم يوما عادى أياما وان أقبل وقتا أدبر أوقاتا فهو سلاب للنعمة لايعلم وقت غدره ولا ساعة جفائه ٠ لايردعه عن بغيه الا الاقتصاد الذى هو سلاح يقاتل حادثات ذلك الزمان الخؤون والا فان حسبته بخلا ونبذته ظهريا كنت ألعوبة فى يد أيامك ٠



(١) الملمات = الكوارث والمصائب

(٢) خوان = خائن

الجزء السادس

ربيع الأول سنة ١٣١١

العود أحمد

عادت الجريدة الى الظهور بعد أن غابت شهرين قضينا جزءا عظيما منها ومن سابقهما فى فرنسا (١) بقصد تمضية الامتحان ومشاهدة عجائبها وتمدينها وما عليه أهلها من الأخلاق والعوائد وأحـــوال المعيشة العمومية وخصـــوصا حالة الصانع والمزارع والتاجر الذين عليهم حياة أوروبا الحقيقية الى غير ذلك من المسائل الأدبية التى هى أسمى فى الحقيقة من الماديات بكثير ٠ وبعد ذلك عرجنا على ايطاليا مارين بأهم مدائنها مرورا وقتيا لم نعدم فيه جنى بعض الفوائد كحالة الأهالى والحكومة المالية التى علمنا بالمشاهدة أنها متقهقرة من جميع الوجوه ٠ ثم عدنا بالسلامة الى الأوطان بعد أن أخذ منا الشوق اليها أكبر مأخذ ولذلك رأينا أن نجعل أول كتابة لنا على ما شاهدناه الاحساسات والتأثيرات التى تستولى على المسافر عند مبارحته الوطن خصوصا لأول مرة ثم نعقب ذلك فى الأعداد الآتية ببعض ما يفيد القراء من المسائل الأدبية المهمة ٠

فراق الوطن لأول مرة

ما ابتعدنا عن ميناء الاسكندرية حتى خيل لنا أننا فصلنا من الوجود وفارقنا الحياة لما استشعرنا به من احساسات الأسف وشدة التعلق بالوطن وعظيم الحنين الى المعاهد فما أشبه المبتعد عن وطنه بطفل فصل من أمه ٠ وقد كادت شدة الأســـف تجعل البكاء مدرارا رغما عنا ولكننا تجلدنا خشية من ضحك الافرنج علينا وهم الذين يترقبون صغيرة لنا فيعظموها رغبة فى نيل مآربهم ٠ وما ابتدأت احساسات الأسف تقل بارشاد العقل بأن الغاية حميدة والقصد شريف والعود سريع حتى ابتدأت الباخرة تلعب ذات اليمين وذات الشمال وأحشاؤنا تلعب معها بالتبع (٢) كما يتحرك الرضيع

---

(١) كان سفره الى باريس لأول مرة يوم الجمعة ٢٣ يونيه ١٨٩٣ ليؤدى امتحان السنة الأولى بكلية الحقوق هناك (عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ط ٤ القاهرة ١٩٦٢ ٠ ص ٣٨) ٠

(٢) يقصد بالتبعية ٠

فى أرجوحة اهتزازية . ولم نزل كذلك مدة عانينا فيها مرضين كلاهما عظيم : مرض فراق الوطن ومرض البحر الا أن الأول منها أقوى وأعظم اذ أن آلامه فى القلب وحده وأما الثانى ففى الأحشاء .

وقد بقى البحر على هذه الحال مدة ست ساعات حتى وصلت الشمس الى الربع الرابع من دائرة الأفق فعدنا الى الوجود بعد أن قاسينا أهوالا لم نر لها شكلا من قبل ، ولما استشعرت برجوع القوة والنشاط الى أن علوت سطح المركب وهى تحت السماء وفوق الماء لأستنشق الهواء فرأيت من الركاب عددا عديدا بين الفرنسيين والانكليز والطليانيين والسوريين وغيرهم ولم أر منهم الا ستة من المصريين الذين لا قصد لهم الا تمضية الامتحان بفرنسا والعود ثانية وهنا ظهرت لى حكمة النيل العجيبة وخاصيته التى ليست فى غيره وهى أن جودة أرضه تمنع أهله من التغرب عن الأوطان ولذلك ترى أكثرهم لا يغير مقره وان ضرب عليه الذل وخيمت على منازله المسكنة ولعمر الحق لتلك مسألة كادت تكون على أن كثيرا من سكان المعمورة ينتقل ليرى أحوال غيره فيتعلم حيل التعيش .

ولقد رأيت أن فى وجودى مع هذه الأجناس المختلفة فرصة عظمى للوقوف على بعض أخلاقهم ولذلك قد خالطتهم فعلمت أن الفرنسى منهم رقيق الطبع لين المعاشرة حسن التكلم يراعى فى خطابه كل الأدب الا أنه قليل الثبات فتراه اذا مررنا بجزيرة كان يكثر من الاشارات والانتقال والتكلم عن تاريخ هذه الجزيرة كأنه يلقى درسا ما . وأما الانكليزى فهو غليظ الطبع مبتعد عن الناس كثير العزلة ولذلك كان لا يرى للانكليز وجها فى أغلب الأحيان الا وقت الأكل (١) وأما الطليان فهم قوم لا رشاقة لهم كثيرو الوساخة يوافقهم مرض البحر كل الموافقة .

وأما السوريون فأغلبهم كان من ركاب الدرجة الرابعة التى ينام أهلها على سطح البحر وهم يتكبدون المصاعب ويتجشمون المشاق لنيل المعاش وجل ما يبغى السورى منهم نيل الدرهم وشرب النبيذ وأما أخلاقهم فعنوانها الحماقة الشديدة وأغلب الذين كانوا معنا كانت غايتهم الذهاب الى معرض شيكاغو .

قلنا ان البحر سكن روعه بعد الغضب وقد استمر كذلك ليلته ونهاره ثم أخذ يرينا بطشه وقوته تارة ولطفه وترحيبه بنا تارة أخرى ولا غرو اذا كانت تنطق أمواجه بأنه رب البطش والقـــوة وصاحب العظمة فهو ذلك البحر الذى وهب العالم بأسره التمدن وتقلبت السعادة على سواحله وهو هو البحر الأبيض المتوسط ولم نزل كذلك بين عناء وهناء مدة أربعة أيام حتى وصلنا مساء الخميس ٢٢ يونيه الماضى ميناء مرسيليا ولا تسل عما لحق العموم من السرور وخصوصا الفرنسيين منهم فانهم كادوا أن يطيروا

---

(١) واضح هنا من تعليقه على الجنسين الفرنسى والانجليزى ، كراهيته للانجليز حتى فى الرحلة والحديث ، بينما ينتحى ناحية الفرنسى ، وهو ما سنراه جليا فيما بعد كفاحه واحاديثه ومقالاته ...

فرحا وبعد وصولنا بساعتين ركبنا قطار الاكسبريس الى باريس مباشرة حيث وصلناها مساء اليوم التالى • وقد يرى المسافر من المناظر الجميلة وحسن الترتيب وكمال النظام فى جميع الأعمال وما يسر كثيرا •

أما ما كنا نستشعر به فى باريس فاحساسات مختلفة فتارة نسر لوجود قبائح لم توجد فى وطننا العزيز وتارة نأسف على بلدنا عندما نرى شدة نشاط القوم وجدهم وسعادة الأمة والحكومة وشرف الصناع وغير ذلك من الأمور التى امتازوا بها •

ولا تسل عما كان يحيط بنا من السرور عندما نقرأ فى الجرائد الفرنسية ذكر الاجلال الذى قوبل به أميرنا المحبوب (١) عند سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين (٢) •

بل ولا تسل عن فرحنا (بالمؤيد (٣) الأغر) عندما تأتى أعداده كل يوم جمعة متحلية بحقائق الزيارة العباسية •

ولا تسل أخيرا عن كبير حبورنا عندما غادرنا فرنسا وايطاليا وركبنا البحر عائدين الى الوطن العزيز عندما سالمتنا أمواجه وحيانا النسيم وأهدانا القمر طيب ضوئه فى ليال كان فيها مستكملا ثم جئنا الاسكندرية فجرا فرأينا أمامنا زينة العباس ونورها رأينا نوره فى البحر أسطع من ضوء القمر حيث لبثنا نتمتع بمنظر المدينة وهى تتلألأ كأنها عروس الحى كل ذلك والباخرة لا يهدأ لها قرار فتراها تذهب حينا للأمام وآونة للخلف كأنها تظهر علامات اشتياقها لدخول البوغاز •

ولم نلبث بهذه الحالة الا قليلا حتى جاء رئيس البوغاز وقاد الباخرة بمهارة حيث وصلنا الميناء ودخلنا المدينة فرأينا مجامع الزينة الباهرة فكان الفرح والسرور سرورين اللهم احفظ لنا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين وناصر الدين والأوطان ومتع اللهم مصر بالعباس أميرها المحبوب انك على ما تشاء قدير •

نور الاسلام فى الآفاق

الدين الإسلامى هو أشرف الأديان على الاطلاق وأجلها مقاما وأعظمهم قدرا لأنه مكون من حقائق يقبلها العقل بكل سهولة وملائم لكل زمان ومكان ما عملت به أمة من الأمم الا وأصلحت أحوالها وانتظمت أمورها وتم لها الفوز والنصر وعلت لها الكلمة بين سائر الأمم •

---

(١) يقصد الخديو عباس حلمى الثانى •

(٢) يقصد السلطان العثمانى فى الاستانة •

(٣) يقصد جريدة المؤيد التى كان صاحبها الشيخ على يوسف وكانت فى هذه الفترة تحث على الوطنية وكان يجد فيها مصطفى كامل ضالته في حب الوطن ـ كما رحب به علي يوسف في تلك الفترة لأن يكون أحد من يكتبون فيها •

وأعظم شاهد على قوة نور هذا الدين الحنيف أنه ما ظهر بين الأمة العربية الا وملأ نوره الآفاق وانتقلت تلك الأمة البدوية من الجهالة التامة الى درجة من العلم لن ترى ولا ترى · ذلك أمر عجيب وسر غريب وتلك حكمة عالية ومعجزة تدهش الألباب ·

أمر سهل ليس بالمشكل ولا بالمظلم فهم تلك الحكمة العالية وادراك ذلك الفهم العجيب ، فقليل من التبصر يوصلنا الى الحقيقة : ان فهم القرآن وادراك معانيه الخطيرة يوصل · الى معرفة علوم شتى ، فالعرب بفهم هذه المعانى الرفيعة وصلوا الى الوقوف على علوم عديدة جعلتهم أعلم الناس طرا وأشرف الخلق جميعا ·

وقد أخذ ذلك الدين الاسلامى من يوم وجوده يبعث أنواره فى الآفاق حتى اهتدت أغلب الناس اليه وما ترك اعتناقه الا من عميت بصيرته وعشق عقاب الآخرة ·

وقد يخطىء أعداء هذا الدين الخطأ الجم عندما يقولون انه اذا كانت مبادئه حقيقية فلم لم ترتفع للمسلمين فى هذه الأيام كلمة ولم سبقهم الافرنج الى التقدم ويضيفون على ذلك أن العرب لم تصل الى ما وصلت اليه الا بقوتهم وشـجاعتهم لا بنور دينهم وعظيم علومهم ·

فنجيبهم على هذا القول الفاسد والادعاء الباطل بأن العرب قبل الاسلام وبعده هم العرب ولم يتغيروا وقوتهم ثابتة لم تتحول فلم لم يصلوا الى الرفعة وعلو الشأن ، قبل الاسلام لا شك أن بلوغ هذه المكانة التى بلغوها ينسب الى تأثير هذا الدين الجليل وأما السبب فى عدم ارتفاع كلمتنا فى هذه الأيام فهو لأن أكثرنا ترك قواعد الدين الجليل فعلا لا اعتقادا وأهمل أمر التربية الاسلامية ·

ومهما بلغ الضغط على المسلمين فى البلاد فان نور الاسلام منتشر لا يمنعه مانع أما ترى نور الاسلام فى ليفربول تلك البلدة التى كانت من عهد قريب محط رؤساء الديانات المغايرة · أما ترى الاسلام فى أمريكا وما تأسس هناك من الجمعيات الاسلامية المعضدة من أغنياء مسلمى الهند الذين سيتركون بلادهم ويرحلون الى هذه البـلاد ليهدوا الناس وينيروا العقول ولا يبعد أن نرى أغلب اخواننا الموتورين الذين لا غرض لهم فى الوجود الا رفعة الاسلام يقتدرون باخوانهم أهل الهند · نسأل الله أن يصلح الأحوال ويهدى الضالين من أبناء آدم وأن يعيد عزة المسلمين انه بالاجابة قدير ·

والمرء مالم تفـد نفعا اقامتـه

غيم حمى الشـمس لم يمطر ولم يسر

من يتأمل فى معنى هـذا البيت وما حواه من الحـكمة الباهرة يرى أن ناظمه الفيلسوف أبا العلاء المعرى قد وهبه الهيئات الحاكمة فى هذه المجتمعات هى القائمة وحدها بالأعمال وهى الساعية دون غيرها فى تقدم الشعوب ومن النادر أن نرى بين أفراد الأمة من يقوم فيعمل عملا جليلا يعود على المجتمع بفائدة أو نفع ·

وغير خاف أن الأمة فى كل هيئة اجتماعية هى التى عليها مدار العمران وهى أصل التقدم وروح السعادة وبيان ذلك أنه اذا كانت الهيئة المحكومة جاهلة والهيئة الحاكمة عالمة واقفة على واجباتها فانه لا تقوم للمجتمع قائمة اذ يصعب على الهيئة الحاكمة قيادة الهيئة المحكومة لأن ما تراه هذه صوابا تراه تلك خطأ نظرا لانغماسها فى الجهل فضلا عن أن الهيئة المحكومة تفضل أن ترى من بين أفرادها الجهلاء هيئة حاكمة غير الموجودة فتسقطها وترفع غيرها ولو نظرنا الى عكس ذلك أعنى اذا كانت الهيئة المحكومة جاهلة والهيئة الحاكمة عالمة واقفة على واجباتها فانه لا تقوم للمجتمع قائمة اذ يصعب على الهيئة الحاكمة قيادة الهيئة المحكومة لأن ما تراه هذه صوابا تراه تلك خطأ نظرا لانغماسها فى الجهل فضلا عن أن الهيئة المحكومة تفضل أن ترى من بين أفرادها الجهلاء هيئة حاكمة غير الموجودة فتسقطها وترفع غيرها ولو نظرنا الى عكس ذلك أعنى اذا كانت الهيئة المحكومة عالمة مستنيرة بالأفكار الصائبة والهيئة الحاكمة جاهلة لرأينا أن المجتمع يعيش سعيدا ويبقى عيشه رغدا وذلك لأن الهيئة المحكومة لا تتأخر عن اسقاط تلك الهيئة الحاكمة الجاهلة وتعويضها بهيئة عالمة تنتخبها من بين أفرادها ومصداقا لقولنا هذا قال أحد كبار العقلاء الذين رسخت عندهم هذه الحقيقـــة كل الرسوخ (أن الهيئة المحكومة هى سيدة الهيئة الحاكمة ولا عكس) اذا علم هذا القول ونظرنا الى حالة بلادنا المصرية التى هى واد عزيز عميم الخيرات كثير البركات قد خصه الله بمزايا لهم يختص بها غيره حتى أصبح مأوى للغرباء ومقرا للنزلاء الذين قد نضبت بحار خيرات بلادهم عن أن تسد حاجاتهم الضرورية ونظرنا الى ما اكتسبناه منه من الخيرات للجزيل والبر الجليل والى ما أديناه له من النفع نرى أننا لم نأته بذرة مما آتانا هو به فانه قد أصابته الأمراض وحاقت به الأدواء واشتد أنينه وبكاؤه ونحن عن كل ذلك لاهون لا نسمع أقواله ولا نلبى نداءه وليس بيننا الا نفر قليل يقوم بخدمة ·

أليس من الواجب علينا عموم المصريين أن نتحد قلبا وقالبا فى الاخلاص الوطنى وأن نترك الحقد والحسد من بيننا وأن نعمل جميعا على تقدم البلاد وراحة العباد ؟ ·

أليس من الواجب على أغنيائنا خصوصا الذين قد أفادهم ذلك المجتمع السعيد أكثر مما أفاد غيرهم بكثير أن يؤسسوا المدارس التهذيبية ويشكلوا الجمعيات المفيدة ويصرفوا أموالهم فى خدمة وطن قد خدمهم أكبر خدمة وأنا لهم أكبر منة ؟

لا شك أننا اذا جعلنا الائتلاف والاتحاد وخدمة الوطن خدمة صداقة مبدأ لنا وصلنا الى أسمى مقصدنا وادراكنا ضالتنا المنشودة ·

فيجب علينا عموما أن نقتدى بأعمـــال أميرنا الجليـــــل الذى قد غبطتنا أحبابنا وحسدتنا أعداؤنا عليه وأن تجعل الكبار فى مقدمة مبادئهم الائتلاف والمحبة وتهذيب الأبناء وأن تنشأ الأحداث على هذه المبادىء الشريفة وليعلموا علم اليقين أن عليهم حياة البلاد وأنهم رجال المستقبل وأن زمنهم نفيس فلا يصرفون الا فيما يجديهم نفعـــا والسلام ·

تلميذ مقدام

نعني بذلك « جول واكيير » ابن أحد الصناع الفرنساويين المولود فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ بمدينة لنداس وأحد تلامذة مدرستها العمومية الآن ٠

نشأ هذا التلميذ على الشهامة والاقدام وحب النفع العام فانه قد خاطر بنفسه مرتين متواليتين لنجاة شخصين كادت المنية أن تغتال حياتهما لولاه ولذلك قد أتت احدى الجرائد الفرنساوية الفخورة بشهامة أبناء جلدتها على صورته متقلدا النياشين اللذين أهدتهما اليها حكومته جزاء طيب أعماله محيطة تلك الصورة بذكر هاته الأفعال الحسان واليك ملخص ما جاء بها بعد الترجمة :

« منذ كان واكيير فى العاشرة من عمره « أى منذ سنتين » ذهب مع أربعة من أقرانه الى محل كثيف الثلج بقصد اللعب فيه ومذ كانوا فى بحر اللعب غارقين اذ وقعت قطعة عظيمة من الثلج من تحت قدم أحدهم فى هاوية كانت تغطيها ولم يلبث الشاب أن هوى معها حيث كان يهدده الموت من كل جانب لولا أن واكيير المقدام ألقى بنفسه بسرعة عجيبة فى الحفرة وأخرج رأس خليـــله من الماء حتى أتت جمـــاعة من المارة وانتشلتهما من هاوية الهلاك ٠

وفى الثالث من شهر مايو الماضى رأى عند خروجه من المدرسة عربة سريعة العدو كادت أن تدهس أحد أقرانه الذى كان يسرع السير بقصد مقابلة قريب له فأنجـاه من الموت بخفة لا مثيل لها بعد أن اعتقد الجمهور كمال الاعتقاد أن تلك اللحظة هى آخر دقيقة فى حياة الاثنين ٠

هذان العملان الجليلان قد صاغتها يد تلميذ لم يبرح مشتغلا بالدراسة الابتدائية ولم يتجاوز السنة الثانية عشرة من عمره فهو جدير بأن يكون قدوة حسنة لأمثاله فانه يرى فى عمله هذا خيرا كبيرا فان نجح فيه فقد حفظ حياة وان خاب فقد مات شهيد الشفقة والرحمة والانسانية ولذلك فان الحكومة الفرنساوية قد كافأته باهدائه نيشانى الانقاذ الخطيرين ٠

الأناشيد الوطنية والتهذيبية

لقد أصبح من الأمور البديهية المسلم بها عند جميع العقلاء أنه لابد أن يكون التعليم مخلوطا بالتهذيب بل يلزم تفضيل هذا عن ذاك لأنه عليه قوام الأمور واصلاح الأحوال ٠ والتاريخ أعظم شاهد على ذلك فان العالم اذا كان غير مهذب يكون ضرره عظيما جدا على الأمة التى يشغل بين أفرادها محلا فى ادارة الأمور ولذلك اتفق جميع الحكماء والفلاسفة على أن ضرر الجاهل أقل بكثير من ضرر العالم العديم التهذيب ولما كان أسمى غرض لنا هو تهذيب الأحداث فقد عزمنا على أن ندرج فى كل عدد من أعداد جريدتنا نشيدا أو نشيدين على نمط السلاسة والتهذيب التام حتى أنه بعد مضى

لخمسة أو ستة أشهر يمكننا أن نجمعها فى كتاب نظم اليه بعض الشذرات والمحاورات المفيدة يكون قاعدة أساسية لتهذيب الأبناء وأنا لا نعدم فى ذلك العمل مساعدة الفضلاء والأدباء والشعراء ·

والى القراء نشيدا جادت به القريحة نعده باكورة لهذا العمل :

هلموا يابنى الأوطان طرا … لنرجع مجدنا ونعز مصرا
هلموا كى نوفى القطر حقا … نسيناه فضاع بذاك قدرا
هلموا وادركوا العلياء حتى … تنال بلادنا عزا وفخرا
هلموا وأتركوا الشحناء منكم … وكونوا أوفياء فذاك أحرى
أليس يشيننا ترك المعالى … تباع بغير وادينا وتشرى
ونحن رجالها وبما لديها … من الاسعاد والخيرات أدرى
نسينا البر للنيل المفدى … وخلنا أننا جئناه خيرا
فعار أن نسمى الذل عزا … وعار أن نسمى الشح برا
وعار أن نعيش بغير مجد … ونبصر فى السما شمسا وبدرا
وعار أن يكون لنا وجود … ويحظى غيرنا فوزا ونصرا
فقوموا واطلبوا للنيل عزا … ولا تبقوا بذل كى يسرا
وسيرا نحو هذا القصد حتى … تنادوا أجمعين بعز مصرا



الجزء السابع

ربيع الثانى سنة ١٣١١

اتحاد الوطنيين فى الاغتراب

أجارتنا انا غريبـــان ها هنا ،وكل غريب للغريب نســـيب

ما كان أشدنا تمتلا وتمسكا بهذا البيت مذ كنا فى بلاد الغربة فاننا كنا جميعا كأعضاء عائلة واحدة تم بين أفرادها الاخلاص والوفاء فكل فرد منا كان لا يدع ساعة من زمنه دون أن يقابل اخوانه فيها ولو ألم بأحدنا شىء مكدر وان يكن خفيفا كنت ترى الجميع قائمين فى خدمته لا يألون جهدا فى تأدية كل ما يحتاج اليه الا أنه مهما تقوت عرا الائتلاف والاتحاد بيننا ومهما اشتدت روابط الاخلاص فلا يعد ذلك فى تلك البلاد أمرا مستغربا ولا شيئا مدهشا كما يقع فى بلادنا اذ أن اتحاد الغرباء هنا أمر ظاهر مجسم لأنه واقع فى وسط التنافر فيه متغلب على الاتحاد أما فى البلاد الأجنبية فما كنا نرى فى الاتحاد فرقا بيننا وبين من يحيط بنا من الأجانب فانهم أجمع كرجل واحد ومهما اختلفت مشاربهم وتباينت آراؤهم فانهم فى خدمة الوطن متحدون قلبا وقالبا ولا يختلف فى ذلك اثنان ٠

ومن ينظر الى هذا الأمر لابد أن يستشعر باسنغراب عظيم وبدهشة كبيرة اذ أن الوطنيين هنالك والأجانب لا يختلفون فى اتحادهم وأما هنا فالفرق ظاهر والبـون بعيـــد ٠

ولا شك أن من يبحث فى سبب التغاير بين البـلاد الشرقية والبـلاد الغربية فى هذا الأمر يدخل فى دائرة الحيرة من حيث أنه يعلم أن الاتحاد لازم ضرورى فكل جماعة يقيمون فى بلد اما أن يكونوا وطنيين أو أجانب فان كانوا وطنيين وجب عليهم كل الوجوب والاتحاد والائتلاف فى خدمة بلادهم وان كانوا أجانب لزمهم ذلك أيضا لوجوب عملهم بقول الشاعر :

أجارتنا انا غريبان ها هنـــا وكل غريب للغريب نســـيب

وعليه فكل شخص أهمل خدمة وطنه الذى أنشقه طيب هوائه وغذاه لذيذ غذائه وسقاه حلو مائه يعد عديم الوطنية بعيدا عن أن يسمى وطنيا أو أجنبيا ومثل هذا يعيش كئيبا حزينا عليه غضب من الرحمن ولعنة ٠

الصناعة والصناع

كل من له اطلاع على تواريخ الأمم وسيرهم وماجريات الأحوال فى البلاد يعلم أن الصناعة والزراعة والتجارة هى أهم عناصر التقدم وأول أسباب السعادة وأن كل أمة قطعت سبيل الحضارة لم تصل الى ما وصلت اليه الا بهذه العناصر الشريفة فهى من أهم الأسباب التى أوصلت الأمة الاسلامية فى الأزمان السالفة الى التقدم وعلو الشأن فقد كان لها بين أفرادها اعظم مقام واسمى احترام وتلك آثارهم قائمة فى كل البلاد التى سكنوها تدل على ما كان لهم من عظيم الاعتناء بالصناعة ، والتاريخ يملى على مطالعيه تقدم الأمة الاسلامية فيها وفى الزراعة والتجارة ٠

ولم يزل للآن هذا الناموس عاما وشاهدنا على ذلك تقدم هذه العناصر الثلاث فى البلاد المتقدمة فلها بين الناس تلك البلاد اهتمام عظيم وعناية كبرى ولم تضع الناس قدرها الا فى البلاد الشرقية على أنها أولى من غيرها بالاعتناء بها ٠

يظهر مما سبق أن مجد الصناعة والزراعة والتجارة ملازم لتقدم الأمة متعلق بارتفاعها أو علو شأنها ٠

أما الزراعة فمعتنى بها فى بلادنا اعتناء شديدا نظرا لأن القيام بها أقل تعبا من القيام بأحد العنصرين الآخرين ولأن البلاد زراعية بطبعها ٠

أما الصناعة والتجارة فغير معتنى بهما وان كنا نرى لهما وجودا فهو ضعيف جدا فى جانب من الجوانب ٠

ولما كانت الصناعة فى مقدمة هذه العناصر أحببنا أن نخصص للكلام عليها فى جريدتنا بعض الأسطر فنقول :

الصناعة التى لها فى الوجود فضل ظاهر ومجد واضح لا ينكره الا كل غر جاهل فضروريات الحياة التى هى المأكل والمشرب والملبس والمسكن قد صاغت أكثرها يد الصناعة فلها اذا على كل موجود فضل بين يحمله على اعلاء شأنها واحترامها واحترام كل من قام بها والا فكل من خالف ذلك يكون قد نسى واجبا نعده سامى القدر خطير المقام وحقيقة فان الصناع الذين هم رافعو لواء الصناعة جديرون بالاحترام حقيقيون بالتجلة والاعتبار وقد علم أهل البلاد المتقدمة علما حقا فاحترموا الصناع وأعلوا من شأنهم حتى أصبحوا فى مقدمة المبجلين وطليعة المحترمين وأما سكان البلاد المتأخرة فقد طرحوا احترام الصانع خلف ظهورهم ولم يكفهم ذلك بل أنهم أهانوه واحتقروه وعدوه أقل الناس شرفا وأحطهم مجدا وقدرا والسبب فى ذلك ظاهر كما قدمنا وهو أن احترام العناصر الشريفة ملازم للتقدم والتمدن ٠

ففى البلاد المتقدمة وعلى الخصوص فى الولايات المتحدة للصناع شرف باذخ ومقام خطير فقد بلغ الاعتناء بهم أن أسست هنالك جمعية مؤلفة من أعضاء عديدين الغرض

الأصلى منها وضع الحوادث اليومية المهمة الواقعة فى العالم فى قالب روايات صغيرة تباع بأبخس الأثمان حتى تكفى الصناع مؤونة البحث والمطالعة فى الجرائد وكيفية ذلك أن أعضاء الجمعية تنقسم الى عدة أقسام : قسم ينتقى الحوادث الواقعة أمس يوم العمل التى يمكن وضعها فى قالب روايات وقسم ثان يختار الأهم ويترك المهم منها وثالث يضع الحوادث فى قالب روايات ورابع ينقحها وخامس يجمعها وسادس يصحح مسوداتها وسابع يطبعها وثامن يجلدها وتاسع يفرقها على المكتبات والباعة الخ ٠

ولا يزيد ثمن الرواية الواحدة عن سان واحد أى مليمين وبذلك يشتريها الصانع بثمن بخس وبتلاوتها يقف على ما وقع أمس يومه فى بلاده وفى غيرها من الحوادث المهمة ٠ هذا مثل من أمثال الاعتناء بالصناع يدلنا على غيره ٠

ومن يتأمل فى هذا الاعتناء يرى أن احترام الصناع واجب على كل فرد صغيرا كان أو كبيرا ٠

محاورة بين صديقين

شوقى : عم صباحا أيها الخل الوفى والصديق العزيز ٠

فهمى : أنعم الله صباحك سيدى ومحبى الكريم ٠

شوقى : قد مضت الأجازة ولم نعلم أحوالك وما أنت مشتغل به وقد كان يمنعنى عن مكاتبتك عدم وقوفى على حقيقة عنوانك فما السبب فى عدم مخاطبتك اياى ٠

فهمى : ان السبب الحقيقى الذى منعنى عن مخاطبتك هو السبب الذى منعك عن مخاطبتى ٠

شوقى : ولعلك تكون اشتغلت بشىء مفيد فى هذه المدة الطويلة ٠

فهمى ــ نعم اشتغلت بمطالعة بعض الكتب السيمياوية وتعلمت منها كيف يحول الانسان النحاس الى فضة والفضة الى ذهب والى غير ذلك مما سيجعلنى من أكبر الناس ثروة وأكثرهم مالا ٠

شوقى ــ وأظنك تعلمت أيضا تحويل الذهب الى ماس ٠

فهمى ــ ان طرق تحويل الذهب الى ماس موجودة فى كتاب آخر غير الموجود عندى ، وان شاء الله سأشتريه عن قريب لكى أقف على كل أسرار العلم ٠

شوقى ــ وهل حولت شيئا من النحاس الى فضة أو من الفضة الى ذهب ؟ ٠

فهمى ــ انى لم أشتغل الا بالعلم وأما العمل فأشتغل به فى مدة الدراسة ٠

شوقى ــ اعلم يا أخى هداك الله أن قولك مملوء بالغرور خالى من الحقيقة والدليل على

ذلك أن النحاس والفضة والذهب وغيرها هي معادن طبيعية وليست صناعية ولو أمكن عملها لكان سبقك الى تطبيق قواعد علم السيميا كثير من أمثالك الذين أولعوا بحب الدنانير ٠

فهمي ـ انى لفى غاية الاستغراب من قولك هذا فان قواعد علم السيميا معقولة مقبولة ٠

شوقي ـ ليس فى الأمر ما يحير الفكر أو يدهش البال فان كل مسئلة سهلة كانت أو معضلة يحكم فيها العقل الذى وهبه الخالق لنا ليهدينا الى أقوم سبيل فاذا حكمنا العقل فيهذه المسئلة وصلنا الى النتيجة التى قدمتها لك وهيأنه لو كانت قواعد علم السيميا صادقة لاستعملتها الكثير طمعا فى جمع المال فضلا عن أنه لو صدقت هذه القواعد السيمياوية لأختير غير معدنى الذهب والفضل للتعامل بين الناس اذ أن هذين المعدنين لم يختارا للتعامل بهما الا لندارتهما ٠

فهمي ـ لقد أجبررتني بقوة برهانك وصحيح دليلك على تصديق قولك وان كان فى نفسى بعض الاعتقاد بالقواعد السيمياوية ٠

شوقي ـ لا يجب عليك أن تعتقد بقواعد السيميا اذ أنها محض تلفيق وآخر دليل أذكره لك على قولى أنه الى الآن لم يحصل أحد من الذين اغتروا بهذا العلم واشتغلوا به على درهم واحد بل أن أغلبهم فقد القناطير المقنطرة من المال ٠

فهمي ـ حقا لقد صدقت يا أيها العزيز ٠

شوقي ـ اذا كنت صدقت قولى وتركت اعتقادك بالسيميا وخرافاتها لزمنى اتماما للفحص أن أسألك سؤالا واحدا فهل لك أن تسمعه وتجيبنى عنه ٠

فهمي ـ سل عما تريد تجدنى لك مجيبا بقدر ما أعلم ٠

شوقي ـ وما بغيتك فى أن تكون ذا ثروة ٠

فهمي ـ لكى أعيش عيشة راضية ٠

شوقي ـ وهل تظن أن العيشة الراضية فى الثروة ٠

فهمي ـ نعم ٠

شوقي ـ وماذا تريد أن تعمل لتكون ذا ثروة ٠

فهمي ـ بما انك قفلت أمامى باب السيميا فليس لى حيلة الا أن أختلس متى توظفت ٠

شوقي ـ انه لا يسعنى الا أن أظهر لك أنى آسف على أفكارك هذه التى أبديتها فانها أسوأ الافكار وأدنأها وقد توصلك الى حضيض الذل ان قمت بتنفيذها ٠

فهمي ـ انى لا أرى فى أفكارى الا صوابا فان كنت ترى أنها خطأ فأرجعنى عنها بدلائلك القاطعة كما أرجعتنى عن اعتقادى السابق واظهر لى الطريق المستقيم ٠

شوقى ــ اعلم يا أخى أن السعادة الحقيقية ليست فى جمع الأموال ولا كنز الدنانير بل هى فى راحة الخطر وارتياح الضمير فرب ذى مال كثير لا ينام من الليل ساعة لاشتغال أفكاره بأمر أمواله وأملاكه وما عليه وما له ورب فقير ذى خصاصة ينام الليل مرتاح البال ساكن الخاطر لا شاغل يشغله عن عبـــادة الله والقيام بواجباته ٠

اذا علمت ذلك وأضفت الى علمك هذا ان راحة الضمير وسكون السريرة لا يكونان الا بطاعة الخالق والعمل بأوامره وترك نواهيه ومعاملة الناس بالرفق واللين والقيـــام نحو الأهل والوطن بالواجب كل هذه الأمور التى أرشدنا اليها الدين القويم رأيت أنك مخطىء أولا فى قولك أن السعيد هو من جمع الدنانير وثانيا فى عزمك على الاختلاس ذلك الأمر الذى لا يقبله الا كل من فسدت أخلاقه وخلع شعار الدين والشرف ٠

فهمى ــ لقد تبين لى من قولك هذا يا أخى أن أعظم هاد للانسان فى حياته هو الدين الشريف الذى جمع من الحكم فأوعى فهل لك أن ترشدنى الى مبادئه الشريفة حتى يمكننى أن أعمل به حقيقة وبذلك تنال الأجر العظيم وأنال سعادة الدارين دار الدنيا ودار الآخرة ٠

شوقى ــ بما أنك قد اهتديت الى طريق الصواب فسأوقفك فى كل مقابلة على بعض ما يهمك من المبادىء الشريفة وعلى الله التوكل فى كل الأمور ٠

المطالعة فى الطريق

قد رأينا الكثير من تلامذة المدارس الابتدائية يطالعون دروسهم حال ذهابهم صباحا للمدارس ولما كان فى هذا الأمر ضرر عليهم أردنا سياق النصح لهم حتى يعلموا أضراره فيرجعوا عنه ٠

تعلمون جميعا معشر التلامذة أن ساعة ذهابكم للمدرسة صباحا هى الساعة التى يهرع فيها أغلب الناس بحثا على معاشهم ويكثر فيها سير العربات والمارين زيادة عن غيرها ولذلك وجب على كل مار أن ينتبه فى سيره خوفا من لحاق الضرر به ٠

وكلكم يعلم أن العقل هو سلطان الجسم ورئيس الحركة ومدبر الأفعال الانسانية التى لا يمكنه القيام بها كلها مرة واحدة بل يدبر الأمور أمرا أمرا ولذلك فهو عاجز عن أن يفهم الدروس ويتنبه للطريق مرة واحدة فينتج عن ذلك أن الاشتغال بالمطالعة فى الطريق أمر يضر كثيرا ويلزم تجنبه ٠

وزيادة على ما ذكرنا فاننا لو نظرنا الى السبب الذى يحمل التلميذ منكم معشر الأبناء على المطالعة فى الطريق لعلمنا أنه عدم مذاكرته ليلا وكسله واشتغاله باللهو واللعب وهذا ما لا يصح وقوعه من امرىء رغب المعالى وطلب شرفا رفيعا وقصارى القول أنه يجب عليكم أن ترجعوا عن هذه العادة وأن تعلموا بقول الشاعر :

بقدر الكد تكتسب المعالى ومن طلب العلا سهر الليالى
يغوص البحر من قصد اللآلىء ويحظى بالسيادة والنوال
ومن طلب العلا من غير جد أضاع العمر فى طلب المحال

باب الأناشيد الوطنية

(النشيد الثانى)

أهل المودة والسنن هيا لكى نعلى الوطن
ونعيد مجدا قد دفن ونفوز بالنصر المبين
هيا بجد واجتهاد نسعى لندرك ذا المراد
هيا ولا تبغوا العناد فالوقت جاء ولا معين
أنتم بنو النيل السعيد ذى العز والخير المديد
فاحموه بالجد المزيد فبكم بنيه يستعين
أنتم بنوه فما لكم لا ترفعوا ما قد هدم
وعزيز (مصر) أمامكم (عباسنا) الحصن الحصين
هذا الأمير بجده وبحبه لبلاده
قد نال كل مراده وغدا على (مصر) الأمين
فتشبهوا يا قومنا بفعال روح بلادنا
كيما تكون جميعنا لثياب عز لابسين
فالحر لا يرضى المقام بمكانة فيها يضام
والذل تأباه الكرام والعز للعليا رهين
فاسموا بمصر الى العلا لننال ما قد أملا
ونسود من بين الملا ونفوز بالنصر المبين

الجزء الثامن

جمادى الأولى سنة ١٣١١

الجواهر السنية
فى نظام الهيئة الاجتماعية

سبق لنا أن نشرنا بالعدد الثانى والثالث والرابع ملخص الباب الأول من كتاب (الجواهر السنية) تأليفنا وبعد ذلك لم نكتب منه شيئا فى العدد الخامس والسادس والسابع فظن الكثير أننا عزمنا على عدم كتابة ملخصه فى الجريدة كما وعدنا بذلك فى العدد الثانى الا أنه اجابة لطلب العدد العديد من الأفاضل ونظرا لكوننا لم نفكر أبدا فى عدم نشره بالجريدة قد شرعنا فى درج بقيته شيئا فشيئا ولذلك فانا نخصص الكلام فى هذا العدد وتاليه على القوة التشريعية فنقول :

الباب الثـانى
القوة التشريعية(١)

علم القراء مما ذكرناه سالفا أن الهيئة الحاكمة تنقسم الى قوتين : قوة تشريعية وقوة تنفيذية وأن القوة التشريعية هى أهم القوتين لأنها هى التى تسن القـــوانين واللوائح وهى التى تضع نظامات الحكومة وبمعنى آخر نقول أن القوة التشريعية تعد كآمر والقوة التنفيذية كمأمور يجب عليه اطاعة أوامر آمره .

وليس للقوة التشريعية فى البلاد شكل واحد فهى تختلف باختلاف الممالك وعلى كل حال فهى تابعة لدرجة حضارة الأمة فمتى فازت الأمة من الحضارة بالقدح المعلى كانت قوتها التشريعية مستقلة كمال الاستقلال متمتعة بقوة التشريع الحقيقية ولا راد لما تسن وتضع وبعكس هذه الأمة التى عم الجهل أبناءها وتحكم الفشل بين أفرادها ترى حكومتها حكومة مستبدة طاغية وملكها ملك بيديه كامل التشريع والتنفيذ فهى بالطبع أمة محرومة من قوة تشريعية مكونة كغيرها من بعض أفراد تنتخبهم الأمة بأسرها . ولقد قال فى ذلك أحد فلاســفة اليونان ما معناه (ليس لأمــة من الأمم تعد نفسها أمة الا أن كان لها مجلس ينوب عنها فى وضع اللوائح والقوانين التى تحكمها) .

---

(١) هى ما يقصد بها الآن السلطة التشريعية .

ولما كانت الأمة المصرية أمة لم تبلغ من الحضارة ما بلغته الأمم الأخرى الأوربية والأمريكية كانت قوتها التشريعية أقل فى الاختصاص من قوى هاته الأمم التى عمت الحرية فيها جميع الأفراد فلها الحق كبقية القوى التشريعية فى وضع لوائح ومشروعات انما لا تكون تنفيذية الا بتصديق مجلس النظار وسمو الخديوى عليها ٠

والقوة التشريعية عندنا شرعت بالقانون النظامى المصرى الصادر بسراى عابدين فى ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٣٠٠ هجرية الموافق أول مايو سنة ١٨٨٣ افرنجية وهو يشتمل على تشكيل ثلاثة مجالس ٠

أولا : مجالس المديريات ٠

ثانيا : مجالس شورى القوانين ٠

ثالثا : الجمعية العمومية ٠

وسنتكلم على كل مجلس من هذه المجالس على الترتيب حتى اذا ما تم الكلام عليها توجناه بكيفية انتخاب أعضاء كل منها :

الفصل الأول
فى مجالس المديريات

(اختصاص مجالس المديريات) : يختص كل مجلس من مجالس المديريات بالنظر فى جميع الأمور التى يكون من ورائها فائدة للمديرية التى هو مجلسها ٠

فلمجلس المديرية أن يقرر رسوما فوق العادة لصرفها فى أشياء تعود على المديرية بالفائدة انما لا يكون قراره تنفيذيا الا بعد تصديق الحكومة عليه ٠

ويجب أخذ رأى مجلس المديرية فى المسائل التى تتعلق باتجاه طرق المواصلات برا وبحرا والأعمال المتعلقة بالرى وباحداث أو تغيير أو ابطال الموالد والأسواق فى المديرية وما أشبه ذلك ٠

ويجوز لمجلس المديرية أن يبدى رأيه فى عمليات الطرق والملاحة والرى وفى مشترى أو بيع أو ابدال أو انشاء أو ترميم المبانى والأماكن المخصصة للمديرية أو للمجالس أو لسجون أو لمصالح أخرى خاصة بالمديرية وفى تغيير استعمال تلك المبانى أو الأماكن وله أيضا أن يبدى رأيه فى جميع المسائل التى تتعلق بتقديم المعارف العمومية والزراعة ٠

وأخيرا يجب على مجالس المديريات أن تنتخب أعضاء مجلس شورى القوانين كما سيبين فيما بعد ٠

(التئام مجالس المديريات) لا يلتئم أى مجلس من مجالس المديريات الا بمقتضى

أمر من الحضرة الفخيمة الخديوية يصدر بناء على طلب المدير ، ويتعين فيه ميعاد الاجتماع ومدته ، ويجب انعقاد مجلس المديرية مرة فى كل سنة بالأقل ، وفى اليوم المحدد لاجتماع مجلس المديرية يتلو المديرية عليه أمر الانعقاد ، ويحلف أعضاء المجلس المستجدون أمام المدير يمين الصداقة للحضرة الفخيمة الخديوية والطاعة للقوانين ٠

والمدير هو رئيس المجلس وله رأى معدود فى مداولاته ويجب على باشمهندس المديرية الحضور فى جلسات المجلس وله رأى ممدود أيضا ٠

وجلسات المجلس غير علنية أى سرية ولا تعتبر المداولة فيه قانونية الاا حضره أكثر من نصف أعضائه ، ولا يجوز لأى مجلس مخابرة غيره من المجالس فى تحرير أو نشر محاضر أو منشورات ٠

(فض المجلس) لا يكون فض أى مجلس الا بأمر من سمو الخديوى ومتى فض يشرع فى انتخاب جديد يكون فى الثلاثة شهور التالية لفض المجلس ٠

(تشكيل مجالس المديريات) : تتشكل مجالس المديريات من عدد من الأعضاء يختلف بين ثمانية وثلاثة حسب كبر المديرية ٠

فمجلس مديرية الغربية يتشكل وحده من ثمانية أعضاء ومجلس مديرية أسيوط من سبعة وكل من مجلس مديرية المنوفية والدقهلية والشرقية من ستة والبحيرة وجرجا من خمســة والجيزة والقليوبية وبنى سويف والمنيا وقنــا واسنا من أرعة ومجلس مديرية الفيوم يتشكل من ثلاثة أعضاء فقط ٠

(شروط عضوية مجالس المديريات) : لا يجوز انتخاب أحد لعضوية مجلس المديرية ما لم يكن بالغا من العمــر ثلاثين عاما كاملة على الأقل وله معرفة بالقراءة وممن يدفعون مالا مقررا على عقارات أو أطيان فى نفس المديرية قدره خمسة آلاف قرش سنويا على الأقل ويكون دفعه لهذا المثال منذ سنتين بالأقل ويلزم زيادة عن ذلك أن يكون اسمه مندرجا فى دفتر الانتخابات منذ خمس سنوات بالأقل موظفا بالحكومة ملكيا كان و عسكريا وأن يكون عضوا فى مجلس مدرية آخر ٠

(مدة العضوية) : تعيين أعضاء مجالس المديريات هو لمدة ست سنوات ويصير تغيير نصفهم كل ثلاث سنوات ويجوز تكرار انتخابهم ويكون تغييرهم بالقرعة ٠

الى هنا انتهى ما يتعلق بمجالس المديريات وموعدنا بمجلس شــورى القوانين والجمعية العمومية العدد الآتى ٠



الجزء التاسع

جمادى الثانية سنة ١٣٢٢

منابع النيل

اطلعنا فى العدد الثامن من جريدة « المهندس » الغراء على نبذة تحت هذا العنوان للعلامة المفضال سعادة على باشا ابراهيم ناظر المعارف العمومية سابقا نأتى بها هنا افادة للقراء الكرام واثباتا لما يقوله كل مواطن صادق من أن مصر والسودان توأمان حقيقيان فى انفصالهما ضياع لمصرنا العزيزة قال حفظه الله :

ان نهر النيل يتكون من نهرين آتيين من أقصى بلاد السودان وبلاد الحبشة وهما النيل الأبيض والنيل الأزرق ويجتمعان عند مدينة الخرطوم ويصيران نهرا واحدا يجرى من الخرطوم فى بلاد النوبة الى مصر فالبحر الأبيض المتوسط ويصب فيه ٠

وينقسم نهر النيل الى ثلاثة أقسام أحدها يسمى بالنيل الأعلى أو نيل السودان والحبشة وهو من منبعه الى الخرطوم ٠ ثانيهما : يسمى بالنيل الأوسط أو نيل بلاد النوبة وهو من الخرطوم الى جزيرة بلاق المسماة-جزيرة فيله وقصر أنس الوجود وهى جزيرة فى النيل قبلى شلال أسوان بنحو ١٠ دقائق ـ ثالثها يسمى بالنيل الأدنى أو نيل مصر وهو من الجزيرة المذكورة الى البحر الأبيض المتوسط ٠ أما النيل الأعلى فيتكون من نهرين كبيرين يجتمعان عند الخرطوم ويقال لأحدهما النهر الأبيض وثانيهما النهر الأزرق ويسمى كلا منهما بحرا عند أهالى الجهات المارين بها ٠ فالنهر الأبيض يعتبر كأنه الأصل الحقيقى للنيل وهو يخرج من بحيرة كبيرة فى جنوبى بلاد السودان تسـمى بحيرة (أوكيريفى) على حسب ما تحقق من الاكتشافات الحديثة ٠ وهذه البحيرة تسمى نيانزا أيضا أى الماء العظيم عند أهالى البلاد المارة بها وسميت فيكتوريا نيانزا باسم ملكة الانكليز عند اكتشافها بمعرفة القبودان سبيك الانكليزى ١٨٥٨ ب٠م٠ وحدها الجنوبى فى ٣١ درجة من الطول الشرقى و ٧ درجات من العرض الجنوبى ويصب منها فى هذا الحد فرع متكون من السيول كثير الأوحال ٠ وعرضها فى الجزء الجنوبى منها من ١٢٠ الى ١٤٠ كيلومترا وطولها يمتد الى شمال خط الاستواء ٠

ويتضح من الاكتشافات الحديثة أن النهر الأبيض يخرج من البحيرة المذكورة بثلاثة فروع ثم تجتمع فى فرع واحد يتجه نحو الشمال الغربى ويتكون شلال (جاربو) ويروى

بلاد « بارى » ويمر بعد ذلك بغابات وأجمات يتفرع فيها جملة فروع ويصب فيه جملة فروع أخر متكونة فيها السيول وأهمها (كيلاك) الآتى من غرب السودان الوسطى بعد انصباب بحر الغزال فيه و (صوبات) الآتى من شرقى بلاد الحبشة وطول مجرى النهر الأبيض من منبعـــه الى الخرطـوم حيث يجتمـــع مع النهر الأزرق يبـــلغ أكثـــر من ٢٣٠٠ كيلومترا ٠

وأما النهر الأزرق فمنبعه بين الثلوج المحيطة بجبال القمر ببلاد الحبشة ويتجه نحو الشمال الشرقى ويختلط بجملة نهيرات متكونة من السيول فيزيد حجمه ثم يدخل بحيرة دقيقة من جنوبها ويخترقها ولسرعة جريانه لا تختلط مياهه بها وبعد خروجه منها يكون شلال (الأطه) ويمر غربى بلاد (سنغالا) ويقطع ثلاث شلالات حتى يصل الى جهة ستار فيروى بها سهولا واسعة وهناك تنصب فيه عدة مجارى ، وهـــذا النهر مع ما ينصب فيه من المياه لو لم يتصل به النهر الأبيض لكان ضعيف وربما كان لا يصل الى أرض مصر بل يضيع فى الرمال ٠ فان مياه النيل الأبيض تبلغ ثلاثة أضعاف الأزرق ٠

وأما النيل الأوسط فيجرى مستقيما من الخرطوم مخترقا معظم بلاد النوبة الى قرية (جيرى) ثم يرسم قوس دائرة وينتهى الى جزيرة (مقراط) وفى شاطئه الشرقى بالقرب من قرية (ضامر) أو (دامر) ينصب فيه نهر (اطبرة) أو (عطبرة) ثم يجرى من جزيرة مقراط الى الجنوب ثم ينعطف الى الشمال الشرقى راسما قوس دائرة الى جزيرة (بلاق) أو (فيلة) المتقدم ذكرها مخترقا دنقلة وبلاد النوبة تكثر فيهـــا الشلالات المعطلة لسير السفن الجارية فى النيل المتوسط فمن (رشيدى) الى (أم دراس) ثلاثة شلالات ومن (أم دراس) الى ناحية (ضال) سبعة شلالات ومن (ضال) الى (وادى حلفا) تسعة شلالات وأكبر هذه الشلالات شلالات (وادى حلفا) ٠

وأما النيل الأدنى أو نيل مصر فيبتدىء من جزيرة (فيلة) المذكورة سابقا حيث مبدأ مصر الأصلية ٠ وعلى بعد ثلاثة آلاف متر تقريبا من هذه الجزيرة جهة الشمال شلالات آسوان وهو آخر الشلالات ومن أسوان يجرى النيل عموديا، تقريبا من مجراه الأصلى حتى يصل الى دندرة ثم منها الى القاهرة وينعطف انعطافات كثيرة ويمر بمدن متعددة وقرى جمة ويروى جميع أراضى مديريات الوجه القبلى الى نهاية مديرية الجيزة مباشرة أو بواسطة الترع الخارجة منه وينقسم عند القناطر الخيرية الواقعة فى شمال القاهرة على بعد خمسة فراسخ الى فرعين أحدهما وهو الغربى يصب فى البحر المتوسط تحت مدينة رشيد والآخر الشرقى وهو الأكبر يصب فى البحر المتوسط تحت مدينة دمياط ويخرج من هذين الفرعين ترع كثيرة لرى جميع أراضى الوجه البحرى ٠

ويتكون بين الفرعين المذكورين مع ساحل البحر الأبيض المتوسط بسن رشـيد ودمياط مثلث متسع قاعدته ستون فرسخا وارتفاعه خمسون فرسخا ، وهذا المثلث يسمى باسم دلتا عند الأوربيين ٠ وأول من سماه بهذا الاسم اليونان لمشابهة شكله

لحرف دلتا اليونانى وهو حرف الدال • وهو مكون من مديريتى المنوفية والغربية الآن •

وأما سبب فيضان النيل وزيادته فنزول أمطار دورية ببلاد الحبشة والسودان فاذا لم تنزل الأمطار فى سنة من السنين بكثرة نقص فيضان النيل فيها بالنسبة لما نقص من الأمطار • وتبتدىء الأمطار الدورية المذكورة من شهر مارث لكن لا يظهر أثرها فى نيل مصر الا فى شهر يونيه الافرنجى وهو شهر بؤونة القبطى • ومنشأ هذا التأخر طول المسافة التى يقطعها الماء وما تبتلعه الرمال بحافته التى يمر فيها الى أن يصل مصر • ويرى المصريون أن النيل يأخذ فى الزيادة عند نزول النقطة ليلة ١١ من شهر بؤونة القبطى • ويبلغ النيل بحسب العادة الى نصف زيادته فى نحو ١٥ من أغسطس و ١٠ مسرى ويستمر فى الزيادة الى نحو ٢٠ سبتمبر و ١١ توت وتنتهى عادة فى يوم ١٧ توت وهو يوم الصليب ويستقر على ذلك نحو سبعة عشر يوما تقريبا ، ثم ينقص بالتدريج وينحصر فى مجراه الأصلى مدة شهر نوفمبر الموافق بابه ثم يستمر فى النقص الى شهر مايو من السنة التالية ثم يبقى على الحالة التى هو عليها تقريبا الى الانقلاب الصيفى •

وأحسن زيادة للنيل فى العادة نحو ٧ أمتار و ٥٥ سنتيمترا تقريبا فوق عادة انحطاط الماء ، فاذا كانت الزيادة كثيرة جدا تسبب عنها الغرق واذا كانت ضعيفة جدا حصل منها الشرق • وقد نتج من تحليل ماء النيل بالطرق الكيماوية فى وقت نقصانه أنه يشتمل على مقدار يسير من موريات الصودا وهو خفيف جدا وطعمه لذيذ ولذلك فهو أنقى من ماء نهر السين بباريز خمس مرات •

باب الأناشيد الوطنية

مظهر الأوطان مجد وعلاء وفخار
وزمان النيل سعد ورخاء ويسار
رفعت مصر محلا ، هو للمشرق منار
وتحلت وتجلى لمعاليها نهار
قامت الآثار فينا بعد أن طال السرار
كشف مجدا دفينا ليس يعلون غبار
يابنى الأوطان فخرا فمعاليكم كبار
وتلقوا العصر حرا لكم فيه اشتهار
جازت النجم الاريك وعلا التاج ازدهار
أنت عباس المليك كيف لا ترقى الديار
لك مصر يا عزيز ولك النيل مسار
أنت بالله عزيز لك بالله انتصار

نشـــيد الحدود

وهو نشيد وضعناه قبل سفر الجناب العالى الى الحدود ولحنته الموســـيقى هنا وضربته وأنشدته العساكر فى كروسكو عندما شرفها ركابه السعيد :

الســـعد أقبــل والمنـــا	مذ زارنـــا عباســـنا
والبشر قد وافى لنـــا	بركابه السامى المقـــام
شرفت يا بدر الســـعود	فاستبشر أهـل الحـــدود
وبدا على وجه الجنـــود	فرح يـدوم مدى الـــدوام
فاكرم بجندك يا أمـــير	فلأمرك السامى أســـير
ولقطره أســـمى نصـــير	واهنـــأ به يابن الـكرام
واحكم عبيـــدك والبـلاد	بالعدل دوما والرشـــاد
واسلم ودم يا ذا الســـداد	واسعد بمصرك فى سلام

مقالات

مصطفى كامل

نصيحة وطنى

(ايه يا سماسرة السوء ايه يا اعداء الانسانية ايه يا جراثيم الفساد لقد والله تماديتهم فى البغى وقد تدانيتم من كل أثم قصى تسعون فى الأرض بالفساد وحتام تعظمون الصغير دون الكبير وكم هذا الارعاد والتهويل وما هى الغاية التى تسعون اليها من زرع بذور الفســـاد واضرام نار الفتنة بالاختلاقات الواهية والاشاعات الكاذبة والمصرى أعظم مكانه من ان نؤثر فيه عوامل المفسدين وارزل من ان تحركه يد الغايات المصرى مشهور بالصبر معروف بالسكينة موصوف بالثبات فردوا سهام أذاكم فى نحوركم وانفخوا في رماد الفساد ما شئتم أن تنفخوا فلا والله لن تروا منه حركة الا بالسكون ولن تنالوا غرضا ولو بعد العناء · (١)

---

(١) أكثر مصطفى كامل من كتابة المقالات ونشرها فى جريدة الأهرام ونشرت أول مقالة له فى العدد ٤٥٤٥ فى يوم السبت ١١ فبراير ١٨٩٣ ·

تعتبر هذه المقالة هى التالية للمظاهرة التى قام بها طلاب المدارس المصرية وفى مقدمتهم طلاب مدرسة الحقوق فى ٢٠ يناير ١٨٩٣ مهاجمين مبنى جريده المقطم وهى الجريدة الموالية لسلطات الاحتلال لما أظهرته من عداء للحركة الوطنية فى أعقاب تولية الخديو عباس حلمى الثانى · وقد قاد هذه المظاهرة مصطفى كامل لما كان له من مقدرة وسيطرة على تحريك الطلاب · ويتناول فيها تصرفات أصحاب جريدة المقطم حيث وصفهم فى البداية بأنهم سماسرة السوء وأعداء الانسانية وجراثيم الفساد ·

وأصحاب جريدة المقطم هم فارس نمر ، يعقوب صروف ، شاهين مكاريوس ، وقد اهتم كرومر بطلب فارس نمر لاصدار الجريدة ويعتبر هذا الاصدار الحلقة الثالثة من حلقات احكام الحصار حول الرأى العام المصرى فقد أصدر أصحاب المقطم منذ عام ١٨٨٥ مجلة المقتطف وهى مجلة علمية ثم أصدر شاهين مكاريوس مجلة اللطائف الأدبية عام ١٨٨٦ وتلاه المقطم الذى اختص بالنواحى السياسية ·

وقد تزوج فارس نمر من ابنة قنصل انجلترا بالاسكندرية عام ١٨٨٨ ثم سافر الى انجلترا وهناك اجتمع بكبار الساسة الانجليز · لذلك فلا غرابة أن يصف نمر وجود الانجليز فى مصر بأنه « أكبر نعمة لهما » ·

وبذلك توفر للمحتلين ـ بوجود هؤلاء الشوام الثلاثة وجريدتهم ـ أن يقوموا يوميا بتنفير الأمة المصرية والتلويح بسوء مقاصد الخديو وتكرار الاعتراف بسلطات الاحتلال · ويعترف كرومر بموالاة المقطم لسلطات الاحتلال أثناء خلافه مع الخديو عباس حول الوزارة المصرية ، وقد كان الانجليز يدفعون أموالا =

ورحماك أيها المصرى ما أشدك على حمل النوائب وما أصـــبرك على فســـاد المفسدين ، وطوباك ما اكثر حذرك من العواقب واظهرك على المغترين !! ، هذا العالم ينظر اليك الان بمنظار الانتقاد فيرى المفسدين يجوسون خـــلال ديارك وسماسرة السوء يدرسون عليك الدسائس ويعملون على ضررك ، وأنت مع ذلك ثابت الجأش قوى الجنان غير مصغ الا لنداء الثبات ولا ملتفت الا الى مصلحـة وطنـك لكـن مع السكينة والحزم ، وبذلك يعلم العالم أنك انما اتهمت بما أنت براء منه ورميت بما أنت بعيد عنه فيعود بالملامة والتأنيب على من رام اغتصاب حقك بحجة ليس عليها دليل الا الباطل ، وينصفك ممن حاول سلب استقلالك لمجرد تعلقك بحب أميرك العزيز ووطنيتك الصادقة (١) ٠

= ضخمة للمقطم لاستخدامه فى مصر كوسيلة لافساد الرأى العام ، ولذلك فالمقطم وأصحابه هم أول وأكبر المدافعين عن مصالح انجلترا فى مصر ٠

وقد كلف كرومر أصحاب المقطم بطبع تفاريره السنوية باللغة الانجليزية ثم ترجمتها للعربية والفرنسية وتوزيعها على المشتركين بجانب نسر التقارير بكاملها فى أعـداد متتالية من المقطم بالصـــفحة الأولى ٠

(سامى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى فى الفاهرة ١٩٦٨ ص ٩٦ وما بعدها)

(١) بعد انتقال السلطة من يد الخديو توفيق الى الاحتلال فى أعقاب فشل الثورة العرابية أصبحت للانجليز اليد العليا المتصرفة بكامل حريتها فى أحوال البلاد ٠ وبعد وفاة الخديو توفيق فى ٧ يناير ١٨٩٢ وتولية ابنه الأكبر الأمير عباس ــ الذى استدعى من فينا حيث كان يتعلم ــ السلطة فى ١٦ يناير ١٨٩٢ كان أول ما صرح به الخديو عباس عند وصوله مصر أنه يفضل الموت على التنازل عن أصغر حق من حقوقه ، بجانب أنه انتقد سياسة والده والوزارات فى عهده ، التى استكانت وسلمت مقاليد البلاد لسلطات الاحتلال ٠ وقد أدرك كرومر فى أولى تصريحات الخديو الجديد أنه سيكون مصريا فى تصرفاته مختلفا عن والده ، فكانت بادرة طيبة منه ، استبشر بها المصريون ، حتى أنه فى أول صلاة جمعة له بالمسجد الحسينى يوم ٢٢ يناير ١٨٩٥ تزاحم الناس على عربته وحلوا وثاق خيولها وقاموا بجرها بأنفسهم حتى باب المسجد ، وذلك دليل على تطلع جماهير الشعب المصرى الى من يجاهر بحقوق مصر ولا يتنازل عن حقوقه أمام المعتمد البريطانى ٠

وقد كانت الفترة الأولى من حكم عباس الثانى فترة شعور حماسى واستقلال فى الرأى ، كذلك كان الموقف الدولى السائد فى تلك الفترة عاملا مساعدا لعباس الثانى على مناوأة سلطات الاحتلال ، فكانت تركيا قلقة من وجود سلطات الاحتلال على أرض مصر وفرنسا تحاول استرداد ما فقدته من نفوذ فى مصر عن طريق الخديو الشاب ، بجانب الدول صاحبة الامتيازات المالية التى كانت تخشى سيطرة بريطانيا على مقاليد الأمور ، مما يعرضها ويعرض امتيازاتها للخطر ٠

الا أن الصعاب التى اعترضت عباس الثانى فى بداية حكمه جعلته يشعر بشىء من الخوف ، وأتاحت لمنفذ السياسة البريطانية فى مصر ــ لورد كرومر ــ أن يعمل على تقليم أظافر الخديو عباس تدريجيا حتى تم لبريطانيا ما أرادت من السيطرة عليه فيما بعد ٠

ــ أحمد شفيق ، مذكراتى فى نصف قرن (القسم الأول) ج ٢ ، من ١٨٩٢ : ١٩٠٢ القاهرة ١٩٣٦ ، ص ١٧ ٠

ــ جولييت آدم ، انجلترا فى مصر ، ترجمة على فهمى كامل القاهرة ، ص ١٤١ ٠

ــ عبد المنعم الجميعى ، د٠ الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى ١٨٩٢ ــ ١٩١٤ دار الكتاب الجامعى ط ١ / القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٥١ : ٥٨ ٠

فاصبر أيها المصرى فان الصبر من عزم الامور ، واياك والتهور مع دسائس المفسدين ، بقول أو بفعل ، بعدما ظهر منك من الوطنية والثبات ، فوالله لسكوتك فى مثل هذه الظروف أشد على أعدائك من ضرب الحسام ، وأنكى من كل نكايه وهم انما يتذرعون بك اليك ، فصدهم لكن بالحزم وردهم لكن بالتأنى وكن مع مواطنيك من الغربيين الذين يقاسمونك السراء والضراء كما أنت عليه من الحب الدائم والالفة الثابتة (١) ، فانما مواطنك وطنيا ومشاطرك الخير والضر صـــفيك ، واعلم ان سماسرة السوء يتربصون بك الشر والمحتلين ينظرون الى وطنيتك بعين الغدر ، حتى اذا رأوا منك شررا جعلوه نارا يوقدون بها مصابيح التهويل فى ظلمات الباطل ، ليجعلوك فريسة الأعراض فثابر على الثبات والانقياد لأميرك لكل حركة وسكون ، وكن منه ومن رجال حكومته الظاهرين محل الثقة والأمان فلا والله لن ينالك سوء بعد ماظهر منك ومن أميرك من الوطنية والحزم ماجعل العالم الأوربى ينظر اليك بنظر التبجيل ويثق منك بكفاءة تخولك حرية الاستقلال (٢) والانسانية تنادى قاتل الله القسوة

---

(١) عمدت السياسة البريطانية فى تلك الفترة الى اثارة الخلافات الدينية والقومية فى كل البلاد التى وقعت تحت استعمارها ولكنها لم تجد فى مصر من خلافات طائفية تساعدها على تطبيق سياستها التقليدية ، لذلك عمدت الى استخدام أساليب جديدة لتحقيق أهدافها بالصاق تهمة التعصب الدينى بالمصريين ضد الأقليات الدينية والأجنبية • وقد دافع مصطفى كامل عن المصريين بما ينفى عنهم تلك التهم المغرضة خاصة ما سعت اليه بريطانيا من اثارة الدول الأجنبية على مصر ، بحجة تعصب المصريين ضـد الرعايا الأجانب •

ويقول فى خطبته ـ بتاريخ ١٣ ابريل ١٨٩٦ ـ « ان أعداء مصر يريدون أن يمثلونا أمام أوربا فى صورة قوم متوحشون وقد تطرقوا فى هذا الادعاء بأن الأمة المصرية متعصبة ، ان الكثيرين من الأوربيين يعيشون فى القرى المصرية مختلطين مع الفلاحين •••• »

« •••••• ان لأعدائنا مقصدين من القول بأننا متعصبون فى الدين وهو اهاجة غضب الأمة والقاء بذور الشقاق بين الأوربيين والمصريين ، ولكن الأمة المصرية محافظة على السكينة عارفة بعيم الاعتـــدال الدينى ••• » •

وقد قامت سياسة مصطفى كامل الوطنية على الاقناع لا على الثورة والغضب •

ـ زكريا سليمان بيومى • د• ، الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ١٩٠٧ ـ ١٩٥٣ القاهرة ، ص ٤٤ •

ـ طارق البشرى ، المسلمون والاقباط فى اطار الجماعة الوطنية القاهرة ـ ص ٤١ : ٤٥ •

ـ فتحى رضوان ، مصطفى كامل ، مجموعة أقرأ دار المعارف ، ص ٢٥٤ : ٢٦٣ •

ـ جوليت أدم ، مرجع سابق ص ٢٤٥ ـ ٢٤٨ •

(٢) رأى مصطفى كامل فى كفاحه الوطنى ضد الاحتلال البريطانى الذى فرض نفسه كأمر واقع ـ أن الحركة الوطنية لا بد لها من أن تساندها قوة سواء من داخل أو خارج مصر لذلك رأى فى الخديو الجديد الشاب عباس حلمى الثانى قوة يتحدى بها كرومر • كذلك لمس الخديو عباس الثانى فى زعامة مصطفى كامل الوطنية والتفاف الجماهير حوله وفصاحته الخطابية سندا له فى مواجهة تعسف كرومر ومحاولاته لسلب سلطاته ، وبذلك نرى أن كلا منهما وجد فى الآخر ما يبتغيه من مساندة خاصة وأن =

والاستبداد ما أمسهما بشرف أمة الحرية وما أشر عاقبتهما من عاقبـــة على نابذى العهود ، وهم قيوذها وناكسوا لوعودهم معززوها فلقد كشفوا عن غايتهم الغطاء ، وأظهروا للعالم المتمدين ما تكنه ضمائرهم من السوء ، فجلبوا على نفسهم الضرر من حيث ارادوا النفع • فهيهات هيهات أن تقاد لهم بعد ذلك الرجـــال أو ينطلى لهم ولأنصارهم على العقول محال •

ومهما يكن عند امرىء من خليقـــه وان خالهـــا تخفى على الناس تعلم

فما علينا بعد هذا الا المثابرة والاجتهاد على دفع غاية المغرضـــين لكن مع السكينة والثبات والمؤازرة لأميرنا المحبوب الذى نرجو الله تعالى أن يوفقه لكل مـــا فيه خير الوطن وبنيه ان الله كريم مجيب •

= مصطفى كامل كان يسعى لتمويل حركته ماليا ، ومن هذا المنطلق أخذ مصطفى كامل يدعو المصريين للالتفاف حول الخديو الشاب صاحب السلطة الشرعية ونائب السلطان دينيا وسياسيا •

ـ عبد المنعم الجميعى • د• مرجع سابق ، ص ٧٣ : ٧٥ ، ١٢٩ : ١٣٥ ، ١٣٧ : ١٣٨ •

الحق يعلو ولا يعلى عليه

« لما كانت افعال الانسان غير مرنبطة بقوانين طبيعية وقواعد ثابتة ، تتمشى بها على وتيرة واحدة فانها لا تسلم من التغيير والتبديل حسب ارادة الفاعل وغايته ، كما أنها أفعال ارادية صادرة عن قصد ، وكلما صـدر عن قصـد فهو بالطبع قابل للتغيير ، فانك بينما ترى زيدا كريمـا حسن الخلق محبوبا من الناس ، اذ تراه أصبح ضنينا فاسد الخلق مذموما من الناس ، والعكس بالعكس ، وليست الغرابة فى ذلك بل الغرابة فى كيف أن الانسان مع اتصافه بالعقل والارادة وتمييزه بين الحسن والقبيح يقبل على نفسه الاتصاف بالبخل بعد الكرم ، والذم بعد الكرامة !! ذلك ما نريد معرفته والوقوف على سبيله فان قيل نه مرفوع الى ذلك بحـركة اضطراريه بدون قصد ولا ارادة فيقال هذا ينافى اتصافه بالارادة وأفعاله عن قصد وارادة كما مر والا لكانت خالية عن كل تمييز والواقع بخلاف لما أن قوة التمييز حاصلة لديه وهو قادر على ان يميز بها بين المتضادين ، فكيف اذن يقبل التحـول من الحسن الى القبيح ، ومن النافع الى الضار وهو يعلم انه كذلك . هذا ما نسأل بيانه خصوصا ممن كان بالأمس ينفع الوطن والاسلام بقلمه ولسانه فأصبح على الضد من ذلك (١) قائما بترويج المقاصد الانكليزية شاحذا غرار قلمه بنشر الفصول

(★) نشرت فى جريدة الاهرام فى العدد رقم ٤٥٥٠ بتاريخ ١٦ فبراير ١٨٩٣ .

(١) يرجح أن يكون المقصود بذلك هو الشيخ محمد عبده .

نجد أن الشيخ محمد عبده والخديو وكرومر وجد كل فى الآخر ما يستغله لتحقيق هدفه ضد الطرف الآخر . فقد استغل كرومر فى الشيخ محمد عبده وما ينادى به من حركات اصلاحية ــ سواء للازهر أو التعليم والادارة ــ ما يشغل الرأى العام عن متابعة المخططات الاستعمارية فى مصر وتدليلا للدول الاوربية على وجود حجة جديدة للبقاء واطالة أمد الاحتلال . أما الشيخ محمد عبده فرأى فى كرومر وسيلة لضرب سلطة الخديو خاصة بعد سوء العلاقات بينهما بسبب حادث الأوقاف ــ الذى دمر العلاقه بين الشـيخ والخديو وعلى إأثرها أيد الخديو موقف مشايخ الازهر المعارضين لاصلاحات الشيخ بل ودفعهم لكتابـة الشكاوى ضده مما دفع الشيخ الى الاستقالة من مجلس الازهر ، خاصة وان الخديو نفسه بدأ فى الابتعاد عن الحركة الوطنية واتجه لاستغلال منصبه لجمع المال . لذلك التقى كل من الشيخ محمد عبده وكرومر على هدف ضرب سلطة الخديو . الا أننا نرى أن الاسنفادة التي حققها كرومر من صداقته للشيخ تفوق =

الطوال المزخرفة بعرض الكلام وطويلة مملوءة بألف دليل مجسم بقالب الغرض يظهر لدى ادنى تأمل أنه صورة مجردة الباطن عن روح الحقيقة وجوهر الصدق مغشاه بسفاسف من القول يقصد بها الاستدلال على حسن مقاصد المحلتين وسلامة نتيجتها على المصريين خلافا لما قام عليه البرهان الحسى لدى العالم أجمع ، من أنها مقاصد ليست من السلامة على شيء بدليل ما هو مشاهد من حركات الحكومة الانكليزية وأعمال رجالها فى هذا القطر واحاطتهم بدوائر الحكومات الملكية والعسكرية احاطة السوار بالمعتصم واستئثارهم بمصالح الأهلين استئثار من غلب على طبعه الطمع وتولاه الغرور ثم اجتهادهم فى اماتة كل عنصر حى مصرى وتعويضه بعنصر انكليزى تطلعا للسلطة المحلية التى كادوا يتوصلون لجعلها سلطة انكليزية فعلا مصربة اسما كل ذلك بحجة الاصلاح وتسترا باسم المحافظة على الأمن والحقوق ولنا بحادثة الوزارة الأخيرة وتطاولهم لسلب حقوق الحضرة الخديوية(١) ٠ لو لم يحل

= تماما ما حققه الشيخ من صداقته لكرومر ، فقد وجد فى الشيخ أداة جيدة تكره طبقة الباشوات ولكن فى نفس الوقت وطنيا صادقا يسعى بجد للاصلاحات الجادة وهو مما تحاشاه كرومر أى أنه أخذ ولم يعط بقدر ما أخذ ٠

وقد كان من الاجدى أن يلتقى اتجاه الشيخ محمد عبده مع اتجاه مصطفى كامل فى اثارة الشعور الوطنى ضد الاحتلال مستخدمين ركيزة احياء التقاليد الاسلامية دون الاتجاه للغرب ٠ الا أن كرومر عمل على الا يلتقى الهدفان المصريان بقدر ما سعى لتشجيع الهجوم على الخديو الذى لم يكن يملك من الصلاحيات الدستورية الا فى نطاق ما تسمح به سلطات الاحتلال ٠ لذلك وجد الشيخ محمد عبده أن فى أسلوبه هذا اضاعة للوقت مع استبداد الخديو وقبضة سلطات الاحتلال وجمود مشايخ الأزهر الذين رفضوا اصلاحاته ٠

ورأى أن الصدام وشيك مع الخديو اذا ما استمر فى خطواته الاصلاحية فاتجه للوجهة الأخرى وهى كرومر فى محاولة لاتقاء بطش الخديو ٠ وقد رأى الشيخ فى موازنته تلك بين سلطة الاحتلال والسلطة الشرعية سبيلا للاطاحة بهما معا حتى وان بدا ذلك فى نظر الاتجاه الوطنى – خاصة مصطفى كامل الذى ملأ الساحة الوطنية بتحريضه الجماهير ومطالبته العلنية بالجلاء – خيانة للحركة الوطنية المصرية وهجوما على الشيخ محمد عبده ٠

– د٠ زكريا سليمان بيومى ، التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين دراسة تاريخية فى فكر الشيخ محمد عبده ، مصر النهضة ، مطبوعات مركز تاريخ مصر القاهرة – ١٩٨٣ ، ص ٨١ – ٨٥ ٠

– عبد المنعم الجميعى . مرجع سابق ، ص ١٠٤ – ١١٣ ٠

– رشيد رضا ، تاريخ الاستاذ الامام ، ج ١ ، ط ١ ١٣٢٤ هـ ، ص ٥٦٩ : ٥٧٤ ٠

ص ٤٩٧ و ٤٩٨ – ٥٦٩ : ٥٧٤ و ص ٥٨٠ : ٥٨٨ ٠

– أحمد شفيق ، مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ ، ق ٢ مطبعة مصر القاهرة ١٩٣٦ ، ص ٣٥ – ٣٩ ٠

(١) انتهز الخديو عباس أن صحة مصطفى فهمى – الذى كان معروفا بميوله الانجليزية – لاتتناسب مع المهام الوظيفية فأرسل اليه مع محمود شكرى باشا رسالة يطالبه بالاستقالة نظرا لظروفه تلك ، ولكن مصطفى فهمى رفض هذا الطلب وأرسل للخديو عباس ردا غاية فى الاستخفاف ؟ وهو أن عليه استشارة اللورد كرومر فى طلب الاستعفاء هذا ٠٠ وكان رد مصطفى فهمى هذا كفيلا باثارة غضب الخديو الذى أصدر قرار اقالة مصطفى فهمى وتكليف حسين فخرى ناظر الحقانية بتأليف وزارة جديدة ٠ ورأى كرومر فى تصرف الخديو هذا محاولة لضرب النفوذ البريطانى ، لذلك ذهب كرومر لمقابلة الخديو واعترض على =

دونهم حزمها العظيم شاهد عدل يؤيد ما هم عليه من فساد المقاصد وسوء النية ودخض ما يأتيه أنصارهم من الترهات الأمر الذى أيقظ المصرى من غفلة طول الأمل ، ونبه فيـه عواطف الوطنية بعد الذبول ، فتحركه فيه روح الشـهامة تحت على الرزانة والسكون. لتعضيد أميره العزيز الذى أحيا فى قلوب المصريين عنصر الأمل ، وأوقف تيار الغايات الانكليزية بنهضته الشريفة ودرايته العظيمة حتى قامت بين الانكليز قيامة الابهام والتعزيز وسلكوا فى هذه المسألة من تلوين الأفعال والاقوال ، كل مذهب كى لا يفتضح بين الدول أمرهم ولا ينكشف لعـالم الانسانيـة على مرسح القسوة والاستبداد ، سترهم وهم يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواهم ويأبى الله الا أن يتم نوره ، اذ ظهرت لدى جميع الدول نتائج ما تكنه السياسة الانكليزية لوادى النيل واتضح الحق لقوم يبصرون والحق يعلو ولا يعلى عليه • فأقامت الدول ذات الشأن على حكومة انكلترا النكير وارسلت عليها من أفواه الحـــق أعظم نذير فأخذها من ذلك المقيم المقعد حتى قام رجالها فى مصر يطالبون جرائدهم المصرية اسما والانكليزية صبغة بحق المدافعة المبتاعة منهم بالأصفر ذى الوجهين (١) فتقدموا اليها بان تطلع فى الظلمه شمسا وتلبس الحق بالباطل لكى يسندوا حجتهم من مصرية تلك الجرائد الى برهان يغررون به الافهام ويبنون عليه صروح الاوهام ولكـــن هيهات هيهات فقد عرف المصرى بعد طول التجارب عدوه من صديقه فلا ينطلى عليه

= ما حدث معلنا أن من حق بريطانيا ـ طبقا لمنشور جرانفيل ١٨٨٣ ـ اختيار الوزراء ، ولكن الخديو رد عليه بحقه الشرعى طبقا للفرمانات السلطانية بحريته فى اختيار وزرائه • وأدى ذلك الى حدوث أزمة وتمسك عباس بموقفه ، ولكن على وعد منه لكرومر بعدم نشر التشكيل الوزارى الجديد فى الجريدة الرسمية للتشاور مع الخارجية البريطانية التى أرسلت ردها بتاييد موقف كرومر ، فرأت السلطـات البريطانية أن فى تصرف الخديو هذا بدون استشارتها اهتزازا لمركزها سيتبعه تمكن الخديو من الحصول على مكاسب أخرى ، وبالتالى ضياع نفوذ انجلترا • لذلك عاد كرومر وقابل الخديو يوم ١٧ يناير وأبلغه بالبرقية التى وصلته من حكومته ولكن عباس رفض رد الحكومة البريطانية واعتراضها على تغيير مصطفى فهمى ، وبذلك زادت الازمة حدة وحاول حسين فخرى تقديم استقالته انقاذا لعرش الخديو ، وفى نفس الوقت رأى كرومر بعد زيارة بطرس باشا غالى وتيجران باشا ملتمسين التساهل فى حل الازمة ـ أنه من الممكن عدم التمسك بعودة مصطفى فهمى للوزارة على أن يعزل حسين فخرى ويتم تعيين رياض باشا ويقدم الخديو بلاغا رسميا ـ مكتوبة صيغته بمعرفة كرومر ـ يبدى فيه رغبته فى أفضل العلاقات الودية مع الحكومة البريطانية وان يتبع فى المستقبل نصائحها •

ـ د• عبد المنعم الجميعى ، مرجع سابق ، ص ٦٥ : ٧٥ •

(١) المقصود بها جريدة المقطم وأصحابها الشوام فارس نمر ، يعقوب صروف ، وشاهين مكاريوس ، حيث اتخذ المحتلون من جريدتهم المقطم بوقا للدعاية البريطانية ، والحط من قدر الحركة الوطنية وقادتها وحكام مصر والدولة العثمانية ، أى احداث بلبلة وارباك للرأى العام المصرى ليصبح فريسة سهلة يمكن تطويقها لرغبات ومؤثرات الاحتلال • والاصفر المراد هنا هو الجنيه الذهبى أى المال •

ـ د• سامى عزيز المرجع السابق القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٩٦ : ١٠٦ •

ـ الياس زاخورة ، مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر مصر القاهرة ١٨٩٧ ، ج ٢ ، ص ٥٣٣ ، ٥٣٤ •

محال المدلسين ولا تغريه سفاسف الاقلام وسبرت دول أوربا حقيقة المسئلة فهى فى غنى عن أخذها من مصادر الباطل وتلقيها من سماسرة السوء ٠

وعسى أن يكون ذلك كله عبرة لأولئك المدلسين الذين يعلمون أن الحق حق وأن الباطل كان زهوقا فيسلكون السبيل الأحاط للذمة والشرف ويخدموا الوطن خدمة صادقة تغنيهم عن التطفل على موائد الانكليز والتسول من أيدى الغريب ولكن رحم الله من قال واذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء ٠

مع أنه وأيم الله لا يضيع عند المصرى جميل وهو حفظ الناس على من حفظه واحبهم لمن أحسن لوطنه كما انه أبعدهم عمن اراده بسوء ٠

وبالاجمال فلا يفيد الحكومة الانكليزية بعد هذا كله الا العدول عن سياسة العنف وسلوك سبيل الانسانية بقيامها بحق الوعود المتكررة بالجلاء عن مصر (١)،

---

(١) منذ ظهور ما يسمى المسألة المصرية ١٨٧٥ لم يوجد ما يبرر الاعتداء البريطانى على مصر سوى المصلحة الاستمارية ويقول « المستر ادوارد ديسى » فى بداية العلاقات المصرية البريطانية « ٠٠٠ اذا قدر لنا أن يتزعزع مركزنا فى مصر فاننا لا نستطيع أن نورد أمام محكمة دولية أى مسوغ قانونى لعملنا ، فعلينا أن نكتب تاريخنا من جديد ٠

اذا كنت تاجرا وكنت لا تريد الافلاس فلا تسر فى عملك على تعاليم المسيحية الأولى ٠ وان انجلترا لا تتجر فحسب ٠٠٠ الخ ، وفى هذا القول ما يوضح الأسلوب البريطانى تجاه مصر منذ بداية العلاقات المصرية البريطانية الذى لم تراع فيه مصلحة قط سوى مصلحتها الاستعمارية ٠

وفى بداية احتلال انجلترا لمصر وجد الساسة الانجليز ان موقفهم هذا غير ثابت أمام الرأى العام الأوربى والرأى العام البريطانى نفسه فأخذوا يمطرون العالم تأكيدات وتصريحات مؤداها ان وجـــود الانجليز بمصر وجود مؤقت ، وقد نفى جلادستون فى احدى خطبه بالبرلمان البريطانى وجـود نية البقاء طويلا فى مصر ثم تبعه تصريح لورد جرانفيل للسفير الايطالى ينفى نية انجلترا بسط حمايتها على مصر ٠ وفى نوفمبر من نفس العام ١٨٨٢ أكد جلادستون أن الحكومة الانجليزية ستحدد مدة الاحتلال بشروط سيتفق عليها مع الحكومة المصرية ٠٠ وفى يناير ١٨٨٣ أعاد لورد جرانفيل هذه التأكيدات فى رسالة بعث بها للدول الكبرى وصرح « ٠٠ اذا كان بمصر فى الوقت الحاضر قوة بريطانية تحافظ على السكينة والأمن العام فان حكومة جلالة الملكة ترغب فى سحب هذه القوة بمجرد أن تسمح حالة البلاد ، وبمجرد وضع الأساليب والطرق التى تضمن المحافظة على سلطة الخديوى ٠٠ » وفى سنة ١٨٨٤ صرح السير بارنج «« ان حكومة جلالة الملكة لا تريد أن تأخذ بزمام الحكم فى مصر لا بصفة دائمة بمعنى ضم البلاد لاملاكها ولا بصفة مؤقتة بمعنى بسط الحماية ٠٠٠) وفى نفس الوقت صرح لورد جرانفيل الى مسيو ودنجتون السفير الفرنسى » ٠٠ ان حكومة جلالة الملكة تريد سحب جنودها أوائل ١٨٨٨ بشرط أن ترى الدول أنه لا يخشى من ذلك على السلم والنظام ٠٠٠٠ » وفى عام ١٨٨٦ صرح لورد سالسبرى « ٠٠ انه يجدر بانجلترا أن تفى بوعودها المقدسة وتجلو عن الأراضى المصرية » ٠

وقد يعتقد بعض المؤرخين أن تصريحات انجلترا هذه فى بداية احتلالها لمصر لم تكن على بينة من أمرها أو حسمت موقفها من مصر ، وانما يعتقد أن أنجلترا كانت تعرف تماما ما تريد وتضع مصر نصب عينيها ، فمصر هى الطريق بين الشرق ـ حيث مستعمراتها فى الهند والغرب حيث مصالحها فى البحر المتوسط وأعالى البحار وكذلك ما يضيفه وضع مصر الجغرافى بالنسبة لأنها مدخل لعمق القارة الافريقية =

لكى يندمل جرح المصريين فيكونوا جميعهم لها من الشاكرين فقد رأت من النهضة المصرية والحزم العباسى ما يدحض القول بأن لا رجال فى مصر ويقطع دون اهتضام كل رجاء فلا سبيل بعد ذلك لغير معاملتهم بالجميل والله الموفق فى كل حال ٠

= الغنية بمواردها الطبيعية وهو ما كانت نسعى اليه انجلترا ٠ أما كثرة ما قيل من تصريحات فهو حتما مجرد تهدئة للخواطر والأمور سواء بالنسبة للرأى العام العالمى أو المصرى أو البريطانى الشعبى حيث نتمكن من فرض الأمر الواقع سواء باللين أو بالقوة أو بالتقادم ٠

– تيودور روزشتين ، تاريخ المسألة المصرية ١٨٧٥ – ١٩١٠ ، ترجمة عبد الحميد العبادى ومحمد بدران ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٢٣٠ ، ٢٣٢ ٠

المدنية وتعميم التعليم *

مهما بحثنا فى تواريخ الامم ، ونظرنا فى آثار الانسان ، لا نجد أمة عظيمة قامت على الأرض وتوفرت لديها وسائل القوة والنجاح الا بالعلم (١) ، ولا نرى أثرا جليلا الا وينبئنا عما لصاحبه من القدر ، وما كان عليه من علو الهمم ٠ هذا المشرق لقد مضى عليه فى عهد شبيبته وزمان زهرة ونضرته أجيال تدرجت فى مهدها المدنية حتى بلغت أشدها من الكمال وقامت فيها للمعارف والعلوم سوق تزاحم فيها الشعوب الشرقية تزاحم الورود على الماء الزلال ، فاستكملوا أسباب الترقى ومهدوا سبل العمران فتوفرت لديهم وسائل القوة والنجاح ، فشيدوا الممالك وعمروا الأمصار وأقاموا للتمدن بقوة الحياة الأدبية دعائم ما كانت لتقوى على هدمها عاديات السنين والأيام ، لو لم يكن النقص مقارنا للكمال والدهر لا يستقيم على حال ٠

اذا تم شيء بدا نقصه ترقب زوالا اذا قيل تم

(*) نشرت بجريدة الاهرام يوم الجمعة ٢٤ فبراير ١٨٩٣ ٠

(١) كانت حالة التعليم فى مصر سيئة للغاية ، اذ عمد الانجليز منذ دخولهم مصر الى سياسة اضعاف التعليم ، وقصر نشاط المدارس على مجرد تخريج كتبة للدواوين الحكومية ، أما التعليم فى حد ذاته فلم يكن هدفا لانجلترا فى مصر ، حتى لا تكون هناك أصوات متعلمة تنادى بمصلحة البلاد دون مصلحتها ، وأصبح التعليم مجرد « نجلزة » للمصريين ، بل لقد وصل الأمر الى الغاء التعليم المجانى فى مدارس الأوقاف ، وأصبح برنامج التدريس لا يزيد عن القراءة والكتابة والحساب البسيط ، لذلك اتجهت دعوة مصطفى كامل لحث الأمة على نشر التعليم القومى فى أرجاء البلاد ، حتى تقوى الروح الوطنية فى نفوس الشباب ، ودعا الاغنياء الى انشاء واقامة المدارس الأهلية على نفقتهم ٠ وأول من لبى تلك الدعوة هو حسين بك القرشولى أحد أعيان القاهرة الذى أسس مدرسة على نفقته بالحلمية ٠ ثم تلاه كل من محمد أفندى سعيد التومى وأحمد أفندى صادق ، اللذان أسسا مدرسة فى باب الشعرية فى يناير ١٨٩٩ ٠

— تيودور روزشتين ، تاريخ مصر قبل الاحتلال وبعده ، تعريب على أحمد شكرى ص ٤٦٩ : ٤٨٤ ٠

— عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ ٠

— المجلة التاريخية ، مصطفى كامل ، بحوث القيت فى الندوة بمناسبة مرور مائة عام على مولده ، القاهرة ١٩٧٦ ، صلاح عيسى ، مصطفي كامل وقضايا الاصلاح الاجتماعي ص ص ١٧٩ — ١٨٧ ٠

حيث عبثت بهم بعد ذلك يد الاستغراق فى نعيم الرفاهة والتلهى عن المعارف والعلوم ، بالتحاسد الذميم فتطرق الى نظامهم الخلل ، وأخـــذت عوامل الانقسام والتقهقر تتولى على الشرق ومازال يضعف نوره وتتراخى قواه حتى ظهور الاســلام وقيام الأمة العربية بخدمة المدنية والعلم خير قيام · اذ عاد مظهر المشرق وقتئذ بمظهر جديد ودبت فى عناصره روح الحياة ، فاستقامت له الأحوال وتحلى من المدنية بحلل البهاء والكمال ، اذا لم يترك الخلفاء فى عصرهم وسيلة من وسائل تعميم التعليم الا اتخذوها ، ولا طريقة لبث انوار المعارف الا سلكوها فشيدوا المدارس ورتبوا لها المرتبات وتقدموا لأهل الفضل بترجمة الكتب العلمية من جميع اللغات ورغبـــوا الناس فى الاقبال عليها والاقتباس من فوائدها ، فراجت سوق العلوم ، وأينعت رياض الفنون ، وكثرت التآليف والتصانيف ، فعمت الرغبة فى العلم وتوفرت بذلك مواد القوة للخلفاء فدوخوا الممالك وعمروا المسالك ، وأصبحت الامة العربية فى أقل من جيل وقد ملأت الخافقين دينا ولغة وعلما وأدبا وسياسة وغير ذلك من الأمور التى هى نتيجة تعميم التعليم ، ومثابرة الخلفاء على بث روح المعارف والعلوم بين الناس ، وانتقائهم لترويج مقاصدهم وادارة مهام الاعمال خيرة الرجال وأفاضل الناس ومشاركتهم فى كل عمل لفطاحل العلماء ومشاهير الفضلاء حتى كانت الممالك العربية فى أيام زهوها محفوفة بأهل العلم مشيدة على دعائم النجاح مشرقة بأنوار الفضيلة والفضل ·

نعم ذلك لم يدم للشرق ، لكن لما طرأ عليه من العوارض الكثيرة حينما تغيرت الأعمال وساءت نيات الرجال فتقلص ظل العلم الا لدى الخاصة الذين استعملوه لغير وجهته وحملوه على غير محمله ، فشوهوا وجه الفضيلة ، وكانوا سببا لتداعى أركان العلم ، وزوال صولة الملة فتلاعبت بالأمم الشرقية من ذلك الحين أيدى التفريق وعم بينهم الجهل وما زالت بهم الحال بين ادبار واقبال حتى قضى على بقية ما لديهم أو كاد ، بقيام الأمم الغربية وظهور المدنية الأوربية التى تأسست على قواعد حفظ لثباتها ، وأضمن لاستمرارها وأهم تلك القواعد تعميم التعليم بطرق سهلة ووسائط مقبولة كافلة لحسن مستقبل الشعوب الغربية حتى كان من نتائجها التدريجية ما نراه الآن من انتشار المبادىء العلمية بين جميع طبقات الناس من أولئك الشعوب ومشاركتهم للهيئة الحاكمة فى كل عمل (١) مقتضاه جر المنفعة للوطن أو دفع الضرر عنـــه

(١) كان مصطفى كامل فى رفضه لسياسة الاحتلال يسعى دائما لفكرة تكوين حكومة وطنية مفيدة ، فكما أن التقدم الحضارى فى ظل الاستعباد والاستعمار مرفوض من الجبهة الوطنية بقيادة مصطفى كامل فان الاستبداد الوطنى كذلك مرفوض ، لذلك كان مصطفى كامل ينادى بحكومة ديمقراطية كالحكومات الأوروبية التى تشعر بما على عاتقها من واجبات أمام شعوبها · بجانب أن الهيئة الحاكمة فى كل بلد انما هى جزء لا يتجزأ من الهيئة المحكومة لا فارق بينهما ولا امتيازات للأخرى على حساب الأمة فالهيئتان فى نظر مصطفى كامل ـ الحاكمة والمحكومة ـ انما هما هيئتان متبادلتان للمصالح والخدمات متبادلة الثقة فيما بينهما فالحكومة خادمة للشعب . أما الاستبداد فهو قابل للنبوغ والروح الوطنية ويطالب بأن =

ولا يخفى ما يترتب على ذلك من الاهمية التى أقلها مراقبة أعمال الهيئة الحاكمة ، والزامها بالسير على طريق السلامة فى جميع الاحوال ، لئلا يحدو بها استئثارها بالعلم الى جعل الهيئة المحكومة آلة صماء تضعها يد الأغراض حيث شاءت .

اذ من المقرر أن كل هيئة حاكمة لابد أن تكون عالمة ، والعلم اذا لم يكن مقرونا بالفضيلة أو العمل يؤدى بصاحبه الى استعماله فى غير وجهته فى كثير من الأحيان ، فاذا استأثرت الهيئة الحاكمة بالعلم دون الهيئة المحكومة وكان علم أفرادها غير مقرون بالفضيلة وهو الأغلب يتصرفون بمصالح الرعية تصرفا لا يحتمل اتيانه بنتيجة حسنة قط .

وأما اذا كانت مبادىء العلوم عامة بين أفراد الهيئة كما هى لدى الهيئة الحاكمة ، فلا يمكن للأولى أن تستعمل علمها بأية وجهة يتأتى عنها ضرر الثانية مادامت مشاركة لها فى العلم ، ورقيبة عليها فى كل عمل لا فى بعض احوال خفية ربما يتعذر وقوف العامة عليها .

ولا يستغرب قولنا (وهو الاغلب) اذ قل آن تجتمع الفضيلة والعلم الا بما استثنى منه افراد يعدون على الأنامل فى كل هيئة حاكمة مهما تنوعت أشكالها ، ولا حاجة بنا الى أن نستدل على صحة ذلك بأكثر المسائل الاختلاسية الراهنة كالمسألة البانامية فى فرنسا ومسألة مصارف التوزيع فى ايطاليا ومسألة السلاح فى المانيا (١) . فانها جميعا لم تصدر الا عن اعاظم رجال تلك الأمم المتصدرين فى

= تكون الأمة هى صاحبة الكلمة العليا فان رضيت الأمة عن عمال الحكومة ظلوا فى مراكزهم يؤدون واجباتهم أما ان حادوا عن ذلك فتعزلهم أممهم . وبذلك نرى أن رؤية مصطفى كامل للمسألة المصرية ككل ليست فى وجود الاحتلال البريطانى فقط بل أيضا تأخر الشعب المصرى فى ادراك حقوقه الشرعية وذلك لا يتحقق الا عن طريق تطوير التعليم خاصة الذى يؤدى الى بناء الاقتصاد المصرى ونعنى به التعليم الفنى صناعى وزراعى وتجارى .

ـ مجلة الجمعية التاريخية ، مجموعة بحوث ألقيت فى الندوة بمناسبة مرور مائة عام على مولد مصطفى كامل ، صلاح عيسى ، مصطفى كامل وقضايا الاصلاح الاجتماعى ص ١٨٢ ـ ١٩١ .

(١) تعرضت حركة النهضة التى تولاها مصطفى كامل لكثير من عوامل الاحباط ، منها عدم أمانة من حوله ، فساق بعض الأدلة على قيام السلبيات فى الدول الأوربية نفسها ، فبعد نجاح حفر وافتتاح قناة السويس فى مصر دعا فرديناند ديلسبس الشعب الفرنسى للاكتتاب لفتح قناة بناما فى أمريكا الوسطى للوصل بين المحيطين الهادى والأطلنطى ، إلا أن الشركة المكلفة بأعمال الحفر توقف عن المشروع وأعلنت افلاسها عام ١٨٩٢ ، وذلك بسبب التلاعب فى حسابات وأموال المشروع مما أدى الى فضيحة مالية وهياج الرأى العام الفرنسى .

ـ أنور الرفاعى وشاكر مصطفى ، العالم الحديث القاهرة ، ص ٢٠٠ .

كما نجد أنه بالنسبة لقطاعات الحياة الاقتصادية الايطالية الرئيسية كانت يد ألمانيا تسيطر عليها تماما فكانت مشروعات المصارف الايطالية فى أيدى عدد من المصارف الألمانية وأشهرها « المصرف التجارى » =

الهيئة الحاكمة الذين لم يتوصلوا الى المناصب العالية التى وسدت اليهم الا بشهرتهم بالعلم وكفاءتهم للرئاسة ومع ذلك فحيث تحرر علمهم عن الفضيلة فعلمهم كان مخالفا لها أيضا الا أنهم لما كانوا فى هيئة حاكمة لن تستأثر بالعلم دونه الهيئة المحكومة فقد افتضح أمرهم وكشف الحق سترهم فجوزوا بعملهم حين لم ينفعهم علمهم ولو صدر عنهم ذلك فى شعب عم فيه الجهل وانفردت حكامه بالسلطة والعلم فاستعملوها فى سبيل الغاية لما أصابهم شيء من ذلك مهما تمادوا فى سلب الأمة وخراب البلاد ٠

ومما اعتبر من أركان المدنية الغربية وأهم أسباب انتشـار المعـارف لدى الشعوب الأوربية حرية المطبوعات (١) ، وأخصها الجرائد سياسية كانت أو علمية فانها قامت بخدمة المدنية والعلم خير قيام وكانت هى الوصلة الحقيقية بين الحاكم والمحكوم لبث الأولى لأنوار الفضيلة والعلم بين الناس ومراقبة الثانية لأعمـال العمال فى الهيئة الحاكمة ، لايقافهم عند حد الواجب وتطهيرهم من درن الغرور ، فتراهم محاسبين بسببها على كل ما يصدر عنهم من الأعمال ، متوخين طرق الحكمة فى كل حركة وسكون ، فلا يتجرأ أحدهم على أى عمل يخالف مبدأ الاسـتقامة ، ويضر بصالح الشعب والمملكة ، مادامت الجرائد الصادقة معدة صـفحاتها لقيد أعماله ونقد أفعاله ، خدمة للحق وقياما بالواجب حتى تبودلت الثقة لذلك بين الهيئتين الحاكمة والمحكومة فتساعدتا على كل ما من شأنه جلب المنافع العمومية والاستمساك بواجب الحقوق الوطنية وأصبحت الجرائد لدى الشعوب المتمدنة من أهم ما تدعو اليه الحاجة وتقوم به حياة الشعب الأدبية ، وتدور عليه رحى السياسة

= الذى أنشىء عام ١٨٩٤ باشراف بليشرودر Bleichroeder رجل مصارف بسمارك ، وكان هذا المصرف هو الذى يساعد المشروعات الالمانية الكبرى الخاصة بالكهرباء وكان له نفوذ على مصانع صناعة الاسلحة لذلك يمتلك أغلب الاسهم فى الشركة العامة الايطالية للملاحة مما ساعد على تزايد النفوذ الاقتصادى الالمانى فى ايطاليا ٠

ــ بيير رنوفان ، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥ ــ ١٩١٤ ، تعريب جلال يحيى ط ٢ القاهرة ١٩٧١ ص ٨٦٣ ، ٨٦٤ ٠

(١) ضرب مصطفى كامل على هذا الوتر كرد فعل لموقف الاحتلال من الصحافة فى مصر وتكبيلهـا بالمصادرة تارة وبالقوانين الجائرة تارة أخرى ، فمنذ وضع الاحتلال قدمه فى مصر عطل الصحف الوطنية الموالية للعرابيين وصدر أمر ناظر الداخلية فى ٢٣ سبتمبر ١٨٨٢ بالغاء جريدتى (الزمان والسفير) ٠

بل وتعقب السلطة للصحف العربية المصرية التى كانت تطبع فى الخارج أيضا كمجلة (أبو نضاره والعروة الوثقى) ٠

ولقد كان المحتلون متشددون فى تعرضهم للصحافة المصرية رغم توصية لورد دفرين لهم بمنحهـا (حرية تامة) معتمدين على جذور الضغط القديمة التى بذرها الخديو توفيق بسنه قانون المطبوعات ١٨٨١ ٠

(ولمزيد من المعلومات فى هذا الموقف يمكن الرجوع الى : سامى عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى) ص ص ٧٥ : ٨٧ ٠

فهي مجرى أقلام الكتاب ، ومطمع نظر الساسة ؛ ومنعكس أشعة أفكار العلماء ؛ وبهـا تعلن جلائل الأعمال ، وتشتهر مناقب الرجال كما أن فيهـا تعدد الحسنات وتحصر السيئات ، فهي لذلك مصباح الاسترشاد ومرقاة الأفكار وداعية الرهبه والتهذيب والباعثة على الرغبة والنشاط .

وبالاجمال فما ذكرناه هو أقل ما ترتب على تعميم التعليم وحرية الجرائـد في أوروبا فضلا عما نتج عن ذلك من توسع الشعوب الأوربيه في جميع الفنـون العلمية وترقينهم من المدنية الى درجة جعلت الشرق بعد ذلك المجد الباذخ في حاجة للغرب حتى بالضروريات الحيوية وهذا لعمر الحق انذار كان لنا .

وأننا ليسرنا معاشر العتمانيين (١) ما نراه من جلالة مولانا أمير المؤمنين الذى أحيا فى قلوب الأمة الضعيفة الأمل وأعاد للشرقين ايام الخلفاء الأول من الاهتمام بهذين الأمرين العظيمين واخصهما ، تعميم التعليم وتوجيهه العناية الفائقة بانشاء المدارس ونشر العلوم والمعارف فى جميع أنحاء السلطنه السنية ، حتى أننا لذى (٢) المدارس التى أنشئت فى عهده السعيد على مصرف الحكومة لا تقل مادة التعليم فيها عن مثلها من مدارس أوروبا وذلك ما يبشرنا بكل مستقبل حسن ان شاء الله تعالى ، الا أنه يعوزنا لتدارك خطر المدنية الاوروبية والوصول الى الغاية المطلوبة سـلوك طريق لتعميم التعليم أقرب سرعة واستعمال وسائل أعم فائدة ان الوسائل المتخذة لذلك الآن سواء كانت جبرية أو ترغيبية غير وافية بغرض أمير المؤمنين الذى من

(١) بدأت الحركة السياسة فى مصر آنئذ مصرية صرفة ولكن سقوط مصر تحت وطـأة الاحتلال البريطاني وفقدانها حريتها حولها الى حركة مستظلة بالحركة الاسلامية (الجامعة الاسلامية) وهذا التحول طبيعى اذ أنه بالضرورة أن ينحول المصريون الذين فقدوا حريتهم واستقلالهم تحت وطأه الاحتلال المختلف عنهم فى الدين والعادات الى الدولة العثمانية باعتبارها متماثلة معهم فى الدين ومتقاربة فى التقاليد وقد استقبلت الدولة العثمانية ذلك التقارب بكل تعضيد بل وساندت فكرة الجامعه الاسلامية .

وقد رأى مصطفى كامل فى الدين الاسلامي دافعا ومحركا للقومية المصرية فى مواجهة التيار الغربى الذى اندفع مع المحتلين والذين حاولوا هم فرضه على المجتمع المصرى بشتى الأساليب ومن هذا المنطلق دعا وعمل على تأصيل وتدعيم الحركة الوطنية المصرية بالدولة العثمانية داخل اطار فكره الجامعة الاسلامية التى دعا اليها جمال الافغاني والشيخ محمد عبده وعبد الله النديم وعبد الرحمن الكواكبى . ولقيت دعوة مصطفى كامل بصورتها هذه استجابة كبيره من الشعوب والدول الاسلامية ، وقد رأى مصطفى كامل فى تشيعه للدولة العثمانية الخطوة الأولى التى يجب أن تتخذها مصر فى طريقها نحو التخلص من الاحتلال ثم بعد ذلك تصبح الأمور أكثر يسرا للتخلص من التبعية العثمانية .

الا أن دعوته بتلك الصورة وجدت من يعارضها ورأوا فى ذلك استبدال التبعية لانجلترا بالتبعيـة العثمانية وأن ما يطالب به مصطفى كامل هو استقلال ناقص التكوين ومن ثم باتت مأخذا عليه .

ـ الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مصطفى كامل ، بحوث القيت بمناسبة مرور مائة عام على مولده ١٨٧٤ ـ ١٩٧٤ ، الفكر السياسى لمصطفى كامل ، محمد محمود السروجى ص ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) جاءت فى الأصل هكذا وصحتها « لنرى » .

مقتضى ارادته السامية تعميم التعليم بين جميع طبقات الرعية بدون استثناء والواسطه لذلك سهلة سنبسطها برسالة تاليه ان شاء الله ، واملنا بالله وبعنايه الخليفه الاعظم أدام الله ملكه ان نرى قريبا من نتائج حكمته ومزيد سهره على مصلحه رعيته ما يجعل المملكة العثمانيه فى مقدمة الممالك الشرقيه فى مسابقه الامم الأوروبية بدليل ما هو مشاهد فى جميع العثمانيين من ترقى الافكار وعظيم الانتباه وما رزقوه من صفاء الخواطر وقوة الضمير ، ولا سيما وهم فى مركز هام من الشرق يساعدهم على نيل الغايه اولا بسبب قرب اتصاله بالغرب ، وتيسر تلقيه لمواد المدنية مباشرة بدون كثير عناء ، وثانيا لتوسطه بين بقية الممالك الشرقية والقارة الأوروبية وكونه بهذه المزية نقطة الاتصال التجاريه بين الجهتين وهو لذلك مركز كان له من الأهمية فى كل جيل من الاجيال ما جعله منبت الرسل ومهبط الشرائع والوحى ومظهر المدنية ومطمح انظار الفاتحين ومقرا لاعظم الأمم قوة وأسماها علما ومدنية حتى توالى عليه من عصور الشدة والرخاء ، ما لم يتوال على مركز فى القسم المعمور ٠

ولا شبهة فى أن الله تعالى سخر فى هذا العصر لبقاء أهمية هذا المركز وسلامة عناصره ، واحياء شعوبه من وهب قوة العلم والحكمة وعظيم السياسة والقوة ما جعل الأبصار شاخصة اليه والقلوب والآمال متعلقة عليه ، الا وهو فخر آل عثمان وفريدة عقد السلاطين العظام ومولانا السلطان الغازى عبد الحميد خان أيده الله بأيده الاسنى وأمده بعونه العظيم ومتع الامة والبلاد بطول بقائه واجرى على يديه من الخير ما به رفعتها ان الله كريم مجيب (١) ٠

---

(١) قدم مصطفى كامل بهذا الاسلوب ٠ دليلا لمن أخذوا عليه هذا التصرف ، فهو وان كان مضطرا للسير فى ركاب السلطان العثمانى لضرب قوى الاحتلال البريطانى الا أنه كان يمكن أن يكون بشكل أكثر احتراما لكرامة المصرى ٠

الأعمال بمقاصدها *

« لست والله ممن يقول كلمة يريد بها جزاء من زيد أو تقربا من عمرو ، بل هو الحق يضيق بهالصدر ، فيعلنه اللسان ، وهو لئن سر قوما فانه يسيء آخرين ، لكن لا سكوت مع الحجة ، ولا عي مع البرهان ، فاننا معاشر المصريين قد مضى علينا سنون عشر لم نسمع فيها سوى كلمة الصبر ، ولم نستفد من المحتلين الا المن علينا بالاصلاح ، وهو وان حصل في بعض الشؤون فانما ضررة لا يوازى ما يستفيده منه المصلحون ، فانا لو نظرنا الى نتائج أعمالهم التى أجروها فى هذا القطر منذ بدأ الاحتلال الى الآن لا نرى نتيجة أتت بفائدة على القطر خاصة ما لم تكن أفيد لهم وأعم لمصلحتهم ، هذا اذا لم يقابلها من الضرر ما يوازى النفع أو يزيد عنه أضعافا ولنكتف الآن بذكر ما ابتليت به جنديتنا والبوليس من ذلك الاصلاح ، وما نشأ عن تداخل المصلحين في شؤونها من الضرر أو النفع لنرى ما هى النتيجة التى عادت على القطر من هذا التداخل والاصلاح فنقول فاما البوليس(١) فانهم رأوا أن ادخال الاصلاح عليه وتنظيمه لدرجة أحسن من ذى قبل لا يتم الا بتداخلهم الكلى فى أموره واستبدال نظامه الماضى بنظام جديد موافق للغرض لا لمصلحة البلاد التى لا تتأتى

(★) نشرت فى ٨ مارس ١٨٩٣ فى الاهرام .

(١) عمل لورد دفرين للمحافظة على الأمن العام فى المدن الكبرى ـ على انشاء قوات بوليسية يبلغ مقدارها ١٦٠٠ جندى وينضم اليهم بعض الأوربيين لتعيينهم فى الاحياء السكنية التى يقيم فيها الأوربيون بالقاهرة والاسكندرية مع الاستغناء عن معظم العناصر المسيحية والاناضولية والالبانية وتوضع قيادة البوليس تحت قيادة قائد « الجندرمة » وهيئة تفتيش هيئة مشتركة وتوضع قوة البوليس فى القاهرة والاسكندرية تحت رئاسة قائدين أوروبيين .

وفى ٩ يناير ١٨٨٣ أصدر الخديو توفيق أمرا بتعيين الفريق فالنتين بيكر Valantine Baker مفتشا عاما « للجندرمة » والبوليس وقومندانا عليهما وتعيين السير افلين وود سردارا للجيش المصرى ورئيس أركانحرب . وقد عمل الجنرال بيكر على تنفيذ مخطط لورد دفرين على ان تكون الجندرمة قوة موازية للجيش .

ـ د. عبد العظيم رمضان ، الجيش المصرى ودوره فى السياسة ١٨٨٢ ـ ١٩٣٦ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٣٧ ـ ٣٩ .

الا بواسطة رجالها الخبيرين بأحوالها وعوائد سكانها ، فسنوا له اللوائح المتعددة ، ورتبوا النظامات المتباينة ، وساعدتهم الظروف فى التداخل ، فشرعوا فى عزل من أرادوا من ضباطه الوطنيين واستبدالهم بضباط انكليز يجهلون أحوال البلاد وعوائد الأهلين ، وأخذوا ينازعونه السلطة مع النيابة العمومية تارة والمديرين أخرى ، أخيرا تدرجوا من ذلك الى جعله ادارة مستقلة خارجة عن سلطة المديرين وضمها لادارة الضبط والربط التى أصبحت فى أيديهم آلة صماء تديرها يد الأغراض كيف تشاء فنشأ عن عملهم هذا ثلاثة أمور • أولها حصر سلطة المديرين فى جباية الأموال ونزع ما كان لهم من النفوذ بواسطة تسلطهم على البوليس وناهيك بما ترتب على ذلك من زياده جرأه الاشقياء على انتهاك حرمة القانون ، وعدم تهيب الحكام بسبب ضعف نفوذ المديرين • وثانيها استحواذهم على قوة البوليس المتوقف عليها تقرير الأمن العام وما ظنك بعد هذا بالأمن وما هى حجة الاحتلال ؟ وثالثها زيادة الارتباك فى الأعمال وعدم استقرار البوليس على حال من الاحوال لجهل رؤسائه بأمور البلاد ومخالفة نظامه لعوائد الأهلين ، حتى تسبب عن ذلك جميعه من الخلل العام فى ادارة البوليس وفقدان الأمن الداخلى من القطر بزيادة اللصوصية والجنايات ما لا يحتاج الى بيان لوقوعه تحت الحس ومشاهدته بالعيان •

واما (١) الجندية فانهم منذ الاحتلال أخذوا على انفسهم اصلاحها اصلاحا موافقا للنظام والانتظام ، واشترطوا ادخال بعض الضباط الانكليز فيها ، ليتم

---

(١) بدأت انجلترا تنظر الى الجيش المصرى فى أعقاب احتلال مصر مباشرة نظرة خاصة • فصدرت الأوامر بتجريد الضباط الذين اشتركوا فى الثورة العرابية وحكم على القادة بالنفى المؤبد خارج مصر ، أو تحديد اقامتهم فى بلادهم تحت مراقبة البوليس ، وفى نفس الوقت الذى كانت تجرى فيه عملية هدم وتصفية الجيش ــ وذلك طبعا بموافقة الخديو حيث أن تصفية الجيش المصرى يخدم كليهما ــ كان التفكير والدراسة على قدم وساق لاحلال قوة عسكرية بديلة بحيث يقضى على احتمال قيام أى ثورة عسكرية أخرى مستقبلا بل وحماية المصالح الأجنبية بصفة عامة والبريطانية بصفة خاصة لذلك أرسلت الحكومة البريطانية لورد دفرين الى مصر لاعادة بناء النظام الادارى بما يكفل توطيد سلطة الخديو وسلطة الاحتلال ، وقد أكدت حكومة جلادستون على أهمية دراسة تعديل نظم الجيش والبوليس •

وقد رأى دفرين أن يقوم جيش قوامه ستة آلاف جندى مع استبعاد العناصر الانكشارية والأجنبية مع استثناء الأتراك المصريين أو المتمصرين من أصل تركى ، أما من حيث الاشراف فيكون مبدئيا تحت اشراف مباشر لجنرال انجليزى ومساعديه من الضباط الانجليز • ويقول دفرين ان هذه هى رغبة الخديو ووزرائه وهى رغبة تلقائية بدون أى ضغط • ويمضى دفرين فى تنظيم وتقسيم الجيش مع مراعاه ابعاد الضباط المصريين عن الأماكن والرتب الحساسة ، حتى لا يعوق وجود الضباط الانجليز ترقية الضباط المصريين للرتب الأعلى •

لذلك قسم سلاح المشاة قسمين الأول يتولاه ويخدم فيه الضباط الانجليز والقسم الثانى يكون للضباط المصريين وكذلك الوضع بالنسبة لسلاح المدفعية يكون قائده ونائبه بريطانيان ثم وضح دفرين التكوين النهائى للجيش المصرى من ٥٦٠ فرسان وآلاى واحد ، ٤٦٤ مدفعية (٤ بطاريات) ٤٧١٢ مشاة (٨ أورطة) ، ٢٥٠ هاجانة ، ١٠٤ مهندسون ، ١٠٢ مدفعية سواحل ، أما الضباط الانجليز فسيبلغ عددهم ٢٧ ضابطا •

بواسطتهم المرغوب كما هو المعلوم ، الا أنهم تعدوا مع الاستمرار قاعدة الانصاف في هذا الأمر حيث رأوا انه مع وجود احتلالهم العسكرى فى القطر ، ولا لزوم لوجود عسكرى مصرى يقوده ضباط وطنيون صادقون لوجه عدة نضرب صفحا عن ذكرها الان فجعلوا يولون على قيادة الفرق من أبناء جلدتهم الضباط الكبار لتكون الجندية طوع أمرهم ٠

ثم رأو ان من الاحوط للمصلحة جعل الضباط الصغار أيضا ان لم يكونوا منهم فممن تربوا على المبادىء الانكليزية أو ترقوا بواسطة الانكليز ، لكى لا يخدموا الحكومة والوطن بل يخدموا الاغراض فالاول تيسر لهم بواسطة المدرسة الحربية فالتلميذ الذى لا يحصل على الشهادة فى غير مصر باقل من عشر سنين يحصل عليها من مدرسة الحربية المصرية فى سنة واحدة أو سنتين ٠ والثانى حصلوا عليه أيضا بتحويل مئات من الضباط الخبيرين على المعاش وترقية سواهم ممن لا خبرة لهم بأمور الجندية قط حتى انى لأعرف فى مصر ثلاثة اخوة لأب واحد حى كانوا قبل الاحتلال فى حالة الخمول لا يعرفون الجندية فاصبحوا الآن وهم فيها من أهم أركان الانكليز ٠

ثم لم يكفهم ذلك حتى اشرأبوا الى الحربيــــة فاتاحت لهم الظروف ان تولوا امرها (١) وجعلوها انكليزية محضة ثم ناطوا القيادة العامة (السردارية) ومعاونيها برجال منهم فأصبحت الجندية المصرية آلة فى يديها تديرها كيف تريد وتمحو من

وبذلك نرى أن لورد دفرين قد وضع ضمانات تكفل عدم قيام الجيش المصرى بأى ثورات أو حركات تمرد أخرى ، فقد عمل على التخلص من العناصر التركية والشركسية التى أدت لقيام الثورة العرابية وأبقى على العناصر المتمصرة من أصل تركى ٠ أما قياده الجيش فهى تحت أمرة قائد عام انجليزى فى حين انه وضع نصف أسلحة الجيش لترقى الضباط المصريين حتى يتفادى احداث الجيش العرابى ٠ وقد عمل دفرين على تكوين قوة مدنية موازية للجيش تستخدم لقمع بوادر أية ثورات للجيش وهى قوة « الجندرمة » مهمتها المحافظة على حدود مصر الصحراوية من غارات البدو ومهمتها داخل المدن مقصورة على الاعراض المدنية وقد وزعت قوات الجندرمة على جميع أنحاء القطر وتعسكر أكبر الوحدات فى نقط مرور القوافل من والى مصر ٠ بجانب أورطتى احتياط كل منهما تتكون من ٥٠٠ جندى احداهما مشاة والأخرى سوارى ومركزهما القاهرة والخدمة فيها عن طريق التطوع ٠ وقد وضعت قوة الجندرمة تحت قيادة مفتش أوربى ونائب وأربعة ضباط أوربيين وذلك بالنسبة للاورطتين الأخيرتين أما باقى قوة الجندرمة فقد تركت المناصب العليا مفتوحة للضباط المصريين ٠

وقد تبعت الجندرمة الوزارة الداخلية والغرض من ذلك هو فصل الجندرمة عن الجيش حتى لا تتأثر بنفس روح الجيش وعوامله بحيث لا تصبح فرعا له ولا تنقل اليها روح أى تمرد قد تنشأ فى الجيش وتكون قادرة على قمع هذا التمرد ٠

ـــ د٠ عبد العظيم رمضان مرجع سابق ص ٣٠ ، ص ٣٦ ٠

(١) كان المتولى أمر نظارة الحربية فى تلك الفترة يوسف شهدى باشا الذى كانت له مساعيه الخاصة بالتحركات العسكرية المصرية فى السودان منذ عام ١٨٨٦ ٠

راجع محمد فؤاد شكرى ، مصر والسودان ، القاهرة ١٩٦٣ ص ٣٩٣ وما بعدها ٠

دفاترها ما نشاء وتثبت وتقذف بها تارة الى الحدود واخرى تفرقهـــا فى اطراف السودان بحجة صد الهجمات السودانية واطفاء شعلة المهدوية التى لا تخمد مـرة الا أثيرت اخرى .

ومن الغريب اســـــتيلاء الانكليز بشراذم قليلة على الأوغنده وما والاها من الاقطار الافريقية وتوغلهم فى تلك المجاهل لاخضاع برابرتها الأسود لراية الحرية والتمدن ، وتمكنهم من ذلك بأقل كلفة سواء كان بالقوة أو بالحيلة وعدم اقتدارهم مع توالى سنين عشر على اخضاع شراذم متقطعة قد جعلت الغارة والسلب دأبها . على أطراف الحدود المصرية ، ولديهم جيش منظم عظيم من شبان المصريين الذين جعلت دماؤهم الزكية فداء للأغراض بالسودان ، وهم مع ما هم عليه من الشجاعة والاستعداد لا يخرجون عن حد قول القائل :

وليس بمأســـور فترجو فكاكة وليس بمطلوق العنان فيرســـل

ولعمر الانسانية والحق لو ترك الأمر فى السودان لحكومتنا المصرية لأصبح الآن لها أطوع من البنان ، فتمهدت فيه سبل التجارة والامن وانتعشت مصر بانداد عضوها المفصول عن جسدها (١) الذى لاتزال ولن تزال تتألم له ، اذ والله لو لم يكن للانكليز سيئة فى هذا القطر الافصل السودان عنه لكفاها ذلك مسودا لبيض اعمالها ودليلا على نتائج مقاصـــدها ، وافعالها ، وهى كبيرة لا تغتفر فى جـانب الانسانية وجريرة لأظهر عيبا من صـــدورها من أمة الحرية فان السودان(٢) لم

---

(١) واضح هنا موقف مصطفى كامل من السودان باعتباره جزء مكمل لمصر .

(٢) منذ نشوب التنافس والصراع الفرنسى الانجليزى فى نهاية القرن ١٩ على استعمار حوض النيل الأعلى أخذت بريطانيا تعمل على الفوز بما لم تحصل عليه فرنسا ، لذلك أثارت فكرة حملة استرجاع السودان وحاجة مصر للأموال لتجهيز الجيش لهذا الغرض واثارة تحديد مستقبل السودان بعد حادث فاشودة وتصريح انجلترا بأن وجود القوات الفرنسية خرق لحقوق المصريين وبريطانيا العظمى وبذلك اوضحت بريطانيا عن نواياها فى السودان ، وكانت أولى خطواتها فى تنفيذ مخططها هذا عام ١٨٨٤ ، بابداء النصح لمصر باخلاء السودان ، ثم عادت واتخذت خطوتها الثانيه باعادة النصح باسترجاعه ، ولكن بمساعدتها حتى يكون لها حق المشاركة في ادارته ، خاصة وأن السودان أصبح أرضا « بلا مالك » بعد مغادرة الجيش والادارة المصرية . وحقيقة الأمر أن انجلترا لم تدخل معارك استرداد السودان الا اعتمادا على اسم مصر وحقها الشرعى فى السودان ، ولما تم اعادة الفتح اتخذوا من هذا الحق رمزا للسيادة كلما اضطروا لذلك وقد عمل المستشار القضائى البريطانى مالكولم ماكيلرث Malacolm Mclluraith ترجمة الفكرة السياسية البعيدة عن المطق الى لغة قانونية تدل على مدى المهارة وتنفيذا للصالح الانجليزى أولا وأخيرا ، وقد أقرها سالسبورى الذى وافق على انشاء دولة مولدة Hybrid State فى شكل حكم ثنائى Condiminium لادارة السودان وقد وقعت اتفاقية السودان عام ١٨٩٩ فى ١٩ يناير ، والتى على أساسها منحت بريطانيا حق الوصاية الفعلية على أساس حق الفتح .

ــ يواقيم رزق مرقص ، تطور نظام الادارة فى السودان فى عهد الحكم الثنائى الأول ، ١٨٩٩ ــ ١٩٢٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ص ٣٩ : ٤٥ .

تلتحم بهذا القطر الا بدماء رجاله ولم تخضع للراية العثمانية الا بهمة أبطاله وبذل أمواله وهي هي تلك الأقطار الشابة التي هدرت فيها دماء الشهداء ، لا لتكون غنيمة باردة للانكليز بل لتكون مدخرا للمصريين ، وملجأ واسعا لراحة الاهلين ومصدرا لثروتهم ومحطا لتجارتهم ومورداً لأموالهم خصوصا في مثل هذه الأوقات التي عم فيها ضنك الفلاح وقلت مصادر الرزق على الضعفاء فاتخذوا السلب والنهب حرفتهم ، فعاثوا فسادا في القطر ، الذي أصبح مهدد الأمن داخلا منهم وخارجا من السودان :

فأينما سرت منهم ركبت مركبا خطرا
وان قعدت فلا انجو من الخطر

كل ذلك نتيجة أعمال الانكليز التي لم تكن الا بمقاصدها ولا يسرهم وأشياعهم المترددين برداء الخيانة والرقاء ، الا ان يروا مصر في حالة الضعف والتأخر والمصريين في وهدة الفقر والخمول ، حتى أننا لنراهم بعد ذلك الاطناب في مدح أعمال ساداتهم (١) التي زيفها دورنا الحديث قد حولوا مجرى أقلامهم الآن لتغرير المصري بالاستسلام الى عوامل اليأس والقنوط فجددوا لطنبور الغايات نغمة واختلقوا لتضليل الأوهام فكرا جديدا وكأنهم غفلوا عن ان للمصري عضدا لا توهن معه قواه ونصيرا لا يغفل عن مصلحته طرفة عين ألا وهو أميره العباس المعظم ورجال حكومته الكرام الذين هم أدرى بمصالح الأمة وأحرص على حقوق البلاد من أن تمسها يد بسوء خصوصا ولهم من دولتنا العلية أعظم نصير بدليل ما هو مشاهد من توثيق روابط الاخلاص بين أميرنا المحبوب والخليفة الأعظم وما ناله سموه من جلالته السامية من الالتفات الدال على حرصه ايده الله على المصالح المصرية وصيانة حقوق الأمة والمملكة اعانهما الله جميعا على ما به رفعة شأن البلاد انه كريم مجيب .



(١) يقصد بهم أصحاب جريدة المقطم فارس نمر ، يعقوب صروف ، شاهين مكاريوس وهي جريدة موالية لسلطات الاحتلال وبتشجيع من كرومر حيث كانوا يقومون بتنفير الأمة والتلويح بسوء مقاصد الخديو وتكرار الاعتراف بسلطة الاحتلال ، بل ويعترف كرومر نفسه بموالاة المقطم لسلطات الاحتلال أثناء خلافه مع عباس حول الوزارة المصرية والتشكيك في الحركة الوطنية .

- **سامي عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها** من الاحتلال الانجليزي ، ص ص ٩٦ : ٩٩ حتى ١٠٦ .
- **الياس زاخوره ، مرآة العصر** ؛ ح ٣ ، ص ص ٥٢٣ و ٥٣٩ .

الجامعة ★

من تأمل فى المجتمع الانسانى وما اشتمل عليه من الأجناس المتباينة والاجزاء المتفرقة ، وما بينها من التقابل والتضاد ، والتجاذب والتنافر ، ثم نظر الى حركته الدائمة ، وتلاطمه المستمر رآه كالجسم المركب من أجزاء متعددة ، وعناصر مختلفة هى مع بعدها عن المشاركة وشذوذها عن التآلف ، متحدة الحركة متفقة العمل بما يؤول لبقاء الجسم وصيانة حياته ، حتى انا لنرى تلك الجراثيم المنتشرة بالجسم الممتزجة منه باللحم والدم مع ما هى عليه من الحرب الدائمة ، والنزال المستمر الذى لا ينتهى بينها الا بظهور القوى منها ، ودثور الضعيف لم تكن بذلك الا خادما للجسم من حيث هى مخدومة منه · أيضا بما أعد لها فيه من المستقر الهنىء والغذاء المرىء ، الا ان المجتمع الانسانى وان اتحد حركة باعتبار المبدأ الذى يقصد به جر المنفعة المشتركة وهى ما به قوام الحياة الأدبية وبقاء النوع فقد افترق غاية ، فتفرق باعتبار ذلك الى شعوب عدة لكل منهم وجهة خاصة ، هو موليها حتى استلزم ذلك تعدد عناصره ووقوع التباين بين أجزائه ، وعدم اتفاقها غاية كما هى عليه مبدأ مما جعل كل جزء منها قائما بذاته ، منفصلا عن نوعيته ولما كانت الغاية التى هى داعية التجزؤ النوعى تختلف باختلاف الشعوب والقبائل كما تقدم ، فقد استحال التوفيق بين مقاصد أصناف الانسان فأدى ذلك الى حصول التنافر ووقوع التشاجر فكان من هذا أن رجحت الكثرة على القلة وغلبت القوة على الضعف ·

وهذا ما دعا الشعوب الى أن تطلب المنعة بقوة التضام والالتئام ، بالتجائهم الى جامعة عامة تتحد بها الكلمة وتشتد العزيمة فتقوى على دفع بعضها البعض ، وكلما اتسع نطاق الجامعة فتضامت بها حلقات الشعوب المتفرقة كان ذلك أدعى لحفظ نظامهم الاجتماعى وأمنع جانبا من أن تمسه يد المتغلبين بسوء لهذا السبب

(★) لا يقصد مصطفى كامل فى مقالته تلك بالجامعة كمكان تعليمى وانما يقصد تجمع الشعوب تحت راية الدولة العثمانية وهذا ما اتضح من سياق المقالة ، فهى دعوة الى فكرة الجامعة الاسلامية تحت راية الدولة العثمانية ·

قد يكون من الأمم من تتألف من شعوب مختلفي المذاهب والاجنـــاس ، وقد دعتهم ضرورة الاحتماء بقوة الجامعة الى الانقياد لحكم واحد والارتباط بكلمة جامعة تمسكا بوحدة المصلحة العامة التى من مقتضاها صيانة الحقوق الشعبية والاســـتئثار بالاختصاصات الوطنية التى انما تصان فى جانب القوة وتعدم فى جانب الضعف ٠

وفى هذه الحال يمكن اعتبار الأمم كل منها كجسم واحد أيضا مستقل فى نفسه مهما تباينت أجزاؤه وتعددت أعضاؤه فانه سليم بسلامة تلك الأعضاء ما لم يتعطل عضو منه وينفصل جزء منه كاليد اذا شلت والعين اذا أغمضت فان لكل منهما اعتبارا عظيما بالجسم لقيامهما بأهم الوظائف التى يترتب عليها جلب المنفعة له ودفع الضرر عنه فاذا فقدتا أضرتا به ضررا يكون به الى جانب العجز أقرب منه الى جانب القوة فيقف بازاء غيره موقف الساكن حركة الناقص عملا الواهن قوة ولا أدنى من الخطر على أمة حاول بعض أعضائها الانفصال منهـا أو احتيـل بانفكاك بعض أجزائها عنها بداعى تباعد الجنسية القائلة بتفريق المختلف وجمع المتشاكل (١) فان المصلحة العامة القائمة بقوة الجامعة مقدمة على المصلحة الخاصة التى هى فى جانب الضعف أقرب الى العدم منها الى البقاء وكلما اتسعت سلسلة الجامعة بما ينضـــم اليها من حلقات الشـعوب كان ذلك أحفـظ لمصلحتهم الخاصة ولارتباطها بالمصلحة العامة التى انما بصيانتها تصان الأولى اذ سلامة الكل سلامة الجزء ومن نظـر فى تاريخ البشر لا يجد أمـــة عظيمة قامت على الأرض ثم تطرق اليها الضـــعف والاضمحلال الا بعلة تفريق أجزائها الملتئمة وانفصال أعضائها الملتحمة مما تهــن معــــه قواها ، وتنفصم عروة اجتماعها ، فتقع فى الخسران وتعلو بها كفة الميزان فتخفض من سطوتها وتحط من قوتها فتحجم عن التقدم فى مضمار المسابقة لمـن عداها من أمم الأرض فيمكن منها الوهن ، حيث يتمكن منها الدخيل(٢) وهناك يعز الدواء وتسوء المغبة وليس من باعث على ذلك كله الا تفريق الوحـدة الجـامعة ، وتمزيق السلطة الواعية والعاقل من نظر الى ذلك بعين الاعتبار ، فطرح التعصب الجنسى وتحاشى الاندفاع مع قوة التجاذب الشعبى مائلا بكليته الى حيث تصـــان المصلحة الوطنية المضمونة بقوة الجامعة التى لا فرق لديها بين تباين الاجنـــاس وتعدد المشارب فى جانب اتحاد الغرض الذى يسعى اليه الجميع ، الا وهو جر النفع ودفع الضرر ٠

---

(١) يقصد مصطفى كامل بذلك شعوب البلقان التى أصبحت فى ثورات دائمة ، محاولة التخلص من سيطرة الدولة العثمانية ، بحجة الاختلاف العنصري (دينى وجنسى) ، وذلك بمساعدة انجلترا وروسيا ٠

فمنذ ١٨٠٥ ـ ١٨١٣ أخذت بلاد البلقان طريقها الى الاستقلال عن الدولة العثمـانية واحدة وراء الأخرى ، فاستقلت بلاد اليونان عام ١٨٣٢ ، ورومانيا عام ١٨٥٦ ـ ١٨٧٨ والصرب ١٨٣٤ ـ ١٨٧٨ والجبل الأسود ١٨٨٧ ،وبلغاريا ١٨٧٨ ـ ١٩٠٨ ٠ وكان لروسيا أكبر الأثر فى هذا ٠

ـ د٠ محمد أنيس ، الدولة العثمانية والمشرق العربى ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٦٨ : ١٧٠ ٠

(٢) المقصود بذلك انجلترا وروسيا وتحريضهما لدول البلقان ضد الدولة العثمانية ٠

المعلمون والتعليم فى مصر ★

ان تعميم التعليم من أهم الاسباب الداعية لنمو العمران القائمة به حيـــاة الممالك والبلدان ، خصوصا فى هذا العصر الذى أصبح التعليم فيه من الحاجيـات بعد اذ مرت عليه عصورا اعتبر فيها من الكماليات ، حتى انا لنرى الممالك المتمدنة تتسابق فى ميادين المعارف الآن تسابقا لم نعهد له نظيرا بين الأمم فيما غبر مـن الازمان لما عاد عليها بسبب ذلك من المنافع الأدبية والمادية التى تعجز عن حصرها العقول ، وتبهت عند النظر اليها الابصار وهو ما دعا حكومات الشعوب المتمدنة الى الا يتركوا واسطة من وسائط اتقان التعليم الا اتخذوها ولا وسيلة ناجحة لبث روح المعارف الا اسـتعملوها ولما كان حسن مستقبل البـلاد متوقفا على أبنائها المتعلمين ونجاح هؤلاء معقودا بنواصى المعلمين ، وكلما توافرت فى المعلم شروط اللياقة التى تؤهله لان يقوم بتعليم المثين من أبناء بلاده ازدادت بذلك فوائد التعليم وانتشر بين الأمة نفعه العظيم ، فقد رأت تلك الحكومات أن الواجبات الأولية جعل المعلمين من أفاضـــل الرجال الذين حنكتهم التجارب ، وهذبتهم التربية فاستكملوا أســـباب الفضائل ، وأهلوا لنيل هـذه الوظيفة المهمة التى يتوقف على اسـتيفاء شروطها فى المعلم الحياة الادبية لألوف من الاحداث حتى اعتنوا لهذه الغاية بانشاء المدارس الخاصة لصنف المعلمين ، ليمارسوا فيها الأصول التى تؤهلهم الى تولى التعليم ، وتجعل بهم الكفاية للقيام بواجب التربية والتفهم وكان من نتائج ذلك ما نشاهده الآن من نجاح الممالك المتمدنة فى أصول التعليم ، ورقى أهلها فى المعارف والعلوم الى درجة لم تنلها الامم من قبل .

ولسوء الحظ أن ديارنا المصرية مـع كونها فى مقـدمة الممالك الشرقية التى ادخل اليها التعليم من عهد المغفور له محمد على باشا ، بطلها المشهور ، وكان من المنتظر أن نرى نتائجه التدريجية وأصله فى هذه السنين الى أحد الكمال مشمولة بعناية الدولة المحتلة ، التى لم تبن دعائم احتلالها الا على كلمة الاصلاح ، نرى الحالة

(★) نشرت فى جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠ أبريل ١٨٩٣ .

فيها بالعكس لما هو ملم من الخلل الظاهر بنظام المدارس ، مما حرم المصريين من الوصول الى الغرض المقصود منها ، والتمتع بفائدتها الحقيقيـة اللهم الا ما يتلقاه أبناؤهم من بعض اللغات الأجنبية التى أصبحت بها المدارس المصرية دارا للمناظرات السياسية لاسناد أمر التعليم فى جلهـا ان لم نقل فى كلهـا الى معلمين يخالفون التلامذة لغة ومشربا وقد جعلوا عنايتهم بث مبادىء جنسيتهم بين الأولاد واجتهادهم فى تعليمهم اللغة التى ينتمون (أى المعلمون) الهادون النظر الى لزوم اتقان بقية العلوم والفنون(١) ، فكانت المدارس المصرية لهذا السبب بمثابة مدارس لغـات لا مدارس علوم وفنون وهو أمر قد نشـأ عنه المضـار ما يضيق دون ذكره وتعداده المحال الآن وسنفرد له كلاما خاصا ان شاء الله ٠

(١) ان اهمال التعليم من اظهر وجوه حكم الاحتلال البريطانى خاصة أيام كرومر وقد استفاد الانجليز كثيرا عندما احتلوا البلاد مما زعموه من عدم استعداد المصريين للحكم الذاتى ووعد اللورد دفرين فى تقريره المشهور بأن ترفيـه التعليم سيكون من أهم ما يحرص عليه الحكام الجـدد حتى لا تـكون صيحة « مصر للمصريين » صيحة جوفاء وقد كان اهمال التعليم فى مصر من جانب الانجليز أكثر منه فى أى دائره أخرى يقول روزشتين : « ٠٠٠ فى عهد اسماعيل حتى عندما أرهقه الدائنون كان يستطيع أن ينفق على التعليم سنويا ٨٧٫٠٠٠ جنيه ٢٣٫٠٠٠ منها من ماله الخاص ٠٠٠ وبعد مضى خمسة وعشرون عاما أى فى عام ١٨٨٨ كانت ميزانية التعليم تبلغ ٧٠٫٠٠٠ جنيه فقط ، ويقول اللورد كرومر « ان الحاجة الى المال كانت هى العقبة الأولى فى طريق الترقى السريع » أو فى طريق كل رقى كما ينبغى ان يقال اذ أن الاوربيين بمجرد أن أخذوا بزمام الحركة الادارية فى مصر قد ضحوا بكل شىء من أجل حملة السندات وقد مضى السادة البريطانيون على سنتهم هذه فى عام ١٨٧٧ والتى تلتها خفضت نفقة التعليم الى ٢٩٫٠٠٠ جنيه وفى عهد المراقبة الثنائية بلغت ٧٠٫٠٠٠ جنيه فقط وقد بقيت كذلك مدة العقد الثانى كله ، ثم بدأت تزداد بعد عام ١٨٩٠ فى حين أن انجلترا تنفق على التعليم أكثر من ٧٪ من ميزانيتها عدا الضرائب المحلية الخاصة بالتعليم ٠٠ » ويتابع روزشتين « ٠٠ ان سكان مصر الذين يزيدون عن ١١ مليون نسمة ليس فيهم من يستطيع القراءة والكتابة غير ٦٠٠٫٠٠٠ نسمة ، يزيدون قليلا وهى نسبة لا يسـوغها أى برهان ولا أية حجة خاصة اذا لاحظنا القناطير المقنطرة من الذهب التى كانت تصب صبا على السودان والسكك الحديدية والجسور وغيرها من الأمور التى تعود بالربح ٠

ولم يكن يخلو مركز من مدرسة ابتدائية ولا عاصمة مديرية من مدرسة ثانوية وكان الى جانب هذه المدارس الابتدائيـة والثانوية ستة مدارس عالية فضلا عن أربع مدارس حربية فانحط أكثر المدارس الابتدائية الى مستوى الكتاتيب وأغلقت المدارس الثانوية غير ثلاث ولم تنشأ مدرسة عالية واحدة حتى زمننا هذا ٠٠ » ٠

ويتابع روزشتين قائلا « ٠٠٠٠ نقرأ فى آخر تقرير كتبه الدون جورست » ان الأحداث الذين يحضرون بالمدارس الابتدائية يبلغون ٧٩٤١ حدثا بنقص ٢٨٣ حدثا عن السنة الماضية ٠٠٠ وقد رفض ٨٠ طالبا بالقاهرة ولعدم وجود محال لهم » ، « ٠٠ ان عدد الطلبة بالمدارس الثانوية ينمو بسرعة رهيبة وقد أصبح من المستحيل أن تزداد الفصول عن الحد المعقول ولاقلال هذه المتاعب قد حدد عدد المستجدين » ، « ٠٠ ان مدرسة المعلمين قاصرة على الشيوخ وبها تسعة فصول يشغلها ٢٧٥ طالب مقابل عشرة فصول كانت يشغلها ٣٠٣ طالب وقد نقص عدد طلبة المدرسة حتى لا يتخرج من المدرسين غير العدد المطلوب ٠٠ »

وبذلك نرى أن سلطات الاحتلال عمدت الى النقص والتحديد وعدم ايجاد الأماكن اللازمة لاستيعاب المتقدمين الجدد ٠

ولوسائل المصلحون الذين ينظرون لانتشار لغتهم الانكليزية بين المصريين بعين السرور والابتهاج عن الأسباب الداعية لوجود معلمين من غير أبناء البلاد بعدم كفاءة المصرى لتولى أمر التعليم وعدم أهليته له ، وهو قول مجرد عن كل عدالة وانصاف اذ الحقيقة تخالف ذلك ، وهى أن من ترشح لحاجة المدارس الوطنية التى تفتح أبوابها اضطرارا لقبول معلمين من الانكليز وغيرهم مع أنه يمكن تدارك هذا الخلل بزيادة مدرسة أو مدرستين على مدرستى المعلمين الحاليتين وهما دار العلوم الخاصة بمعلمى الفنون العربية ومدرسة المعلمين التوفيقية الخاصة بمعلمى العلوم والفنون الرياضية أو توسيع نطاق المدرستين المذكورتين لدرجة تخرجان بها من المعلمين سنويا من به الكفاية للقطر والأهلية التامة لتولى التعليم وانما ذلك يخالف رغبة المصلحين الذين لو سلمت نياتهم لما كانوا هم الباعث على اطراد هذا الخلل العظيم بما يلقـونه من العثرات فى سبيل تقدم المعارف فى هذا القطـر ، وفضـلا عما تقدم فان هناك طامة كبرى على المعلمين الوطنيين ، وهى جعل رواتبهم قليلة جدا بالنسبة لرواتب المعلمين من الانكليز الذين امتازوا بهذه النعم المصرية ، فقضـوا على الوطنيين باليـأس من اجتهادهم والقنوط من مستقبلهم فضعفت فيهم الأمال وتثبطت الهمم وسرى اليأس لغيرهم فأقعدهم عن الاهتمام بتضييع الوقت العقيم للاستحصال على وظيفة التعليم والانخراط فى سلك المعلمين كما هى الحال فى المتعلمين أيضـا الذين يفنون زهرة العمـر فى سـبيل تحصيل العلوم التى تؤهلهم لخدمة الحكومة ونفع الوطن العزيز وعندما يقصدون لها بابا يجيدون دونه من الموانع سدا قد أحكمت وضعه يد الغايات

= على أن التقهقر فى التعليم لم يكن قاصرا على عدد المدارس وحسب ، بل انقلب التعليم والمدارس لمجرد معامل تعمل على تخريج موظفى الحكومة وأصبحت المدارس أداة « نجلزة » للمصريين ، بجانب أنه ليس فى البلاد بأسرها غير ست مدارس عالية أشهر ما يدرس بهـا علم الحقوق والهندسة ومع ذلك فبرامجها الدراسية لا يتعدى مستواها المدارس الثانوية أى أنه يكفى لمجرد تخريج من يشغلـون الوظائف الثانوية والسبب فى ذلك أن المرتبات الضئيلة التى ينقدها أهل الوظائف الصغرى • تحول دون استخدام الاوربيين ، لذلك أصبح من الضرورى بقاء المدارس العالية القديمة حتى يؤخـذ العدد المطلوب للوظائف المذكورة من أبناء البلاد •

ولم يكن التاريخ المصرى وتاريخ العرب داخلا فى برامج التدريس الثانوى بحجة أنه غير ضرورى لامتحان ما يسمى بالشهادة الثانوية وهى الشهادة الوحيـدة التى تفتح لحاملها باب الوظائف الحكومية والتدريس • أما التعليم الابتدائى فلم يكن اجباريا ولا مجانيا • وقد الغى التعليم المجانى فى مدارس الاوقاف ولم يكن البرنامج فيها يزيد عن القراءة والكتابة والحساب •

أما أكبر آفات التعليم فى مصر فهى اسناد وظائف التدريس الى الانجليز وذلك حتى يتم فرض اللغة الانجليزية وأسلوب تفكيرها وهو ما كان يسعى اليه لورد كرومر تنفيذا لمخططات سياسة الاحتلال

- تيودور روزشتين ، مرجع سابق ص ص ٤٦٩ : ٤٨٢ •
- الرافعى ، عبد الرحمن ، مرجع سابق ، ١٣٩ ، ١٤٠ •
- المجلة لتاريخية ، نفسه ، صلاح عيسى ، نفس المقال ص ١٧٩ : ١٨٧ •

فيتولاهم اليأس ويستولى عليهم الخمول(١) وهـذا مما ليس لتلافى ضرورة المحسوس الا همة مولانا العباس ، الذى أرانا من حبه لصالح أمته ورغبته فى ترقية شأن المعارف فى البلاد ، ما لابد معه وصولنا ان شاء الله الى الغاية المطلوبة فاننا فى عصر نحن فيه أحوج الناس الى أمير مثله ، قد وهبه الله من الحزم والثبات ما تتحقق به آمالنا وتنجح مقاصدنا بمن الله وكرمه ٠

لا تجد من المواضيع التى تجرى على أسنه أقلام الكتاب وأطراف ألسن الخطباء وفى خواطر المفكرين موضوعا أجدر من هـذا الموضوع بالعناية وأحق الالتفاتات ٠ فانه يكاد يكون الجوهرى بين سائر المواضيع ٠

فانه من الواجب على كل هيئة من الهيئات الاجتماعية أن تعنى ببث أشعة العلم فى الأفهام كل العناية ٠ ونحن اذا نظرنا نظرة عامة فى هـذا الشأن عندنا وجـدنا ما يضحك ويبكى وشر البلية ما يضحك ٠

فلماذا لا تستاء كل نفس لما هو مشاهد محسوس من النظام التعليمىأ الحاضر ؟ اننا نقول ولا نخشى لومة لائم انه لولا ما فطر عليه المصرى من الذكاء المفرط بشهادة

---

(١) بدأت سياسة الاستعانة بالأجانب لشغل المناصب العليا فى الادارة المصرية منذ نظام المراقبة على مالية مصر ، بحجة رعاية المصالح الأجنبية وكانت الغلبة فى ذلك الوقت للجانب الفرنسى ، حيث أن الخديو اسماعيل كان أميل لفرنسا منه لانجلترا ، فكانت تتم معظم الأعمال الادارية باللغة الفرنسية ، ووجد الخديو تلك المواصفات متوفرة فى العناصر السورية التى تتقن اللغتين العربية والفرنسية بجانب درايتهم بفنون الادارة وطموحهم الغير محدود فى العمل ٠

أما بعد وقوع الاحتلال الانجليزى لمصر فقد رأى كرومر أنه « لا أمل من قيام المصريين ــ مسـلمين وأقباط ــ بذلك » ومن ثم فقد كانت هناك رغبة بريطانية قوية فى احلال عناصر غير مصرية فى ادارة شئون مصر حتى يتم لانجلترا حرمان المصريين من أن يكون لأى منهم حظ فى اداره بلادهم ، وحتى تستمر خطة بريطانيا وحجتها فى عدم مقدرة المصريين على ادارة البلاد ، وبالتالى وجود سبب لامتـداد بقاء انجلترا فى مصر ٠

وقد راعت بريطانيا أن تكون المناصب العليا ذات الحساسية من نصيب الانجليز الذين يراعون تماما مصلحة بريطانيا ومآربها فى مصر ٠ أما المناصب الاقل أهمية ومرتبة فهى أيضا للأجانب غير المصريين من العناصر السورية الذين وجدت فيهم انجلترا شغفا بالعمل وطموحا غير محدود بجانب توافر معرفة للغتين العربية والفرنسية ، واللتان لم يكن الانجليز على دراية بهما وكانت السائدة فى ذلك الوقت قبل تمام عملية « النجلزة » ، خاصة وأن انجلترا اصطدمت بعدم تعاون المصريين من مسلمين وأنباط وقد اعتبرت انجلترا العنصر السورى أرقى من المصرى وأكثر تمدينا وآخذا بالحضارة الغربية ٠ وقد أدى ذلك لحدوث احتكاكات وصراعات بين المصريين والسوريين وعدم استقرار اتخذته انجلترا مبررا ــ عن عمد ــ وثغره لزيادة تدخلها فى شئون مصر ٠

ــ سامى عزيز ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ و ١٠٧ ٠

ــ تيودور روزشتين ، تاريخ المسالة المصرية ، القاهرة ١٩٨١ ص ٢٢٤ : ٢٢٦ ٠

ــ تيودور روزشتين ، تاريخ مصر قبل الاحتلال وبعده ترجمة على أحمد شكرى القاهرة ــ ١٩٢٧ ص ص ٤٦٩ : ٤٨٢ ٠

التاريخ والخصوم أنفسهم (قال اللورد كرومر) « فطر المصرى ذكى الفؤاد » لما سمع ان النشىء المتخرجين من هذه المدارس نابغة واحـــدا أو متعلما ذا مواهب عاليـــة ومدارك سامية .

ونحن لا نريد أن نطيل فى بيان ما فى هذا النظام من الخلل والاضطراب الذى لا ينشىء ملكه ولا يعين على ظهور موهبة فهذا كله ظاهر معروف . ولو جمع ما كتب فى هذا الموضوع أمس واليوم فى هذا الصدد لبلغ أن يكون مجلدات ضخمة ولكن نريد أن نقول ان هذه الحكومة ستذوق من فوضى هذا النظام مرارة لا تساغ فاذا شاءت الأمة أن تحسن صنعا فلتضاعف همتها فى تكثير دور العلم ومعاهد المعارف فوق الهمة الحالية ، فان الأمة التى لا تخدم نفسها لا يخدمها أحـــد(1) ، وهذه الحكومة التى يقلبها الاحتلال بين يديه ذات اليمين وذات الشمال محال أن تقترن ارادتها بالخير والحسنى واذا اقترنت وهـذا بعيد لم تجد من نفسـها انبعاثا على تحقيق الآمال . ولا عجب فانه لا تأثر مشترك بيننا وبينها وانما هى قطعة شلاء لا تحس بما به نحس و لاتتأثر بما به نتأثر .

---

(1) من الأهداف الرئيسيه التى سعى اليها مصطفى كامل دائما فى خطبه ومقالاته : دعوة أثرياء مصر لاقامة المدارس الأهلية لتعليم النشء المصرى وما يتناسب وقيمنا ولغتنا ، وما يتناسب والتطور الحضارى لمحاربة السياسة الانجليزية فى تحطيم الفكر والتعليم المصرى ، والاكتفاء بتخريج مجموعات من الكتبة والموظفين ذوى الأفق المحدود ، حتى يقبلوا العمل فى الوظائف الدنيا ذات المرتبات الضئيلة ، ويتسنى للاحتلال افساد الفكر المصرى والناشئة المصرية بحيث يخبو بعد فترة أى صوت يستطيع التفكير فى المناداه باخراج بريطانيا من مصر . وقد فطن مصطفى كامل لخطة الاحتلال تلك لذلك نراه فى معظم خطبه يكثر من دعوة الأغنياء المدارس الأهلية .

- تيودور روزشتين ، تاريخ المسألة المصرية ، ص ٤٦٩ : ٤٨٢ .
- عبد الرحمن الرافعى ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ و ١٤٠ .
- المجلة التاريخية ، صلاح عيسى ، نفس المقال ص ١٧٩ : ١٨٧ .
- خطبة مصطفى كامل فى الاحتفال بافتتاح مدرسة حسين بك قره جوللى ١٨٩٩
- خطبة مصطفي كامل بالاسكندرية ١٣ يونيو ١٨٩٧ ؛

الرسالة الأولى (١)

البحر

أودع أوطانا يسوء وداعها وأترك أمصارا يسر لقاؤها
وأركب بحرا بره موطن الندى وأمنه عم البلاد سخاؤها
يذكرني منه الصفاء مراتعا بها نفس ذى الآمال تم صفاؤها
ألا أيها البحر العظيم بنا اتئد فمصر تجلى للعيون بهاؤها
تمهل فمصر موطن العز والندى ومصر (أخا النعماء) جم هناؤها
بلادى حماك الله من كل غادر وأبقاك للدنيا فأنت سناؤها
أغادر منك الثغر والقلب شيق وعينى يجارى هاطل الغيث ماؤها
فرفقا بمن فى البر والبحر مخلص يرى مصر شمسا لا يحاكى ضياؤها
عليك سلامى ياديار تحية تدوم وأشواقى اليك انتهاؤها

لابدع اذا كانت الاسكندرية بجميل منظرها وجليل مظهرها تستوقف الأبصار عند مغادرتها وتخطف الأنظار ساعة الخروج من بوغازها لا سيما أنظارنا أبناء النيل حيث نسلب عقولنا وتخلب مداركنا عند مشاهدة ديارنا الزاهية وربوعنا الباهية تغيب عن أعيننا شيئا فشيئا حتى تختفى تحت حجاب من الماء سميك وينعدم وجودها من بين الصور العينية بعد أن كانت واقعة تحت المرأى لا يحجبها عن العيون حجاب لعمرى ان اختفاءها مما يدعو لسكب الدمع وضياع الرشد واختفائها تختفى عنا أوطان يعز علينا فراقها فيها نشأنا ومنها ظهرنا وبخيرها تمتعنا واليها ترجع آمالنا فهى محط رجالنا ومقصدنا طول الحياة بها أعز أنواع البشر لدينا وأحبهم الينا هى بلادنا بلاد الخيرات التى لا تعادلها بلاد ولا تحاكيها ديار عذب ماؤها عزيز برها نقى هواؤها طيب مناخها تركناها والحنين عام والحسرة شاملة وودعناها حيث أودعناها

---

(١) كتبت هذه المقالة وهو على متن الباخرة « الجيبوند » فى ٥ يوليه ١٨٩٤ ونشرت بجريدة الأهرام فى العدد ٤٩٦٧ الصادر فى ١٤ يوليو ١٨٩٤ . وهذه الرسالة وما تلاها أرسلها لنشرها وهو في سفرته الأولى الى أوروبا فى ذلك العام .

فؤادا مخلصا وقلبا صادقا وسألناها أن نبقى دائما كما عهدناها شفوقة علينا ذاكرة لنا سالمين كما غادرناها بنعمة منها وافية ٠

احتجبت عنا هذه المواطن العزيزة بعد ساعتين من خروج السفينة من البوغاز بأجلنا الطرف فى أنحاء هذه الباخرة التى تقلنا فاذا هى كما عهدنا مثيلتها فى السنة الماضية بلد متسع يبلغ سكانه نصف ألف فيه كل ما يحتاج اليه الانسان من رفيق موافق وجليس أنيس وكتاب يشفى الهموم ويطرد الأحزان ومأكل ومشرب كما تهوى الأنفس الآكلين والشاربين ومبيت لا يتعب كثيرا فهى أشبه شىء بجزيرة متحركة يصح أن يطلق عليها اسم جزيرة الجيروند وعلى من يسكنها أمة الجيروند (باسم الباخرة) الا أنها أمة مختلطة يستحيل أن تربطها من الروابط غير رابطة دوار البحر ولعب الأحشاء ولكن الباخرة على كمال استعدادها بها عيب عظيم وأظنه عاما فى كل الجوارى المنشآت وهو أنها متى توسطت هذا البحر المتلاطم بالأمواج لعبت ذات اليمين وذات الشمال كما تلعب الأرجوحة بالأطفال وبلعبها تلعب أمهاء من أقلته من ذكر أو أنثى ٠

وليعذرنى القارىء الكريم اذا لم أستطع تمثيل حالة البحر فى اليوم الأول وفى نصف اليوم الثانى فقد كان شديد الموج عظيم الريح مضطرب الحركة قوى السلطان لم يصف لحظة من اللحظات بل دام يصعد بالباخرة نحو السماء فلا نرى الا ماء وينزل بها نحو الماء فلا نرى الا سماء حتى أذعن كل السكان الى دواره وناموا متفرقين بعضهم على السطح والبعض الآخر فى غرف النوم ان رأيتهم حسبتهم سكارى وما هم بسكارى ولكنهم فى بحار الدوار تائهون لا حراك بهم ولا هم يفقهون ٠

تلك حالة أغلب السياح فى اليوم الأول وفى شطر من الثانى والجارية لا يراها من عوالم الوجود الا عالم الماء والسماء ٠

ولما انتصف يوم الاثنين وأخذت الغزالة تبعث أشعتها العمودية حتى ظهرت جزيرة كريد بجبالها الشامخة المتوجة بالثلج المستديم الذى يراه السائح وقت الظهر وقد انعكست عليه أشعة الشمس الذهبية كأنه جبل من التبر الخالص ٠

وقد دنت لنا هذه الجزيرة الغنية بشهرتها وثروتها عن الذكر فسرحنا فيها الطرف وأجلنا النظر والبحر بجوارها على أتم سكينة ونحن فى حماها على أكمل نعمة ٠

وما احتجبت عن النواظر حتى غربت الشمس بعد ترددها المعهود واحمرارها المشهود وقد استمر ليل هذا اليوم الثانى مخلصا فى وداده رؤوفا فى معاملته ولم يكفه رعاه الله لطفه الذى حمدناه عليه الحمد الجزيل بل أوصى علينا اليوم الثالث فظهر كريم السجايا جميع العواطف رخاء ريحه صحو جوه ساكن ماؤه يكاد ينسينا ما لا قيناه من شديد التعب وعظيم النصب ٠

وفى هذا اليوم الذى نعده نعمة كبرى علينا ظهرت خلائق كان أخفاها الدوار فى غرف النوم وكلها آنسة مستبشرة آمنة مطمئنة لا شىء يكدرها سوى ذكر اليوم

الأول صبيحة الثانى ولهذا نرى معنى جواب كل فرد منهم ان سألته عما لقى من النصب ·

هول شــديد مضى ما عدت أذكــره　　طول الحيــاة لئلا يرجــع الكــدر

دليل على ما كان من الهول الهائل ولكنه والحمد لله قد فات ولا شك أن ما فات يدخل فى عداد الرفاة لا يعثه الله ولا أحياه · وهنا يرى الانسان حقيقة جلال هذا البحر المتسع الأرجاء البعيد الأنحاء الحقيق بأن يسمى صحارى الماء (كما يسميه أفاضل الشعراء) ·

واذا كان شاعر فرنسا الشهير (لامارتين) يسمى البحار مقلة الطبيعة لأنها من وجهها كالعين من وجه الانسان فلا شك أن البحر الأبيض أحق من سواه بأن يكون سواد هذه المقلة العظمى لأنه أعظم البحار أهمية وأكبرها فائدة ونفعا لما له من الأيادى البيضاء على بنى الانسان فهو رائد التجارة وقائد الأمم لطرق الحضارة وأصل شجرة التمدن الذى يتكرم باهداء ثمرتها النضرة للبلدان التى يختارها حسب ما يرى عند أفراد الأمم من نشاط وغيره ·

أذكر ذلك وآسف شديد الأسف من أن هذا البحر العزيز الخبرات صاحب القوة والملك الكبير غضب على وطننا العزيز غضبا طويلا فلم يعترف لأبنائه بغضب ولم يشهد لهم بكمال حتى يهبنا الحرية الحقيقية والمدنية الصادقة ويعيد لنا ما فات فى سالف الأوقات من المجد الكبير والمقام الخطير ولعلنا ننظر لهذا الداء بعين الاعتبار فنداويه باتحادنا ولا شك أن الاتحاد مصدر القوة وعنوان الاستقلال ·

وقد دام البحر هكذا ساكنا هادئا يرينا من أنواع السرور ما لم نكن نظن رؤيته قبل هذا .ليوم السعيد وقد توج ليلة البهى بعد أن أرانا شواطىء ايطاليــا الجميلة بمرورنا من بوغاز (مسينا) حيث لقينا منه منظرا بحريا جميلا وبوغازا خلق على أبدع مثال حليته مدينتان متقابلتان مدينة مسينا ومدينة (رجيو) يراهما المار ليلا كأنهما عروسا عليهما من الحلل والحلى ما يبهج الناظرين ويبهر الرائين وقد ظهرتا تتشاطران الحلال وتتنافسان فى الحسن والجمال تسطع منهما الأنوار وهى كالدر المرصع أو كالنجوم الزاهرة فى السماء تركناهما بعد أن متعنا النظر برؤيتهما ساعة كاملة كانتا فيها موضوع الاعجاب بجمالها الفريد وحسنيهما البديع ·

وأما اليوم الرابع فكأنه قام ينافس أمسه ويعاهدنا على حال أكثر اعتدالا وأعظم جمالا فأصبح لجة من الماء ساكنة يشقها البخار شقا ويقطعها قطعا دون أن تبدى حراكا ولكنه مهما بالغ فى الاكرام وأحسن فى الضيافة فالفضل للمتقدم ولولا الثلاثاء ما رأينا الأربعاء ·

وأما يومنا هذا خاتمة أيام البحر فمعتدل الهواء صحو الجو والسماء عديم الموج

ساكن الماء ليس بأقل من سابقيه لطفا وحسنا مررنا فى صبيحته من بوغاز (بونيفاسيو) وشاهدنا شواطىء قورصا (١) وسردينيا ٠

وها نحن الآن أمام شواطىء فرنسا البديعة الجمال ولم يبق الا القليل حتى نهاجر من هذه الجزيرة المتحركة الى تلك الأرض الثابتة التى عرفناها أرض الجمال والبهاء ذات الهيئات الطبيعية الجمة والمحاسن العديدة ٠

هذه جملة نقدمها للقراء الكرام على البحر وما رأينا فيه من بؤس وأنس ولم يكن يسلينا فيه شىء آخر سوى قراءة بعض الكتب ومشاهدة الجزر المختلفة والسفن التى كانت تمر على مقربة منا ٠

أما منظر شروق الشمس وغروبها فقد كان من أجمل المناظر التى بهرت الصباح فى أيام الصفاء ٠

وأما اشتياق الجميع لقراءة الجرائد فهو يفوق كل اشتياق مما يدل على أنها أصبحت لازمة من أهم لوازم الوجود التى لا مندوحة عنها وياليت للباخرة جريدة (ولو هزلية) تسلينا عن مطالعة الجرائد السياسية وقد ابتعدنا خمسة أيام كاملات عن أخبار المعمورة بأسرها فلا ندرى منها شيئا ما » ٠

---

(١) يقصد بها جزيرة كورسيكا ٠

الرسالة الثانية ★

معرض ليون (١)

بلغت هذه العاصمة البديعة مساء السبت بعد أن نركت البحر فى منتصف ليلة الجمعة ، حيث تركت فيه العناء والنصب ، وطلبت الراحة فى نزل بلغ من جمال الرونق وحسن الوضع مبلغا كبيرا ، فقضيت فيه الليلة حتى اذا ما أشرق وجه الأرض قصدت المحطة ومنها سافرت على القطار السريع قاصدا مدينة ليون ، مركز المعرض الدولى الاستعمارى الذى ذهب من أجله أطيب الفرنساويين عنصرا ٠

وقد وصلتها فى الساعة الثانية بعد ظهر يوم الجمعة ولبثت فيها يوما كاملا ، لازمنى فيه ماجد من أفاضل المصريين تمكنت معه من زيارة المعرض زيارة تامة كشفت القناع عن بعض أسراره العديدة التى تطلب الوقوف عليها كلها أياما معدودات ٠

وقد أعجبنى من هذا المعرض الفريد كل شىء فيه ، فلم يلح لى انتقاد ما ، بل رأيته كله محكما فى صنعه مرتبا فى وضعه يسر الناظرين ويرضى العارضين ٠

وبما أنى فرضت على نفسى الكتابة فى سياحتى وتصوير ما يراه العيان الى القراء الكرام تصويرا يظهر لهم حالة المدنية الأوروبية والحضارة الغربية رأيت أن أخصص رسالتى هذه للكلام على المعرض بغاية الايجاز لأن المقام لا يدعو الى الاطناب ٠

معرض ليون هذا موضوع فى حديقة مجاورة للمدينة هى عادة متنزة سكان ليون وفى وسطها بحيرة جميلة يسمونها بحيرة « التيت دور (رأس الذهب) » ، فيها جزر صغيرة غاية فى البهجة والحسن ، وقد وضع المعرض بكيفية بها جاءت هذه البحيرة فى وسطه ، فصارت بهجته كما أنها بهجة الحديقة ٠

فمتى وقف الانسان أمامه رأى بابه ضخما عظيما مكونا من عمودين اتقن صنعهما ، بحيث أن الرائى لهما يحكم قبل دخول المعرض أنه من الأهمية بمكان ،

(★) نشرت هذه الرسالة فى الأهرام فى يومى ٢٠ ، ٢١ يوليه ١٨٩٤ ٠

(١) مدينة فرنسية تقع على نهر الرون شرق فرنسا ٠

وبجوار الباب يرى تمثالا أقيم لأبناء نهر الرون (الذى عليه مدينة ليون) ، الذين أحسنوا الدفاع عن الأوطان فى حرب السبعين ·

ومتى دخل الزائر من هذا الباب العظيم يرى أمامه البحيرة ، وعلى يمينه سبلا عديدة وعلى يساره شارعا متسعا ، أما جهة اليمين ففيها المعرض الصناعى التجارى الدولى وأما جهة الشمال ففيها المعرض الاستعمارى ·

ولنزرأ ولا معرض اليمين ثم نتبع زيارته معرض الشمال ، متى جعل الانسان أمامه البحيرة وخلفه الباب ، رأى على يمينه كما قلنا جملة سبل بينها طريق متسع عظيم ، هو طريق معرض اليمين ، ولا يلبث الزائر ماشيا فيه حتى يرى من الجانبين أبنية مرتفعة ، ومساكن مختلفة ، أما الوسط فيرى فيه فسقية فى غاية الظرف ، بها تماثيل مصنوعة ، تخرج من أفواها المياه بشكل بديع ومنظر جميل ، وهنا ترى أمامك قبة عالية هى بيت القصيد ، بل هى الغرض المقصود بالذات ، وأما ما بقى فزوائد أضيفت كحلية ·

وننظر قبل الوصول اليها فيما على يميننا وما على يسارنا ، أما اليمين فأهم ما به معرض صينى ويابانى صغير ، به مصنوعات الصين واليابان ما تعودنا رؤيته فى بلادنا من الأقمشة البهية ذات النقوش البديعة المصورة · لأهلها آكلين متخاطبين متنزهين وما يشابه ذلك من بدائع الشرق الأقصى ·

وبجانبه معرض الفنون الدينية وبه من الكتب والصور والتماثيل ما يضيق العد عن حصره وخلفه قبة طيارة تصعد الى السماء بمن يريد من الزوار رؤية المعرض كله · مرة واحدة ، ومشاهدة منظره من أعلى · وأما جهة الشمال فأجدر شىء بالذكر فيها قسم مدينة باريز ومدينة ليون ونهر الرون ·

أما قسم مدينة باريز ففيه معرض المصنوعات المدرسية والاشغال الدراسية ومن جملة العدد والآلات الطبية التى بجوارها رجل من الشمع جالس على كرسى وامامه مرآة يحسبه الزائر حيا وهو فى الحقيقة ميت محنط · وقد زرت هذا المعرض فى الصباح وكنت وحدى داخل القاعة فحسبت هذا الرجل حارسا للمكان ولكنى بعد ان زرت كلما بالقاعات رأيته كما هو لا يبدى حراكا فأخذت أتقدم منه شيئا فشيئا وهو لا يتحرك مطلقا حتى صرت بجواره فسألته بالفرنساوية عن متوسط عدد الزوار فى اليوم فلم يجب فلمسته بيدى فلم يتحرك فعلمت عندئذ انه ليس بحى وانما هو شبه حى فتركته وخرجت معجبا بقوة التحنيط التى جعلتنى أحسب الميت حيا مدة من الزمان ·

وأما قسم مدينة ليون ونهر الرون(١) فأحسن ما بهما المعرض التاريخى للمدينة

(١) ينبع من غرب جبال الألب فى شرق فرنسا ثم يتجه جنوبا ليمر بمدينه ليون ويصب فى البحر المتوسط ·

ومعرض مدرسة الفنون الجميلة المشتمل على مدرسة العمى والخرس بما فيه من كتب تعليمهم والواحهم التى يقرأون فيها ، وهنا نرى تمثال شاب أعمى يكتب وآخر واضعا يده على البيانو ٠

ويلى معرض العمى والخرس معرض الحديقة النباتية المدرسى لمدينة ليون ، فمعرض مدرسة الزراعة ومدرسة الطب فمعرض مدرسة التجارة العليا ، وتنتهى هذه المعارض مدرسة المارتنينيز البالغ من الجمال أحسن مبلغ فترى باحدى جهاته تلامذة من الخشب فى غاية التناسب ، جالسين على كراسيهم وبيدهم الكراسات بيكتبون عليها ٠ ما يلقيه عليهم الأستاذ ، وفى جهة أخرى ترى تلامذة يحضرون الأحماض والغازات أو مدرس الكيميا يلاحظهم الى غير ذلك مما يسر الزائرين عموما والمشتغلين بالتعليم والعلم خصوصا ٠

وبجوار هذا المعرض ترى محلا لأصحاب الجرائد ، به صور المشاهير منهم وخلفه مكتبا للبريد والتلغراف ٠

متى زرت كل هذه المعارض وأتممت زيارة مدينة ليون ونهر الرون ترى نفسك واقفا أمام القبة الكبيرة المشتملة فى باطنها على المعروضات الحقيقية المختلفة الأنواع والأجناس وحتى جعلها الزائر وجهته ، يرى منها صنعا بديعا يشهد للصناعة بالخطوة البعيدة والشأو الكبير ٠ فما هذا الرتاج الكبير المحكم البرقع المتقن الصنع الذى من وراء رؤيته الحيرة العظمى بل ما هذه القبة العالية البنيان المشيدة الأركان الدالة بأظهر بيان على مقدرة يد الانسان قبة فريدة فى جمالها ، وحيدة فى جلالها ، حوت من المعروضات البدائع والغرائب ، واشتملت على المعجزات والعجائب فلتفتخر مدينة ليون بقبتها التى أصبحت تنافس من باريز برج ايفل ٠

ولعمرى انها لآية من الآيات التى يعجز قلمى عن توفيتها وتقديرها حق قدرها ٠

وهذه القبة دائرة محيطها واسع ، داخلها خمس دوائر متوازنة متناسبة مع بعضها ، كل التناسب فى وسطها فسقية جميلة يرتفع فى مركزها عمود أحسن تشييده ، يصل الى نصف فراغ القبة ٠

وهى تنقسم الى ستة عشر قسما ، فى كل قسم منها معرض قائم بذاته ، نكتفى هنا بذكر هذه المعارض تاركين التفصيل لوقت آخر ٠

أول المعارض الجزئية معرض الحرير ولا يخفى على القارىء السبب أن مدينة ليون هى أشهر مدن الدنيا ، بمنسوجاتها الحريرية فلذلك لا يلزمنى أن أقول أن هذا المعرض هو أجمل شىء فى مجموعة المعرض الليونى ، أو أن وجود نظيره فى معرض آخر من المستحيلات ، ويليه معرض الملابس ومتعلقاتها ، فمعرض الأوراق والطباعة فمعرض الفوتوغرافية والموسيقى فمعرض العجلات والفولوسيبيد ، فمعرض الكيميا

وآلاتها المتنوعة فمعرض العدد والآلات فمعرض المعادن الميكانيكية العامة فمعرض الأوانى فمعرض الأثاث فمعرض الأغذية فمعرض التقطير فمعرض الانسجة ٠

هذه هى المعارض الجزئية المشتملة عليها القبة الفريدة ولا شك أن الزائر يندهش من جسامة هذه المعارض كلها ، ولا سيما عند زيارته لمعرض الحرير فانه يرى حقيقة أهمية مدينة ليون وكيف أنها تفوق مدن ايطاليا والنمسا وغيرهما فى صناعة الحرير بصناعها المنفردين بهذه الصنعة الجميلة وآلاتها المتعددة التى لا توجد فى غيرها من المدائن وخارج القبة محل للموسيقى وجملة قهوات ومطاعم معدة للزائرين ٠

وخلف القبة رأيت أشياء جمة أهمها معرض (جاكار) ، وجاكار هذا هو مخترع آلة نسيج الحرير فهو صاحب اليد البيضاء على مدينة ليون ، بل على العالم أجمع يراه الزائر فى أول منظر وهو يشتغل بتحسين آلة النسيج اختراعه ، ويراه فى منظر ثان جالسا على كرسيه يندب ابنه الذى قتل مدافعا عن وطنه ، وفى منظر ثالث يراه واقفا والصناع تريد قتله والقاءه فى نهر الرون لانه باختراعه آلة النسيج حرمهم من كسب معاشهم ، فبعضهم قابض عليه والبعض الآخر يضربه بالحجارة وبينهم بنت تريد طعنه بخنجرها ، وخلف الجميع صديق له يريد تخليصه من بين أيديهم مما يثبت قول علماء الاقتصاد السياسى من أن فى الاختراع تقليل عدد الصناع وان الصناع أعداء الاختراع ٠

وفى منظر أخير ترى جاكار واقفا فى حجرته الصغيرة الحقيرة يستقبل لازار كارنو الشهير (١) (جد فقيد فرنسا سدى كارنو أحد رؤساء الجمهورية) مما يبرهن على أن رجال الصناعة والاختراع هم دائما موضوع التجلة والاحترام ٠

فى كل هذه المناظر الأربعة الصور مصنوعة من الشمع المضاء بالكهرباء وغير هذا المعرض معرض المساعدة العمومية والاقتصاد الاجتماعى ومعرض الآلات الزراعية التى ترى بجواره مليئا ، به ثور من غرائب المخلوقات يزن وحده ٣٥٠٠ كيلو جرام ٠

ومما يحاكى هذه المعارض الصغيرة من الأهمية السكك الحديدية والقطارات المختلفة ٠

وكذلك معرض الفحم الحجرى ملك شركة (لالوار) فانه فى غاية الأهمية وييسر النزول فى باطنه ولكنه يتعب النفس ٠

ويوجد غير هذه المعارض معارض أخرى متفرقة حول القبة الجامعة لم أزرها لضيق الوقت ولعدم أهميتها ٠

---

(١) من زعماء الثورة الفرنسية ولقب بصانع النصر ، نظم جيوش الجمهورية فى حروب الثورة الفرنسية وعين عضوا بحكومة الادارة ثم تقلب فى مناصب هامة فى عهد نابليون ونفى عام ١٨١٥ محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة القاهرة ١٩٦٥ ، ص ١٤٣٣ ٠

ولننتقل الآن الى المعرض الاستعماري ، لا شك أنه يحق لأبناء فرنسا عند زيارة هذا المعرض الاستعماري أن يظهروا فخارهم بأوطانهم ولا غرو أن ازدادت محبتهم لبلادهم برؤية أملاكهم ومستعمراتهم فهم يرون فيه حقيقة قوتهم وكبير فتوحاتهم وعظيم تصرفاتهم كما أنه يحق للشرقى عند زيارة هذا المعرض أن يبكى بلاده وأوطانه ويندب قومه وعشيرته ويأسف على بلاد ضاعت من يد أبنائها بالحقد والحسد وذهبت غنيمة الغريب بسبب الفشل وحب الذات المستحكم بين أهلها القائم بقيام الليل والنهار بين أفرادها أقول ذلك ولا أنكر على القارىء الكريم أسفى وحزنى عند رؤية هذا المعرض الاستعمارى ، وان كنت رأيت منه معرضا جميلا كليلا حقيقيا بالرؤية والزيارة .

وكما أن أبناء فرنسا يفرحون برؤيه وأبناء الشرق يحزنون لرؤيته ، فلا عجب اذا اشتركت الفلاسفة مع أبناء الشرق فى حزنهم وأسفهم ، فهم يرون دائما فى الفتح جريمة لا تغتفر ، وفى الاستعمار اثما يبقى ما بقيت الساعات والأيام .

معرض الاستعمار الذى وقفنا أمام جسامته وفخامته موضوع على شارع واحد بحيث يسهل على الزائر رؤيته بدون تعب وانتقال كبير وأول ما يرى فيه سراى الجزائر وهى بشكلها العربى الجميل وهيئتها الشرقية البديعة تشتمل على أنواع الصوف والرخام والجلود والأبسطة والثمار والحبوب الجزائرية وعلى ما فى هذه البلاد من الأخشاب المتنوعة النفيسة وتحتوى على الأسلحة العربية والطيور الشرقية المصبرة والأقمشة البهية . وهذه السراى بنيت على مثال سراى (مصطفى باشا) أحد حكام الجزائر السالفين والحاكم العام يقيم بها الآن فى زمن الصيف .

وعلى باب السراى رأيت الحرس من الجزائر وقد تكلمت معهم بالعربية فأول شىء سألونى عنه تقليدنا للافرنج فى الملابس فأجبتهم جوابا فى الحقيقة غير مقنع وتركتهم وخرجت .

وبجوار السراى سوق يبيع فيها بعض الجزائريين أقمشة وأشياء متنوعة جزائرية .

ويلى هذه السراى سراى المستعمرات الصغيرة ، وهى تشتمل على معروضات السودان والكونغو وغينيا والجواد لوب ، وليس لها شىء مهم يستحق الذكر بل كل ما فيها أمتعة سودانية كالمعهودة لدينا .

وتأتى بعدها سراى تونس وهى عربية الشكل جميلة الوضع بجوار بابها مأذنة فى غاية الظرف ومعروضاتها لا تختلف كثيرا عن معروضات سراى الجزائر .

وبجوارها خيام عربية بها العرب جالسون وبجانبهم الجمال كأنهم فى الصحراء .

وأمام سراى تونس ترى قهوة رقص تونسية زرتها فى الليل فلم أر فيها الا كل قبيح مستهجن .

ويلى السراى التونسية سراى الانام التونكين (١) وهى سراى حمراء جميلة جدا مرسوم عليها صور الفيلة الضخمة وحراسها من الاناميين (وهم يختلفون كثيرا فى تقطيع الخلقة عن الصينيين) ويشاهد الزائر لهذه السراى فى جهة اليمين المنسوجات والحبوب وأنواع العاج معروضة بترتيب حسن وفى الوسط المكتبة الاستعمارية الجامعة لكل المؤلفات والتقارير المتعلقة بالمستعمرات ·

وقد استفدت من زيارتها جملة فوائد · وفى جهة الشمال يرى معرض الكمبونج وبه من أنواع الحرير والدخان وخشب الصباغة والأسلحة والعاج وأجلة الفيلة ما يدهش الأنظار ويزيد فى تيار الأفكار ·

وبجوار سراى الانام التونكين يوجد محل اتحاد نساء فرنسا العام وبه ترى الخيام مضروبة والأسرة موضوعة فى عربات المرضى المختلفة وعلى جانبه يرى الزائر ثلاث قناطر فى غاية الرونق والبهاء ·

أولها منظر (٢) حرب الليل بين الألمان والفرنساويين سنة السبعين وبه يرى الانسان القتلى والجرحى مصورين وهم عديدون والقوم يقتلون كالوحوش وربما قتل الجندى أخاه الذى من جنسه ظانا انه عدوه مما تمجه نفس كل امرىء عرف ماهية الانسانية ·

وثانيها منظر واقعة دجبا وهى الواقعة الشهيرة التى سالت فيها الدماء أنهارا بين الفرنساويين والداهوميين (٣) وقتل فيها القائد الطائر الصيت (فوراكس) وبها

---

(١) وتقع هذه المنطقة جنوب شرق آسيا ـ جنوب الصين ـ ضمن اقاليم الهند الصينية وقد اعتبرت الدول الأوربية هذه المنطقة نقطة الانطلاق نحو اقاليم جنوب الصين ، وقد كانت مملكة « آنام » احدى الممالك الأربع المكونة لشبه جزيرة الهند الصينية ـ كمبوديا ، سيام ، بورما ـ وكان المبشرون الفرنسيون ذوى نشاط فى تلك المنطقة ، وقد اتجهت أنظار فرنسا أول الأمر نحو مملكة آنام لدوافع اقتصادية ودينية الا أن السبب الرئيسى هو الدوافع الاستراتيجية خاصة رغبتها فى اقامة قاعدة بحرية وقد تمت السيطرة الفرنسية على ثلاث موانىء آنامية عام ١٨٦٢ · وامتدت سيطرتها حتى اقليم الميكونج الذى يمتد الى الاقاليم الجنوبية الصينية وقد تمت عدة تسويات بين فرنسا وانجلترا عام ٢٥ يناير ١٨٩٦ بخصوص هذه المنطقة التى تجاور مصالح انجلترا فى الهند · وقد احتلت فرنسا اقليم تونكن وحاولت التوغل فى لاوس عام ١٨٩٣ ·

بيير رنوفان ، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥ ـ ١٩١٤ ، ط ٢ ص ص ٣٥٧ : ٣٦٠ و ٥٨٠ : ٥٨٢ ·

(٢) المقصود بها حرب السبعين (فرنسا / ألمانيا) وهى أكبر الحروب الثلاثة التى خرجت من خلالها وحدة الأمة الالمانية فالحرب الأولى كانت مع الدانمراك ثم مع النمسا والثالثة والأخيرة مع فرنسا) ـ هـ · ا · فشر ، تاريخ أوربا فى العصر الحديث (١٧٨٩ ـ ١٩٥٠) تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع ، ط ٤ دار المعارف ١٩٦٤ ، ص ٣٨٦ ـ ٣٩٩ ·

Encyclopaedia Britanica V. 3, p.p. 663.

(٣) هم أهل مملكة داهومى على خليج غينيا شمال غرب القارة الافريقية ويحدها من الغرب والجنوب المحيط الاطلنطى ، أما حدودها السياسية ـ الحالية ـ فهى من الغرب توجو ومن الشرق نيجيريا ومن الشمال النيجر والجنوب خليج غينيا ·

ترى العبيد وهم كالوحوش بل أضل منها يهجمون على كل شيء أمامهم حتى على المدافع ٠ لا يرهبون النار ولا يخافون الموت والفرنساويون أمامهم لا ييأسون بل يطعنونهم الطعن البليغ فى كل جزء من الجسم والدم يسيل من كل الجهات بحيث ان المشاهد لهذا المنظر لا بد ان يعترف فى الحال بأن لا مدنية فى الوجود ولا حضارة فى المجتمع البشرى مادام الناس هكذا يفترس بعضهم البعض الآخر ٠

وفى أسفل هذا المنظر ترى بيهنزن (١) مصورا فى جهة جالسا على كرسيه ورجاله وأتباعه من حوله وفى جهة أخرى تراه يقتل أمه لتذهب الى الجحيم وتخبر أباه بأنه سيسلم نفسه للفرنساويين ٠

وثالثها منظر تتويج قيصر الروسيا وهو منظر جميل جدا ترى فيه القيصر واقفا والتاج على رأسه وخلفه أعضاء عائلته الملوكية وأمامه القسيس الاكبر وبجواره عظماء رجال الدولة والخلق مزدحم والجند مصطف بكثرة على أتم نظام مما يمثل هذا التتويج كمال التمثيل ٠

وبعد رؤية هذه المناظر البهية المنارة كلها بالنور الكهربائى يحسب الانسان نفسه انه انتقل الى الشرق حيث يرى امامه قرية عربية وملعبا تركيا يشبه ملعب عبد العزيز كمال الشبه ويرى بجوارهما مكانا أشبه بسكة تمبكتو وهى عبارة عن شريط من الحديد على شكل دائرة وعليه عربات كبيرة تجرها أفيال من الخشب يحسبها الزائر أفيالا حقيقية تجر العربات ولكنها تسير بفعل الكهرباء ٠

ويلى هذه السكة الحديدية قرية سودانية متى دخلتها حسبت انك فى وسط السودان والأطفال (السود طبعا) تأتيك وتسلم عليك بكل لطف وبشاشة ولكنك لا تلبث قليلا حتى تندهش عندما ترى الكثير منهم يكلمك بالفرنساوية وينطقها بمنطق لطيف يستوجب الغرابة لا سيما متى علمت أنهم لم يتعلموا كل ذلك الا فى زمن المعرض وعلى يمين هذه القرية قرى أخرى داهومية وسنغالية وأمامها قرية أنامية وملعب أنامى لم أسعد برؤيته لانى زرته وقت الظهر أى قبيل سفرى الى باريس بساعتين حيث كان الاهلون يأكلون وقد شاهدت أكلهم العجيب لا سيما أكل الأرز وهو ان الغرابة بمكان ٠

ـ د٠ شوقى الجمل ، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٨٠ ، ص ٥١٠ ٠

(٢) هو ملك داهومى Behanzin وكانت الاقاويل كثيرة حول هذه المملكة وملوكها الذين يقدمون القرابين البشرية لالهتهم وقد استمرت تقاليدهم هذه حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وكانوا يلزمون زوارهم الأجانب بمشاهدة تقديم القرابين البشرية ، وقد نفى الملك Behanzin الى جزر الهند الغربية بعد هزيمة جيوشه على يد الجنرال دودس Doods الذى كان يقود حملة فرنسية هدفها فرض سيطرة فرنسا على تلك الجهات ٠

ـ د٠ شوقى الجمل ، المرجع السابق ص ٥١٠ ٠

الى هنا يقف القلم عن التحرير لأن ما ذكره وحده يكفى لمعرفة قدر هذا المعرض الفريد الفائض بالعجائب والغرائب ٠

ولست بذاكر جماله فى الليل وهو مضاء بالكهرباء من أوله الى آخره ولا عربات الترمواى الجيلة التى تقطعه من مشرقه الى مغربه ومن شـــماله لجنوبه ولا أزهاره وأشجاره البديعة المتعددة فان كل ذلك وما يشابهه يدل على فخامته وعظمته المعروضة للقراء الكرام ٠

ولم أستطع فى اليوم الذى أقمته بهذه المدينة التى تعد ثانية باريس رؤية شيء آخر غير المعرض الا مقتل (١) رئيس الجمهورية فقد شاهدته ساعة سفرى ووقفت به لحظة تخيلت فيها الرجل البرىء المحبوب راكبا عربته والشقى كازيريو هاجما عليه بخنجره والدم يسيل منه دم اخلاص الوطن ومحبة الشعب الطاهرة وهنا سنحت لى فكرة وهى أنه ان دام الحال على هذا المنوال فلا شك ان القرن العشرين سيكون مرسحا لفظائع الفوضويين ومجالا لاعمالهم التى رأينا مقدماتها ولسنا ندرى ماذا تكون نتائجها والسلام ٠

ليون فى ١٢ يوليو سنة ١٨٩٤ ٠

---

(١) كارنو سادى (١٨٨٧ ـ ١٨٩٤) ٠ هو سياسى فرنسى ، ثالث رؤساء الجمهورية الثالثة (٨٨٧ ـ ٨٩٤) تولى وزارة الأشغال (١٨٨٠ ـ ١٨٨٥) واضطربت الأمور فى عهد رئاسته بسبب حركة الجنرال بولنجيه وفضيحة قناة بنما ٠

• قد اغتاله فوضوى ايطالى هو كازيريو هذا ٠

ـ محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٤٢٣ ٠

الرسالة الثالثة ★

« بلجيكا وعاصمتها »

« بلاد البلجيكا هى من البلاد الصغيرة التى اشتهرت فى الوجود بموقعها الجغرافى الجميل ، الذى جعلها ميدانا تتسابق فيه رجال التجارة والصناعة فلذا كانت أول بلاد فى العالم مزدحمة بالخلائق ، حيث فيها مع صغر مساحتها ستة ملايين من الأنفس أى ما يقرب من سكان القطر المصرى ولتجارتها وصناعتها شهرة ذائعة وصيت بعيد ، وبها من معامل الحديد والفحم الحجرى والورق مالا يعد ولا يحصى وبها من أشياء الزخرف ما ازدحمت به سفن التجارة البحرية السابحة بين شواطئها وشواطىء هولاندة والدنمرك وانكلترا ·

وبالجملة فداخلها مجال المجاراة والتسابق فى التجارة والصناعة ، وشواطئها مرسى السفن العديدة التى تنقل منها الى البلاد الأخرى ما اشتهر من بضائعها بالحسن والاتقان ·

وهى كسائر البلاد البحرية ذات حمامات جميلة بل تمتاز عن جميعها بحمامات أوستند التى ينزل بها فى فصل الصيف أعظم الملوك والامراء وأكابر الموسرين والأغنياء طلبا للتمتع بمياهها ومشاهدة مناظرها الجيلة وحبا فى استنشاق هوائها والتروض فى رياضها الفيحاء فهى سلابة للب من زارها ، خلابة لعقل من حل وأقام بربوعها ، وقد عشقها ليوبولد الاول ملك بلجيكا السابق فبنى فيها قصرا بالغ الكتاب فى وصفه وتبيان وضعه وحسنه ·

وقد بلغ أهل هذه البلاد البلجيكية من دماثة الأخلاق ووداعة الطباع مبلغا ميزهم عن سائر الأمم الاوربية ، وجعلهم محبوبين مكرمين بين الجميع فتراهم يعززون الزائد لديارهم ويبالغون فى اكرامه حتى يدفعه حسن الاستقبال الى طول الاقامة فى بلادهم ، والاستئناس بهم وبمعاشرتهم وهم يتكلم أكثرهم اللغة الفرنساوية ويحبون الفرنساويين حبا يضعهم فى مقدمة المخلصين لحكومة الجمهورية المعترفين بخدمتها للعلم والاختراع ·

(★) كتبت وهو فى بروكسل ٢٢ يولية ١٨٩٤ ونشرت بالاهرام بتاريخ ٣١ يولية ١٨٩٤ ·

وانى أرى أن حبهم للفرنسيس يعد واجبا من أقدس واجباتهم فلطالما نصرتهم فرنسا وأعلت من شأنهم وخدمت بلادهم فى القرون الخالية ، وفى هذا القرن الحاضر الذى لم تتم السنة الثلاثون فيه حتى كانت بلجيكا دولة مستقلة ومملكة منظمة قائمة بذاتها بعد أن رأت من الهولانديين أنواع العذاب ·

عاشت بلاد بلجيكا دهرا طويلا تحت سلطة الرومانيين والفرنساويين والاسبانيين ، وتجزأت مقاطعات صغيرة حينا من الزمن ، ثم عادت لفرنسا بعد ثورة ١٧٨٩ ، ودامت خاضعة لسلطانها الى أن فصلتها عنها معاهدة فينا سنة ١٨١٥ وضمتها لهولاندة ، يحكمها أميرها وتسوسها قوانينها ونواميسها الى أن قامت عام ١٨٣٠ كما يقوم الأسد بعد طويل نومه وعميق رقاده ، وثارت على الظلمة حكامها مطالبة بحريتها وحقوقها التى سنها لها ناموس الوجود وقانون المعيشة والحياة ·

وقد رأت عندئذ من فرنسا العضد القوى والسند المتين فهى التى سعت لها عند الدول حتى وهبتها الاستقلال التام والحرية الكاملة وذلك بمقتضى مؤتمر عقد بمدينة لندن عام ١٨٣٠ ، ومن هذا الحين ظهرت الدولة البلجيكية بين الدول الاوروبية دستورية حيث أصبحت كأتم الدول نظاما لها مجلس شيوخ ومجلس نواب ومحاكم منتظمة نبراسها العدالة ووجهتها الحق والانصاف ·

ومن يوم أن تم لها هذا الظفر العظيم ابتدأ البلجيكيون فى تنظيم بلادهم كما تهوى نفوسهم ، وقد تم لهم ذلك حتى أصبحت كل مدينة من مدائنهم قرة النواظر ومسرة الخواطر وأخصها بالذكر بروكسل عاصمتهم ومحط رحالهم فلقد بلغت من النظافة وحسن الرونق مبلغ باريس على عظمها وكبرها وتفردها بين مثيلاتها بالحسن والجمال ولذلك يسميها أهلها وأغلب زائريها « باريس الصغرى » أو بنت باريس ·

وصلتها بعد أن تركت العاصمة الكبرى بست ساعات ومعى فاضل من كرام الشبان فرأينا منها عاصمة حقيقية بالزيارة فسيحة شوارعها ، متوسطة الارتفاع ، مساكنها جميلة آثارها شماء تناطح فى علوها السماء بها من الرياض والحدائق من الشمال الى الجنوب · ومن الشرق الى الغرب خطوط السكة الحديدية وعربات الترامواى وبالجملة فهى مدينة بديعة فى جمالها رشيقة فى حسنها واعتدالها ، لا يرتاب السائح ان رآها فى انها قطعة من باريز لولا هدوء حركتها وسكون تجارتها فى أهم أقسامها ·

وهى تنقسم الى قسمين كبيرين أو الى مدينتين متميزتين الأولى المدينة المنخفضة أو القديمة وفيها مركز التجارة والصناعة والثانية العالية أو الحديثة وبها مساكن العائلات الشريفة ومنازل كبار الموظفين وسائر الأغنياء وفى منتصفها منتزه جميل به فسقيتان وخلفه مجلس الشيوخ والنواب وجميع النظارات وأمامه سراى الملك

(وهى محكمة البنـــاء متقنة الصناعة) وسراى مجمع العلوم والفنـــون المشيدتان خلف الساحة الملكية والمقام فى وسطها تمثال (جـود وفرواد وبويـون) الشهير بنصراته فى الحروب الصليبية وأمام هذا التمثال فندق (البدفو) الذى اخترناه منزلا لنا مدة اقامتنا لحسن موقعه من المدينة ٠

وبالبلد آثار قديمة كثيرة العدد أهمها سراى الملك القديمة ودار المحافظة وهما متقابلتان يدل بناؤهما على حالة البناء والصناعة فى العصور الوسـطى ، وبدار المحافظة قاعة عامة من بناء القوط وأخرى للزواج من الجسامة بمكان والآثار الحديثة أجدرها بالذكر البورصة وسراى العدالة ومعرض عام ١٨٨٠ ٠

أما البورصة فيميزها عن سواها من الآثار أنها فى أحسن موقع وأكبر شارع من المدينة تتواردعليها من كل صقع الألوف من التجار والسماسرة ٠

وأما سراى العدالة فان قلمى عاجز عن وصفها وشرح جمالها وجلالهـا فهى سراى ضخمة عالية بها من العمد الشاهقة والمسالك الفسيحة والقاعات العديـدة مالا يعلم عدده الا من أعطى الانسان هذه اليد القادرة على خلق مثل هاتيك الآثار التى تسلب الانظار وتحير الافكار ، وماذا أكتب لك عن سراى هى مظهر الجلال والاحترام وموضع هيبة العدالة ومكان الانصاف مساحتها ٢٦٠٠٠ متر مربع وارتفاع قبتها وحدها ٩٧ مترا ، وثمنها قدره ٤٥ مليونا من الفرنكات ، بابها فريد فى احكام بنائه وعظيم ارتفاعه يرى الداخل منه اليمين سلما بأوله تمثال ليكورغا الشاعر اليونانى ودبمستون خطيبها وعلى الشمال سلم آخر يبدأ بتمثال أولبيان الشاعر الرومانى وشيشرون خطيبهـا وفيلسوفها ، يصعد الصـاعد من السلمين الى ســاحة السراى المشتملة على سبع وعشرين قاعة مخصصة للجلسات ، ومائتين وخمس وأربعين لموظفى المحاكم ، وأرفع قاعات الجلسات مقاما وبناء وأعظمها اتساعا وارتفاع قاعة الاستئناف الأولى والثانية وقاعة النقض والابرام وقصارى القول أن هذه السراى فريدة عقد آثار بلجيكا اذ أنها آية من أكبر آيات الصناعة فى القرن التاسع عشر ٠

وأما معرض عام ١٨٨٠ فموضوع خارج المدينة أمام ساحة الخمسين ، وهو لايختلف فى الاتقان عن أعظم الآثار الجسيمة اقامته الحكومة عام ١٨٨٠ دليلا على اتمامها نصف القرن الأول من استقلالها ونيل حريتها ٠

وبالمدن تماثيل جمة أقيم أغلبها لعظماء الرجـال الذين خدموا استقلال البلاد البلجيكية ، سواء كانوا من أبنائها أو من غير أبنائها ، وأشهر هـذه التماثيل عمود المؤتمر وهو عمود مرتفع على قاعدته أربع تماثيل ، وداخله سلم حلزونى تبلغ درجاته ١٨٤ درجة توصل الى قمته التى يرى منها الانسان المدينة كلها ، وقد شيد هذا التمثال تذكارا للمؤتمر الذى عقده أكابر رجال الثورة البلجيكية عـام ١٨٣٠ وأعلنوا فيه استقلالهم وإنفصال بلادهم عن هولندا ٠

ولهذه العاصمة الزاهرة كما لغيرها مكتبة بها من الكتب المطبوعة ٣٠٠٠٠٠ كتاب ومن المكتوبة ٢٠ ألف ٠

وبهـا من المتاحف العـدد العديد نذكر منهـا متحف التصوير والنقش القديم والحديث ، والجامع لغرائب الصور العتيقة والحديثة ولكن اغلبها صور دينية متقنة أحسن اتقان ٠

ومتحف التاريخ الطبيعي وبه عدد كبير من الحيوانات المصبرة بين كبيرة وصغيرة ومفترسـة وداجنة وكلها تحسبها حية وبها غير ذلك من الأحجار المختلفة والمعـادن المتنوعة ما تستلزم رؤيته أياما عديدة ٠

ومتحف الأسلحة وبه من المدافع والرماح وآلات الحرب المختلفة ما يقف منه المدقق على ناموس القتال وعدده في كل زمان ومكان ٠

وأما كنائس المدينة فكثيرة العدد جدا وكلها شاهقة جيدة البناء ٠ ولا عجب اذا كانت كنائس البلاد البلجيكية أرفع وأعظم من كنائس سواها ، فقد اشتهرت بين الأمم المعاصرة المجاورة لها بتمسك أهلها بالدين تمسكا زائدا ٠

وللمدينة متنزهان شهيران متنزه (لاكن) ومتنزه (غابة الكمبر) أما متنزه لاكن فموقعه وحيد في المدينة وهو معتدل الهواء جميل الوضع عليه سراى للملك يقيم بها في فصل الصيف ولكنه لم يسكنها منذ أربع سنوات لأنها حرقت بأكملها ولم يبق منها الا أثر صغير يدل عليها وأمام هذه السراى تمثال ليوبولد الأول أبو الملك الحاكم وخلف هذا التمثال غيط الملك ومتى وقف الانسان أمام التمثال فانه يرى من هذا المتنزه بقعة من الأرض خضراء بها الأشجار الجميلة الزاهرة من كل جانب فيحسب أنه قد فصل عن هذا العالم وانتقل الى عالم آخر كلة جمال وبهاء ولست بقادر على وصف هذه البقعة السندسية كمال الوصف فانها هي الاتقان أو فوق الاتقان وأنى لي بلوغ هذا المبلغ من البيان ولست في بديع الانشاء بسبحان ٠

وأما غابة آكلمبر فلا تختلف في صفاتها وحسن نظامها عن غابة بولونيا بل ان شئت فقل انها غابة بولونيا البلجيكية ٠

وغاية القول ان هذه العاصمة على صغرها تفوق بنظافتها وجمالها جميع العواصم أوربية وغير أوربية والسلام ٠

الرسالة الرابعة ★

معرض انفرس

« اهتدت اوروبا فى العصر الحاضر الى المعارض اهتداءها لاعلاء شأن التجارة والصناعة ، وزيادة البحث والتنقيب فى وسائل الارتقاء ، واضاءة الأفكار بأنوار العلوم والمعارف فأنشأتها فى كل صقع وواد وأقامتها فى كل بلد وناد وظهرت كل دولة من الدول تنافس اخواتها بصنائعها المتفردة بها تجارتها المميزة لها عن غيرها فازدحمت المعارض بالزوار وضاقت الفسحات على رحبها حتى فازت بالشرف الرفيع والفخار الكبير . فسرت الأمم ببلوغها مرامها من الكسب وعلو الصيت ونال العارضون مطالبهم من الشهره والارباح ونزه الزائرون منهم النواظر فى هاتيك المناظر العديدة الأنواع المتسابقة نحو الأحكام والابداع الناطقة بدقة الصناعة ومهارة الصناع فنشأ عن ذلك حب الدأب على العمل والورع بالتسابق والمجاراة مما زاد أوروبا ارتقاء وتقدما وعلاء وجعل أهلها يؤملون دوام الحال ، بل ازدياد الفخر والمال ماداموا أصدقاء العلم أوفياء للعمل .

كل ذلك فى هذا العصر المضيء عصر ازدهار العلم ونمو الاختراع ولم نتعد نحن ما نحن عليه من الخمول والسكون ، ولم تعد حركة التقدم والفلاح الى قوم العز السالف والذل الحاضر ، بل دام النشاط فى بنيه يحافظون عليه ، ويحافظ عليهم ودامت الدعة فى أهلها يرحبون بها وترحب بهم ؛ والشرق يبكى الديار والأوطان حتى هب من مصر الرخاء وبلد الهناء حب الجنوح الى العمل فقامت الافكار بانشاء معرض وطنى انشرحت له الصدور وان لم يكن بالمعرض المذكور الا أنه بداية الخير وعنوان الرجاء .

فليهنأ المصرى به وليجتهد فى اقامه معرض تفتح له ابواب المدح والثناء وترتل فيه آيات الحمد والاستحسان حتى تنشط « مصر » من عقالها وهى غادة الشرق والغرب وتقوم من رقادها ، وهى عروس العلم والأدب فتتم اذ ذلك الخيرات والبركات ويقول الشرق لأيام الهناء عدت وعاد الرجاء فليعش الارتقاء ولتحيى العلوم والعلماء .

(★) كتبت وهو (بأنفرس) بتاريخ ٣ أغسطس ١٨٩٤ ثم نشرت فى جريدة الأهرام بعددى ٤٩٩٨ ، ٥٠٠٠ .

تلك نوطئة للكلام عن معرض أنفرس الذى سارت من أجله الركبان وطبق ذكره المماليك والبلدان . فزاره من دانى المواطن وقاصيها عدد يفوق عــدد سكان أنفرس على كثرتهم وتزاحمهم مما جعله أسمى مركزا من معرض ليون الذى لم يعبه الا قلة القصاد وأن كان يماثل معرض أنفرس فى اتقانه بل فاقه فى بعض أجزائه .

وكلا المعرضين كبير الأهمية عظيم الشأن جم الفوائد والمنافع لا يكاد يختلف احدهما عن الآخر فى المكانة لولا وجود مميزات تميز كل واحد منهما فلقد امتاز معرض ليون بقبه السماء الجامعه لشتات المعروضات وأنواع المصنوعات وبمعرضه الاستعمارى الذى فى زيارته دراسة ثابتة لأحوال الشرق وصنائعه وتجارته مما يتعسر رؤيته فى معرض اخر .

ومما جعل المعرض الليونى أكثر بهاء من معرض أنفرس البحيرة الجملية التى جاءت فى وسطه تسير فيها المراكب بالزوار فتنزههم فى هذه اللجة البيضاء ، بعد أن نزهتهم بحسنها وجمالها .

وأما معرض أنفرس فيمتاز بالحركة الدائمة فيه وكونه فى الحقيقة معرضـــا دوليا ، تنقسم مخازنه (التى تشابه من معرض ليون القبه الجامعة لاحتوائها على أهم الأشياء المعروضة الى جملة أقسام ، فى كل قسم منها معروضات دولة من الدول ، حتى صارت ككتاب يقرأ الزائر فيه مكان كل دولة أوروبية ، من التقدم فى التجارة والصناعة فهى تعتبر المعرض نفسه وما تعداها يعتبر زوائد كزوائد المعرض الليونى .

ولهذا المعرض الدولى البلجيكى جملة أبواب منها باب متسع هو أهمها متى دخل منه الانسان رأى أمامه قبة صغيرة جميلة الشكل مختلفة الألوان ، بها باب المخازن الموضوعة بجوار بعضها تحت سقف من الزجاج ؛ محكم الرقع المكونة جميعها لزاوية منفرجة عرضت فى انفراجها زوائد العرض ذات اليمين وذات اليسار .

وأول شىء يراه الزائر على يساره من هذه الزوائد ، حى الترك وحى السوريين وبهما بعض المحصولات التركية والسورية يبيعهاجماعة من أصحابها وبجوارهما ملعب (سورى) كملاعبنا المصرية ؛ يليه منظر خلوات أفريقيا الوسطى وبها ترى السائح الشهير (ستانلى (١) جالسا بين الأعشاب الجمة والأشجار المختلفة يتحدث مع أمين باشا الالمانى فى شأن العودة الى مصر والأهلون منتشرون رجالا ونساء .

---

(١) استانلى Henry M . Stanley (١٨٤١ ــ ١٩٠٤)
ولد فى ويلز وتربى يتيما ، تلقى تعليمه فى ظروف معقدة ، عمل بالتجارة ثم التحق بالاسطول الامريكي وقام بجولات فى شرق أفريقيا حيث أصبح من المستكشفين لمناطق هامة فيها وقام برحلات جاب فيها القارة من شرقها الى غربها ، وكان من أكبر أعماله هناك اشتراكه فى حملة انقاذ أمين باشـــا Amin Pacha Releif Expedition سنة ١٨٨٦ حيث تقابل معه فى مديرية خط الاستواء لينقذه من حصاره الذي فرضه عليه (أتباع المهدي) وهو ما يشار اليه هنا .

وعلى يمين هذا المنظر الأفريقي ترى ملعبا أماميا كالملعب المقام في معرض ليون زرته في الليل مع رفيقي وحضرنا فيه تمثيل رواية لا أضن على القراء بذكر ملخصها الذي وزع علينا بالفرنساوية وهو (رزق أحد ملوك بلاد الأنام بنتا جميلة ارادها زوجا لاحد ابناء الملوك المجاورين له وكان لهذه البنت أخ يبغض هذا الملك وابنه فدبر لهما مكيده ودعاهما لوليمة اختتمها بسجنهما والاستعداد لاعدامهما لولا أن جاءت أمه واستغفرت لهما عنده وطلبت العفو عنهما فعفا وأقيم مهرجان الزواج كما أراد زوجها) هذه هي أجل رواية لديهم يعتبرونها مثالا للبلاغة وحضرنا تشخيصها وسمعنا كلامهم المقطع الذي يجتمع مع لغة الحيوانات العجم في أغلب الحركات والسكنات ·

وبعد المعرض الأمامي يأتي الشارع المصري وبه الباعة المصريون وسائقوا الحمير ، الذين يتعاطون الحشيش في كل وقت حتى في هذه البلاد الغربية وبه غير ذلك قهوة رقص مصرية رحب بنا أهلها كل الترحيب وان تكن زادتنا الحسرة من زيارتها ورؤية بناتها ·

هذه هي مشتملات الشارع المصري وأما هيئته العمومية فمصرية لا تختلف عن هيئة اكثر شوارعنا القديمة ·

ولا شك ان الزائر لهذا الشارع يهزأ بنا ويسخر منا حيث لا يرى أمامه الا نقيصه تنطق بتأخرنا ، وتعلقنا بدنايا الأمور مما يجعلنا نستنهض همم كبار تجارنا لتشريف هذه المعارض المهمة وعرض مصنوعات البلاد وانسجتها عوضا عن هذه النقائص الظاهرة للعيان ·

وأمام الشارع المصري معرض للزجاج وبجواره سراي شرقية بها قهوة رقص عربية (كأن الشرق لم يشتهر الا بالرقص) أقيم أمامها محل بدوي به بنات عربيات لا يأتين شيئا آخر غير الرقص والغناء ·

وبجوار الشارع المصري قهوة رقص مراكشية أمامها حي الجزائريين والتونسيين وبه ملعب جزائري وباعة تونسيون وجزائريون ، وفي وسط هذا الحي أقيمت فسقية كهربائية تضاء كل ليلة ·

= أما أمين باشا هذا فهو الدكتور الألماني ادوارد شنيتزر ، وأسلم وسمى نفسه بهذا الاسم وقد التحق بخدمة الحكومة المصرية كحاكم لمديرية خط الاستواء من قبل الخديو عام ١٨٧٨ وبعد قتل غوردون في ٢٦ يناير ١٨٨٥ قطع المهديون عليه خط العودة الى الشمال وقد استغل الاستعمار هذا الموقف وصدرت صرخات في دهاليز السياسة الأوروبية لانقاذه ، وسلطت الأضواء أكثر من اللازم على وجوده ولكن كان الهدف هو ابعاد النفوذ المصري من هناك وفعلا تم لهم ذلك بعد حملة الانقاذ المشار اليها ·

ولمزيد من المعلومات يرجع الى

— Gray, R. : A history of the Southern Sudan, 1839-1899, Oxford, 1961.
— Fox, Bourne : The Other Side of Amin Pasha Relief Expedition, London, 1891.

ويأتي بعد حي الجزائر المعرض التاريخي للبلاد البلجيكية ، وبه اثنا عشر منظرا يرى منها الزائر أن البلجيكيين يعتبروون مبدأ تاريخهم ثورة عام ١٨٣٠ التي نشأ عنها استقلال بلادهم وتمتعهم بحريتهم ، وأهم هذه الصور هياج الناس من مبدأ الثورة بملعب (المسكوكات) • وصورة دخول ليوبولد ملك البلجيكا السابق الى مدينة بروكسل من باب (لاكن) وصورة تحليفه تلك اليمين ، وصورة الاحتفال بالسنة الخامسة والعشرين من حكمة ، الى غير ذلك من المناظر التي تمثل أعظم حوادثهم وأكبر أيامهم •

هذا أهم مايراه الزائر في جهة اليسار وأما جهة اليمين فأحق شيء بالذكر فيها سراى الأعياد (الموضوعة في تجويف رأس زاوية المخازن ، وهي سراى كبيرة جميلة بها قاعة متسعة معدة للاحتفالات الرسمية التي تقام في المعارض (أقيم فيها أخيرا احتفال الجرائد) وهي تسع ستة آلاف شخص بجوارها مطعم (أو مقضم أو مقشم كما تشاء) هو أكبر مطعم في المعرض •

وأمام هذه السراى ترى عمودا مرتفعا تخفق عليه الراية البلجيكية كتب عليها بالفرنساوية (كمريخ) أقامته الشركة المسماة بهذا الاسم اعلانا للعموم بأنها أول شركة بلجيكية تستخرج عصاره اللحوم وهذا العمود يبلغ ارتفاعه فوق الستين مترا وقد علمت أن ما انفق عليه يكفي لأن يكون رأس مال لشركة مهمة ؛ مما يدل على ثروة شركة (كمريخ) وأنه لا يضرها انفاق مبلغ طائل كالذي صرفته على اقامة هذا العمود لتوقف الناس على قدرها وأهميتها •

وقد سميت الشركة بهذا الاسم نسبة لطبيب بلجيكي شهير اشتغل زمنا طويلا في البحث عن وسائل تحسين عصارة اللحوم •

وعلى يمين هذا العمود الشاهق الارتفاع ترى مكانا فسيحا تباع فيه مصنوعات أمريكية من أدق مصنوعات العالم الجديد وعلى مقربة منه ترى حي مدينة أنفرس القديمة المعتبر عند البلجيكيين أكبر آية في المعرض لكونه يمثل لهم هيئة مساكنهم وأسواقهم ومطاعمهم وشكلهم في القرن السادس عشر •

والداخل في هذا الحي يرى شكل مدينة أنفرس القديمة وأبنيتها المنخفضة الغير المنتظمة ، وكنائسها العتيقة ومدافنها ومثاباتها (وبرصها) وأسواقها وما يشابه ذلك مما يمثل الأيام الغابرة وأهلها أحسن تمثيل ، لاسيما عندما يرى الزائر كل ما بالحي من رجال ونساء زيهم الزى القديم وخطابهم اللغة الفلمنكية المهجورة •

وخلف هذا الحي ترى منظر جبال الالباب وعلى قممها الثلج المستديم ونحتها الرياض النضرة • والحقول المزدهرة مما يستميل فكر السائح لزيارة هذه الجبال التي يسجد لهاماتها السحاب •

وبعد هذا المنظر البهيج ترى قنطرة نصف مستديرة تحتها قرية الكونغو وهى قرية سوداء تشتمل على أكواخ مختلفة ومساكن سودانية عديدة وبحيرة جميلة وأعشاب كثيرة وكهوف من النقش كبيرة ·

وعلى يسار هذه القرية بنيت سراى الكونغو وهى لم تفتح للآن ·

وعلى يمين القرية ترى متحفا للفنون الجميلة خلفه متحف آخر لا يمتاز عنه الا بكثرة نقوشه ورسومه المعروضة من قبل أهم الدول الاوروبية ·

وتحت المتحف الأول معرض الحيوانات البحرية المختلفة والاسماك المتنوعة السابحة فى المياه كسباحتها فى البحار ·

وخلف هذه المناظر الجميلة ترى قبة طائرة كقبة المعرض الليونى ، بجوارها مكان متسع الأرجاء والانحاء أقامه أحد الضباط الامريكان المسمى بويتون وجعله أشبه بالجبال الروسية من حيث ارتفاع بعض نقطه وانخفاض البعض الآخر الا أن هناك بركة تسير فيها السفن صاعدة نازلة كأنها العجلات فى جبال الروس ·

وكل هذه المعروضات والمناظر موضوعة كمعروضات اليسار بين أشجار دانية ظلالها متدلية أزهارها تراها فى الليل وقد انتشرت الأضواء بين أغصانها وتوزعت على فروعها ، كأنها عرائس رصعت صدورهن بالدر والمرجان وزينت بزينة المهرجان فخطفت الأبصار وسلبت العقول بدلها وجمالها ·

متى زرت كل المعارض الصغيرة (أو المعترضات على رأى بعضهم) تجد أمامك آخر ضلع اليمين فى زاوية المخازن وبه قسم الآلات والكهرباء وهو أكبر الأقسام اتساعا قدرت مساحته ب ٢٢٠٠٠ متر مربع ومتى دخلت من بابه سمعت دوى أكثر من دوى المدافع وشاهدت نورا ونارا يظهران من كل جانب ويبرقان من كل ناحية ولا عجب ان كان هذا القسم أهم اقسام المخازن واكبرها فانما هو أول قسم تمثل الصناعة البلجيكية ورجحانها على غيرها وخصوصا فى سبك الحديد وصناعة الالات الضخمة ·

ويلى هذا القسم قسم هولاندا ومستعمراتها وبه عرضت الشيكولاتة وأنواعها واللوز الهندى والهندباء والقهوة والسكر وما يحاكى ذلك من الأشياء التى تفردت بها البلاد المنخفضة ثم قسم المستعمرات الفرنساوية وبه معروضات الجزائر وبعض بلاد الشرق الأقصى ·

ويأتى بعد هذا قسم أمريكا وبه من لوازم الاثاث وادوات الكتابة والطبع شىء كثير ·

وعلى يمينه معروضات لسيبيريا والعجم وبلغاريا وعلى يساره معروضات اليابان ومقاطعة الكسمبرج وأسوج ونورج ويلى كل هذه المعارض التى يضيق المقام عن

شرح معروضاتها ، قسم السياحة وبه العدد العديد من الخرائط والرسوم والاعلانات المتعددة من قبل كافة الشركات البحرية وبه منظر يشتمل على عشرين صورة تقريبا تمثل صور المراكب والسياح فيها وقاعات النوم والاكل وصور السفائن الكبيرة والصغيرة وهى فى وسط البحر تلعب بها الامواج وصورها وهى داخله الميناء وخارجه منه وما يشابه ذلك مما يلذ البصر ويطرب الفكر ٠

وعلى يمين هذا القسم البحرى ترى قسم اسبانيا والبرتغال وعلى يساره سويسرا ورومانيا ٠

ويلى كل هذه الأقسام من جهة اليمين قسم النمسا والمجر وبه غير رسم (فيوم وتريسنا وبحيرة بلاطون) كافة أنواع الملابس النمسوية (التى نلبس منها) والحلل والجواهر النفيسة ٠

ومن جهة اليسار قسم الدولة العلية وبه الطباق الاسلامبولية الجيدة والمنسوجات التركية الثمينة وبعض المصنوعات الشرقية ٠

ثم قسم ايطاليا وأفخر مابه التماثيل الصغيرة التى من الرخام الابيض والحرير المختلف الأنواع ، ثم قسم الروسيا ويشتمل على أجناس الفراء الثمينة التى يعتبرها الروسيين أنفس مصنوعاتهم ٠

وبجوار هذا القسم قسم فرنسا وبه أعظم مصنوعات مدائنها المشهورة فهو يشتمل على أمتعة المنازل وأشياء الزخرف والزينة وأنواع التماثيل ولعب الاطفال وبالجملة كل شيء امتازت به فرنسا عن غيرها ولا تنسى الحرير الليونى فانه زينة القسم وحليته ٠

ويليه قسم بلجيكا وهو موضوع أمام القبة التى بها الباب العام ٠ لكل المخازن ولا يرتاب القارىء من أن معروضات هذا القسم أكبر وأعظم من معروضات غيره ، فهو حقا المقصود بالذات فلقد تقدم فيه وحده ٤٠٠٠ عارض وعرضت فيه أنواع الفحم الحجرى (ولا يخفى على القراء ان بلجيكا تعد فى مقدمة البلاد التى يستخرج منها الفحم الحجرى) والمعادن المتنوعة والعربات الجمة وامتعة الزينة التى تفوق الحصر والعد والروائح المقطرة أحسن تقطير وقصارى القول أن فيه أجمل المصنوعات البلجيكية وأدقها ٠

وفى آخر هذا القسم أمام الباب العام للمخازن أقيم القصر الهوائى الذى طالما حدثتنى نفسى برؤيته والتمتع بالاقامة فيه ولو بعض دقائق ولكننى عندما وصلت اليه تنفست الصعداء وعلتنى حسرة وكآبة لعدم فتح أبوبه للآن فتركته متمثلا بقول القائل « ما كل ما يتمنى المرء يدركه » وسرت فى هذه المخازن الهائلة متنقلا من بلجيكا الى المانيا حيث رأيت فيها مجموعة ما رأيت فى غيرها من أفخر المصنوعات وأخطرها مما يدل على اجتهاد أهل هذه البلاد وشدة غرامهم بالصناعة ٠

وأمام قسم ألمانيا قسم انكلترا وهو فائض بالمصنوعات الحديدية والمعدنية التى نذكر منها أنواع العجلات والفولسيبيد التى لا نوجد فى غيرها والتى لا يستعملها فى الغالب الا أهلها ، وآلات الكتابة ومطابع اليد ، التى تصدرها لأغلب البلاد وبه غير ذلك المشروبات الروحية بأنواعها ، ونخص بالذكر منها الوسكى المملوء به قسمها وهى مشتهرة بصناعته من عهد بعيد ·

ويلى هذا القسم البريطانى قسم كندا وكل مابه من محصولات زراعية عديدة الانواع ·

وتنتهى المخازن كلها بقسم الفنون الحربية الذى يأتى بعد قسم كندا ويشتمل باطنه على المدافع القديمة والحديثة والاسلحة والالات الحربية التى لم تخترع الا للجمع بين حماية الانسان وسفك دمه · وفى وسطه ترى عمودا من الاسلحة القديمة على جوانبه تماثيل أربعة فرسان من فرسان العصور الخالية ·

وبجوار هذا القسم العسكرى ترى منظرا حربيا به صور الجنود فى جميع حركاتهم وسكناتهم ·

هذه رسالتى عن معرض أنفرس كتبتها ليقف القراء على مابهذا المعرض الخطير من المعروضات ولم استطع الشرح والتفصيل لضيق الوقت ولأن كل شىء فى المعرض يحتاج وحده لرسالة كاملة ، ولست أقصد فى رسائلى شيئا آخر غير مايراه العيان على قدر الامكان حتى تكون الرسائل كصور المصور تظهر للرائى من الاشياء مظهرها الصادق قياما بواجب السياحة الذى يفرض على السائح (كما يقول العلامة بسكال) أن يقرن واجب الرؤية بواجب الكتابة والاخبار ·

والقارىء لهذه الرسالة الرابعة يرى أن اوروبا تمثل فى هذه المعارض الخطيرة أكبر الاعمال وأشرف الخصال الدالة اوضح دلالة على مقام الانسان وأما الشرق (ويا للاسف وطول الخجل) فلا تمثل الا قهوات للرقص جمعه فى باطنها أسفل الناس وأوضع المخلوقات والسلام ·

الرسالة الخامسة ★

واترلو والمذبحة البشرية

« حببت الى واترلو أن أحدثك اليوم بحديث الأولين ، وانبئك بنبأ السالفين ، وأقص عليك أحسن قصص التاريخ ، فأذكر لك حوادث الرجال مع الأيام وحوادث الأيام مع الرجال ، وأشهدك هذه الأعمال الغراء ، وتلك المآثر الشماء ٠ التى فاخرت الشهب والسماء ، وحفظت لذويها لدى التاريخ ما يحفظ مجد هذه الايادى البيضاء من آن يراق عليه دم الحسد ، وانكار العلاء ، وأطرد معك الحديث الى ذكر نابليون ذلك الرجل الكبير والطود الخطير الذى اهتزت له الأرض من مشارقها الى مغاربها ولهجت بذكره الألسنة أصغرها وأكبرها فانتقته الحروب فارسها والنصرات نائلها، والأوطان حاميها وناصرها ، وجرت الأيام طوع بنانه والحوادث رهين مراده فلم تستطع مخالفة ، ولم تقدر على معاكسة ، بل دام رب السيف والقلم ، وأمير الممالك والعواصم ، أمره الأمر وارادته الفعل والنهى ، وجرت مشيئته كمشيئة الأقدار وبغيته كبغية الأيام والأمصار حتى ظهرت له (واترلو) بوجهها العبوس وميدانها المشئوم المنحوس تعلنه بأفول بدر سعوده ، وتنذره بغروب شمس علائه فجندت له الجنود والجيوش وجمعت الأسنة والرماح ، وقابلته مقابلة العدو الألد الابطال الأشد ونظرته نظرة الدهر لعظماء الرجال وكبار الابطال ، واحتقرته احتقار الفيلسوف لرجال الحرب أمثاله ، ومهرقى الدماء أشباهه ، فهزمت منه أقوى الرجال قلبا وأشد الفرسان مراسا ، وأعظم العظماء فكرا ورأيا فطأطأ تلك الساعة رأسه ، وعلم أنها ساعة الانقلاب وأن الزمن زمنان متناقضان زمن السعود والاسعاد وزمن الشقاء والعناد ، واستغفر لربه من دم اسالته الأطماع وأهرقته محبة الفخار ، فسمع اذ ذاك من دوى المدافع وصوت المواقع انه أراد من الشقاء هناء ، وطلب من الدماء علاء فاعتدى على الانسان فى كل بقعة ومكان ، حتى شكته لربها صم الكائنات وصوامت الموجودات فبعث وهو الرحيم على عباده الى (واترلو) رجالا أسعدوا الأمم

(★) كتبت وهو بباريس ٢٧ أغسطس ١٨٩٤ ثم نشرت فى جريدة الاهرام أول سبتمبر ١٨٩٤ ٠

بانهرام منتقيبها ، وأراحوا العباد بالتغلب على متعبها ومبليها ، فهرب من الفرنسيس رجال طالما هرب الدهر أمامهم ، وفر من وجوههم خيفة الايقاع به والاعتداء عليه ، على أنه مجرى الأيام وممر الحوادث ·

فخسف هذا البدر العالى والكوكب المتلالى فى يوم مشهور كان من أكبر أيام التاريخ وأعظمها ، فيه فازت أوروبا المتحزبة القيدح المعلى ، على حين انخذال فرنسا على يد رجلها الخطير ، وفارسها الشهير ، الذى طالما نصرها وأعلى شأنها ولولا واترلو لباتت به فرنسا سيدة أوروبا المستعمرة لهـا ، النافذة الأمر فيهـا ، المتصرفة فى أقسامها تصرف المالك الحرفى أملاكه ولقد صدق من قال وأحسن المقال (لم تعرف أوروبا مركزها الصحيح ولم تدر حقيقة وجودها الا مساء يوم واترلو فان تلك الساعة الحمراء (ويسميها الحمراء لاحمرار الأفق بها) أوقفت كل دولة أوروبية على انها كفرنسا مستقلة لايجسر ذو أمل نابليون على مهاجمتها) ·

وبديهى أن أوروبا بعد انهزام نابليون لم تعد تهاب القتال أو تخـاف المذابح البشرية فلقد ختمت جمعاء بمذبحة واترلو التى سالت فيها الدماء مختلطة ببعضها اختلاط الماء بالماء ·

ومن ثم اكتسبت واترلو شهرة لاتجارى على أنها أرض جرداء وان كانت اليوم خضراء فلقد أصبحت ملتقى السياح ، يأتونها من كل صقع وبلد بقصد رؤيتها ونظر ساحتهـا وقد زاد تواتر الزوار اليهـا من يوم وصفها الكاتب الطـائر الصيت (فيكتور هوجو) فى مؤلفه الميزيرابل (البؤساء) ولذا عدت زيارتهـا واجبـا ، لاسيما وبينها وبين بروكسل مسافة يقطعها البخار (١) فى نحو أربعين دقيقة ·

وصلتها بعـد الظهر بساعتين صحبة رفيقى العزيز ، وقصدنا ميدانها فاذا هو ساحة كبيرة خضراء فى وسطها تمثال ليث أقامته الحكومة البلجيكيـة تخليـدا للواقعة وتذكارا (لولنجتون) ، يصعد اليها بسلم كثير الدرجات ، صعدنا وشاهدنا الساحة زمنا مديدا فلم يكن ليدهشنا فيها شىء ، لأنها لا فرق بينها وبين ســائر الغيطان الا أننا تذكرنا غابر الأيام وسالف العصور وتلونا فى عالم الأقطار صحف التاريخ ، فبدت لنا الحرب بأبشع صورها ، وأقبح مناظرها ووددنا كمـا ود قبلنا من طلب للانسان غايات النعيم لو هلكت الحرب وعدم التباغض وأصـبح التاريخ يقص أنباءها كما يقص نبأ ثمود وعاد ، ولكنهـا أمنية بعيدة التحقيق فلقـد أمسى هذا البلاء الدائم والشقاء القائم ذا قانون مسطور وناموس مشـهور يقرأه القارىء فى علاقات الدول ، وروابط الممالك فى القانون الدولى فهو قسم ليس بالشىء اليسير ·

---

(١) القطار

ولقد لبثنا بهذا الميدان الجدير بأن يسمى (خزان الدماء) مدة ساعتين ونحن نعيره نظرة ، ونعير الليث نظرات ثم عدنا الى المحطة والأطفال تجرى خلف العربة تطلب الاحسان (كالشحاذين فى طريق الأهرام) ، حتى اذا ما بلغناها سافرنا الى بروكسل ومنها عدنا الى باريز والسلام ٠

الرسالة السادسة ★

الاحتفال بعيد جلالة السلطان

« قد جئت هذه العاصمة الزاهرة وعلمت اقتراب موسم عيد الجلوس المأنوس وأنا افتكر فى اقامة حفلة خاصة بالمصريين ، يحتفلون فيها بهذا العيد السعيد ، الذى يذكرنا بجلوس خليفة ملك بعدله الرقاب وجمع اليه الأفئدة ألا وهو جلالة السلطان الغازى « عبد الحميد خان » ، اذ لاشك آن المصريين هم أصدق الأمم جميعا للحضرة السلطانية ، وأول المخلصين المقدرين لحب جلالة الخليفة لوطننا العزيز ، وخديوينا المحبوب ، وقد أزداد تعلقى بهذا الفكر من يوم الى يوم حتى أراد الله اظهاره من القوة الى الفعل فشاورت جميع المصريين فاستحسنوه كل الاستحسان وأقروا جميعا بأن هذا العمل واجب وأنه لايلقى من المخلصين عموما والمصريين خصوصا الا رضاه فشرعت متوكلا على الله وقلت فى نفسى : لاشك أن حبنا لجلالة الخليفة أمر مشهور ، وان احتفالنا سيثبت لكل انسان أن فى المصريين احساسا صادقا يستطيعون اظهاره للوجود ، واعلانه للعالم أجمع دون أن يهابوا عدوا أو حسودا غائرا .

ولذا أرسلت لكل اخوانى المصريين ، أدعوهم لمشاركتى فى هذا الاحتفال السعيد فلبوا الدعوة جميعا بكل سرور وانشراح ، مظهرين لى فى اجابتهم عن الغيرة الوطنية والحمية الملية ماملأ فؤدى سرورا ، وجعلنى أقضى الليل والنهار فى تقبيل كتابتهم ، وأتضرع لله سبحانه وتعالى أن يكثر فى مصر من أمثالهم ، ويبقى روح هذه النهضة الوطنية سمو خديوينا المحبوب .

ولما كنا نود أن يحضر هذه الحفلة رجل من كرام الفرنساويين المخلصين لمصر ، المدافعين عنها حتى يعلم كل انسان أننا لاننسى الجميل أبدا ، وأننا نعترف لمن يحترمنا لمزيد الفضل ، دعوت النائب الشهير والمستشرق الفاضل الكريم الموسيو فرنسو دبلونكل أشهر مشاهير أعضاء مجلس النواب المعروف عند الجميع بحبه لمصر وأهلها ، وشدة دفاعه عن مصالحها وقد كنت تشرفت بمعرفته من قبل فقبل الدعوة حفظه الله بكل سرور وامتنان .

(★) نشرت فى جريدة الاهرام فى ٨ سبتمبر ١٨٩٤ .

وقد كان زارنى (صاحب جريدة الشرق) عند حضورى الى باريس وأخبرنى أنه سيحتفل فى مســاء الخميس ٣٠ أغسطس سنة ١٨٩٤ بعيد الجلوس المأنوس كجارى عادته السنوية وانه سيدعو كــل المصريين فحمدته أطيب الحمــد ، وودت لو دام اخلاصه لدولتنا العلية فلم يمض الا قليل حتى دعا مواطنى الذين لم يتأخروا عن الذهاب فى الميعاد المحدود فما جاءت الساعة السابعة الأفرنكية من مساء الخميس حتى أقبلت على محل الاحتفــال العربات من كل جانب ، والمصريون فيها كالبدور يتلألئون نورا وبهاء وهم بملابسهم الشرقية الرسمية زينة الحفلة وزهرة الاجتماع ولم نمكث قليلا بعد دخولنا حتى دعينا للعشاء فدخل النساء ثم الرجال لقاعة متسعة نصبت فيهــا الموائد العديدة جلس عليهــا نحو الثلثمائة شــخص كل فى مكانه المخصص له وقد كنت تأخرت عن الدخول قليلا لاشتغالى بالتكلم مع أحــد رجال المطبوعات فجــاء حضرة الكاتب الشــهير المسيو شيينيل أحد محررى (الجرنال) وأجلسنى أمامه وكان على مقربة من يمينى (نورى بك) أحد كبار رجال الدولة العلية وعلى يسارى جملة من أصحاب الجرائد الخطيرة وقد بدىء بالأكل فى الساعة الثامنة واســتمر نحو العاشرة والقوم يتحادثون حديث الحب والوداد وقد شنفت الموسيقى أسماعنا بالسلام العثمانى والدعــاء المرضى الشاهانى مرات عديدة نالت فيها الاستحسان التام والتصفيق العام .

وما بدىء بالفاكهة حتى ابتدأت الخطــابات والخطبــاء والبلغاء من كل جهة يذكرون محامد الحضرة السلطانية ومكانتها فى الشرق والغرب وما لها من بعد النظر فى الســياســة متخلصــين من ذلك روابط مصر الحاليــة الوثيقــة العرا مع الدولة العثمانية مادحين سمو العباس مثنين عليه أجمل الثناء وقد كان فى مقدمه الجميع المسيو « ميل فو » أحد النواب السابقين فقام وحمد الحاضرين ، وشــكر الداعين ، وذكر السلطان ذكرا جميلا وتكلم على مصر طويلا مما كان له حسن الوقع عند العموم .

ثم أعقبته الواحــد بعد الواحــد حتى وصلت نوبة الكــلام الى ، وقد كنت أخبرت بذلك من قبل فقام أحد الكتــاب الفرنساويين المجاورين لى وقال « ليصغ الحاضرون لخطابة صاحب جريدة (المدرسة) المصرى » فوقف كل من بالمكان وصفق تشجيعا للخطيب ولقد صعدت على كرسى والقيت خطابا بالفرنساويــة كنت كتبته من قبل واليك ترجمته حرفيا .

« ليسمح الحضور لصاحب جريدة مصرى جاء باريس زائرا أن يظهر بالأصالة عن نفسه بالنيابة عن كافة مواطنيه احساسات الحب والاحترام المتبادلة التى تربط المصريين بالفرنساويين وأن يؤكد لكم كل التأكيد أن المصريين لاينسون جميلا ، بل يذكرون كل مايؤديه لهم الغير من الخير .

وإن معشر المصريين نعد سعداء الطالع لرؤية الفرنساويين يحتفلون بمزيد الانشراح بعيد خليفتنا المحبوب السلطان الجليل القدر « عبد الحميد خان الثانى » ۰

وانى باسم جميع المصريين الذين علقوا بجلالته كل آمالهم اسألكم ان تشربوا على صحته وانى واثق من أنكم توافقننى كل الموافقة اذا سألتكم ثانية أن تعقبوا الشرب على صحة الخليفة بالشرب على صحة أميرنا الهمام « عباس حلمى باشا » ۰

حتام تجاهرون ★

بعكس ما تضمرون

أبدا كتاباتى فى الأهرام برسالة عامة على مناقضة الأنكليز لأقوالهم بأفعالهم واستشهد فيها ببعض الأدلة التى يتحدث بها الناس كافة جاعلا اياها مقدمة رسائل آتية تدرجها على التتابع والله الموفق •

ثبت للفلاسفة والحكماء فى سائر الأعصر والازمان أن النقيضين لا يجتمعان والضدين لا يتحدان ، مما رسخ فى الاذهان رسوخ الاهرام ولم يستطع أحد مخالفة هذا القول الصحيح لأبناء التاميز الذين تلقوا الحكمة والفلسفة على مكيافل فليسوف الطليان فانهم ارادوا بما آتوه فى مصرنا اثبات اتحاد الضدين واجتماع النقيضين فلقد قالوا وملأوا الأرض قولا « انا دعاة الصدق ، نصراء الشرف ، دخلنا مصر لتأييد سلطة بنائها واصلاح شؤونها واعادتها الى ما كانت عليه قبل الاضطراب (١) ، تم اثبتوا فى تاريخ احتلالهم أكبر اثبات على أنهم عاملون على تقويض أركان السلطة الخديوية وتقليل نفوذها واخراب البلاد وافقار العباد ، مما يدل من افئدتنا حينا لهم بسخطنا عليهم ، وولائنا لبلادهم بكرهنا لجنسهم ، والا اذا كنتم معشر الانكليز لا تزالون تسمون أنفسكم دعاة الصدق نصراء الشرف فقولوا لنا بحق مجدكم ما معنى تأييد السلطة الخديوية عندكم أتؤيد سلطة العزيز بتقويض دعائمها وهدم أركانها ومخالفة صاحبها الساعى فى كل رغبانه ومناقضته فى كل أمياله وتهديده عند الحاجة بعزله (كأن الدولة العلية أصبحت مقاطعة من مقاطعات اسكتلندا أو ايرلندا . هذا أميرنا أبو اميرنا عليه من الرحمن الرحمه والرضوان ظن بكم خيرا وسالمكم فى اكثر الأمور فقابلتم بعد موته ثقته بكم ومسالمته لكم بقولكم عنه « ان اللورد كرومر تنازل له عن الامضاء على الاوامر العليا فكان يضع امضاء بدل امضاء حضرة اللورد ، مما كان له أسوأ تأثير فى النفوس وعرف الناس حقيقة ماتكنه ضمائركم وتخفيه سرائركم وقد بلغ منكم حبكم للتعدى على سلطة الأميران تظاهرتم مرارا ضد العباس وخالفتهم رغبته . وعملتم (على انكم لم تفلحوا عملا) على قتل النفوس الشريفة المشربة بحبه والاخلاص له •

(★) نشرت فى الاهرام بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٨٩٤ •

(١) يقصد الثورة العرابية •

بل قولوا لنا بحق مجدكم يا أدعياء الحرية وزعماء المدنية هل أعدتم الوطن العزيز الى ما كان عليه قبل النورة بسلخ السودان عنه وتركه غنيمة باردة لكم ولصنائعكم من بعدكم فلا تركتمونا نسترجعه ولا صنتم حياتكم كنتم أول الطامعين فيه المتقدرين عليه (١)

وكان ساكن الجنان شريف باشا (٢) فقه كنه مقاصدكم وسوء نواياكم يوم اكبرت الناس عمله وصفقت له استحسانا حيث فض طلبكم واستعفى مفضلا اجتناب الأعمال عن خدمة مآربكم وترككم تحتالون على محبكم نوبار باشـــا (ومحب غورست على الخصوص) الذى قبل الوزارة وسلخ معكم السودان وما أدراكم أرض هى من مصر بمنزله الروح من الجسد ٠

وماذا كان منكم بعد أن أجبتم الى طلبكم ، وسلخ السودان كان منكم اذ كنتم أول المنتهكين لحرمته ، باستيلائكم على اوغندا وادلاى (التى هى من املاك الحكومـة المصرية) وأخيرا بالهدية الثمينة النى قدمتموها فى الصيف الماضى الى صديقتكم ايطاليا (يعنى بها كسلا) وكان ما كان من هياج الرأى العام ومظاهرة مجلس الشورى الوطنية التى قوبلت بالفرح والاستحسان (٣) ٠

---

(١) يسير هنا الى عمليه اخلاء السودان أيام وزارة نوبار بعد أن رفض شريف باشا ذلك واستقال ١٨٨٤ احتجاجا على هذا العمل ٠

يرجع الى : د٠ يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص‌ص ٣٩ ـ ٤٥ ٠

(٢) هو محمد محمد شريف الشركس ولد بالقاهرة ١٨٢٦ ، وتلقى تعليمه فى مصر ثم فى فرنسا بمدرستها العسكرية ، وعين ياورا لسليمان باشا الفرنساوى ووصل الى رتبة فريق فى عهد سعيد باشا وظل يترقى فى المناصب الادارية حتى عين فى منصب رئيس مجلس النظاره للمرة الأولى فى أبريل ١٨٧٩ ، وقد تولى هذا المنصب أربعة مرات (٧ أبريل ـ ٥ يولية ١٨٧٩) ، (٥ يولية ـ أغسطس ١٨٧٩) ، (١٨٨٤ سبتمبر ١٨٨١ ـ ٤ فبراير ١٨٨٢) . (٢١ أغسطس ١٨٨٢ ـ ١٠ يناير ١٨٨٤) هذه النظارة التى استقالت بسبب رفضها « نصيحه انجلترا » باخلاء السودان ، تلك التى كانت بداية سياسة انجلترا لاقتطاع السودان من مصر . وقد وجدت ضالتها فى موافقـــة نوبار باشا الذى عين رئيسا لمجلس النظار للمرة الثانية فى ١٠ يناير ١٨٨٤ ـ ٩ يونيه ١٨٨٨ ووافق على هـــذا الطلب لانجلترا ٠

(يونان لبيب : تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ ـ ١٩٥٣ ، القاهرة ١٩٧٥ ص ص ٦٦ . ٧٤ ، ١٧٧)٠

(٣) تدخل هذه المسألة ضمن مؤامرة الدول الكبرى لتقسيم أملاك مصر فى السودان الجنوبى والشرقى مستغلة قيام الثورة المهدية وعجز حكومة عبد الله التعايشى عن المحافظة عليها . وقد ضمت هــذه المؤامرة انجلترا وايطاليا والحبشة وفرنسا ٠

فبالنسبة لاوغندا فقد سال لعاب انجلترا عليها وارادت أن تحصل عليها بثمن قليل فقد وصلت أملاك مصر فى عصر اسماعيل الى منطقة خط الاستواء التى شملت أجزاء واسعة من أوغندا وجعلت عليها حاكما هو أمين باشا الذى انقطعت أخباره عن مصر بفعل المهديين الذين هددوه فاستغلت الدول الكبرى هذا الحصار وضخموا موقفه وطالبوا بارسال حملة لانقاذه وتدخلت فى ارسالها دول أخرى مثل الملك ليوبولد بعميله الانجليزى الرحالة ستانلى وألمانيا بعميلها كارل بيترز Kal Peters =

هذه نقطتكم السوداء فى تاريخ الاحتلال لم تخفف لكم الا تيقظ الناس لأعمالكم والتفاتهم لحقيقة افعالكم فلا تحسبوا اننا امه حمقاء لانفهم اسرار سياستكم بل تيقنوا أن ما يكتبه كل كاتب صادق يكرره الأهلون عن بكرة أبيهم يوما بعد يوم .

ادعيتم انكم دخلتم البلاد لترقية أهلها وجعلهم أهلا لأن يتولوا شئونهم بأنفسهم فهل كان ذلك منكم باغتيالكم الوظائف السامية وقبض الرواتب الفادحة والتبذير المستمر الذى أوصل الفلاح الى سوء الحال الذى لم ير له فى تاريخ مصر مثال .

وهل رقيتم البلاد يا ممدنى الهند والهنود بتضييق دائرة التعليم فى المدارس ومعاقبة الذين لا ينشرون لغتكم ولا يستحسنون اعمالكم واستعمال الجرائد المتهكمة على الامير والوطن (١) كتبا للمطالعة وتدريس علم التاريخ فى مؤلفات اتيتم بها من بلادكم بلاد الحرية والاعتدال (صديقه الاسلام وحبيبه الدولة العلية) مملوءة بالطعن على الدين الشريف والنبى الكريم

ليس فيما ذكرناه من بعض المسائل الشائقة الرائعة المعروفة عند كل قراء الأهرام

= ثم انجلترا أخيرا عن طريق عميلها فى زنجبار كابتن فردريك لوجارد F. Lugard ممثل شركة أفريقيا الشرقية البريطانية الذى بدأ تدخله بعد أن خلت الحلبه له فى مايو ١٨٩٠ وبدأ يحصل على موافقات من ملوك أوغندا القبليين على أن يكونوا تحت حماية انجلترا ورفع علم الشركة على كل منطقة تدخل تحت هذه الحماية ثم ما لبث العلم ان أصبح علم بريطانيا العظمى بعد أن أكمل سعيه وعاد الى لندن ليعرض جهده الناجح فى أكتوبر ١٨٩٢ وبعد أخذ ورد فى دهاليز السياسة البريطانيّة أعلنت انجلترا حمايتها على أوغندا فى ٨ يونيه ١٨٩٤ أما بالنسبة لكسلا فقد بدأت علاقة ايطاليا بها عندما ابتاعت شركة روباطينو Rubattino الايطالية للملاحة منطقة بجوار الميناء عصب على باب المندب من أحد السيوخ المحليين وكانت المنطقة كلها تحت حكم مصر الذى بدأ ينسحب فى تلك الأيام هناك ١٨٧٩ ، ٨٨٠ ورغم احتجاج السلطات المصرية على هذا التصرف تعين مقيم ايطالى فى عصب وفى ١٨٨٢ انتقلت ملكية عصب الى الحكومة الايطالية ثم توالت مسالة ابرام المعاهدات بين مندوبى الحكومة الايطالية ورؤساء القبائل هناك بسماح من السلطات الانجليزية التى أرادت أن تكسب ود ايطاليا المنطقة ولتضعها درءا للمد المهـدى فى تلك المنطقة .

ثم ما لبث الايطاليون أن دخلوا فى حرب مع الأحباش المجاورين ، كما وقع خلاف فى نفس الوقت بين الرؤوس الأحباش مما سهل عملية الضغط البريطانى لصالح ايطاليا .

ولقد تدخل الدراويش فى العراك ١٨٩٣ ولكنهم هزموا فى ٢١ ديسمبر ١٨٩٤ وسقطت كلها فى يد ايطاليا تماما فى ١٧ يوليه ١٨٩٤ وبدأت انجلترا بعد ذلك تتصرف فى المنطقة المالكة لها لتعطيها لايطاليا بمقتضى عدة بروتوكولات ومعاهدات دون مانظر لمالكتها الأصلية مصر . (لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى : محمد فؤاد شكرى ص ص ٤٠٠ ـ٤٢٤ ، د. السيد رجب حراز ، افريقيا الشرقية والاستعمار الأوروبى القاهرة ١٩٦٨ ص ٤٧٣ ـ ٤٧٥ .

ود. شوقى الجمل ـ تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، ط ٢ ، ١٩٨٠ ، ص ٣٩٧ .

(١) يقصد صحيفة المقطم .

والجرائد الصادقة برهان صحيح على انكم لا تريدون الا البقاء ولا تقصدون قرع باب الانجلاء ·

لنسلم لكم انكم اصلحتم الشؤون و يدتم السلطة الخديوية فمالكم لا تخرجون ·

أظنكم تجيبوننا على ذلك بانكم لم تتموا للآن ما تكلفتم به وانه باق عليكم بعض الشيء ـ اذا كان قولكم حقا فلتضربوا لنا ميعادا للانجلاء وهو يسر عليكم فقد خيرتم الأمور وأصلحتم الكثير من الشئون وبذلك تبرهنون للعالم أجمع انكم حريصون أكمل الحرص على مجدكم وشرفكم والا فيؤخذ عليكم أن تكونوا أبناء التاميز دعاة الصدق ونصراء الشرف وتجاهرون بضد ما تضمرون ·

الوعود الصريحة ★

ذكرت الانكليز فى رسالتى الأولى بأشهر سيئاتهم الاحتلالية ، وأذكرهم اليوم بشرف الوعود وأثمن العهود التى قالوها ضمانة للانجلاء آتيا بها وعد بعد وعد ، وعهدا بعد عهد ، عسى تنفع الذكرى ويعلم السادة الأحرار أنهم بمحافظتهم على هـذا الاحتلال الثقيل ، قد وطأوا بأقدامهم ، وداسوا بأرجـلهم أعز شىء يتباهـون به ، ويفتخرون • أعنى بذلك الشرف البريطانى الجليل-الشأن الرفيع البنيان •

ولئن ذكرتهم بهذه المواثيق الجليلة التى أخذوها على أنفسهم بعد أن ذكرهم ببعضها المخلصون من الكتاب فذلك لأنى أراها أمضى سلاح لنا ضدهم ، وأصلح درع نلاقيهم بها فى كل احتجاج وجدال •

وما هى فى الحقيقة الا ضمانات قوية يقيمها كل مصرى حججا دامغة على من أوصلوا مصر بسوء سياستهم الى هـذا الدمار وجعـلوا الشرف البريطـانى على شفير هار (١) •

فمن هذه التصريحات الشريفة المملوءة بسلامة النية وحسن الضمير ، خطـاب اللورد غرانفيل (٢) ، الشهير الذى أرسله وهو رئيس الوزارة الانكليزية فى ٤ نوفمبر سنة ١٨٨١ الى السير ماليت معتمد الدولة البريطانية فى مصر حين ذاك ، أى قبل

(★) نشرت بجريدة الاهرام اليومية ، العدد ٥١١١ ، بتاريخ ٤ يناير ١٨٩٥ ، ووقعها بامضاء « مصرى أمين » •

(١) أى جسر منهار •

(٢) لورد ، جورج ، جرانفيل (١٨١٥ ــ ١٨٩١) ، سياسى بريطانى ، دخل البرلمان عضوا حرا فى سنة ١٨٣٦ . وعين وكيلا للخارجية ، ثم اختير وزيرا للخارجية (١٨٥١ ــ ١٨٥٢) ، ثم عينه جلادستون وزيرا لهـا ١٨٧٠ ــ ١٨٧٤ ، ١٨٨٠ ــ ١٨٨٥ ، كما شغل منصب وزيـر المسـتعمرات (١٨٦٨ ــ ١٨٧٠) أثناء احتلال بريطانيا لمصر عقب اخماد الثورة العرابية ، وأعلن ــ حين لم تشترك فرنسا ــ أنه تدبير حربى مؤقت • (محمد شفيق غربال وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٦١٩) •

أن تظهر للثورة نار (١) ، ويقام للاحتلال شعار ، فان ذلك الخطاب أوضح بأجلى بيان أن انكلترا تضمر لمصر كل خير ، وتود من أصدق فؤاد ، أن تراها في ثوب العز والرخاء ، كما يفهم هذا من قوله فى بعض المواضيع : « ان الغرض الوحيد الذى تسعى اليه انكلترا هو أن تحقق لمصر سعادتها واستمتاعها التام بالحرية التى قررتها الفرمانات الملوكية المتتابعة » • وفى موضع آخر « ومن المهم أن أؤكد لكم أن غرضنا هو أن تبقى مصر متمتعة باستقلالها الادارى الذى منحته لها الفرمانات السلطانية » •

ومنها أن اللورد ليون سفيرا انكلترا فى باريز رفع فى ٢٨ يناير سنة ١٨٨٢ ، مذكرة الى ناظر خارجية فرنسا بناء على أمر صادر له من رئيس الوزارة الانكليزية جاء فيها « وان حكومة جلالة الملكة لا تطمع مطلقا فى أن يكون لها بمصر نفوذ خاص » •

ومنها أن هذا اللورد نفسه قال للمسيو فراسينه ناظر خارجية فرنسا فى بلاغ رفعه له فى ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ أن ضرب الاسكندرية لا يعتبر من قبلنا الا دفاعا قضت به الظروف ، وليس وراءه أدنى غاية •

ومنها تصديق دول انكلترا وفرنسا وألمانيا و لنمسا والمجر وايطاليا والروسيا (أى الست دول العظام) فى ترابيا يوم ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٦ فى البلاغ الشهير (٢) • الذى تعهدت فيه الدول جميعا « على أن لا تستولى أى دولة منها على أرض من الأرض المصرية ولا تبحث عن امتياز خاص ، ولا فائدة تجارية لرعاياها فى كل اتفاق يقع بشأن تسوية مسألة مصر » • ونزيد على ذلك أن المصدق على هذا البلاغ (البروتوكول) من قبل انجلترا هو اللورد دوفرين (٣) المشهور بحذقه ومهارته •

ومنها ما قاله اللورد غرانفيل في مجلس العموم يوم ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٢ فى خطابه المتعلق بمصر ، الذي جاء فيه ما يأتي : « ان سائر الوزراء الانكليز متفقون على أن لا طمع لنا في مصر ، وان الجنود البريطانية لم ترسل الا لتؤيد النظام وترد الى الخديوى سلطته التي نزعت منه • وأخيرا فالوزارة عازمة عزما أكيدا على أن تعرض للدول الأوروبية التسوية النهائية للمسألة المصرية » •

---

(١) الثورة العرابية •

(٢) ورد ذكره فى كتابات مصطفى كامل ـ بعد ـ باسم بلاغ ترابيا أو (طرابية) ، وترابيا هذه تقع على البسفور حيث أبرم هذا البلاغ •

(٣) دوفرين • فردريك تمبل (١٨٢٦ ـ ١٩٠٢) : دبلوماسى بريطانى ، شغل عدة مناصب دبلوماسية ، كان سفيرا لدى تركيا (١٨٨١ ـ ١٨٨٢) ، انتدبته حكومته ـ بعد اخماد ثورة عرابى فى سبتمبر ١٨٨٢ ـ لدراسة الحالة فى مصر ، وقدم تقريرا عما يرى ادخاله من اصلاحات ، فقضى بمصر عدة أشهر ١٨٨٢ ـ ١٨٨٣ ، وضمن تقريره الغاء مجلس النواب ليحل محله مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، وانشاء جيش مصرى جديد بقيادة ضباط انكليز وقوة شرطة ، أشرف على محاكمة عرابى •

(للمزيد من التفاصيل : الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ، ص ص ٨١٧ ـ ٨١٨) •

ومنها قول المستر غلادستون (٣) فى مجلس العمـوم يوم ١٠ أغسـطس سنة ١٨٨٢ : « انى أؤكد بأن انكلترا لا تقصد احتلال مصر احتلالا نهائيا ، ان ذلك يضاد مبادىء حكومة جلالة الملكة ويخالف معنى الوعود التى وعدنا بها أوروبا » ٠

ومنها قول هذ المستر نفسه فى مجلس العموم يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٢ جوابا على سؤال وجهه اليه المسيو نورثكوت بشأن مصر « ان احتلال مصر ليس الا مؤقتا وسيتحدد الوزارة الانكليزية شروطه مع الحكومة المصرية ٠ وهو يشابه احتلال الدول الأربع انكلترا وألمانيا والروسيا والنمسا لفرنسا عام ١٨١٥ الذى انتهى بسرعة وعلى أحسن حال » ٠

ومنها المنشور الذى أرسل من لندن يوم ٣ يناير سنة ١٨٨٣ لكل الدول وجاء فيه : « ان حكومة جلالة الملكة اضطرت تلقاء الحوادث الأخيرة الى تسـكين الهياج العسكرى ، الذى قام فى مصر . وتأييد النظام والسلام فيها ، وقد بلغت هذه الغاية ، وترغب سحب الجنود الانكليزية التى لا تزال باقية منها ضمانة للراحة العمومية ، وذلك متى سمحت حالة القطر وتأيدت سلطة الخديوى » ٠

ومنها قول المستر غلادستون زعيم الأحرار فى مجلس العموم يوم ٥ مارس سنة ١٨٨٣ « يلزمنا أن نعلم أننا لسنا فى مصر سادة بل أحباء ونصحاء للحكومة المصرية ، وأنه ليس لنا فيها مصالح خصوصية ممتازة عن مصالح بقية الممالك المتمدنة » ٠

ومنها اجماع مجلس العموم على استحسان ما قاله المستر غلادستون نفسه يوم ٩ نوفمبر سنة ١٨٨٣ من تحقيق قرب الجلاء وسحب الجنود الانكليزية من مصر ٠

ومنها قول اللورد دربي (١) فى مجلس العموم عام ١٨٨٥ « أنا ذهبنا الى مصر ووعدناها وعدا صريحا بأن لا نمكث فيها ، فيجب علينا احتراما للتاج الانكليزى وشرف البرلمان أن نخرج منها » ٠

ومنها اعلان المستر غلادستون عند انتخابه رئيسا للوزارة الإنكليزية سنة ١٨٨٥ أن من أول مشروعاته « سحب الجنود الانكليزية من مصر » ٠

ومنها قول اللورد سالسبورى (٢) عام ١٨٨٦ « لنحترم قداسة وعودنا ونتجلى » ٠

---

(١) جلادستون ، وليام ايوارت Gladstone, William, E. (١٨٠٩ = ١٨٩٨) : رجل سياسة بريطانى ، من اسرة اسكتلندية عريقة ، كانت نشأته الأولى دينية ، مما أثر عليه فى أسلوبه فى البرلمان الانجليزى ، ثم نغير أسلوب حياته الى السياسة ، وكان أول اشتراكه فى الادارة عام ١٨٣٤ ٠ كان رئيس حزب الاحرار البريطانى ، وتولى رئاسة الوزارة البريطانية أربع مرات ٠
للمزيد من المعلومات برجع الى :
Chamberes Encyclopaedia : Vol. 6, Page 361-362.

(٢) كان وزير خارجية بريطانيا فى ذلك الوقت ٠

لورد سالسبورى ، روبرت آرثر (١٨٣٠ — ١٩٠٣) : من أسرة سيسل Cecil الكبيرة ، أحد الساسة الانكليز البارزين ، دخل الى مجلس العموم وعمره ثلاثة وعشرين عاما سنة ١٨٥٣ ، وأعيد=

ومنها قول هذا اللورد للمسيو وادنجتون سفير فرنسا فى لندن يوم ٣ نوفمبر سنة ١٨٨٦ : « انكم تخطئون كثيرا اذا حسبتم أننا نبغى البقاء فى مصر الى أجل غير مسمى . اذ أننا لا نبحث الا عن الخروج منها بشرف فضلا عن أن جنودنا التى فيها تنفعنا كثيرا فى الهند ، كما أشار بذلك أمهر قوادنا » .

ومنها قوله فى مجلس العموم يوم ١ أغسطس سنة ١٨٨٩ ما معناه « ان بقاءنا فى مصر الى أجل غير مسمى يقلل من احترام الوعود التى جاهرت بها حكومة جلالة الملكة . وتعهدت بالخضوع لها » .

ومنها جوابه الذى أجاب به على طلب قدمه اللورد كارنارفون (١) فى مجلس العموم يوم ١٢ أغسطس سنة ١٨٨٩ بشأن امتلاك مصر امتلاكا دائما ، وجاء فيه « أظن أن صديقى لا يحسب حسابا كبيرا للوعود المقدسة التى نطقنا بها ولا للقانون الأوروبى » .

ومنها خطابه الذى ألقاه يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٨٩١ فى مدينة كمبردج ، وقال فيه بشأن مصر « ان احتلال مصر احتلالا دائما يسبب لنا أعظم المشاكل السياسية » .

ومنها تأكيد المستر مورلى لمجلس العموم يوم ٨ فبراير سنة ١٨٩٢ بأن رأيه بشأن مصر هو عين رأى أسلافه ، وأنه لا يرى غير « الانجلاء » (٢) .

وأخيرا نذكر جملة غلادستون الشهيرة التى يحق لكل مصرى أن يحفظها على قلبه ، ويجاوب بها أعداء الحق فى كل آونة وهى « ان حفظ مصر شىء جميل ، ولكن الأجمل والأشرف الوفاء بالوعود » .

هذه أيها السادة المحتلون وعودكم الشريفة الصريحة التى لا تستطيعون نكرانها ، ولا تقدرون على تحوير معانيها ، لم تقولوها عبثا ، ولم تفوهوا بها مصادفة ، بل قدمتموها لنا ، ولأوربا ضمانة على الانجلاء . فهل لكم أن تحترموا شرفكم العزيز ، وتنجلوا عن الديار بسلام أم عزمتم العزم الأخير على استخدام ذلك الشرف فى اغتيال

= انتخابه حتى أصبح عضوا فى مجلس اللوردات ، ثم رئيسا لحزب المحافظين ، تولى رئاسة الوزارة البريطانية (١٨٩٥ ــ ١٩٠٢) .

(بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية (١٨٩٥ ــ ١٩١٤) ، ص ٦٥٣) .

(١) ايرل كارنارفون ، هنرى هوارد (١٨٣١ ــ ١٨٩٠) : سياسى بريطانى ، تولى وزارة المستعمرات (١٨٦٦ ــ ١٨٦٧) ، عمل على اصدار قانون الاتحاد للمستعمرات بأمريكا الشمالية ، وحاول اقامة اتحاد بجنوب أفريقيا ، وتولى ادارة ايرلندا (١٨٨٥ ــ ١٨٦١) ، ولكنه اختلف مع الزعيم الايرلندى بارنل ، فاستقال .

محمد شفيق غربال وآخرون ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، القاهرة ١٩٥٩ ص ١٤٢٢ .

(٢) يقصد الجلاء .

البلاد ، كما يشير عليكم الخونة الأشرار ، وترك التاريخ يسود لكم صفحاته بعد أن حلاها بمحامدكم وفضائلكم · أجيبونا بحق ما تعزون ولو على ألسنة أبواقكم التى كانت أول من كشف الستار عنكم ، وعن دسائسكم بمدحها أعمالكم المخالفة لمصلحة البلاد . ووصفها الاحتلال بالرفعة والكمال ·

حديث ذو شأن ★

جمعتني والميرالاى بارنج ، (شقيق اللورد كرومر) مصادفة من أحسن مصادفات الحياة ، استطلعت فيها رأيه بشأن المسألة المصريه ، وما ينويه لها الانكليز من النيات (الحسان) فأحببت ايراد أهم ما دار عليه الحديث خدمة للقراء الكرام ، واظهارا لرأى رجل من كبار رجال الانكليز فضلا عن أنه أقربهم الى معتمد الدولة البريطانية فى مصر .

بدأنى حضرته بالكلام على خلاف عادة الانكليز فقال :

هل أنت مصرى أم عثمانى ؟

فأجبته مصرى عثمانى (١) .

فقال وسمة التعجب بادية عليه : وهل تجتمع الجنسيتان فى أحد ، فقلت : ليس الأمر جنسيتين بل فى الحقيقة جنسية واحدة ، لأن مصر بلد تابع للدولة العلية والتابع (كما لا يخفى على جنابك) لا يختلف عن المتبوع فى شىء من أحكامه .

فتبسم قليلا وقال : نعم ان مؤلفى الكتب الجغرافية وبعض الكتاب الذين لا تظلهم سماء السياسة الحاضرة ، يقولون ان للدولة العلية بعض السلطة على مصر ، ولكن الذين وقفوا على حاضر الأمور وماضيها لا يجهلون دخول مصر تحت حكم الانكليز دخولا لم يبق معه شك لعاقل من العقلاء .

فسخرت عندئذ من قوله هذا المبنى على حبه لجنسه ، وشغفه باتساع نطاق

(★) نشر هذا الحديث بجريده الأهرام يوم الاثنين ٢٨ يناير ١٨٩٥ ، بامضاء « مصرى أمين أيضا» .

(١) كان موقف مصطفى كامل هذا من العثمنة محل نقاش بين من تناولوه ، فمنهم من آنكره عليه ومنهم من التمس له عذرا واعتبره نوعا من الدفاع القانونى على أساس عدم شرعية الاحتلال البريطانى لمصر ، طالما هى تحت تبعية الدولة العثمانية .

ويمكن الرجوع فى هذا الى : دكتور يوافيم رزق ، أوراق مصطفى كامل ـ « الخطب » ، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ . الدراسة التحليلية .

المستعمرات الانكليزية وقلت له : ان وزراءكم وكبار رجالكم قالوا المرة بعد المرة أن احتلالكم مصر ليس الا احتلالا مؤقتا ينتهي بعد اصلاح الحال . وتأييد سلطة الأمير (١)، وعاهدونا وعاهدوا أوروبا على ذلك مقدمين المواثيق الغلاظ . والعهود الشداد بأن جنودكم ستنجلي عنا بسلام (احتراما للتاج الانكليزى وشرف البرلمان) مما يؤيد حقوق الدولة العثمانية على مصر . المؤيدة من قبل بالمعاهدات الدولية والفرمانات الشاهانية (٢) ، فكيف بك اليوم تقول عكس هذا القول ، وتجاهر بنقيض ما جاهر به عظام رجالكم وكبار وزرائكم ، وماذا يكون شأنكم اذا افتضح الأمر وبان السر ، وعلم الناس انكم كذبتم الكذب الصراح على أوروبا ومصر ، بل ماذا تكون عاقبة أمركم اذا أجبرتم على الانجلاء خلافا لما تهمون به من امتلاك وادينا العزيز .

فضحك اذ ذاك ضحكا عاليا ، وقال : ما أسلم نياتكم معشر المصريين ، وأقربكم الى الحالة الفطرية منكم الى الحالة الحضرية . أتظنون أن الانكليز (وهم أحق الناس بكل نعمة وخير) ينجلون عن مصر ويتركون لكم أو لغيركم برها الغزير وخيرها العميم . أم تظنون أننا نؤاخذ بأقوالنا وأفعالنا . ناطقات بحقيقة نياتنا ، وماذا على رجالنا اذا كانوا حققوا لكم ولأوروبا (الاحتلال المؤقت) ، (الانجلاء القريب) ومبدؤهم (الكذب فى خدمة الأوطان) واستعمال الخداع فى السياسة (وما هى الا حرب سلمية) استعماله فى الحرب والطعان وهل تصدقون بأن أوروبا تنجدكم وتساعدكم ضدنا ، انها آمال بعيدة وأوهام يحق لكم أن تتركوها وتعلموا أنكم فى حماية الانكليز ، وان سيادة الترك أصبحت فى النسيان ودخلت من زمان فى خبر كان (٣) .

فثار منى الفكر عند سماع هذا القول وأجبته أن لمصر أن تؤمل من أوربا نجاتها

---

(١) يقصد الخديوى عباس حلمى الثانى (١٨٩٢ - ١٩١٤) .

(٢) لعله يقصد معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ، التى عقدت بين انجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا فى ١٥ يوليو ١٨٤٠ ، حيث تم الاتفاق على أن يرغم محمد على على قبول حكم مصر وراثية فى أسرته وعكا طول حياته ، وأن تكون مصر مرتبطة بتركيا بقيود مثل دفع الجزية وتحديد عدد الجيش والأسطول ..... الخ . واذا لم يقبل هذه الشروط بعد عشرة أيام تنزع منه عكا ، واذا أصر على عصيانه يعطى ولاية مصر فقط ،واذا لم يخضع فى عشرة أيام أخرى نظرت الدول فى أمره . كما صدر فى سنة ١٨٤١ (١٣ فبراير) فرمان بتولية محمد على حكم مصر مع احتفاظ تركيا بحق اختيار والى مصر من أسرة محمد على واستيلاء السلطان على ربع دخل مصر . ولما رفض محمد على قبول هذه القيود ألحت الدول على الباب العالى لتغيير ذلك فى يونيو ١٨٤١ لتكون الوراثة لأكبر أعضاء الأسرة وتحديد الجزية بمقدار ٤٠٠ ألف جنيه ، ويكون للباشا حق منح الرتب العسكرية ... الخ .

أما معاهدة باريس (٢٥ فبراير ١٨٥٦) ، التى أنهت حرب القرم بين تركيا وروسيا ، فقد نصت فى بندها الأول على احترام أملاك تركيا واستقلالها .

(٣) لعل هذا القول كان أقرب الى الحقيقة والواقع ، بالنسبة لما كان يجرى على الساحة الدولية من أحداث ، والذى لم يتجاهله أو جهله مصطفى كامل ، وظل مكابرا بدافع وطنى يراسل الساسة الانجليز الذين لجأوا الى التمويه والخداع .

وخلاصها ، ولكم أن تتحققوا من بطلان آمالكم وضياع أمانيكم . فلقد كشفت أفعالكم (الناطقات بنياتكم) الغطاء عن هذه المقاصد الخبيثة التي أضمرها غرانفيل وسالسبرى وغلاد ستون ، ومن حاكاهم في سياستهم ولم يعد سياسى من السياسيين يغتر بما تقولون بل تحقق الكل من أنكم (لا تصدقون في خدمة الأوطان) ولذا استشعر القريب والبعيد بأن الاحتلال في آخر ساعاته قضت عليه عدالة القرن التاسع عشر ومدنيته بالموت الدائم فاطمئن خاطرا يا حضرة الميرالاى واعلم أن الانجلاء قريب عاجل .

فازداد ضحكه وقال : ومن لكم يا ترى من السفراء في أوربا حتى قلتم بقرب الانجلاء ؟

لنا أوربا بأسرها التي تناديها مصالحها العديدة بأن ننصرنا عليكم كيما تنصر تلك المصالح التي سعيتم من يوم احتلالكم البلاد في تقويض أركانها .

فقال : اصرفوا عن أوربا أملكم فانا نرضيها بالأراضى الكثيرة والأملاك الواسعة (١) ، « كأن انكلترا قد ملكت الأرض وما عليها » ونضمن لها في مصر مصالحها وديونها .

ولنتفق جدلا على ذلك ، ولكن هل نسيت أن في حمايتكم لمصر ووضع يدكم عليها ضياعا للموازنة الأوروبية التي تعمل كل دولة للمحافظة عليها (٢) . ومهما قدمتم من الهدايا لبعض الدول (على أنكم لستم المتصرفين في كل أرض) فهل تحسبون أنها تقوم لديها مقام (مصر) طريق الشرق الأقصى وأعظم المستعمرات الأوروبية أم نسيتم أن من العار على أوروبا أن تساعدكم على انتهاك حرمة المعاهدات وتتركم تستعبدون أمة اعترفت أوروبا نفسها بكمال استعدادها ومحاكاتها لأعظم الممالك المتمدنة مدنية ونظاما . ولم ساعدت فرنسا الولايات المتحدة وطردتكم منها ؟ (٣) . أكانت مصالحها

---

(١) كمسألة كسلا بالنسبة لايطاليا والتي سيجيء الحديث عنها ، مقال « في الحفلة الدنقلية » ٤ أبريل ١٨٩٦ .

(٢) انتهجت بريطانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر - حسبما يرى بعض الباحثين - سياسة « العزلة المجيدة » على اعتبار أنها تركت الأمور دون المشاركة الفعلية ، في حروب الوحدة الايطالية أو حروب الاتحاد الألماني ، الى مشاركة الدولة القوية الشكيمة التي يرهبها الجميع ، وكانت تشعر بالطمأنينة لعدم مقدرة أي من الدول توجيه ضربة شديدة اليها . ومع هزيمة فرنسا أمام ألمانيا سنة ١٨٧١ ، وظهور الحلف الثنائي والحلف الثلاثي جعل استمرار انجلترا في سياسة المشاركة الفعالة في سياسة الاحلاف يشكل خطرا على مستقبلها . وكان ظهور التحالف الثنائي يعني أن بريطانيا حين تصطدم بمنافستها الكبرى فرنسا تجد نفسها مضطرة الى الصدام مع روسيا ، وربما كان هذا الوضع محتملا لبعض الوقت طالما كانت دول التحالف الثلاثي على علاقة ودية مع بريطانيا .

(د. عبد العزيز نوار : التاريخ المعاصر لأوربا ١٨٧١ - ١٩٤٥) . القاهرة ١٩٧٧ ، ص ١٢١ .

(٣) ربما وجدتها فرنسا فرصة لتوجه ضربة الى بريطانيا ، أو كان دافعها الأكبر الثأر لهزيمتها في حرب السنوات السبع (١٧٥٦ - ١٧٦٣) ، علاوه على الأهمية القصوى التي تمثلها الولايات المتحدة بثرواتها الطبيعية .

هناك أكبر من مصالحها هنا ، بل لماذا قامت أوروبا مرة واحدة مساعدة لليونان على استقلالهم وانفصالهم تمام الانفصال عن الدولة العلية . ولماذا قررت بنجبكا وايطاليا وغيرهما وأقامت نفسها وصية على الأمم الضعيفة خاذلة للطماعين ناصرة لذوى الحقوق .

اظنك يا حضرة الميرالاى لا تقدر على اثبات أن المصريين ليسو من الفرع الانسانى وانهم غير أهل لأن ينالوا من أوروبا حريتهم واستقلالهم الادارى المثبت فى المعاهدات (التى كنتم أول المصدقين عليها) المؤيدة بالفرمانات .

فقال والغضب باد على وجهه : « ان أوروبا فى شغل عنكم وفرنسا أمى وجهة آمالكم نحوها لها من سوء أحوالها وكثرة مستعمراتها ما يجعلها على الدوام عاجزة عن أن تخدم مصر خدمتها للولايات المتحدة وتساعد العباس مساعدتها لواشنطون .

على أنى لو وافقتك وقلت أن أوروبا ستنصركم ونجبرنا على الانجلاء ، فذلك لا يكون الا بعد أن يبيع فلاحكم أرضه ويسوء حاله ، ونملأ جيوبنا مالا فضلا عن أننا نكون ملكنا السودان وهو كما تعلم روح بلادكم .

فقلت : وكيف نملكون السودان والسودان لا يزال ملكا لنا ؟

فأجاب ضاحكا : واذ كان ملكا لكم فلم لم تستردوه ولم ضاعت وادلاى وكسلا ؟

ـ كان ذلك بدسائسكم ومعارضتكم لنا فى استرجاعه ولكن متى خرجتم يسهل علينا استرداد ملكنا .

ـ ان ملككم مضت عليه المدة ولم يعد لكم بل أصبح متاعا لمن يستولى عليه ، وجزى الله نوبار باشا كل خير فلقد سهل فى الماضى سلخه وسيسهل لنا قريبا ملكه ملكا نهائيا . (١)

---

(١) ترتب على نجاح الثورة المهدية وفشل حملة هكس فى ٥ نوفمبر ١٨٨٣ ، ان اتخذت سياسة التدخل البريطانى فى المسألة السودانية ، صوره اسداء النصائح حيث رأت ضروره التوصل الى قرار بشأن اجلاء جميع المناطق الواقعة الى الجنوب من أسوان أو وادى حلفا ، وفى هذه الحالة تتعهد انجلترا بحفظ النظام فى مصر ، واعترض شريف باشا ، فكان رد الحكومة البريطانية الذى أبلغه اللورد جرانفيل الى كرومر فى ٤ يناير ١٨٨٤ باصرار الحكومة البريطانية على السياسة التى تراها ، ومن الضرورى أن يتخلى عن منصبه كل وزير .أو مدير لا يسير وفقا لهذه السياسة . فلم تكن أمامه سوى الاستقالة فى ٧ يناير ، وخلفه نوبار ، ومع تشكيل وزارته فى ١٠ يناير ١٨٨٤ تمت الموافقة على اخلاء السودان ، ووقع الاختيار على الجنرال غوردون لاخلاء السودان ، وصدر فرمان بتعيينه حكمدار للسودان فى ٢٦ يناير ، ولكن سقطت الخرطوم فى أيدى القوات المهديه ولقى غوردون مصرعه فى ٢٧ يناير ١٨٨٥ . وعلى أى حال فان تلك السياسة كانت مؤدية الى تنفيذ سياسة الاخلاء ولا تنم سوى عن تمكن السياسة البريطانية من تنفيذ أهدافها .

للمزيد (على محمد بركات : السياسة البريطانية واسترداد السودان . القاهرة ١٩٧٧ ، ص ص ١٨ ـ ٢٧ ، محمد فؤاد : مرجع سابق ، ص ص ٣١٣ ـ ٣٣٣ .

فاستولتنى دهشة عظمى ، وقلت له : ألى هذا الحد نطمعون فى نوبار باشا ؟

فأجاب : وبأكثر منه ، ان نوبار رجلنا ومحبنا وقد أطلق عليه السياسيون فى أوروبا اسم (نوبار ستون) دليلا على شدة اخلاصه لنا ٠

وما هى فائدته من خدمتكم ؟

أنه يؤمل استقلال أرمينيا (١) على أيدينا ، ولا يخفاك ما فى دلك ٠

فقلت والدهشة فى ازدياد : ولكن اما تخافون بقية وزرائنا ؟

فأجاب مبتسما : ان بقية الوزراء لا يهمهم الا قبض روانبهم العظيمة وبقاؤهم فى أعلى المناصب لا يخالفون للانكليز رغبة ، بل يقدسونهم من صغيرهم لكبيرهم خوفا من السقوط والعزل ٠

فتنفست عندئذ الصعداء وقلت : لاتغتر يا حضرة الميرالاى بوجود بعض الخونة (٢) فينا واعلم أن بلدا فيه رجال يعرفون معنى الوطنية معرفة رجلكم لها لا يموت أبدا ، بل يعيش معززا عالى الذرى والمقام ، ولربما أحيا فرد واحد أمة بأسرها ، وفى تاريخ الدول وانقلاباتها أقوى دليل على ما أقول ، ومصر فى هذا العصر غنية برجالها مباركة بأبنائها ، لها أن تؤمل منهم الظفر القريب ان شاء الله ٠

---

(١) كان نوبار يؤمل استقلال أرمينيا التى كانت تابعة للدولة العثمانية ، لأنه أرمنى الأصل ، وتجدر الاشارة أن الثورة التى اندلعت فيها كثرت فى أسبابها الأقوال ، وامتلأت الصحف فى أوروبا بما يثبت تهمة التحريض وقيام الدسائس من انجلترا أو أنها هى التى شكلت عصابات الثائرين وأمدتهم بالسلاح والمال ، وترجع صحيفة ليكودريان بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٨٩٥ رغبة انجلترا فى ذلك لابعاد أنظار العالم عن المسألة المصرية رأس المشاكل الشرقية ، بل ذهبت فى عرضها للمشكلة الى نشرها خبر اسقالة وزارة نوبار وقبول الخديوى لها ، وان ما يردده الناس عن الاستقالة بسبب الضعف الذى ألم به وتقدمه فى السن ، ولكنها نشرت فى ٤ نوفمبر ١٨٩٥ نقول : كما أن من البواعث عليها المسألة الأرمينية ، وما نتج عنها من حرج فى كل أنحاء الدولة العثمانية ٠

(محمود نجيب أبو الليل : الاحتلال البريطانى والصحف الفرنسية . القاهرة ١٩٥٣ ، ص ص ١٥٧ ـ ١٥٨) ٠

(٢) كان فى الواقع على رأس اولئك نوبار باشا المعروف بميوله الانجليزية القوية ، وفى نفس الوقت تم اختيار كل من مصطفى فهمى باشا وابراهيم باشا فؤاد وهما من أكثر المعاونين مع الاحتلال ، وكان الأول ناظرا للحربية والبحرية ، والثانى ناظرا للحقانية ، وتبلور موقف معارضة مصطفى كامل فى الواقع يرجع الى حساسية وجوده كارمنى على رئاسة النظارة وولائه الانجليزى ابان الموقف الانجليزى تجاه استانبول ٠٠ كذلك اتخاذ نظارة نوبار موقفا صلبا برفض عودة اسماعيل الى مصر فى مطلع سنة ١٨٩٥ ، بعد استداد المرض عليه ، ورغبة الخديو عباس فى عودة جده الى مصر ٠٠ الى جانب عدم ارتياح الخديوى لهذا الموقف ووفاة اسماعيل بعد ذلك بأقل من شهرين قد ملأت المشاعر نفورا نحو نوبار ٠ ووصلت رغبة عباس الثانى فى التخلص منه الى الحد الذى قدر معه اقتراح مصطفى فهمى صديق الانجليز الوفى رئيسا جديدا للنظار حتى يغرى المعتمد البريطانى على قبول استقالة الوزارة النوبارية ٠

(يونان لبيب رزق : مرجع سابق ، ص ١٤١ ـ ١٤٤) ٠

فبهت لمير لاى وقال : انى أقف معك فى الحديث عند هذا الحد فلقد رايت ان حميتك تملى عليك القول ووطنينك تحقق لك آمالك (البعيدة) .

هذا هو الحديث الذى جاهر به انكليزى خطير بما لم يستطع المحتلون المجاهرة به من قبل ، وان كانت فعالهم أفصحت أظهر افصاح ، ولا يعدم القارىء اللبيب حكما صادقا على نيات نصراء الحرية ، وزعماء المدينة ، كما أن وزراءنا (أثابهم الله) يعلمون منه ما يقوله منه الانكليز عنهم ، وماذا أفاد تهاونهم وموافقتهم على ضياع البلاد ولكن ليس المقام الآن مقاما ننبههم فيه الى ما وصل اليه مركزهم واحترامهم بل لنا معهم كلام آخر فى وقت آخر والسلام » .

صديقى العزيز مدير الأهرام :(*)

لم يكن يدور فى خلدى من قبل ان نصراء المحتلين فى مصر على هذا الجانب العظيم من الحمق والجهالة ، وانهم يرون فى السفاهة والوقاحة أحسن الرد على كل قول صحيح وفكر سليم ، فما نشرت الأهرام مقالتى الأخيرة المعنونة (حديث ذو شأن) ، حتى هاجوا وماجوا وزلزلت بهم الأرض زلزالها وجاءونا بردود يحسبون أنها تكذب قولا صادقا ، فجاءت على عكس مايرون إثباتا لحديثنا الذى لا ريب فيه ٠ (١)

وأعجب شيء من هاتيك الردود أنهم حملوا على صاحب الأهرام الجليل (٢) حملة اللئيم على الكريم ، ولم يعلموا أنه صـدق فى خدمـة الوطن العزيز ، فاجتمع حوله المخلصون الصادقون ٠

وما عساهم يكتبون ويردون والحديث لا يزال حديثا . وشقيق اللورد كرومر أرفع وأعظم من أن ينكر اليوم قولا قاله بالأمس ٠

(★) نشر بالأهرام بتاريخ الاثنين ٤ فبراير ١٨٩٥ ، وهو تعليق على ما نشره المقطم ردا على مقالة « حديث ذو شان » ٠

(١) يقصد جريدة المقطم عندما نشرت فى عددها ١٧٨٢ مقالا بعنوان (حديث خرافة) . على حديثه مع شقيق اللورد كرومر السابق نشره ٠

(٢) هو سليم بك تقلا (١٨٤٩–١٨٩٢) ولد فى قرية كفر شيما احدى قرى لبنان ، حضر الى مصر ونال الامتياز من الخديو اسماعيل باصدار جريدة الاهرام الاسبوعية ، ثم صار اصداره صدى الاهرام اليومية ، ولكن صدر أمر بالغائها ، ثم أعاد اصدار جريدة الأهرام اليومية ٠ ولما قامت الثوره العرابية هجر البلاد ، ثم عاد لاصدارها من جديد ، مبتكرا فى روح الجريده ، ولكن حالت الحكومة دون ذلك ، فأقفلتها عنوة ، الا أنها عادت بعد ذلك ٠

وكان أكبر برهان على اخلاصه أن ورد عليه وعلى أخيه بشاره باشا كتابان موقـع عليهما من كثير من نواب الأمة وأعيانها بشكر الجريده ، وهما مصحوبان بساعتين ذهبيتين دليل الاخلاص عليهما شعار « شعائر وطنية » ٠ سافر فى عام ١٨٩١ الى باريس ، وساح فى جهاتها ، وفى يوليو ١٨٩٢ مرض بالقلب فذهب – حسب نصيحة الاطباء – الى غزير احدى قرى لبنان حيث توفى فى قرية بيت عمر ٠ =

على أنهم لو كانوا ــ كما يدعون شيعة الحق ، وأنصار الصدق ــ لكان الأجدر بهم أن لا يتعجلوا في الرد قبل أن يترجموا الحديث الى الانكليزية بغير ما اعتادوه من تحريف أقوال الجرائد الوطنية ، ويرفعوه الى سيدهم (١) ··· ليوصله الى أخي اللورد كرومر حيث هو الآن ليرى فيه رأيه ، فان قال بصدقه ، وهو مالا نرتاب فيه سكتوا عن الرد ، ان لم يبروا باظهار الحق ، والا نشروا لنا جواب حضرته تكذيبا ، واذ ذاك لا نقصر عن تذكير جنابه بالمكان الذى جمعنا واليوم الذى دار فيه الحديث ، مذيلين كل ذلك باسمنا ، غير خائفين تبعة الصدق في القول والاخلاص في الوطنية ، شأن كل مصرى أمين ٠

= ودفن في قرية كفر شيما مسقط رأسه ٠ وقد استدل مصطفى كامل من تعرضه للحكومة دليل على صدق وطنيته ٠

الياس زاخورا : مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر مصر ، ج ١ ، القاهرة ١٨٩٧ ، ص ٥٤٤ ٠

(١) لعله كان يقصد التجريح الذى تناولته به الجرائد المعادية له كالمقطم ٠

التهديد الباطل

ما عهدنا جرائد الاحتلال أشد حنقا وأعظم غيظا هذه الأيام ، التى قامت فيها قيامتها ضد الشبيبة والشبان ، فنسبت لهم الغرور والجنون ولأعمالهم الطيش والخفة ، ولا تعرف لهم ذنبا عندها ، الا أنهم احتفلوا مرة بعيد جلالة السلطان وزاروا مرة أخرى جناب الموسيو فور (١) رئيس جمهورية فرنسا ، كأن القيام بمثل هذه الواجبات الأدبية يعتبر فى شرعة الانكليز جريمة من أكبر الجرائم ٠ والا فتعنيف جماعة من كرام الشبان تعنيفا شديدا مثل الذى عنفتهم به جرائد الاحتلال ، لا يكون الا اذا اقترفوا ذنبا عظيما ٠ وبعيد عن الصواب اعتبار احتفال المصريين بعيد سيدهم الأعلى أو زيارتهم دولة محبة لنا ذنبا من الذنوب ، بل العكس تدل مثل هذه المظاهرات على الاريحيات الشريفة ، والمبادىء الجليلة القائمة بنفوس هؤلاء الشبان الذين هم رجال المستقبل ٠

والغريب أن جريدة الخوارج (٢) التى تمتاز عن أخواتها فى كل شىء بالكذب والسفاهة لم تكتف بتقبيح المظاهرات الوطنية التى تظاهر بها المصريون فى باريس ، بل قالت ان الحضرة السلطانية لم تجاوب بجواب ما على الرسالة البرقية التى أرسلها اليها المحتفلون بعيدها الجليل تهنئة وتبريكا ٠ على أن الحقيقة كما علمنا وعلم الخبيرون مخالفة لذلك كل المخالفة ، اذ أن سفير الدولة فى باريس شكر للجميع شكرا عاما وللمسيو ديلونكل (٣) ، شكرا خاصا ، مما يدل على أن رجال الآستانة قدروا هذا العمل كما قدره رجال باريز ٠

(★) نشر هذا المقال بجريدة الأهرام ، بتاريخ ٢٣ فبراير ١٨٩٥ ٠

(١) تولى المسيو فيلكس فور رئاسة الجمهورية الفرنسية فى ١٧ يناير ١٨٩٥ ، وتوجه الطلبة المصريون بباريس لتهنئته يوم ٤ فبراير ١٨٩٥ ٠

(٢) يقصد (المقطم) لصاحبها فارس نمر ٠

(٣) فرانسوا ، دلونكل : نائب شهير من أعضاء الجمعية الوطنية الفرنسية ، جاء الى مصر فى مارس ١٨٩٥ للاطلاع على حالة مصر السياسية ، تعرف عليه مصطفى كامل فى صيف ١٨٩٤ بباريس ، وهو معارض لسياسة انجلترا فى الشرق ٠

وليس من الخفة والطيش كذلك زيارة المصريين فى باريز لرئيس الجمهورية الفرنسوية فانما تعتبر هذه الزيارة عند كل عاقل بمثابة زيارة أدبية واجبة على كل من تربى وتعلم فى فرنسا مصريا كان أو غير مصرى ، اذ أن شريعة الآداب تأمر كل انسان بالاعتراف بالجميل ، فمواطنونا لم يأتوا بتوددهم للمسيو فور شيئا آخر غير القيام بهذا الواجب الأدبى الذى حق عليهم لا سيما وأن المسيو فور اشتهر بحبه لمصر والمصريين وميله لخير وطننا العزيز ٠

واذا قلنا ان المهنئين للمسيو فور من أبناء وادى النيل طلبوا منه المساعدة فى حل المسئلة المصرية حلا عادلا عاجلا ، فلا خلاف فى أن أحسن شىء فى خطابهم هو هذا الطلب وفضلا عن كونه من حقوق كل مصرى ، فهو يزيد انكلترا شرفا ورفعة حيث أن المطالب لها باحترام وعودها والوفاء بعهودها يعتبر حسن الاعتقاد بها ، وبشرفها بخلاف الساكت عن مطالبتها فانه اما جبان واما سىء الظن بها ٠

فماذا افترى اذا مصريو باريس ، حتى اهتزت الدنيا وقام الانكليز وقعدوا وأرغوا وأزبدوا طالبين من مريض الوزارة عقابهم أشد العقاب تعذيبا لهم وعبرة لغيرهم ، مما حرك الشيخ العليل (١) الى اصدار أمره الى صنيعته أرتين باشا بتحقيق هذا الأمر وتقرير العقاب الصارم ٠

وماذا أتى اخواننا ضد الانكليز حتى يطلب السير بالمر (الاقتصادى) الغاء الارسالية المصرية (٢) بأسرها وجعلها أثرا بعد عين ، ثم يعود فيطلب ابقاءها ومعاقبة المسببين لزيارة المسيو فور عندما علم (وياللعجب وطول الخجل) ان حضرات الأجلاء

= حدث خلاف بينه وبين مصطفى كامل ، ونستدل من خطاب الأخير الى أحمد شفيق بتاريخ ٦ يونيو ١٨٩٥ أنه كان يعمل فى المسألة المصرية لاظهار اسمه ، ويريد الانتفاع به وكانت نظرته لمصطفى كامل أنه السكرتير العربى الذى أرسله الخديو ٠

رحل عن مصر فى ١٣ أبريل ١٨٩٥ واعتقد مصطفى كامل فى النهاية أن ارتباط القضية المصرية بشخص دلونكل سيؤدى الى أن تخسر خصومه وخصوم حزبه ٠

(مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر : أوراق مصطفى كامل (المراسلات) ، اشراف د٠ / شوقى الجمل ، القاهرة ١٩٨٢ ، حاشية ٣ ص ٢٩ ، حاشية ١ ص ٨٣ ، حاشية ٢ ص ٨٩) ٠

(١) يقصد نوبار باشا رئيس النظارة التى شكلت فى ١٦ أبريل ١٨٩٤ ، وقد أصيب بتدهور صحى شديد ، اضطره الى التغيب عن عمله فترة غير قصيرة لدرجة أنه تقدم للمعتمد البريطانى بطلب للاعتزال ٠

(يونان لبيب : مرجع سابق ، ص ١٤٣) ٠

(٢) جاءت تفاصيل ذلك الهياج فى اعتبار نظارة المعارف تلك الزيارة من قبيل المظاهرات السياسية ٠ وقال السير بالمر المستشار المالى بصفته عضوا فى اللجنة المالية للمعارف ، بالغاء الارسالية كلية ، جزاء اقترافهم ذلك ، وأنه أحرج الوزير نوبار باشا ٠٠ ولذا كتبت نظارة المعارف العمومية الى ناظر الارسالية موجيل بك برفت الشيخ محمود أبو النصر أستاذ العلوم العربية باعتباره المحرض ، وتعيين الشيخ عبد الرحيم سليم بدلا منه ٠ =

(زبكيكيان وشيروجيان وتجيران) (١) ، يتعلمون فى الارسالية على نفقة حكومتنا لسنية (أعزها الله) ٠

فأى سر مصون مستتر وراء هذه الأعمال ، اذا كان الانكليز لا يزالون يرددون وعودهم الجميلة ويترنمون بنغمة ذكرها بل بأية حرية يتكرمون علينا بها ، وهم ان رأوا من المصرى احساسا شريفا قاموا عليه بالويل والثبور ، وطلبوا عقابه العقاب الأليم ، وان أبصروا كاتبا يكتب الحق ويسطر الصدق ، طلبوا نفيه عن الديار وابعاده عن الأوطان ، كما ظهر هذا الميل (العادل الشريف) عند جناب مكاتب التيمس فى مصر ، لما كتب رده على حديثى المشهور مع الكولونيل بارنج حيث قال (لو كان ذلك الكاتب مصريا لعاقبناه بما يستحق) كأنه يريد وضع مادة جديدة فى قانون العقوبات يقول فيها (كل مصرى تقل الى الجرائد حديثا جرى له مع سيد من الانكليز يعاقب بالطرد أو بالأشغال الشاقة) ٠

وأى حكمة وراء قول المقطم لسان حال معتمد الدولة البريطانية فى مصر ، أن المصريين لو كانوا على رأى الجرائد العربية الفرنسوية (يريد بذلك على ما أظن المؤيد الأغر والأهرام الزاهرة) (٢) لاستعمل الانكليز معهم الشدة والقسوة بدل الملاطفة واللين ٠ مع علم السادة المحتلين جميعـــا بأن الأمة المصرية بأسرها على رأى هاتين الجريدتين الصادقتين ٠

يظهر لى أن الحكمة هى الوعيد والتهديد ودليل ذلك قوله ان نابليون كان يعامل المصريين بالشدة ، كأنه يريد المقارنة بين عنصرين يفصلهما قرن طويل ، وبين فريقين جاء أحدهما فاتحا والآخر قاصدا الاحتلال المؤقت والجلاء السريع ٠

ولكن ليهدأ المحتلون بالا ، ويسكنوا خاطرا ، فلقد علم المصريون كل ما يضمره لهم أبناء التاميز ، ولا يزيدهم الوعيد الا ثباتا فى العمل وقوة فى الوطنية ٠

= ولما قرأ قنصل فرنسا تلك الأخبار اعتبرها اهانة لمقام رئاسة الجمهورية الفرنسية ، وأقام الحجة باسم دولته ضد نظارة المعارف ، فلم يسعها الا الغاء أمرها الأول ، واصدار أمر آخر ببقاء الشـــيخ محمود أبو النصر فى وظيفته ٠

ولمزيد من المعلومات ،

(المؤيد اليومية : العدد ١٥٠٦ ، بتاريخ ١٧ فبراير ١٨٩٥ ، العدد ١٥١٦ ، بتاريخ ٢٨ فبراير ١٨٩٥ ٠

(١) وهم من الأرمن المقيمين بمصر ، تمتعوا بالنفقة على حساب الحكومة المصرية ، فكانت أول بعثة سافر بها موجيل بك من مصر سنة ١٨٨٥ مؤلفة من سبعة تلامذة منهم ثلاثة من الأرمن ، وكلما لاحت فرصة قدم الأرمنى على المصرى ، على سبيل المثال زكيكيان ، كان والده أرمنى صاحب بنك مالى فى الاسكندرية ، تقدم لامتحان الشهادة الابتدائية فى مصر ، ولم يوفق ، فأرسله والده على نفقته الى باريس ، ولم يمض عليه شهر حتى صدر أمر ديوان المعارف بنقله على مصاريف الحكومة بناء على طلب مسيو موجيل فى يونيو ١٨٩٤ ٠

(المؤيد اليومية ، العدد ١٧١٦ ، فى ٧ نوفمبر ١٨٩٥) ٠

(٢) ما بين القوسين تعليق شقيقه على فهمي كامل ٠

واذا كان رجال الاحتلال يعتبرون كل من تودد الى فرنسا مذنبا ، فليعلموا من الآن أن الأمة كلها مذنبة ، وان عقلاءها أكثر الناس ذنوبا ، فكلنا عارف لفرنسا اخلاصها لمصر وصداقتها للدولة العلية ، وكلنا شاكر للمسيو ديلونكل وزملائه على اهتمامهم العظيم بالمسألة المصرية ، وعنايتهم العظمى بمصر والمصريين .

ولا عجب اذا كانت آلامنا موجهة لفرنسا وهي هي التي تبرعت بدماء جنودها الاعزاء للامريكيين في (بوك تاون) (١) ولليونانيين في (نافارين) (٢) ، وللبلجيكيين في (أنفوس) (٣) ، وللايطاليين في (ماجنتا وسولفيرينو) (٤) ، ورحبت

---

(١) عند نشوب الثورة الامريكية ضد البريطانيين ، كانت فرنسا وأسبانيا وهولندا تسهل للامريكيين المضى في حركتهم ، وتمدهم بالمساعدة العسكرية ، واستمر ذلك ثماني سنوات تم الفوز للانجليز في واقعتين ، الأولى وقعت في سراتوجا سنة ١٧٧٧ ، والأخرى في مدينة يورك . وكانت فرنسا قد أرسلت جيوشا لامداد الامريكيين .. ثم اتحدت هولندا وأسبانيا ضد بريطانيا بقصد تجريدها من ممتلكاتها ، ونتج عن ذلك أن اتفقت بريطانيا مع فرنسا سنة ١٧٧٨ على ارجاع أرض السنغال لها ، واقليم فلوريدا لأسبانيا ، ثم اعترفت باستقلال الولايات المتحدة الامريكية .

(دائرة معارف القرن العشرين ، المجلد العاشر ، بيروت ١٩٧١ ، ط ٣ ، ص ص ٨٦١ ــ ٨٦٢) .

(٢) أبحر الأسطول الفرنسي الى بحر الأرخبيل لمساعدة اليونانيين في ثورتهم ضد الأتراك وكان الاسطول الفرنسي مكونا من سبع سفن بقيادة الاميرال ريني . وكان الفرنسيون قد اشتركوا في معاهدة لوندرة ــ سنة ١٨٢٧ ، التي عقدت بقصد مساعدة الثوار اليونان ، وفي ٢١ سبتمبر ١٨٢٧ قابل الأميرال ريني ابراهيم باشا ، وكرر عليه مطالب الحلفاء طبقا لمعاهدة لوندرة ، وتقضى بانسحاب الاسطول المصري للاسكندرية ، ولكن ابراهيم لم يصغ لمطالبه ، اذ كانت خطة الحلفاء ترمي الى فرض شروطهم لتقييد حرية وحركة الجانبين المصري والتركي وترك اليونانيين أحرارا في حركاتهم البحرية والبرية ، وقد انسحب الضباط الفرنسيون الذين كانوا يعملون في خدمة الاسطول المصري بناء على دعوة الاميرال ريني لهم ، وأخيرا وقعت معركة نوارين البحرية في ٢١ أكتوبر ١٩٢٧ والتي انتهت بتحطيم الاسطولين التركي والمصري .

(عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد علي ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ص ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤).

(٣) نتج عن ثورة البلجيكيين سنة ١٨٣٠ على الحكم البروتستانتي الهولندي للأراضي المنخفضة ، انهيار مملكة الأراضي المنخفضة ، وكان الرأى العام الفرنسي متعاطفا مع البلجيكيين ، الا أن طبيعة لويس فيليب ــ ملك فرنسا ــ المسالمة كانت تتارجح بين التدخل لصالح الثوار البلجيكيين تدخلا أدبيا ، وبضغط من الرأى العام الفرنسي ، أرسل لويس فيليب حملة ضد الهولنديين ، استطاعت تدعيم ثورة البلجيكيين ، ولكن انجلترا كانت تخشى من ذلك التدخل الفرنسي ، لذا اشتركت قوة انجليزية مع الجيش الفرنسي في تخليص أنفرس من يد الهولنديين في أكتوبر ١٨٣٢ ، وبذا حصلت بلجيكا على استقلالها .

(للمزيد من المعلومات : بييرونوفان : تاريخ العلاقات الدولية ، ص ص ٦٦ ــ ٧٤) .

(٤) تدخلت فرنسا في المعارك التي دارت بين الايطاليين والقوات النمساوية ، لصالح الجانب الايطالي ، ونجحت القوات الفرنسية في هزيمة النمساويين في معركة سولفرينو ، ثم عقد نابليون الثالث مع النمسا هدنة فيلافرانكا ، وبمقتضاها فصلت لمبارديا عن النمسا وضمت الى سردينيا ــ بيدمنت ــ (التي تزعمت حركة الوحدة الايطالية) ، وكانت القوات الفرنسية قبل ذلك بقليل قد أوقعت بالجيوش النمسوية هزيمة في موقعة ماجنتا ، ولم تلبث أن حققت هذه الانتصارات جانبا كبيرا من الوحدة الايطالية .

بالأيرلنديين سنة ١٦٨٨ ، وأحسنت للبولونيين بعد عام ١٨٣٠ (١) ، وبالجملة برهنت المرة بعد الأخرى على أنها ظهيرة الحرية نصيرة الاستقلال ٠

وللسادة المحتلين أن يتحققوا من أن شدة حنقهم على المتظاهرين فى فرنسا ستزيد المظاهرات ضدهم وتكثر المتظلمين لأوربا منهم ، ولا يبعد أن يأتينا الصيف الآتى بالبراهين الجمة على ذلك ، وكل آت قريب ٠

---

* (أ٠ ج٠ جرانب ٠ هارولد تمبرلى : أوربا فى القرنين ١٩ ، ٢٠ ، ترجمة بهاء فهمى ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ص ٣٨٩ ـ ٤٥٥ ، أحمد نجيب هاشم ، محمد مأمون نجا : أطلس القرن التاسع عشر ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص ٢٧٢ ٠

(١) شجعت فرنسا البولونيين ضد التدخل النمساوى فى ايطاليا ، بأن أنزلت قوات عسكرية فى انكونا فى ٢٢ فبراير ١٨٣٢ على أن تظل حتى تجلو النمسا بقواتها عنها ، مما كان له أثر ايجابى لدى الجماعات الثورية الايطالية فى الحصول على تعضيد الدول الكبرى لها فى كفاحها ضد الاحتلال الأجنبى ٠

** (ولمزيد من المعلومات يرجع الى : بيير رنوفان : مرجع سابق ، من ص ٨٠) ٠

صواعق الاحتلال ★

لله من صواعق تصب علينا بغير حساب ، ومصائب نرمى بها بلا أسباب • وبلايا تتدارك قطرات السحاب ، ورزايا تتصدع بها القلوب والألباب • حتى أصبحنا نتقلب بين أنياب هذا الشر ، وأظفار ذلك السوء ، ولا نعرف من الأيام غير ظلماتها ولا من الحوادث الا مزعجاتها ، كل ذلك على أيدى فئة جاءت البلاد بحجة الاصلاح ، فأفسدت ما شاءت ، وغيرت وبدلت ما استطاعت اجابة لداعى هواها ، ورغبة فى بلوغ مناها ، واذا سألتها ما هذه الصواعق التى تصبينها علينا قالت انما هى أدوية أدوائكم ومراهم جروحكم فتلقوها بالصبر والسكون ، والا وضعت لكم السم فى الشراب كأنما نحن أطفال صغار لا ينفعنا الا التهديد والارهاب ، ولا قوة لنا على تمييز الصالح من الفاسد ، والنافع من الضار • واذا ناديناها ، لبى نداء هذا الشرف البريطانى الرفيع الذى يسألك الجلاء عن الديار ، وترك البلاد لأبنائها ، يسوسون أمورهم بأنفسهم ، قالت : ما أقل اعترافكم معشر المصريين بالخير وأولاكم بالسوء ، أترغبون فى خروج الانكليز من بلادكم ، وتكفرون بنعمة وجودهم بينكم واحتلالهم أرضكم • فلأرسلن عليكم الصواعق تأتيكم من حيث لا تشعرون ، ولأرمينكم بالمصائب تهز قلوبكم هزا وتدك وجداناتكم دكا حتى اذا علمتم بطش الانكليز وقوة البريطان اخلدتم الى السكون وجنحتم الى عدم المطالبة بالجلاء لتتم علينا نعمة الحكم عليكم والسيطرة على بلادكم •

هذا شأنهم معنا ، شأن القوى مع الضعيف ، ينتهكون كل حرمة ، ويطأون كل

(★) نشر هذا المقال فى جريدة الأهرام بتاريخ ٤ مارس ١٨٩٥ بمناسبة تشكيل المحاكم المخصوصة ، حيث صدر أمر عال فى يناير ١٨٩٥ بناء على طلب الانجليز بتشكيل محكمة خاصة لكل من يتعدى من المصريين على الانجليز ، وكانت تشكل من المستشار الانجليزى للحقانية وضابط كبير من جيش الاحتلال ، وقاض انجليزى من محكمة الاستئناف الأهلية ، ورئيس محكمة مصر أو الاسكندرية تحت رئاسة ناظر الحقانية • وقد وافق النظار المصريون على ذلك •

(صبرى أبو المجد : محمد فريد : ذكريات ومذكرات ، كتاب الهلال ، العدد ٢٢٣ . سنة ١٩٦٨ القاهرة ، ص ٦٤) •

عزيز نفيس ، فلقد احتلوا البلاد بحجة الاصلاح ، وليس فى تاريخ الاحتلال الا آثار الضغط واستبداد تنطق حوادثه حادثا بعد حادث ، ان مراد الانكليز امتلاك البلاد وجعلها هندا افريقية يسبح أهلها من البحر المتوسط الى منابع النيل ، بذكر أبناء التاميز ويسجد الشيخ والوليد لهم اجلالا وتعظيما ٠

ولسنا نستشهد على صحة هذا القول بحادث من حوادث الماضى ، بل نستشهد بحادث اليوم الذى جاء ضربة قاسية على النفوس ، وصاعقة شديدة الوقع على الرؤوس ، أعنى به حادث المحكمة العرفية الاستبدادية ، التى أنشئت لمعاقبة كل من تعدى على جنود الاحتلال عقابا لا يدخل تحت قانون ما ٠ تأسست بعد أن أرغت جرائد لندرا وأزبدت وأرعدت سماؤها وأبرقت ، ووجهت الى سدة الأمير كل طعن وبذاء مما قابلناه تلك الساعة بقول الشاعر :

واذا أتتك مذمتى من ناقص   فهى الشهادة لى بأنى كامل

تأسست هذه المحكمة على شكل يكفى وحده لأن يبرهن للعالم بأسره أن الانكليز لا يعرفون للقانون اسما ٠ وهل سمعتم ياقوم بمحكمة تحكم بما يشاء هواها ٠ محكمة تحكم بصلم الأذن وجدع الأنف ، وسلخ الجلد وبالجلد والضرب ٠ وهل رأيتم يا قوم فى التاريخ أن أمة تحاكم على غير قانون ودستور ٠ أجيبونا معشر المتشرعين وأسمعونا كلمة الحق أيها المنصفون ، فقد بلغ السيل الزبى ٠

نعم نعم ٠٠ أنتم تريدون أيها المحتلون بهذه المحكمة عقاب كل مصرى أمين يعرف أنكم خصوم بلاده ، وتقصدون بها اهانة الوطنيين بسجنهم السنين الطوال ، ان لم نقل باعدام كثيرين منهم ٠

نعم نعم ٠٠ انتم تريدون بهذه المحكمة وضع الأساس الصالح لهدم المحاكم الأهلية ، وابدالها بمحاكم استبدادية تحكم بنفس القانون الذى تحكم به محكمتكم الجديدة ٠

نعم نعم ٠٠ أنتم تريدون ذلك ، وتبذلون الجهد الجهيد فى سبيل الوصول اليه ٠ والا فأى تعصب دينى فى البلاد حملكم (أيها العادلون) على تأسيس هذه المحكمة التى تؤاخذون على تأسيسها كل المؤاخذة بعد أن احتللتم البلاد ثمن قرن ٠ وأى داع حملكم اليوم على المطالبة بهذا الحق ، الذى تقولون عنه بعد أن سكتم عن المطالبة به ١٣ سنة مع ما عرف عنكم من شدة المحافظة على الحقوق ، بل بمجاوزة كل حق وواجب ٠ لا خلاف فى أنكم ترغبون قتل العواطف الشريفة الحية ، وتودون من صميم

الفؤاد اخماد أنفاس كل كاتب وكل معارض ، ولنا فى الغاء مدرسة دار العلوم دليل آخر على ذلك (١) ، فلقد أردتم أن يكون هذا الشهر شهر النصر لكم ، والخذلان لنـا ، فأرسلتم علينا من سماء عدالتكم الصواعق تباعا حتى عسر علينا احصاؤها ، بل نقول كل البلايا (فى ظل المحكمة المخصوصة) ، فانا لله وانا اليه راجعون ٠

(١) ألغيت مدرسة دار العلوم فى ٢٥ فبراير ١٨٩٥ فى صـــورة الحاقها كقسم عال بمدرسـة المبتديان ، ويذكر محمد فريد فى مذكراته أن هذا ـ بجوار انه نكاية فى ناظرها ابراهيم بك مصطفى آنذاك ـ تضييق دائرة التعليم فى مصر ، لأن الغرض من انشائها كان تخريج قضاة شرعيين متشربين بحب الوطن والدفاع عن الوطن ٠

(رؤوف عباس : مذكرات محمد فريد ، القسـم الأول القـــاهرة ١٩٧٥ ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، أمين سامى : التعليم فى مصر ، ج ٣ ص ٤٤) ٠

الشرق الاقصى ★

(رسالة من باريز)

لا حديث اليوم لرجال السياسة فى أوروبا الا مسألة الشرق الأقصى وما أنتجته الحروب الصينية اليابانية من النتائج الخطيرة ، فلقد حولت هذه المسألة كل الأنظار من (بورأرثور) (١) الى قنال السويس ، وزادت فى أهمية مصر حتى لم يبق خلاف بين سياسيين فى أن حل المسألة المصرية صار أول واجب على الدول الثلاث بعد الفصل فى الترضية اليابانية ٠

وعلى ظنى أن سياسة الانكليز فى هذا المشكل الخطير هى التى دعت ألمانيا وفرنسا والروسيا الى العمل بالاشتراك ضد اليابان وبتمام الانعزال عن انكلترا فان هذه الدولة المشهورة بحب الذات قد ساعدت الصين بادىء ذى بدء وطلبت من الدول المرة بعد الأخرى الاتحاد في العمل ضد الميكادو ، فلما لم تجد سميعا مطيعا لدعوتها ، وقفت فى دائرة الحيرة مترددة في أمرها حتى تم الظفر لليابان ، وعندئذ رأت الانضمام أخيرا اليها لما علمت أن استيلاء اليابان « وهى اليوم الدولة البحرية القوية فى الشرق الأقصى » على جزء عظيم من الأملاك الصينية يهدد الروسيا تهديدا عظيما ، ويجعلها على الدوام فى شغل عن الهند وانكلترا ، وبعبارة أخرى يصير اليابان العدو الألد لروسيا بعد أن كانت بريطانيا خصمها الوحيد ٠

(★) نشرت فى المؤيد ، عدد ١٥٨١ ، بتاريخ ٢٥ مايو ١٨٩٥ ٠

(١) فى ٢٣ أبريل ١٨٩٥ اتفقت كل من روسيا وفرنسا وألمانيا على توجيه انذار الى اليابان باسم الحفاظ على وحدة الصين ، وسحبت اليابان قواتها من شبه جزيرة (لياو تونج) ولكن هذه الدول الثلاث لم تلبث أن انقضت على الضين دون اعتبار لوحدتها ، فاحتلت روسيا « بورت آرثر » وألمانيا « شانتونج » وفرنسا « كوانج تشوان » فردت بريطانيا بالاستيلاء على « واى هاى واى » ، وكانت بريطانيا ترى فى استيلاء روسيا على بورت آرثر تغييرا لميزان القوى يهدد الامبراطورية البريطانية بخطر الحرب فى أكثر من جبهة ضد روسيا وفرنسا ٠ ومن ثم كانت سببا فى المضايقات المتتالية الفرنسية للاحتلال الانجليزى لمصر ٠

(لمزيد من المعلومات : عبد العزيز نوار : مرجع سابق ، ص ص ١٢٣ ـ ١٢٥) ٠

ولم يكن فى حسبان رجال السياسة الانكليزية أن تعضيدهم اليابان يضر بهم فى أوروبا أعظم الضرر ، ويدعو الدول العظيمة المنافسة لهم الى عمل مشترك يحبط مساعيهم ، ويزيد الاحقاد فى القلوب ضدهم ، بم لم يكن يخطر على بال اللورد روزبرى وزملائه ان وراء خطته التى اتبعها نتائج سياسية من الأهمية بمكان ٠

ولقد قام اليوم السياسيون من فرنسا وألمانيا والروسيا ينادون بمبدأ جديد لا أخالهم الا عاملين به فى حل كل المشاكل الحاضرة وهو « بما أن انكلترا قد رضيت بالعزلة فى حل المشكل اليابانى ، ورأت ذلك من صالحها ، فللدول الثلاث الحق فى حل كل مشكل يكون صالحها فيه غير صالح انكلترا بدون استشارتها واعتبار رأيها » ٠

ولا شك أن اتحاد دولة قوية مثل الروسيا مع دولتين لا ينقصان عنها قوة وعظمة مثل فرنسا وألمانيا فى حل كل المعضلات السياسية يكون أعظم خطر مهدد لانكلترا لأن مصالح هاته الدول مناقضة كل المناقضة لمصالح أبناء التاميز ٠

والانكليز أنفسهم شاعرون بهذا الخطر المهدد لهم ، فترى اليوم جرائدهم تخبط من الحيرة فى المسئلة الحاضرة « مسألة الشرق الأقصى » خبط عشواء فتارة تلوم فرنسا ، وطورا تعنف ألمانيا وحينا تهزأ بروسيا ، وآونة تظهر الأسف بعد السرور والسرور بعد الأسف ، وليس لكل هذه المناقضات الا معنى واحد هو الحيرة والارتباك وانى لا أقدم للقراء برهانا على ذلك أعظم من اعلان السير مكفرلين الذى قال فيه « انه نظرا لارتباك مسئلة الصين واليابان يسترد من البرلمان الانكليزى سؤاله المتعلق بالجلاء عن مصر »٠

فان هذا السير قد رأى من حكومته بعد أن أظهر رغبته فى سؤالها الجلاء عن مصر ، وصرح بذلك رسميا أنها فى موقف حرج مضطرب تجاه مشكلة اليابان ، فلم يكن فى استطاعتها حينئذ أن تجيب بكلمة واحدة عن المسئلة المصرية ، خصوصا وأنها تخشى أن تثير الخواطر ضدها ، اذا أعلنت رسميا اصرارها على خطتها السابقة مع هذا التيار القوى ، الذى تراه يتدفق فى غير مجرى مصلحتها ، ويكفى القراء مطالعة كتاب السير مكفرلين الذى بعث به الى التيمس فى معرفة حرج مركز انكلترا هذا الأيام وهذا تعريبه :

« ان الغرض من طلبى هو دعوة الحكومة لاجتناب الاتفاق الذى أراد عقده السير درموندوولف (١) سنة ١٨٨٧ وحل هذه المسألة التى هى خطر دائم لنا ، والتى تخلق

---

(١) بذلت عدة محاولات لكسب تأييد الدول المعنية للسياسة البريطانية فى مصر ، أو على الأقل تحييدها ، فعقد مؤتمر لندن ١٨٨٤ للنظر فى مالية مصر ، انتهى بالفشل ، وان كان قد تم عقد قرض قدره تسعة ملايين جنيه مصرى بضمان جميع الدول صاحبة المصالح المالية فى مصر ٠ وفى يونيو ١٨٨٥ حل سالسبورى محل جلادستون فى رئاسة الوزارة ، وشرع فى ايجاد تسوية للمسألة المصرية مع تركيا صاحبة السيادة على مصر ، فأوفد لهذه الغاية هنرى درموند وولف الى الآستانة وزوده بتعليمات تقضى =

المشاكل الأبدية بيننا وبين أقرب جيراننا — يعني فرنسا ، ولكن الحالة فى الشرق أصبحت حرجة الى حد أرى معه أننى أخدم بلدى اذا أجلت المناقشة بشأن مصر الى أجل آخر . وانى أؤمل أن الحكومة تنتهز أقرب الفرص لتسوية هذه المسئلة مع الدول ذات الشأن ، تسوية يمكننا معها القيام بانجاز وعود الشرف ، وليس لنا الحق فى اعتبارنا المسئلة المصرية مسألة سياسية محضة ، فان وعودنا جعلتها مسئلة لا يخرج فيها لشيء آخر غير العلم بموعد جلائنا » .

هذا ولا أرانى مخطئا اذا قلت ان مسئلة الشرق الأقصى خدمت مصر خدمة جليلة ، بأن وجهت اليها الأنظار أكثر من ذى قبل ، فليست الجرائد الفرنسوية وحدها هى التى تطالب اليوم بالجلاء عن وادى النيل ، ولكن الجرائد الروسية والالمانية صارت أشد لهجة وأعظم غيرة منها — وفى قراءة مقالة النوفستى (١) الأخيرة حجة ساطعة على ذلك ، فلقد قالت هذه الجريدة الخطيرة ما ملخصه :

« ان انكلترا تهددنا باقفال قنال السويس اذا أتينا بأى عمل حربى ضد مصالحها فى الشرق الأقصى ، فعلى الدول الثلاث المتحدة حل مسألة مصر بأول فرصة ، حتى لا يصبح البحر الأبيض المتوسط بحيرة انكليزية » .

وبالجملة فانى أقول : كما أن اليابان سكرت فرحا بفوزها وانتصارها على خصمها الذى كان بالأمس عظيما فخما ، وهى تريد اليوم بلوغ كل أمانيها ، فان الدول الثلاث أصبحت فرحة بفوزها وانتصارها فى سياستها تلقاء هذه المشكلة ، حتى فشلت سياسة انكلترا أمامها ، وأصبح المنتصرون طامعين فى بلوغ أمانيهم بحل المسألة المصرية ، وفى مقدمة هاته الدول الثلاث ألمانيا التى لا تترك فرصة تمر الآن بدون أن

= بالعمل على تحديد موعد للجلاء عن مصر فى القريب ، بشرط ضمان استمرار المصالح البريطانية فى مصر بأن يوافق السلطان على عودة انجلترا الى الاحتلال متى أرادت ذلك ، وكان السلطان عبد الحميد مستعدا للقبول بشروط بريطانيا ، غير أن فرنسا لم تقبل الموافقة على العودة من حيث المبدأ وظاهرتها روسيا فى موقفها هذا .

وظلت الأمور بين أخذ ورد حتى عقدت المعاهده المشار اليها التى نصت على العدول عن الجلاء فى حالة احتمال قيام خطر داخلى أو خارجى ، لحين زوال الخطر ، ويكون لتركيا وبريطانيا حق ارسال قوات الى مصر واحتلالها فى حالة اضطراب الأمن ، وفى حالة وجود مانع لدى تركيا توفد مندوبا يبقى طول مدة احتلال الجيش البريطانى . وخشى السلطان التصديق عليها ، حتى لا تكون سابقة للدول الأوربية ، فتقدم على احتلال بعض بلاد الامبراطورية أسوة ببريطانيا ، واذا اعترض على الاتفاقية ، قد يفقد ما بقى له من سيادة اسمية على مصر ، وكان لابد من التصديق حتى تصبح سارية المفعول ، فاعترض عليها سفير فرنسا وروسيا بالآستانة ، وأسفرت مساعيهما عن عدم التصديق ، فأصبحت كان لم تكن ، وبذلك انتهت بالاخفاق .

(رؤوف عباس حامد : مرجع سابق ، ص ص ٢٩ — ٣١) .

(١) جريدة روسية .

تظهر بغضها للانكليز ، وحقدها عليهم وقد وافتنا أمس الرسائل البرقية من برلين قائلة بما نصه « ان الدوائر الرسمية فيها تؤمل اتحاد الدول الثلاث فى حل المسئلة المصرية بعد تمام الفصل فى مسألة الشرق الأقصى ، والزام انكلترا بالجلاء عن وادى النيل احتراما لوعودها وجعل القطر المصرى منطقة حرة ، تحميها أوروبا كلها » .

ولامراء فى أنه اذا دام الحال على هذا المنوال وظلت خطة الدول الثلاث بلا تغيير نجت مصر من مخالب الأسد ، الذى يحاول افتراسها ، وتحققت أمانى محبى مصر والمنصفين فى قولهم « مصر للمصريين » .

من أين يأتى الخطر ★

ما كنت أحسب قبل قدومى باريس أن أهلها عرفوا فى هذا العام من أحوالنا ما نعرف من أحوالهم ، وأدركوا من أسرار أمورنا ما ندرك من أسرار أمورهم . بل كنت أخال القليل منهم مشتغلا بمسألة مصر ، كما شاهدت ذلك فى العام الماضى ، حتى أتيت عاصمة العواصم فى هذه الأيام ، فرأيت أغلب من لاقيت واقفا على حقيقة آلامنا عارفا بمواضيع جراحنا مما يبشرنى بانفراج قريب للازمة المصرية ونصرة من القوى للضعيف ، فلقد لاقيت يوم الاثنين الماضى فى وليمة تكرم بدعوتى اليها حضرة المسيو لوسيان ميلفوا صاحب جريدة الباترى (الوطن) كثيرا من رجال السياسة والأدب الذين لهم فى باريس المكانة الأولى فى التحبير والتحرير ، وتجاذبنا الحديث طويلا بشأن مصر متكلمين عن ماضيها وحالها ، وما بدأنا الكلام على حوادثها الأخيرة وما أتاه الانكليز فى هذا العام من العجائب والغرائب حتى قام أديب من كرام الحاضرين وقال :

« انى لم أكن أعلم شيئا من حوادث مصر غير أن الانكليز فيها يريدون ابتلاعها وسياستهم على شواطىء النيل كسياستهم فى كل بلد آخر ، تنحصر فى الافقار والاستعباد والتخريب ، ولكن اندهشت أعظم دهشة عندما قرأت فى الجرائد خبر تأسيس محكمة مخصوصة تقبض بيدها على السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية ، وزادت دهشتى لما علمت أن الذى قرر هذه البدعة الكبرى هو مجلس النظار المصرى المركب على ما أعلم من نظار مصريى الجنسية .

ومن ذلك اليوم درست المسألة دراسة مجتهد عامل حتى وقفت على ماجريات الأحوال وعموميات الأشياء وخلاصة ما استنتجته أيها السادة هو أن مصر بلد سىء الطالع رزق فى هذا العصر المنير عصر الحرية والمدنية باحتلال أجنبى يديره رجال « لا يعرفون غير الاستبداد وحب العلو والظهور والانتقام » وقوم من مصر سواء من

(★) كتبت هذه المقالة فى باريس فى ٢٤ مايو ١٨٩٥ ، ونشرت بجريدة الأهرام بتاريخ أول يونيو ١٨٩٥ .

أبنائها أو من الداخلين عليها لم يأت التاريخ بذكر مثلهم ، فهم فصلوا السودان عن مصر ، ومكنوا العدو من كل شيء ، وقدموا ما يسمونه بالمصالح الخاصة (على أنهم مخطئون في التسمية) على المصالح الهامة الحقيقية • ولقد كان نابليون يقول « لو كان عدد الخونة في فرنسا نصف ما هو عليه اليوم لكانت هذه الدولة سيدة العالم » •
وأنا اليوم أقول « لو كان عدد الوطنيين الصادقين في مصر يقدر عدد المارقين والدخلاء فيها ، لكانت نجت من عهد بعيد » • فالبلاء كل البلاء في تعيين الضعفاء والبسطاء في المناصب الرفيعة ، وابعاد الصادقين الأكفاء من المصالح والادارات • والمصيبة كل المصيبة في وجود بعض مصريين لا يفهمون معنى حب الوطن ، وآخرين لا يدرون (وهم في مصر) أن مصر بوضعها الطبيعي لا بد أن تكون حرة مستقلة •

فكيف تريدون أيها المصريون حرية بلادكم ، وخروج الانكليز من دياركم وأنتم لم تعرفوا واجباتكم الوطنية ، ولم تهدوا أوروبا الى الحقائق ، بل تركتم هذا الواجب الخطير الى الجرائد الانكليزية تقص علينا من أموركم ما يناقض الحقيقة ، ويخالف الواقع ، فهي تقول لنا يوما انكم راضون بالاحتلال ، تدخلون في بابه أفواجا أفواجا ، وتحدثنا يوما آخر عن تعصبكم في دينكم وكرهكم لغير أبناء جنسكم ، وتذكر لنا تارة أنكم لستم أكفاء ، ولا يليق بأوروبا أن تضع ثقتها بكم ، وطوروا آخر أن الانكليز لو تركوا دياركم لصرتم كالوحوش بل أضل سبيلا ، وضاعت مصالح الماليين ونزلت القراطيس المصرية (١) ، بعد أن تحسنت وصعدت ، فهل قام منكم وقد جاء أوروبا منادیا بالحقائق طالبا العدل والانصاف • أما لكم في بعض العناصر الشرقية كالسربيين والبلغاريين وغيرهم عبرة • واذكروا الآن الأرمن الذين لا يغضون لحظة عن تأسيس الجمعيات والقاء الخطب ، على أنهم ما عرفوا من قبل معنى الاستقلال ، وما ذاقوا للآن حلاوة الوحدة في العمل وعدم تسلط اليد الأجنبية على بلادهم ، كما ذقتم أنتم حلاوة ذلك في عهد الأسرة الخديوية الكريمة ، وفضلا عن ذلك فانهم ليس لهم حق يخول لهم نيل مطالبهم أما أنتم فحقوقكم أكبر الحقوق وليس لكم سبيل الى استرجاعها غير نشر الحقائق في أوروبا والاستعانة بها •

هذا خطاؤكم في سياستكم ، وليس بالعسير عليكم اصلاحه •

أما أنت أيها الشاب المصري ، فقد أحسنت عملا اذ جئتنا اليوم تنادى باستقلال بلادك ، فأمن خيرا كثيرا ، وادع أبناء جلدتك الى الانضمام اليك ليكون صوتكم عاليا يسمع في كل الأرجاء •

---

(١) بدأ العمل به منذ نهاية عام ١٨٧٦ من خلال نظام المراقبة الثنائية كضمان لأصحاب الأموال •

(وللمزيد من المعلومات عن هذا النظام يمكن الرجوع الى : تيودور روذشتين : فصول من المسألة المصرية ، ترجمة عبد الحميد العبادي ومحمد بدران ، القاهرة ١٩٥٦ ، أحمد صادق سعد : تاريخ الدين المصرى العام المالي والسياسي ، القاهرة ١٩٤٤ ، رؤوف عباس : مرجع سابق •

هذا مضمون مافاه به كاتب سياسى خطير ولست محتاجا لأن أعرف القراء الكرام أن قوله لم يكن مؤلما فهو حق صدق وكلكم قائلون ذلك عند قراءة رسالتى ٠

وحقا أن المصيبة فى مصر تقع على رؤوس الضعفاء منا والدخلاء علينا أكثر من وقوعها على الجنود التى تحتل بلادنا ، فرجال حكومتنا الموكلة اليهم الأعمال اما أجانب عن مصر ، أو ضعفاء من مصر ، أو يائسون لا يصدقون بخير لمصر ٠

ولو عرف أولئك الأجانب عنها أن من أشرف الخصال وأجل الشمائل الاعتراف بالجميل ، ومعاملة هذه الديار بالنظير لما عاملوها هذه المعاملة ، وألقوها بين يدى أعدائها يتصرفون فى أمورها كما يشاء هواهم ٠

ولو فهم الضعفاء من رجال حكومتنا أن الوطن فوق كل شىء وأن الشفقة عليه والاخلاص له يجب أن يكونا فوق الشفقة على الأم والأب ، لما كانوا سلموا أمور مصر الى أعدائها وألد خصومها يخربون البلاد ويشقون العباد ٠

ولو علم اليائسون منا أن كثيرا من الأمم كانت أتعس منا حظا وأنكد طالعا ، فعملت وجدت حتى بلغت السعادة والعلاء ، بل لو كانوا تصفحوا التاريخ وقرأوا أن كثيرا من الأمم التى تعجب بسعدها اليوم رأت من العذاب أشد العذاب ، ومن الاجحاف أكبر الاجحاف لكانوا عملوا على سعادة مصر بالعزم والحزم مع الصبر والانتظار ، وكانوا لا محالة نجحوا فى عملهم الشريف ٠

فهذه الولايات المتحدة التى تدهش العالم كل يوم بمحاسن أعمالها ، وأحاسن اختراعاتها ، عاشت طويلا تحت نير الظلم والاستبداد يجرعها الانكليز كؤوس العذاب ، ولم تنهض الى المطالبة بالحرية والاستقلال ، الا باتحاد أبنائها والعزم والحزم والصبر والانتظار ٠

وهذه ايطاليا ، صبرت طويلا وعملت كثيرا ، فنالت الجزاء أحسن الجزاء ، وأصبحت اليوم فى عداد الدول الخطيرة ٠

وكذلك اليونان وغير اليونان من الأمم ، التى نالت الاستقلال بالجد والثبات والاقدام ٠

وأنتم أيها المواطنون الأعزاء لا تحتاجون لكثير من التعب فى انقاذ الوطن العزيز ، اذ أن ذلك من صالح أوروبا ولا مراء فى أن الدول التى حررت سويسرا وبلجيكا لها فى تحرير مصر فوائدها فى هاتين الدولتين (١) ٠

---

(١) يرمى الى استنهاض فرنسا ٠

لبس على المصرى الأمين واجب آخر غير نشر الحقائق عن أمته ووطنه فى أوروبا ، وبالاستعانة بها كما استعان بها غيرنا من قبل ٠ الا فاجمعوا كلمتكم أبناء الوطن العزيز وأخلصوا النية فى خدمة مصر وألقوا وراء ظهوركم الشقاق والنفاق ، واختاروا سبيل الخلاص سبيلكم حتى يشهد لكم العالمون بالكفاءة والاستعداد وصب الوطن ، وترون بعين البهجة والرضاء بعد زمن يسير (مصر للمصريين) ٠

مصر والسياسة الفرنساوية ★

أن سؤالك لى رأيى عن السياسة الفرنساوية فيما يختص بالمسألة المصرية ، لسؤال خطير جدا وعظيم الأهمية ٠

وأن لفرنسا على ما أرى سياستين فى مسئلة مصر ، سياسة فى أوروبا ، وسياسة فى مصر نفسها ٠

فسياستها فى أوروبا هى سياسة صريحة حازمة ، فلقد أعلنت المرار العديدة أنها لا تستطيع ولن تستطيع أبدا أن تترك مصر للانكليز ، فان مركز بلادنا الجغرافى مهم جدا ، ومصالح فرنسا فيها عظيمة لحد يحملها على اعتبار المسألة المصرية من أخطر المسائل التى تهمها مباشرة (١) ٠

وفضلا عن ذلك فان فرنسا بصفتها دولة حافظة على صيانة المملكة العثمانية ، وعلى استقلالها يجب عليها أن تحقق الاستقلال المحدود لوادى النيل ، الذى هو جزء من الدولة العلية ٠

أما السياسة الفرنساوية فى مصر ، فلقد كانت ـ وأرانى مضطرا بكل أسف لأن أجيبك هكذا لأجيبك بصدق وصراحة ـ ولا تزال سياسة تساهل وتسامح (٢) ٠

(★) حديث جرى باللغة الفرنسية ، فى ٢ يوليو ١٨٩٥ بين مصطفى كامل واحد محررى صحيفة الجورنال التى كانت تصدر يوميا فى باريس منذ عام ١٨٤٠ ٠

(١) وهذا ما تبينته فرنسا منذ حملتها على مصر سنة ١٧٩٨ ٠

(٢) حكمت علاقة مصطفى كامل بفرنسا عوامل منها :

أولا : تربيته فى كنف الثقافة الفرنسية ٠

ثانيا : تلاقى أهداف السياسة الخارجية الفرنسية ـ ولو على ســـبيل المناورة ـ مع أهداف الحركة لوطنية المصرية ٠

ولم يترك وكلاء فرنسا فى مصر الانكليز يهددون فقط أعظم تهديد العمل الجليل الذى عملته فرنسا فى بلادنا . هذا العمل التمدنى الخيرى الذى ما نسيناه ولا ننساه أبدا . بل انهم بصمتهم وسكونهم الذى لايفهم له معنى ، شجعوا الانجليز على استعبادنا وسمحوا لهم أن يحولوا وادى النيل الجميل الى هند أفريقية أســوأ حالا من أختها الآسيوية (١) .

وانظر كيف أن انكلترا تزاحم النفوذ الحسى والمعنوى لفرنسا فى مصر ، فهى فى كل يوم تحارب لغتكم (٢) التى نقبل على مطالعتها لاتقانها وجمالها ، وتعد الذين يتلقونها من التلامذة كأعداء لها فتسد فى وجوههم أبواب الوظائف ، وقد فازت بتقليل

= ثالثا : تحالف فرنسا وروسيا فى هذه الفترة ضد التوسع البريطانى : مما أدى بهما الى الضغط عليها بتحديد موعد لجلائها عن مصر فى نطاق المحافظة على أملاك الدولة العثمانية .

ومن ثم تمسك مصطفى كامل بأهداف الفرنسيين كعامل مساعد لتحقيق أهدافه الوطنية ، الا أنه كان يقظا فى نفس الوقت للأوربيين عموما ، فكان يشك فى نوايا فرنسا دون أن يظهر ذلك ، وذلك مما ظهر من خطابه الى عبد الرحيم أحمد فى ١٨ سبتمبر ١٨٩٥ « ... فالفرنساويون مهما تظاهروا لنا بالولاء هم كالانكليز يعملون لمنفعتهم ، وهم اذا تقربنا منهم وتحببنا اليهم فانما هى سياسة مناقضت بها الأيام نستعملها لاستخدامهم ولتغيير عداوتهم بالحب والولاء ، وان يكن وقتيا ... » .

وهكذا بدأ تيقظه لسياسة التساهل بين فرنسا وانكلترا ، وكذلك من تخاذلها أمام الغاء الارسالية العلمية المصرية اليها . د. صلاح العقاد : مصطفى كامل ، (الجمعية التاريخية : مصــطفى كامل ، ص ٦٢) .

(١) اتبع الانجليز أسلوبهم السياسى التقليدى « فرق تسد » فسعوا الى تشويه حركات مقـاومة المجاهدين واندست بين الوطنيين ، ونجحت فى كسب الولاء خاصة من السيخ ، وحين ظهرت فكرة « حزب المؤتمر » لم تنشأ نتيجة قوة وطنية ، ولكن من تاليف الانجليز ، فكان يعلن الولاء التام للحكومة البريطانية مثال ذلك اجتماعه سنة ١٨٨٥ فى بومباى واعلان فائدة الاحتلال .

كما أن الانجليز أثاروا أحقاد الهندوس ضد المسلمين الأقلية ، بل عملوا على تقسيم المسـلمين الى فرق متعددة فكان « السيد احمد خان » وجماعته ضدهم جماعة أخرى على رأسهم « جماعة ديوبند الدينية المسلمة وجماعة أخرى فى كلية « عليكرة » بتحريض مديرها الانكليزى « مستر بيك » بل اشترك الانجليز فى بعض هذه الجماعات ، وذلك لتعميق الشعور بالاحتلال ، علاوة على المساوىء الأخرى من الاستقلال . (د. عبد المنعم النمر : كفاح المسلمين فى تحرير الهند ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٥٢ ـ ٥٩) .

(٢) منذ استقر الاحتلال البريطانى لمصر ١٨٨٢ بدأ يضرب لنشر التعــليم بلغتـه كسـهم جديد فى جسد مصر ،بل وجعل يزيد عدد مدارسه التى تعلم بالانجليزية على عدد الارساليات الفرنسية مما أضعف اللغة الفرنسية ، وظهر هذا فى منشور نظارة المعارف سنة ١٨٩٣ .

(لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع الى : جرجس سلامة . تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر ، القاهرة ١٩٦٢) .

عدد الموظفين منكم كثيرا وضعضعت الارسالية المصرية التى كانت زاهرة ، فأصبحت لا تتألف الا من عشرة شبان نصفهم أرمنيين (١) ، ومن مواطنى نوبار وأرتين (٢) ٠

ولكن الانكليز — لحسن الطالع — لم يتمكنوا من كل مساعيهم من اماتة النفوذ الفرنسوى تماما فى البلاد ، وذلك لما عندنا من الود المكين لكم ٠

وبرهان هذا الود أننا لما اردنا الاستعانة باوربا على اسعافنا السياسى ، كان أول ما عرضنا أمرنا على فرنسا معتقدين كل الاعتقاد أنها لاتمتنع عن توطيد نفوذها فى الشرق ، بانقاذها شعبا يحبها كل ذلك الحب ٠

ولكن عندى أمر أهم من كل ما تقدم أقوله لك وهو انه قد عيل صبرنا من طول الاحتلال ، فان كانت الحكومة الفرنسوية عازمة على عمل فلتعمله سريعا ٠

وأظن ياحضرة المكاتب أنى أبديت لك فيما قلته رأى اخوانى المصريين ، الذى هو مثل رأيى الخصوصى أيضا ٠

ولعل هذا القول يرشد الذين يهتمون بمسألتنا ليحسنوا المسعى فى انقاذ شعب هادىء ساكن مستجير وتوطيد حرية الطريق الموصلة من البحر المتوسط الى المحيط الباسفيكي (٣) ٠

---

(١) صدر فى عام ١٨٨٩ قرار الحكومة بالغاء الارسالية المصرية فى أوربا ، وتقرر أن تعطى نفقة لا تزيد عن ٢٥٠٠ فرنك سنويا للطلبة المرسلين من قبلها للدراسة بالمدارس العالية و ٢٠٠٠ فرنك سنويا لكل تلميذ يتلقى الدراسة التجهيزية فى أوربا ، وان لا يرسل فى المستقبل لأوربا على نفقة الحكومة الا تلامذة يختلف عمرهم بين عشر سنوات ، ١٢ سنة ، ليكون لديهم الوقت الكافى لاتمام الدراسة ، والواقع أن مضار ذلك كثيرة ، حيث عدم تمكن الدارس من اتقان لغته الأصلية قدر دراسته لغة وعادات وأخلاق الشعوب الأجنبية المتواجد بها ٠ ويكفى للتدليل على تقليلها من أن اجمالى المبعوثين فى الفترة ١٨٨٢ — ١٩٠٧ بلغ ١٢٤ مبعوثا منهم ٧٤ مبعوثا الى انجلترا وخمسون الى فرنسا ، وكان هذا رد على ثقافة الزعماء المصريين الفرنسية ، أمثال مصطفى كامل بالذات وطعنة لجهوده ٠

(للمزيد يمكن الرجوع الى : حسن الفقى : التاريخ الثقافى للتعليم القهرة ١٩٦٦ ، ص ص ٤٦ ، ٤٨ . عمر عبد العزيز : دراسات فى تاريخ مصر الحديث ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، الجمعية التاريخية : مصطفى كامل ، ص ٧١) ٠

(٢) نوبار باشا رئيس الوزراء ، ويعقوب أرتين مستشار نظارة المعارف ٠ (عمر عبد العزيز : المرجع السابق ، ص ص ٣٠٨ ، ٣٠٩) ٠

(٤) آى المحيط الهادى ٠

حديث مع جريدة الاكسترا بلاط بفيينا ★

ذكر مصطفى كامل لمراسل هذه الجريدة « أن أمته تنتظر بصبر نافذ خلاصها وتحرير وطنها وأنه من أوجب الواجبات على النمسا أن تكون في مقدمة الدول التي تهتم بشأن مصر ، لما لها من المصالح التجارية والسياسية فيها ، حتى صارت تريستا كأنها ميناء تشارك الاسكندرية في الشفعة وتلاصقها في الجوار .

وفضلا عن ذلك فان أمير مصر قد تربى في فيينا على مبادىء المدنية والانسانية (ومصر شاكرة لفيينا على ذلك) .

وان أخطار الاحتلال هي واحدة بالنسبة لكل الدول الأوربية ، اذ ليس الاحتلال الدائم الا اضافة مصر لأملاك انكلترا وأن حكومة النمسا والمجر التي أمضت المعاهدات المتعلقة بمصر ، وضمنت المحافظة عليها ، لابد لها أن تقضى على بقاء انكلترا في بلاد الفراعنة .

ولماذا لا تحرر أوروبا مصر ، وقد حررت بلغاريا وصربيا ؟ ألسنا معشر المصريين كالبلغاريين والصربيين في المدنيـــة ؟ ان آلافا من شـــبابنا النبهـــاء الذين تثقفوا بالمعارف والعلوم ينتظرون أشد الانتظار الساعة التي ترد فيها مصر الى نفسها حيث يستطيعون خدمتها .

وأن الخطر الذي يهدد أوروبا من بقاء الانكليز في مصر عظيم جدا ، والخسائر التي تلحقها من جرائه لا تحصر ولا تقدر . فمصر هي مفتاح آسيا ، ومن ملك قنـــال السويس ملك مكة وبيت المقدس .

ويستحيل أن يرضى المسلمون في جميع أقطار العالم باستيلاء الدولة الانكليزية على مدينتهم المقدسة . ان ذلك اليوم يكون يوم قيام المسلمين في الأرض ـ وهم نحو ثلاثمائة مليون من الأنفس ـ ويوم اعلان حرب دينية تسيل فيها الدماء أكثر مما سالت في الحروب الصليبية .

---

(١) جاء هذا الحديث الصحفي في جريدة الاكسترا بلاط النمساوية ، بتاريخ ٢٨ يوليو ١٨٩٥ .

وان غاية انكلترا من امتلاك مصر هى الاستيلاء على السودان واضعاف مصالح أوروبا فى افريقية وآسيا حتى تقوم مصالحها · ووظيفتها الآن اقفال المدارس المصرية لتقليل عدد المتعلمين من الأمة واستعمال الميزانيـة فى تكـوين جيش من المـوظفين الانكليز ·

أخطار الاحتلال الانكليزى (*)

ــ استهـــلال ــ

ليس غرضى من كتابة هذه الرسالة استلفات الأنظار الى مصائب أوطانى ، وان كان هو الواجب الشريف الذى أؤديه باخلاص عظيم من صميم قلبى ، بل غرضى هنا اظهار الأسباب المادية المشاهدة التى تجعل أولئك السياسيين الذين لم تستفزهم للآن بواعث الشعائر والاحساسات أنصارا لتحرير مصر لأن الموافقة على تقويض أركان هذا البلد بالسلطة الانكليزية لاتعتبر فقط انتهاكا لحرمة حقوق أمة محبة للمدنية جديرة بكل عناية ، بل هى أيضا ايقاد لنار الحرب فى العالم أجمع ·

وما قصدت من كتابة هذه النبذة الا التكلم عن مسائل عامة ، أما المسائل الخاصة كفوائد حاملى القراطيس المصرية التى يهددها الاحتلال الانكليزى أعظم تهديد ومقام أوروبا فى الشرق الذى يضعضعه الآن وجود الانكليز فى مصر ، ويقضى عليه اذا دام احتلالهم لبلادنا فسنوفيها شرحا فى أبحاث أخرى ·

ويعلم القارىء مما أبينه هنا حقيقة ما يعتقده المصريون بالنسبة لحالة بلادهم ، والآراء التى يشاركنى فيها كل أبناء وطنى ، الدالة على اننا عالمون بأن وضع بلادنا الجغرافى يقضى علينا باكرام كل الأوروبيين النازلين عندنا ، ومعتقدون أن لا وجود لمصر بغير أوربا ، ولذلك فاننا بطلبنا جلاء الانكليز عن وادى النيل ، وببذل مساعينا لنوال تحرير بلادنا ، لانريد شيئا آخر غير تحقيق سعادتها وتقدمها ، ولانطلب غير السلام فى أوروبا والمحافظة على حقوقها وامتيازاتها التى قررتها المعاهدات الدولية ·

أما مبدؤنا فيكون دائما « أحرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا » (١) ·

واننا نتحمل كل مشقة ونضحى كل ما يضحى فى سبيل تتويج أعمالنا بالفلاح الأخير ، ونصرة الحق وتحرير مصر ·

(★) نشرها مصطفى كامل فى باريس يوم ١٤ أغسطس ١٨٩٥ باللغة الفرنسية ، ونشرت ترجمتها فى كتاب « مصر والاحتلال الانكليزى » ص ٤٠ ·

(١) اتخذت شعارا لجريدة اللواء اليومية ·

ـ الموضوع ـ

١ ـ لما كانت مصر لا تقوم بسداد نصف دينها ، اذا بيعت في مزاد عمومي ، كان من المستغرب عند بعض الناس اهتمام فرنسا وغيرها من الدول الكبرى بأمر تحريرها من النير الانكليزى ٠

على أن أولئك المتعجبين الجاهلين بحقيقة المسئلة المصرية لم يلتفتوا الى أن محصولات مصر ليست هي داعي اشتغال العالم بأمرها ، بل ان وضع وادينا الجغرافى هو السبب الحقيقى لكل ذلك الاشتغال ٠ ومن الجلي الواضح أن الدولة التى تستولى استيلاء تاما على وادى النيل تصير بذلك ملكة افريقية ٠ هذه الأرض العذراء التى أصبحت مطمحا لأنظار كافة الدول التجارية ٠ ولابد أن يكون من نتائج استيلائها على مصر ، وضع يدها على الشام وبيت المقدس ، ذلك الحرم الذى تعزه الأمم بأسرها ، والذى سبب فى الماضى حروبا امتلأت منها البحار والوديان دماء مدة قرون ، فأنتجت اضطرابا واختلالا فى أحوال الأمم التى كان لها شأن فى تلك الحروب ٠

وبامتلاك ثغور السويس والقصير وسواكن تصير الدولة المالكة لمصر سيدة ، لا خلاف فى سيادتها على البحر الأحمر ، فتهدد مدينة جدة تهديدا مستمرا من حيث كونها ثغرا ليس فيه من القوة الدفاعية ما يحفظه ، ويكون من السهل اذ ذاك أخذ الكعبة المقدسة بكل المدافع الحديثة الطراز التى تخترق الفضاء على خط مستقيم ٠

فمن يتدبر هذه النتائج ويضيف اليها أن قنال السويس هو جزء من مصر ، وأنه طريق الهند والصين واستراليا يعلم داعى اهتمام الدول بأمر مصر واعتبارا المسئلة المصرية مسئلة أساسية ٠

وعليه فان مصر بجوارها لمكة وبيت المقدس ، وباشتمالها على قناة السويس ، صارت مركز العالم كله ٠

وان من الأسباب المهمة التى دفعت انكلترا الى احتلال بلادنا ، طمعا فى الاستيلاء على السودان رغبة فى الاستئثار بكل تجارة وادى النيل ٠

ولما كان النيل أحسن السبل الموصلة الى أجمل بلاد أفريقية كان من الضرورى بقاؤه حرا ، اذ لو فرضنا أن السياسة الانكليزية تقهر قوة السودانيين ، فان استيلاء الانكليز على الخرطوم يكون مضرا جدا بتجارة أوربا فى افريقية الوسطى وهى الوادى الخصيب المأهول بالسكان والذى لا يزال مؤصد الكنوز ، والذى هو بسبب ثروته مطمح أنظار الدول ٠

فاذا استولت انكلترا على الخرطوم ، كانت ثروة ذلك الوادى الرحب لها وحدها ، غير تاركة الدول الأخرى الا مشاهدة آثار تقدمها الاستعمارى العظيم ٠

وفى الواقع فان استيلاء فرنسا على الجزائر وتونس(١) لم يضر قط بالتجارة العامة للدول الأخرى ، كما أن ألمانيا وبلجيكا والبرتغال لم تستول وحدها على تجارة البقاع السوداء ، لأن أملاك هذه البلاد مقطوعة عن الداخل بصخار ومهامه قفرة ، بخلاف انكلترا ، فانها اذا استولت على مصر « التى يكون من نتائج الاستيلاء عليها على وادى النيل كله » ، تمتد سلطتها من الاسكندرية الى رأس عشم (٢) الخير ، وتضع يدها على كل مصادر الثروة الداخلية لافريقية ، فكأن أوربا لم تحارب الأمم السوداء الا لفائدة الانكليز الدهاة ، وان فى ذلك اليوم الذى تمتد فيه سلطة الانكليز من الاسكندرية الى رأس عشم الخير يذهب فخار « سيسل رود » (٣) بأنوار مجد « وارن هاستنج » (٤) ، مستعمر الهند ، حيث يكون أثر هذا الفاتح الجديد أعظم قدرا وأكبر فى التاريخ ذكرا من أثر ذلك المستعمر الهندى .

---

(١) يتضح هنا مناورة مصطفى كامل فى استمالة الدول التى أحس أنها يمكن أن تقف الى جانبه فى مطالبه ، وان كان عدم الاضرار بالتجارة العامة للدول ليس مبررا لاستيلاء فرنسا على الجزائر وتونس .

(٢) يقصد بها رأس الرجاء الصالح Cape of good Hope

(٣) سيسل جون رودس (Cecil. G. Rhodes) : استعمارى بريطانى ، ولد فى ستورتفورد سنة ١٨٥٣ ، وبناء على نصيحة طبية هاجر الى جنوب أفريقية ، وبالذات منطقة « ناتال » بعد أن طردت انجلترا الوطنيين الأفارقة منها ، فوصلها فى أول أكتوبر ١٨٧٠ ، وجمع فيها ثروة طيبة ، ثم أصبح عضوا فى البرلمان بمقاطعة الرأس ، وكان عمره ٢٨ عاما .

وفى عام ١٨٩٠ أصبح ذا ثروة كبيرة من حقول الماس ، ورئيسا لوزراء مستعمرة الكاب ، وكان حلمه انشاء خط حديدى يصل بين الكاب والقاهرة .

للمزيد من المعلومات : د. شوقى الجمل : قضية روديسيا بين الأمم المتحدة والمنظمة الأفريقية . القاهرة ١٩٧٧ ، ص ص ٨٥ ، ٨٦ ، جيفرى برون : المدنية الأوربية فى القرن التاسع عشر ، ترجمة محمد أحمد على ، مراجعة د. محمد أحمد أنيس ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٤) كان هاستنج أول حاكم بريطانى نصب على الهند سنة ١٧٧٨ ، وعمل من قبل حاكما للبنغال من سنة ١٧٧٢ ، وفى سنة ١٧٧٤ أصبح حاكما عاما لجميع أملاك « شركة الهند الشرقية » وبعد أن أعلنت فرنسا الحرب على انجلترا عام ١٧٧٨ أغار على كل المستعمرات الفرنسية فى الهند ، وتحقق له النصر ، كما أغار على مدراس ، ثم عقد صلحا سنة ١٧٨٢ مع المهراجا ضد حيدر على والفرنسيين ، وظلت المناوشات العسكرية دائرة بينهم حتى عقد صلح فرساى ، فاصبح القائد الفرنسى تبو اعزل من مساعدة فرنسا ، فهادن الانجليز ، وبهذا توطد الوجود البريطانى فى الهند ، ومنذ سنة ١٧٨٤ آثرت الحكومة البريطانية ان تشرف بنفسها على النشاط السياسى للشركة ، فعينت حكاما عامين من غير موظفى الشركة ، وكان اللورد كورنواليس ١٧٨٦ — ١٧٩٣ قد خلف لورد هاستنج كحاكم عام للهند .

والجدير بالذكر أن وارن هاستنج بذل قصارى جهده فى سبيل استنزاف ثروات الهند ، وعلى سبيل المثال جمعه المبالغ من الأمراء الوطنيين وقبول الرشاوى لقاء بعدم فرضها أكثر ، ثم العودة لها ، واستيلائه على الأراضى التى لم تدفع عنها الضرائب ، أو بيعها لأحد الأمراء الوطنيين ، علاوة على فرض « ضريبة الأراضى » التى بلغت خمسين فى المائة من وحدات الانتاج بحيث فر السكان ، وباع آخرون أبناءهم لسداد ما طلب منهم من أموال .

للمزيد : عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام فى الهند ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٤٦٥ ، كفاح المسلمين فى تحرير الهند ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٩١ — ٢٠٧ ، ماكولى ، توماس بابنجتون : لورد كلايف . ترجمة محمد منير ، القاهرة ١٩٢٢ ، ص ص ١٠ ، ١٢ .

ولا يقبل العقل أن أوربا تغفر لرجال سياستها حدوث خطر اقتصادى مثل هذا ، فان كان انكليز أو جنده (١) يستلمون تجارتهم الآنية من الخارج بواسطة طريق النيل البديع ، ففرنسا محتاجة لصرف الملايين لتحقيق أمنية السكة الحديدية التى تود انشاءها فى الصحراء ، وعندما يجد انكليز منشستر وبرمنجهام طريقى النيجر والكونغو حرة أمامهم لتوصيل تجارتهم الى سكان افريقية الغربية ، ويجد انكليز الهند طريق زنجبار وانكليز واستراليا طريق زامبير ليبلغوا بحيرة طانجانيكا يجد الألمانيون وزملاؤهم الفرنساويون والروسيون والنمساويون والايطاليون الآتون من البوسفور وسلانيك وتريستا وبرندزى ومرسيليا عمال الجمرك الانكليز الواقفين فى دمياط والاسكندرية ، قد أقفلوا فى وجوههم الطريق الوحيد الصالح لهم أعنى به طريق النيل .

ومن جهة أخرى فان مسألة امتلاك البحر الأبيض المتوسط اعتبرت دائما مسألة ذات أهمية عظمى مما حمل كل دولة على أن نبحث لنفسها على فرجة من شواطئه لتطل منها عليه ، حتى تضايقت أسبانيا من وجود الانكليز فى جبل طارق وتكدرت فرنسا من احتلالهم لمالطة ، ولكن قبرص ومصر خصوصا تزيدان كثيرا من نفوذ الانكليز فى البحر المتوسط ، مما يضر على الأخص بالدولة العليه والروسية وان هذه الأخيرة تؤمل أن يرخص لهاالباب العالى بالمرور من الدردانيل حتى يكون لها فى البحر الأبيض المتوسط تمام حريتها ولتبلغ بسهولة بلاد الشرق الأقصى فهى من أجل ذلك تكره مراقبة انكلترا لها ، والدولة العلية من جهة أخرى صارت تخشى كثيرا على طرابلس الغرب التى باتت نقطة الاتصال بينها وبين الممالك الاسلامية فى السودان ، وأما الفرنساويون فان فوائدهم على شواطىء الجزائر وروابطهم الدينية مع فلسطين عظيمة جدا . ويؤثر عليهم كثيرا ازدياد نفوذ دولة قوية مبارية لهم فى بحر لها فيه الآن أعظم السلطة .

٢ ـ اذا وجهنا الآن أنظارنا الى آسيا رأينا مصر على طريقين هما أهم طرق العالم : طريق البحر الموصل من أوروبا الى الشرق الأقصى ، وطريق البر الذى يربط الخرطوم بالآستانة والخليج العجمى عندما تتصل يافا بالاسماعيلية بواسطة سكة حديدية .

فامتلاك انكلترا لمصر يكون اذا عبارة عن امتلاكها حرية التصرف كما يشاء هواها فى علائق الدول السياسية والتجارية والمعنوية ، وأى حكومة ترى ذلك ولا تضع حدا للاحتلال ؟ أى حكومة ترضى اهمال أمر عظيم كهذا ، وتستطيع أن تتحمل مسئوليته ؟

ان امتلاك قنال السويس فى وسط الطريق الدولى البحرى الكبير فى بلد عظيمة الثروة مثل مصر يهدد مباشرة أملاك فرنسا وألمانيا وهولانده واسبانيا .

---

(١) أوغندا .

ويكفى حينذاك أن هذه الدول تتظاهر بالعداء لانكلترا بسبب أى خلاف لتضييع الملايين التى صرفتها ، والضحايا التى ضحتها فى سبيل الاستعمار هباء منثورا ، وتبيت مستعمراتها ككندا والهند ، فريسة لانكلترا السعيدة الطالع الماهرة ! فأى رجال سياسة فى أوروبا يرون هــذا الخطر العظيم بدون أن يهتموا به ويتحملوا مسئولية نتائجه ٠

أما حرية قنال السويس فلها فى اعين المسلمين أهمية عظمى ، لأن ضياعه يحول البحر الأحمر الى بحيرة انكليزية ، فيكون من الممكن وقتئذ تعطيل أداء فريضة الحج ، واقفال طريقه اذا دعت الحاجة بحشد الجنود الانكليزية فى بريم وسواكن والقصير والسويس ، كما يقفلونه الآن على السودانيين ٠

وان الانسان ليستولى عليه الحزن عندما يفتكر فى نتيجة هذا الأمر ، وينظر الى هذا البحر العثمانى الذى يصير اذا ملكت انكلترا مصر ميدانا لسفن جلالة الملكة ، وهو اليــوم ملتقى للبوسنيين والمراكشيين والروسيين والجراكســه والجزائريين والتونسيين والصينيين والهنــود والعــرب والجاويين والزنجباريين وبقية الأمم الاسلامية ٠ فليس استيلاء الانكليز على مصر شيئا آخر سوى استبعاد انكلترا لأمم الاسلام كلها !

ذلك كله غير الخطر الذى يهدد « جدة » و « مكة » متى رسخ قدم الانكليز فى الخليج العربى(١) ٠

فان امتلاك جدة بعد امتلاك « بريم » يجعل بلاد العرب الجنوبية ، وخصوصا بلاد اليمن فى حالة شبه حالة البلاد التى بعد سواكن متى احتلها الانكليز (٢) ٠

والناس كافة يفهمون ماذا يكون آمال الدولة العلية فى اليوم الذى تخرج فيه جدة من دائرة سلطتها ، فان هذا الأمر الذى يظهر مستحيل الحصــول ما دام البحــر الأحمر معتبرا بحيرة عثمانية ، يصبح حقيقة جلية عقب وقوع أى خلاف بين الأتراك

---

(١) وضعت انجلترا يدها على الامارات العربية بالخليج (سلطنة عمان) ابتداء من عام ١٧٩٨ – ١٨٠٤ ، خوفا من الوجود الفرنسى فى مصر ، وتعهد سلطان عمان بالاستغناء عن خدمات الفرنسيين وطردهم ، وكررت انجلترا هذه المعاهدة مع سلطان بن أحمد أمام عمان مرة أخرى فى ١٨ يناير ١٨٠٠ . على أن يقيم سيد انجليزى فاضل فى مسقط عاصمة عمان كوكيل عن شركة الهند الشرقية البريطانية ، ولتمثيل مصالح بريطانيا فى الخليج العربى ، وتلى هذا عقد عدة اتفاقيات فى سنوات ١٨٣٨ – ١٨٣٩ ، ١٨٤٧ ، ١٨٥٦ ، ١٨٧٣ ، من شأنها تأكيد سلطان بريطانيا فى منطقة الخليج ٠

د٠ محمد أنيس ، د٠ السيد محمد رجب حراز : مذكرات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ص ٤٦ ، ٤٧ ٠

(٢) وقعت جزيرة بريم تحت النفوذ البريطانى سنة ١٧٩٩ لايجاد نوع من التوازن لصالح بريطانيا اثناء وجود الحملة الفرنسية فى مصر ، سنة ١٧٩٨ ٠

المرجع السابق ، ص ٥٣ ٠

والانكليز ، وقليل من السفن الانكليزية يكفي يومئذ للاستيلاء على ميناء جدة(١) التي لا تحرز القوة الدفاعية الكافية ، وعندئذ يعلم فلاسفة السياسة الشرقية ورجال الفنون العسكرية الذين عكفوا على عدم الخروج من ديارهم أن الكعبة التي كانت من عهد ابراهيم عليه السلام أبي الأنبياء والرسل المبارك في مأمن أصبحت على خطر .

ومن البديهي أنه لو كانت انكلترا صديقة للدولة العلية ومن الدول الراغبة في المحافظة على استقلال أراضيها لا يتصور وقوع حادثة كهذه ، ولكن رجال السياسة الانكليزية ظهروا في هذا العهد الأخير بمظهر العدو والألد للدولة العلية ، فهددوها تهديدا عظيما ولا يبعد أن يقوم بين الدولتين خصام عنيف ، كما لو أعلنت انكلترا حمايتها على وادي النيل ، وعندئذ لا يمنع الانكليز مانع من تحصين ثغور البحر الأحمر ، وعند أول فرصة تسير سفينة من سواكن أو القصير أو من أي شاطئ من الشواطئ المصرية الى « جده » ، والفرصة لمثل ذلك سهلة فتكون اذا قتل أحد المالطيين في جده مثلا كما تكون لو قام من الرعاع من يدعي الخلافة ، لأن انكلترا بما تدعيه لنفسها عندئذ من حقوق الجوار ، تتداخل لتوطيد الأمن العام والسلام في الحجاز .

ومن ذلك كله يرى أنه من المستحيل رضى الدولة العلية باحتلال شواطئ البحر الأحمر المصرية ، والا فماذا يكون شأن العالم الاسلامي اذا ضاعت منه مكة ، وقد قام دفعة واحدة فأزعج الأمم طرا لما ضاع منه بيت المقدس ؟ ولا جرم أن ضياع « مكة » ، يدمي بمقلة المسلم الواحد ، ويؤلمه آلاما شديدة ، فكيف والمعمورة مسكونة بثلاثمائة مليون من المسلمين ، لابد أن يحسب لهم حساب ؟

٣ ـ ان أول نتيجة من نتائج اتصال السكك الحديدية المصرية بسكك الشام وضع هذه البلاد تحت سلطة الانكليز متى استولوا على مصر ، اذ ليس بخاف على أحد أنه من زمن الفراعنة الأولى والخلفاء الراشدين الى الآن يرى من يستولى على مصر مستوليا على الشام لأسباب سياسية وحربية لا حاجة لذكرها هنا . فاما أن يكون حاكم الشام على مصر كما هي الحالة الحاضرة ، واما أن يستولى حاكم مصر اذا أحس من نفسه بالقوة على الشام كما حصل ذلك لحكام مصر في أدوار عديدة وان تجريدة (بونابرت) و (محمد علي وقت استحكام الشقاق بينه وبين الباب العالي لمن أقرب الأدلة على صدق هذه القضية التاريخية ، ومن المستحيل أن تكون انكلترا المضروبة بطمعها الأمثال أقل حبا للفتح من بونابرت ، وحينئذ فتكون النتيجة من وراء ذلك الطموح سقوط بيت المقدس تحت السلطة البروتستانتية ، وهي نتيجة لا نعرف كيف يقابلها الكاثوليكيون والأرثوذكسيون في العالم أجمع ، ولا يخفى أن سبب حرب القريم

---

(١) يشير هنا الى ماضي الذكريات عن معركة جده سنة ١٨٥٨ التي كانت بناء على استغاثة ، استخدمت فيها البحرية الانكليزية ، وكأنه يرمي الى التنبيه حتى لا يحدث التكرار ، وهو ما سيأتي ذكره مفصلا فيما بعد .

بين دولتين من شأنهما الاتحاد كفرنسا وروسيا كان هو الشقاق القائم بين الكاثوليك والأرثوذكس فى فلسطين ، فماذا يكون الأمر عندما ترفع انكلترا البروتستانية رايتها على « أورشليم » ؟ ٠

وعلى فرض أن البابا والقيصر(١) يقبلان هذا الأمر فماذا يقول المسلمون الذين على ما كان بينهم من التفرق والشقاق دافعوا عن هذا الحرم الشريف فى وقت الحروب الصليبية وقاوموا النصرانية المتحدة ؟

وبماذا تجيب عندئذ الأمم الاسلامية الحكومة العثمانية التى بسكوتها وخضوعها أمام مطالب جيش ولسلى جعلت وقوع هـذه الحادثة السيئة بالنسـبة لكـل الأمم من الممكنات ؟

على أن فى استيلاء الانكليز على (أورشليم) أمرا آخر هو من الأهمية بمكان ، ألا وهو فصل الحجاز عن الدولة العلية ، فتصير الدولة بعدئذ كاحدى الامارات التى لا تتجاوز أهميتها أهمية بلغاريا(٢) ٠ الحالية ٠ وان خطارة هذا الأمر تظهر للفكر منأول وهلة ٠ فليست ثروة الشرق الأقصى وكنوز افريقية شـيئا يذكر بالنسبة لجوار أورشليم ٠

وان الطريق بين يافا والاسماعيلية الذى يوصل بسكة حديدية من الخرطوم الى الاستانة ، ومن شمال افريقية الى الخليج العجمى وآسيا الصغرى يكون بطبعه ذا فائدة جليلة لانكلترا ، مما يحملها على توجيه مطامعها نحو الشام ، ووجود الدروز والأرمن فى فلسطين مع ما هو معلوم من ميلهم للدولة الانكليزية ، وكثير منهم آلات لها مما يسهل بعد ذلك امتلاكها فلسطين ، وفضلا عن ذلك فان التجانس الموجود بين السوريين والحجازيين والمصريين يدعوهم عند تفرقهم للاجتماع تحت حكم حكومة واحدة ٠

ولقد أثبتت الحروب الصليبية أعظم اثبات أن أورشليم لا يمكن أن تملكها دولة غير الدولة الاسلامية اذ بها وحدها يوجد التوازن فيها بين كل المذاهب ، وكافة الديانات التى تتنازع وطن أنبياء بنى اسرائيل وهيكل سليمان ، وبقاؤها لدى الدولة الاسلامية خير كفيل لذلك التوازن الذى نراه الآن ، وان ضياع أورشليم من يد الدولة العلية الذى هو فى الحقيقة ضياع هذه الدولة نفسها ، يكون مصيبة عظمى على المدينة وعنوان حروب هائلة بين كل الأمم المعتنقة لديانات مختلفة حيث لا تستطيع واحدة منها دون الأخرى امتلاك ذلك الحرم المقدس والمحافظة عليه ٠

ومن نتائج سقوط الخلافة الاسلامية فتح باب وراثة القسطنطينية هو الباب

---

(١) باعتبار ان البابا حامى حمى الكاثوليكية وقيصر الروس حامى حمى الارثوذكس فى العالم آنئذ ٠

(٢) يكشف مصطفى كامل عن محاولة انجلترا تقليم أظافر الدولة العثمانية بفصل الحجاز ــ معقل الاسلام ــ عنها ، خاصة وانها دولة تقوم على الدين ، وزعيمة العالم الاسلامى آنذاك ٠

الذى اذا فتح اندفع تيار القلاقل والاضطرابات والارتبـــاك منه حيث يصبح العالم ولا وسيط بين الأمم الاسلامية والأمم المسيحية ٠

ولقد احتاج العثمانيون الى زمن طويل حتى استطاعوا أن ينخرطوا فى سلك الأمم الأوروبية مع المحافظة على ما لهـــا من السلطة والنفوذ المعنـــوى على الأمم الاســـلامية ٠

لذلك كان الفكر يضطرب أشد الاضطراب كلما تخيل النتائج الهائلة التى ينتجها ضياع الدولة العثمانية اذ ليس ضياعها الا الرجوع الى حالة الهمجية حيث تفقد المعاهدات معناها وتصبح بغير عمـــل يوم تخـــرج الخلافة الاســـلامية من الدائرة الأوربية ٠

ومن كل ما ذكرنا يتضح جليـا أن احتلال انكلترا لمصر خطـر عظيم على العالم بأسره ، وأن السياسيين الذين يعملون لاجلاء الانكليز عن وادى النيل لا يؤدون فقط الواجب الذى تفرضه عليهم عدالة أوروبا وشرفها ، بل يعمـلون أيضا للسلام العام لاتحاد النصرانية مع الاسلام ، وبالجملة يعملون لنصرة المدنية الغربية والسلام ٠

كلمة الى المدلسين ★

اذا رضيت عني كـــرام عشيرتي فلا زال غضـــبانا علي لئامهـــا

عذرا أيها الأصدقاء الأوفياء اذا قصرت عن القيام بواجب شكركم على دفاعكم عني أمام طغمة المارقين الذين أقل صـفاتهم أن لا وطن لهم ولا خلاق · فانى أترك الوطنية الحقة تشكركم أجل الشكر وادع المحامد تحمدكم على رفيع احساساتكم وجليل شيمكم ، وأستميحكم العفو اذا خصصت رسالتى هذه للرد على هؤلاء الخوارج بلسان التاريخ فان فيه ولا مراء أقوى مساعد على خدمة بلادهم العزيزة وتحرير أوطانى المحبوبة · يلومنى الخصوم على الدفاع عن حقوق ضائعة وحرية مسلوبة ، ويصفون شريف الفعال بأعمال الصغار ونعم هذا الوصف ما ألذ مثل ذا اللوم على أذنى ، أنى لعمر الحق ألذ من تغريد الطيـور ، أبلغتم أيها الخوارج من التدليس هذا المبلغ حتى اعتبرتم الفضائل نقائص ونسيتم أو تناسيتم التاريخ وأمثاله المضروبة ، على تخليص الأمم من الأسر وانقاذ البلاد من خطر الضياع · فان كنتم نسيتموه فلكم منى مذكر عادل يقول لكم ان كل أمة فى الوجود لم ترد للحياة سبيلا الا على يد رجل أو رجال خاطروا بحياتهم ، وقدموا أنفسهم ضحية لها · وأنا لمصر ذلك الفرد الذى يضحى حياته لحياتها ويخاطر بنفسه لانقاذهامن الخطر المهدد لها · فان كانت شبيبتى داعى لومكم على فهى لى نعـم الفخـار ولأبناء جنسى خير محـرك على خـدمة الوطن العزيز ·

نعم هى فخارى ، فانى وان أكن فى أزهر سن الشباب ، لست ممن يميلون مع الأهواء ، ويقضون الساعات والأيام فى الملاهى والملذات ، بل أنا ممن لا تحلو الحياة فى عيونهم ما دام الوطن على خطر ، والأمة على شفير هار ، أفاخركم حقا أيها الطاعنون أمام العالم أجمع بأنى وهبت حياتى لأمتى وبلادى ، وبدأت أعمالى بعد سن الدراسة بمطالبة أوروبا العادلة حقا وانصافا · أفاخركم ساخرا من طعنكم وقد حكم بأنى

(★) نشرت بجريدة الاهرام بتاريخ ٥ يوليو ١٨٩٥ ·

أقتفى أثر رجال شرفهم التاريخ لما شرفوا بلادهم وأعزتهم مواطنهم لما أعزوها وأعلوا شأنها ٠

نعم أقتفى أثر رجل كفرانكلين(١) جاء في القرن الثامن عشر لا في هذا القرن قرن العدالة والانصاف ، مطالبا بحرية بلاده ، سائلا فرنسا مساعدة وتعضيدا ، حيث لبت اذ ذاك نداءه ورقت رحمة لأنين أمته ونصرتها فى مطالبها الحقة ، وساعدتها على نيل الحرية والاستقلال ، نعم اقتفى أثر رجال مثل سكوفاس واكزانتوس وريكوس الذين سهروا الليالى الطوال على تحرير اليونان ، ولى أحسن اقتداء بكافور وغيره ممن وهبوا ايطاليا الاستقلال بعد الجهد الجهيد ٠ كيف لا أقتدى بهؤلاء الرجال وأعمل مثل هذه الأعمال ، وقد أنقذت فرنسا من هاوية الخطر غانية تضرب لنا وحدها الأمثال ٠ واذا كان الانكليز يعملون الليل والنهار على امتلاك الممالك واستعمار البلاد ، ويجرون مما رزقوا من العقل والثبات وانتهاك حرمة المعاهدات فى سبيل الاستيلاء على مصر ، ومد سلطتهم من الاسكندرية الى حكومة الكاب ، فهل من المستغرب أن يطالب مصرى « بحرية بلاده وهو أمر طبيعى بل فرض » تفرضه الحياة على كل انسان ٠ واذا كنا صبرنا معشر المصريين ثلاثة عشر عاما ننتظر الخلاص من انكلترا نفسها ونترقب ساعة احترامها لشرفها ، والى اليوم لم نر منها ما يدل على قرب الوفاء ، ولم يبدلنا من رجالها لا صدق ولا وداد ٠ فهل تعجبون يا قوم اذا دفعتنا احساساتنا الى كشف الحقائق والاستنجاد بأمم أوروبا ٠

لعمر الشرف ان ما أتينا به لأحق الأمور بالاتيان ، واذا كان تقديم لوحة وعريضة الى (٢) مجلس النواب الفرنسوى أثار منكم عواطف الغضب والحمق ، وهو أمر من أبسط الأشياء فما عساكم تفعلون غدا والليالى حبالى وكثيرا ما يضمر ذلك « الفتى المصرى » الذى أضاعت عقولكم فعلة من فعاله لخدمة بلاده وتحرير أوطانه ٠

---

(١) بنيامين ، فرانكلين (١٧٠٦ ـ ١٧٩٠) سياسى أمريكى ، عالم وكاتب وفيلسوف ، مثل بلاده تمثيلا ناجحا لدى انجلترا وفرنسا ، ولما تأزمت العلاقات بين الانجليز والامريكيين ، ولجأ الانجليز الى القوات المسلحة لاخضاع الامريكيين الذين أعلنوا (الاستقلال) فى يوليو ١٧٧٦ ، وناشدوا فرنسا تقديم المساعدة لهم ، ولما وصل بنيامين فرانكلين الى باريس يعرض التحالف معها ، ولعل فرنسا وجدتها فرصة للانتقام من الانجليز ، وبالفعل قدمت المساعدات للامريكيين ٠ ولما انتهت حرب الاستقلال الأمريكية اختير فرانكلين لتوقيع الصلح ١٧٨١ مع بريطانيا ، وانتهت المفاوضات بمعاهدة فرساى ١٧٨٣ التى نالت الولايات المتحدة بموجبها الاستقلال ٠

(للمزيد من المعلومات : محمد فؤاد شكرى ، محمد أنيس : أوروبا فى العصور الحديثة ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٣٠٧ ، الموسوعة العربية الميسرة (مجلد واحد) سنة ١٩٦٥ ، ص ١٢٨٢ ٠

(٢) يقصد لوحته التى قدمها على رأس وفد من الطلبة والمصريين الوطنيين الى المسيو بريسون رئيس مجلس النواب الفرنسى فى يونيه ١٨٩٥ ٠

الغاء الارسالية المصرية بفرنسا ★

أرانى سعيدا جدا لأن أجيبكم على سؤالكم فى هذه المسئلة التى تهم بلدنا كثيرا ، فان الارسالية المصرية فى فرنسا هى احدى النظامات الكثيرة الفوائد الجليلة العوائد على مدنية وادى النيل وسعادته ، فقد أسسها « محمد على » رأس العائلة الخديوية وصديق فرنسا العظيم ، بقصد تعليم الشبيبة المصرية وتهذيبها ، وذريعة الى ادخال أصول المدنية الغربية فى مصر ، وكانت عبارة عن بعثة عدد عظيم من الشبان المصريين من وقت وآخر الى فرنسا(١) ٠

وقد تخرج من هذه البعثات أكثر من ألف عالم نشروا فى مصر أنوار العلوم والمعارف والفنون والصنائع ، فكانوا بذلك عمالا حقيقيين للمدنية ٠ وليس بالمستطاع أن آتى لكم بأسماء كل المشاهير الذين نبغوا من هذه الارسالية وأوصلوا بلادنا الى حد من المدنية صارت معه تعد فى مصاف الأمم المتمدنة ، ولكن لا أرانى مخطئا اذا قلت أن أسماء « على مبارك باشا » (٢) ، و « على ابراهيم باشا » (٣) ، و « محمود باشا

(★) ترجمة حديث أجرته صحيفة الاكلير الفرنسية مع مصطفى كامل بتاريخ ٩ سبتمبر ١٨٩٥ ، بعد ورود تلغراف يفيد الغاء الارسالية المصرية فى باريس ٠

(١) يمكن الرجوع الى حاشية رقم ٢ ص ١٦٢ (مقال مصر والسياسة الفرنساوية) ٠

(٢) على مبارك (١٨٢٤ ــ ١٨٩٣) : مؤرخ ووزير مصرى ، ولد فى قرية برنبال بالدقهلية ، وبعد أن حفظ القرآن التحق بالتعليم المدنى ، وتخرج من المهندسخانة ، وأرسل فى بعثة الى فرنسا وتنقل بعد عودته فى وظائف عدة فى الهندسة والتعليم ، الى أن تولى ديوان الاشغال ،وديوان المدارس ، فعمل على تجميل القاهرة وتوسيع التعليم ، وأنشأ الكتبخانة الخديوية ودار العلوم ، لتخريج المعلمين ، والف الخطط التوفيقية وهى تكملة لخطط المقريزى ، ورواية علم الدين وهى سلسلة من المسامرات ، محمد شفيق غربال وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة سنة ١٩٦٥ ، ص ١٢٣٢ ، أحمد أمين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ص ١٨٤ ــ ٢٠١) ٠

(٣) على ابراهيم (١٨٢٦ ــ ١٨٩٩) : عالم مصرى ، ولد بقرية فزارة بأسيوط ، تلقى العلوم العسكرية بمصر وأوفد الى مدرسة متز بفرنسا سنة ١٨٤٦ ، ثم عاد ليعمل بالجيش ، واشتغل فى مد خطوط سكة الحديد ، فضلا عن أعماله العسكرية ، برزت جهوده فى نشر التعليم ، فتولى نظارة المعارف سنة ١٨٧٩ ، وعمل على تأسيس المدارس بأنحاء مصر ، وتولى نظارة العدل سنة ١٨٨٢ ، فسن اللوائح والقوانين ، ثم تخلى عن منصبه فى أثناء الثورة العرابية ، وتفرغ للدراسة والتاليف ٠

(محمد شفيق غربال وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة سنة ١٩٦٥ ص ١٢٢٩) ٠

الفلكى » (١) و « رفاعة بك » (٢) ، معروفة عندكم بأنها أسماء كبار علماء فى مصر ، وكلهم كانوا من أعضاء هذه الارسالية الزاهرة ، التى هدم أركانها اليوم المحتلون .

ولقد وجد الانكليز أمامهم عندما دخلوا مصر ، أمة متنورة منتشرة بين جميع طبقاتها مبادىء المدنية الغربية ، فلم يكن لهم بد من ابادة النفوذ الفرنساوى توصلا الى استبعادها ، ذلك النفوذ الذى أنال مصر شبيبة متنورة عارفة بما لها وما عليها ، لا تقبل أبدا ترك الغير يسلبها بلادها .

وبناء على ذلك وضع المحتلون أيديهم على نظارة المعارف العمومية ، وعينوا أساتذة من الانكليز فى أكثر المدارس الأميرية ، بل وأعظم من ذلك أنهم وضعوا على وكالة المعارف أرمنيا اسمه (أرتين) استعملوه آلة لهم ، والفضل له فى نشر اللغة الانكليزية فى كل الأرجاء (٣) .

ومع ان الانكليز يدعون فى أوربا أنهم لا يعملون عملا ما فى سبيل تقدم لغتهم وانتشارها ، تراهم فى مصر على العكس من ذلك عاملين آناء الليل وأطراف النهار لاحلال اللغة الانكليزية محل اللغة الفرنساوية واليك البرهان :

---

(١) محمود الفلكى (١٨١٥ ــ ١٨٨٥) : ولد فى بلده الحصة بالغربية ، والتحق بأحد المدارس سنة ١٨٢٤ بالاسكندرية ، وتخرج من مدرسة المهندسخانة سنة ١٨٣٩ وعين أستاذا مساعدا للعلوم الرياضة بها ونال رتبة ملازم ثان ، تعلم الفرنسية ، وعرب بعض الكتب الفرنسية فى الرياضيات ، كما أتقن دراسة العلوم الفلكية ، وأوفد الى باريس للتخصص فى الفلك ، ونشر بعض مباحث فلكية ، كما خطط معالم الاسكندرية القديمة ونقب فى حفائرها ، تولى نظارة الاشغال سنة ١٨٨٢ ، ووكيلا لوزاره المعارف ١٨٨٢ ــ ١٨٨٤ ، وتولى رياسة الجمعية الجغرافية حتى وفاته ١٨٨٥ .

(عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٤٨ ص ص ٢٦٤ ــ ٢٦٨) .

(٢) رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١ ــ ١٨٧٣) : شيخ المترجمين المصريين فى مطلع النهضة الحديثة ، ولد فى طهطا ، وقدم الى القاهرة صغيرا ثم تخرج من الجامع الأزهر ، انتهز فرصة تعيينه اماما لأول بعثة تعليمية أرسلت الى فرنسا ، فتعلم الفرنسية ، وبعد عودته عمل مترجما فى المدارس الفنية التى أنشأها محمد على ، ثم مديرا لمدرسة الترجمة (الألسن فيما بعد) ، قام بدور هام فى نشأة الصحيفة الرسمية (الوقائع المصرية) . تخرج على يده كثير من المترجمين ، والاساتذة ، وترجم بنفسه كتبا عدة فى الجغرافيا والقانون ، والهندسة وغيرها ، وكتب وصفا لرحلته الى فرنسا « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » ، وشرحا للنظم السياسية والاجتماعية الحديثة ، ومباهج الألباب المصرية فى مناهج الآداب العصرية ، الا أن أسلوبه يحمل طابع القرون الوسطى ، الذى نجده عند الجبرتى مثلا .

(محمد شفيق غربال وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة سنة ١٩٦٥ ص ٨٧٣) .

(٣) تجدر الاشارة الى أنه منذ عام ١٨٨٦ أصبحت ادارة التفتيش تتبع وكيل المعارف ، (يعقوب أرتين) ، وعمل الانجليز على وضع التفتيش تحت وصايتهم ، فعينوا سنة ١٨٩٠ (دوجلاس دنلوب) مفتشا عاما ، والذى اشتهر بسياسته الارهابية ، علاوة على تعميم تولى الأساتذة الانجليز وظائف التدريس ، وكانت السياسة التى يهدفون اليها هى « النجلزة » بقصد تحقيق أهدافهم .

ويرى محمد فريد مع تعيينات سنة ١٨٩٠ بدء انتشار اللغة الانجليزية فى المدارس الاميرية ، الابتدائية ، حيث الادارة الانجليزية ، ولم يكن ذلك من قبل .

(د. حسن الفقي ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ ، د. رؤوف عباس حامد : مرجع سابق ، ص ٩٥) .

قال اللورد روزبرى فى يوم من العام الماضى على مجمع عام ان الانكليز فى مصر لا يحببون أحدا فى تعلم اللغة الانكليزية ، بل ان المصريين هم الذين يتسابقون من أنفسهم الى تعلمها ، ولكن اتفق أنه فى اليوم التالى ليوم مقاله هذا توفى ناظر المدرسة التجهيزية فى درب الجماميز ، وكان مصريا ، فلما علم اللـــورد روزبرى بذلك أمر الوكالة البريطانيــة فى مصر أن تطلب من الحكومــة المصرية تعيين انكليزى مكانه ، فعارضت الحكومة ، ولكنها لم تفلح فى معارضتها ، وتم بعد ذلك تعيين الانكليزى ناظرا لتلك المدرسة ، وهو ما يدلكم على أن جيراتكم الانكليز لا يتركون فرصة تمر دون اســتعمالها فى تقويض أركان نفوذكم الذى يعـــود علينا بالفائدة ، والذى غايته شريفة ٠

ولقد قلت لك فى أول كلامى أن الانكليز استعملوا فى المعارف كآلة لهم أرمنيا شهيرا فى مصر بجهالته وكفرانه بالنعمة ، فبعد أن جعل هذا الأرمنى نصف العشرة تلامذة الذين صارت اليهم كمية الارسالية المصرية من الأرمن مواطنيه(١) المنخرطين فى سلك الجمعيات الثورية الأرمنية ألغى اليوم مرة واحدة الارسالية المصرية حتى لا تعود فرنسا الكريمة تهب مصر شبانا ، جريمتهم الوحيدة فى أعين الانكليز انهم مهذبون متعلمون وعلى الخصوص وطنيون ثابتون فى الوطنية ٠

ولسنا نأسف فقط على فقدان هذه الارسالية بل نبكيها ، ونؤمل من صميم قلوبنا فى هذه الساعة المحزنة أن يتحقق تحرير مصر عاجلا لتبعث هذه الارسالية الى الحياة بعد موتها ٠

ولا تحسبن الغاء الارسالية آخـر ما يأتيه الانكليز من ســياسة العداء لفرنسا المتبعة من سنة ١٨٨٢ ، بل أعتقد أن العراقيل والصعوبات تقام دائما فى وجه من يتعلمون فى بلادكم ، فلقد أراد أخيرا طالبان من الذين أتموا دروسهم فى مدرسة دار العلوم الحضور الى فرنسا ليكملا فيها معلوماتهما ، فقال لهما وكيل المعارف (أرتين) بصــفة صريحة أنهما نفقدان مستقبلهما اذا توجهــا الى فرنسا مستندا فى قوله على أن الانكليز يعتبرون كل من تعلم فى فرنسا عدو ألد للاحتلال ٠

---

(١) تذكر صحيفة المؤيد أن أول بعثة سافر فيها مسيو موجيل من مصر بعد تعيينه ناظرا سـنة ١٨٨٥ كانت تضم سبعة تلاميذ منهم ثلاثة من الأرمن ، وكلهم ممن دون الثانية عشرة ٠ وكلما لاحت فرصة قدم الأرمنى على المصرى ، مثال ذلك ما حدث مع ابن صاحب بنك مالى فى الاسكندرية ، أرمنى ، فشل فى الدراسة الابتدائية فى مصر ، فأوفد الى باريس فى البدء على نفقته ، ثم بعدئذ على نفقة الارسالية سنة ١٨٩٣ ، وكان يدعى « زككيان » ٠ وحدث العكس مع المصرى « ابن على بن برهان » الذى لم يكن صاحب بنك،فرفض طلبه بالنقل على مصاريف الحكومة ٠

وأفراد الارسالية لعام ١٨٩٥ عشرة تقريبـــا ، نصفهم فى دراسة الحقوق وغيرهم ثمانية باسم (تلامذة السكة الحديد) ، يمكثون ثلاث سنوات يتمرنون فى محطات مختلفة ٠

(المؤيد ــ يومية ــ العدد ١٧٤٦ ، ٧ نوفمبر ١٨٩٥) ٠

وان الأمثلة على تصـدى الانكليز فى مصر للنفوذ الفرنسـاوى ولمحبى فرنسا لأكثر من أن تحصر الآن ، ويكفينى أن أضرب لك على ذلك مثلا واحدا ، وهو أنه لما صعدمسيو فيلكس فور الى منصب رئاسة الجمهورية بعث له طلبة الارسالية المصرية فى باريس رسالة تهنئة نظرا لما هو مشهور عنه ، من أنه من أحباء مصر العظام ، فتكرم مسيو فيلكس فور عندئذ بدعوتهم الى زيارته فى الاليزيه فذهبوا واستقبلوا استقبالا وديا لا ينسونه أبدا ، حيث صرح لهم جنابه أن لهم فى الاليزيه محبا يمكنهم من الاعتماد عليه ، فأجاب الانكليز على هذه المظاهرة برفت مدرس اللغة العربية فى مدرسة اللغـات الشرقية بباريس(١) ، معللين ذلك بأنه كان الامام للمصريين فى زورتهم لمسيو فيلكس فور ، ولولا أن مسيو كوكوردان وزير فرنسا فى مصر تداخل فى الأمر لما ألغى أمر رفته الذى صدر مرتين ٠

وها قد أشيع أخيرا أنهم سيرفتونه مرة ثالثة تنفيذا لفكرة عقابه على كونه ذهب لرؤية مسيو فيلكس فور !

هذا هو الجواب الذى أجاب به الوطنى المصرى على ذلك السؤال ، ولقد كان من الضرورى كشف النقاب عن مثل هذه الأشياء واظهارها علنا لأن فرنسا فى حاجة الى معرفة أصدقائها من غيرهم ٠

---

(١) هو محمود بك أبو النصر عضو الحزب الوطنى فيما بعد ، وهو من الذين شاركوا مصطفى كامل ومحمد فريد العمل السياسى ، وكان من أول الذين كتبوا فى جريدتى « التندار اجيبشيان ، وذا اجيبشيان ستاندرد » ، وذلك فى باريس سنة ١٩٠٧ ، وله من المواقف الوطنية ما حمل سـلطات الاحتلال على التعنت معه ، وكان مدرسا للغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس ٠ (مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر : أوراق مصطفى كامل ــ المراسلات ، ص ٤١ ح ١ ٠

«٢» بعد ارتقاء مسيو فيلكس فور منصب رئاسة الجمهـورية الفرنسية فى ١٧ يناير ١٨٩٥ ، ذهب التلاميذ المصريين لتهنئته يوم ٤ فبراير ١٨٩٥ ، فاعتبرته نظارة المعارف العمومية من قبيل المظاهرات السياسية ، وكتبت الى ناظر الارسالية « موجيل بك » تسأله عن المثير لهذه المظاهرة ، فأجابها انه حضرة الشيخ محمود أبو النصر أستاذ العلوم العربية ، فكتبت له برفت الأستاذ وتعيين بدلا منه ، وان كان قنصل فرنسا تدخل وأوقف هذا القرار ، كما ذكر الطلبة أن موجيل بك هو الذى وعدهم ، وأخلف ، فرأسهم الأستاذ ٠ غير أن بالمر المستشار المالى ــ بصفته عضوا فى اللجنة المالية للمعارف ــ قام بالغاء الارسالية كلية ، جزاء لما اقترفه التلاميذ فى فرنسا ، وظلت الصحف تتناقل هذا الموضوع ٠

غير أنه نشر بالصحف فى ٢٥ سبتمبر ١٨٩٥ تكذيب نظارة المعارف لخبر الغاء الارسالية الى فرنسا ٠ (صحيفة المؤيد « يومية » العدد ١٥٠٦ ، ١٨٩٥/٢/١٧ ، العدد ١٥١٦ ، ١٨٩٥/٢/٢٨ ، العدد ١٥٢٨ ، ١٨٩٥/٣/١٦ ، العدد ١٦٧٩ ، ١٨٩٥/٩/٢٥) ٠

انكلترا والاسلام ★

لا يوجد أمر سياسى أو اجتماعى ولا أى حادث يستحق استلفات أنظار أوروبا أكثر من حركة الأفكار الاسلامية فى الساعة الحاضرة ، فالمؤمنون كافة متحدو الفكر لا يتحدثون فى المجتمعات العامة والخاصة الا عن انكلترا والاسلام ، وجرائدنا الافريقية والآسيوية موافقة للرأى العام لا تمل من اظهار دلائل عداء بريطانيا العظمى للدولة العلية والخلافة . وكل هذه الأمة العظيمة الاسلامية التى لا يقل عدد مجموعها فى كافة الأقطار عن ثلاثمائة مليون من الأنفس أصبحت معتقدة كمال الاعتقاد أن انكلترا هى الخصم الوحيد الأبدى خصم الأمس وخصم اليوم وخصم الغد .

وان انكلترا لم يكشف عنها القناع ولا عن مقاصدها وأغراضها كشفا تاما قبل حوادث أرمينيا ، ولكن منذ عاملت حكومة جلالة الملكة وجرائد الانكليز الدولة العثمانية هذه المعاملة العنيفة بسبب أرمينيا أخذ العالم الاسلامى يتيقظ ويدرك .

وترى حركة خواطر المسلمين فى الهند نفسها وهى البقعة الانكليزية ليست بأقل منها فى غيرها .

ولقد اتفق لى أن قابلت منذ شهرين انكليزيا « متبصرا معتدلا » عالما بكل ما جريات الأمور فى الهند ترجم لى مقالة ظهرت بتاريخ ٢٥ يونيو الماضى فى جريدة مدارس الأهلية (شمس الأخبار) تظهر بأجلى بيان كنه حركة الخواطر الاسلامية المتهيجة ضد انكلترا فى الهند كلها .

فلقد قالت هذه الجريدة بعد أن شرحت دسائس انكلترا فى ارمينيا ما معناه : « ان الانكليز يحرضون الأرمن فى هذه الأيام ضد تركيا ويوجدون لخليفة المسلمين كل أنواع الصعوبات والمشاكل غير مفتكرين فى نتائج أعمالهم ، فماذا يبتغون :

(★) هذه ترجمة مقالة كتبها مصطفى كامل بمجلة (النوفل رفو) ابان الحوادث الأرمينية ، ونشرت بعددها الصادر ١٥ أكتوبر ١٨٩٥ .

(محمد مسعود : مصر والاحتلال الانكليزى ، ط ١ ١٣١٣ هـ ، ص ٦٧) .

أحربا دينية ؟ ليعلنوها لنا حتى تسـيل دماؤهم ودماؤنا لأننا نفضل رؤية الموت الأحمر دون رؤية تقويض أركان الخلافة » . فليحكم القراء على تهييج الرأى العام من هذه اللهجة الشديدة .

وليس بالغريب اذا كان مسلمو الأرض جميعا متهيجين ضد انكلترا ساخطين عليها ، فاننا لسنا متعصبين ولا كارهين لأوروبا . اننا نقدر فوائد المدنية حق قدرها ونريد أن نستفيد منهـا ، ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر علينا أن انكلترا تدعونا للهيجان كل يوم والى الخروج من دائرة هدوئنا وسكينتنا الى الحدة حتى احتجنا الى كنوز من الصبر والجلد كيلا نظهر بمظهر العدوان .

الا أن سياسة انكلترا لخطرة عليها ، ومن الصعب تصـور أنها لا ترى ذلك الخطر ، فهل جهل رجال السياسة الانكليزية ما لأمير المؤمنين (١) من النفوذ المعنوى فى العالم الاسلامى ؟

هل جهلوا أن فى استطاعة السلطان عبد الحميد أن يقيم كل المسلمين على بريطانيا فى مستعمراتها نفسها ؟ اننا لا نقدم للقراء برهانا آخر على سلطة الخليفة العظيمة غير ما حصل فى حوادث ثورة « سيباى » (٢) الشهيرة التى لم تخمد نارها الا بأمر

(١) يقصد السلطان العثمانى .

(٢) حدثت ثورة الهند فى أثناء حكم اللورد دالهوزى (١٨٤٨ ـ ١٨٥٦) وخليفته اللورد كانيج (١٨٥٦ ـ ١٨٦٢) ، وعن أسباب هذه الثورة ما يذكره المؤرخ كين : « ان شركة الهند الشرقية البريطانية أجبرت الأهالى على تنفيذ قوانين الشركة التى لم تكن متفقة والوضع فى البلاد .. » وقد زاد النفوس اشتعالا ما أقدم عليه (دلهوزى) من اعتقال « واجد على شاه » ملك « أود » . وضم بلاده للشركة عام ١٨٥٦ م ، وكذلك الغاؤه كثير من الألقاب والمرتبات التى كان يتمتع بها بقايا ملوك الولايات التى ضمت للشركة من قبل مثل حاكم أركان ، تانجور ، وغيرهما . وأكثر من ذلك كله الانذار الذى وجهه « اللورد كانيج » الى ملك المغول « بهادر شاه » المسن القابع فى قلعته بأنه سيكون آخر ملك يتمتع باللقب وسكنى القلعة التى ستصير بعده ثكنة للجيش الانجليزى ، وبالطبع فان الملك ـ رغم الضعف ـ كان رمزا للشعب على اختلاف طبقاته . وقد اجتمع العلماء قبل الثورة وأعدوا فتوى باعـلان الجهاد ، وقعها عدد من البارزين ، فى الوقت الذى أصدر الهندوس والمسلمين بيانا مشتركا باختيار الملك المسن « بهادرشاه) قائدا أعلى للثوار والقيادة العامة لبعض أبنائه مثل ميرزافعل ، وخضر سلطان أما على المدفعية فكان « بخت خان » وكان تعاون الجنود والأهالى معا . وتجدر الاشارة لقيام جماعة يدبرون لقيام ثورة عامة فى الهند سواء مسلمين أو هندوس ، حتى قيل أنهم حددوا ١١ مايو ١٨٥٨ موعدا لها ؛ وكتبوا المنشورات بذلك .

ومن المصادفات العجيبة أن اندلعت ثورة الجنود فى الثكنات العسكرية فى « ميرث » فى اليوم الذى قيل عن تحديده لأسباب داخلية تتصل باستهتار الانجليز بعقائد الجنود الهنود ، وتعسفهم فى المعاملة اذ جلبوا خراطيش مدهونة بلحم الخنزير المحرم عند المسلمين والبقر المحرم عند الهندوس ، وكان على الجند أن يزيلوا ذلك بأسنانهم طبقا للأوامر ، التى عصوها ، فعاملهم الانجليز بقسوة ، وحكموا على ٨٥ منهم بالسجن عشر سنوات وتفننوا فى تعذيبهم ، وقد كانت المحاكمة فى ٩ مايو ١٨٥٧ م ، وقال حاكم الهند اللورد كانيج عن ذلك « بلغ هذا الحكم من السفالة مبلغا لا يوجد له نظير فى تاريخ الهند . =

أصدره المرحوم السلطان عبد المجيد (١) لمسلمي الهند يأمرهم فيه بكف كل مقاومة ضد حكومة جلالة الملكة فيكتوريا حليفته في القريم (٢) .

ولنذكر القراء أيضا بأن أعظم فشل ناله « عرابى » هو من اعلان جلالة السلطان عبد الحميد عصيانه حيث كان صدور ذلك الاعلان في خامس شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢ ، أي قبل حدوث واقعة التل الكبير بثمانية أيام .

وفي هذا الاعلان الذى صدر بعصيان عرابى سمى جلالة السلطان انكلترا الصديقة الدائمة للحكومة العثمانية ، فكان ذلك من أكبر أسباب تثبيط همم كل الجنود الثائرة .

وها قد زال اليوم عن السياسة الانكليزية غشاؤها فأصبحت بريطانيا لا تملق الدولة العلية ، ولا تدعى انها صديقة السكان تلك الدعوى العتيقة بل أخذت تجاهر بالعداء ضده ورجال سياستها يحرضون الأرمن ويشجعونهم على العصيان علنا ، ويحرشون المسلمين ويهيجونهم ثم ينادون بالتعصب !! .

= وبذلك اضطرمت نار الثورة في اليوم التالى ووثب الجنود على رؤسائهم الانجليز في معسكر ميرث ومنها زحفوا الى العاصمة دلهى في صباح ١١ مايو ، وانهزم الجنرال « كراو » القائد الانجليزى بها ثم فر بجنوده . واشتعلت الثورة في المناطق الأخرى ، ففي البنغال قامت على يد « منكل باندى » . وفي ٢٢ مارس ١٨٥٧ في منطقة « دمدم » ثم قامت بعد ذلك في « لكنو » في ٥ يونيو ، وكانيبور في ١٤ مايو ، اذ قام نانا صاحب المراهتا بالثورة ، بيد أنه هرب بعد فشله . وقد أعمل الهنود القتل والسلب والنهب في بيوت الانجليز ، الذين فجروا الذخيرة التى في حوزتهم خوفا من استيلاء الهنود عليها .

ونتج عن ثورة سباى ضم الهند سنة ١٨٥٨ الى التاج البريطانى ، واعتبرت بريطانيا المسلمين في الهند أكثر خطرا اذ تراودهم ذكريات الحكم العربى ، علاوة على عزوفهم عن الثقافة الانجليزية .

ويرى الدكتور عبد المنعم النمر أن أسباب الفشل في انضمام السيخ للانجليز في البنجاب ووف ملوك حيدر أباد مع الانجليز ضد الملوك المسلمين ، ثم تدفق الجنود الانجليز من الخارج والذين كانوا بمحض الصدفة ذاهبين الى الصين للقيام بمناورات هناك ، علاوة على تفرق الهنود مثل « ميرزا الهى بخش » صهر الملك وغيره ممن كانوا يتولون أعمالا هامة ، والبعض كانوا خونة وجواسيس ، كما وزع الانجليز باسم الملك منشورا ، في كثير من البلاد وقت قيام الثورة يضمن وعدا للمسلمين خاصة أنه بعد الانتصار ستوزع عليهم وحدهم الاقطاعات الواسعة ، وكان لذلك أثره المشين في بث روح الفتنة ، التى استغلوها في اشاعة الرعب بعد ذلك بين الهنود الوطنيين توطيدا لوجودهم . وللمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع الى : د./ سمير بحر : الأقباط في الحياة السياسية المصرية ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٤٢ ، د./ عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام في الهند ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ص ٣٦٩ - ٤٥٨ .

ماكولى ، توماس بابنجتون : مرجع سابق ؛ ص ١٣ .

(١) السلطان عبد المجيد : ١٨٢٣ - ١٨٦١ ، تولى الحكم من ١٨٣٩ - ١٨٦١ ، جابه في بداية حكمه انتصار الجيش المصرى في نزيب ١٨٣٩ ، وتسليم الاسطول التركى ، نشبت في عهده حرب القرم ١٨٥٣ - ١٨٥٦ ، وأيدت كل من انجلترا وفرنسا تركيا ضد روسيا ، أدخل اصلاحات كثيرة ، لكنها لم تعمر طويلا . محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١١٨٤ .

(٢) يقصد القرم .

والمستر غلادستون الذى لا يعنيه الآن أن يدافع عن حزبه ولا يكلف نفسه كلمة واحدة فى هذا الشأن نراه يدافع عن الأرمن بغيرة نادرة المثال (١) ، وهو مع ذلك يتجاسر على الادعاء بأنه لا يقصد غير الدفاع عن الانسانية وأن ليس لديه تحزب يدفعه ضد الأتراك ، ولكى يغشى على الأبصار يقول أنه لو تعدى المسيحيون على المسلمين لدافع عن هؤلاء ضد المعتدين عليهم .

ليت شعرى لماذا لم نر هذا الرجل الحر والخطيب صاحب الشعائر والاحساسات يحقق أقواله الجميلة ؟ فها هم البلغاريون يذبحون المسلمين على الحدود التركية ويأتون بفظائع أثبتتها التيمس نفسه . فما بال المستر غلادستون لا يدافع عن المسلمين كما دافع عن الأرمن (٢) .

وانى أتساءل ماذا يفتكر الآن المستر غلادستون وأحباؤه فى أمر المذابح التى اقترفتها أيدى الأرمن فى عاصمة السلطنة العثمانية نفسها . أفى استطاعتهم أن يدعوا بأن الصدفة (لا شئ غير الصدفة) هى التى أهدت الأرمن راية وأسلحة انكليزية ؟ .

ألا أن تحزب الانكليز وتعصبهم ضد المسلمين أمر لا يستطيع أحد انكاره ، وقد أثبتته حوادث عديدة ، وليس العداء فى هذه الحوادث يقف عند حد تشجيع الأرمن ضد الباب العالى فقط ، بل أيضا هو حاصل فى تهييج وتحريش المسلمين أنفسهم .

وان للانكليز فى مصر كما لهم فى غيرها من البلاد جرائد ينقدونها أجرة على مطاعنها فى السلطان والمسلمين بأشد لهجة ، وهى مع ذلك تسمى دائما المسلمين « بالمتعصبين » ، وأى عمل يأتيه المسلمون ولو كان دعوة للواجبات والآداب يعتبره الانكليز عنوانا على التعصب .

ولقد أرادوا أخيرا أن يلغوا بتهمة التعصب جريدة المؤيد – التى هى الجريدة الأهلية الصادرة بالقاهرة – ويطردوا مديرها « الشيخ على يوسف » ، ذلك الرجل المحبوب من المصريين كافة ومن الأوروبيين غير الانكليز (٣) .

(١) كان جلادستون زعيم الأحرار بانجلترا يلقى الخطب الرنانة ويؤلف الرسائل المطولة ناسبا الى تركيا اضطهاد المسيحيين مشيرا الى السلطان عبد الحميد بقوله « الشيطان وعدو المسيح » . ولعلنا نلاحظ أن تلك النبرة جاءت عند رد تركيا على تمرد وثورة الأرمن ، ولم تكن من قبل .

د. / محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ج ١ القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٢ .

(٢) جاءت تلك الأقوال وتنوعت ، فمنهم من نسب تهمة التحريض الى الروسيا ، ومنهم من ذهب الى انجلترا ، مثال ذلك ما جاء ذكره عن أن المسدسات التى وجدت مع الثائرين الأرمن ، هى نفس المسدسات التى يستعملها البوليس الانجليزى فى انجلترا ، وكان دافع انجلترا ابعاد الأنظار عن المسألة المصرية .

د. محمود نجيب أبو الليل : مرجع سابق ، ص ١٥٧ .

(٣) واضح هنا حسن العلاقة بينه وبين الشيخ على يوسف فى هذه الفترة .

فأى ذنب اقترفه المؤيد حتى يصبح الغاؤه ؟ اقترف ذنب ارشاد الجرائد الانكليزية الى الصواب ومنعه اياها ــ بما له من التأثير والنفوذ العظيمين بين الأهلين ــ من احداث هيجان أو اضطراب ٠

ولقد أحدث الانكليز فى جدة معركة (١) جرح فيها قناصل انكليزا والروسيا وفرنسا ٠ ولا يجهل أحد فى الشرق أن هـذه المعركة دبرهـا الانكليز ليثيروا فى

---

(١) أعطت حرب القرم قناصل بريطانيا وفرنسا نفوذا ومكانة كبيرة أثارت حسد الموظفين الأتراك الذين كرهوا القناصل الأجانب الذين كانوا يفضحون اختلاساتهم وسرقاتهم ، وفى مطلع شهر يونيو ١٨٥٨ حدث نزاع حول ملكية السفينة (ايرانى eranee) فقرر باج Pag ــ القنصل البريطانى ــ انها ملك اثنين من الرعايا البريطانيين ، غير أن ذلك لم يصحبه حركات عنيفة رغم تحرك مشاعر أهالى جدة ، ولكن حدث فى ١٥ يونيو ١٨٥٨ أن سبح اثنان من اليونانيين من ميناء جدة الى السفينة البريطانية (سيكلوبس Syclops) الراسية فى الميناء ، وأبلغا قبطانها عن تعرض المسيحيين فى جدة لمذبحة كبيرة قتل فيها عدد من المسيحيين ، قدر بحوالى ٢١ شخصا كان من بينهم (ايفيلارد Eveillard) القنصل الفرنسى فى جدة ٠

وقد انتظر القبطان وصول الوالى العثمانى (نامق بك) من مكة الى جدة ، فوصل فى ٢٠ يونيو ، وكان مفروضا أن يرسل المشتبه فيهم الى الآستانة ، غير أنه وجد من بينهم أحد المقربين اليه ، مما جعله يعدل عن تنفيذ الفكرة ، بحجة أن مشكلة السفينة « ايرانى » هى التى أثارت أهل جدة ٠

وتذكر رواية أخرى أن أسباب هياج سكان جدة كان على أثر شائعة وطء القنصل البريطانى بقدمه العلم العثمانى الذى كان بأحد البواخر الراسية بالميناء ، فعدوا ذلك اهانة لرمز الاسلام فقتلوه وقتلوا معه القنصل الفرنسى وبعض الافرنج ، ونهبوا دورهم ؛ فما كان من بريطانيا الا أن أرسلت الى جدة بعض قطع أسطولها تهديدا ووعيدا ، وضربتها بالقنابل ولم تقم القلعة البحرية ازاءها بشىء من الدفاع نظرا لقدم مدافعها ٠

وتمت تسوية هذه المسألة الخطيرة من الدولة العثمانية بقتل عدة أشخاص من أهل جدة ، وقد ذكر أن (لبريجادير وليم كوجلان) المقيم السياسى البريطانى فى عدن حصل على قائمة بأسماء المشتركين فى تلك الحركة ومنهم ، القائمقام ابراهيم أغا ــ الشيخ باجعفر رئيس التجار الذى قاد الهجوم على مقر شركة توماس سافا Thomas Sava and Comp وهى تحت الحماية البريطانية ، عبد الله المحتسب من موظفى الادارة العثمانية فى جدة وهو أصلا من صعيد مصر ، وقاد الهجوم على القنصلية البريطانية ، سالم سلطان واحد من تجار جدة ، وكان ضمن القتلى عبد الله المحتسب السابق ذكره ، سعيد العامودى ، علاوة على اثنى عشر شخصا من عامة القوم ٠

وقد طلب الباب العالى من والى مصر التوجه على رأس قوة مصرية من ٤٩٤ جنديا لتوطيد الأمن ، فقبضت على عدد من الأبرياء ، وكانت الحكومة البريطانية قد أصدرت تعليماتها للقبطان بولين Pullen قائد السفينة سيكلوبس ، لينجه من السويس الى جدة لتسلم المسئولين عن التمرد والتهديد بضرب جدة بالمدافع ، ووصلت هذه السفينة فى ٢٣ يونيو ١٨٥٨ وأنذرت بتسليمهم المتهمين فى خلال ٣٦ ساعة ، وبعد مرور ٢٤ ساعة بدأ قصف المدينة بالمدفعية لمدة ١٠ أيام حتى ٤ يوليه سنة ١٨٥٨ ، وقت عودة الحجاج ، مما أدى الى فرار الأهالى والسكان ٠ ثم أقلع بولين بعد الحصول على ترضيات كافية ٠ على أن الحكومة الفرنسية وقفت هى الأخرى تدافع عن رعاياها فى جدة ، ولم تكتف بما تم بل سارعت الى تشكيل لجنة على مستوى عال للتحقيق فى الموضوع ، وخاصة فيما يتعلق بمسلك « نامق باشا » وغيره ، مما أدى الى عزل القائمقام ، على أن بريطانيا رفضت تأييد فرنسا فى مطالبتها بتعويض باهظ عما أصاب رعاياها =

الروسيا وفرنسا عواطف السخط على تركيا وليحملوا هاتين الدولتين على زيادة التداخل فى المسئلة الأرمينية (١) ، لانه يلزم أن يكون الانسان ساذجا جدا حتى يظن أن التوافق بين معركة حدة وتداخل الدول الثلاث فى مسئلة أرمينيا أوجدته يد الصدفة ٠

وان كل دسائس الانكليز ضد الدولة العلية علمها اليوم المسلمون جميعا فى أنحاء الأرض وأصبح ٠ حنقهم على الدولة الانكليزية شديدا ، ولكن هلا يجب أن نتساءل تلقاء هذه الحالة أى خطة تختارها الروسيا وفرنسا ؟ أيتبعان خطة انكلترا ويعلنان الحرب على الاسلام ؟ كلا ان هذا المستحيل ٠

ان الشرقيين عموما يوافقوننى على ظنى بأن دولتين كروسيا وفرنسا يدل ماضيهما وحاضرهما على عدم تحزيهما ضدنا وعلى ميلهما لنا لا تغيران سياستهما التقليدية حيث تخدمان بالثبات عليها صالحهما وصالح السلام العام ٠

فيجب عليهما اذن أن لا تحذو حذو انكلترا . وان سياسيين ماهرين كمسيو هانوتو ومسيو لوبانوف (٢) لا يمكنهما أبدا ترك هذه الفرصة تضيع دون أن يقويا احترام بلادهما ونفوذهما فى الشرق ٠ وانه يكفى العمل ضد انكلترا لتسكين خواطر المسلمين ونيل ثقتهم ٠

فعلى فرنسا والروسيا اجراء الاصلاحات بالسلم والوداد مع التركية والسعى لتحرير مصر — التى لا يغفر المسلمون أبدا أمرا احتلالها — وترك انكلترا تلاقى وحدها نتائج سياستها العدائية للاسلام ٠

الا ان الفرصة جميلة لا يصح اغفاليا حيث انتهازها واجب لبتحقق السلام العام الا لانكلترا ٠

= من أضرار ٠ وانتهى التحقيق فى أول يناير ١٨٥٩ مؤكدا بأن الثورة ضد المسيحيين فى جدة بعد حادث سطو وسرقة ليس له علاقة بالنواحى الدينية ٠ عبد القدوس الأنصارى : تاريخ مدينة جدة ، جدة ١٩٦٣ . ص ص ٧٥ ، ٧٦ ، د/ فاروق عثمان أباظة   عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ص ٢٩٠ ــ ٢٩٣ ٠

(١) عاش الأرمن ضمن رعايا الدولة العثمانية حتى منتصف القرن التاسع عشر . وطبقا للقواعد المعترف بها من السلطان منذ عام ١٨٦٢ فقد ظل الممثل الرسمى لهم هو البطريرك ، الا أنه بعد ذلك انتقلت السلطة الى المجالس الملية والعلمانية المنتخبة من المجلس التمثيلى المؤلف من ١٤٠ عضوا ، حيث عهد السلطان عبد الحميد الى المخلصين منهم بوظائف هامة ٠ وبعد حرب ١٨٧٧ ــ ١٨٧٨ تطلعت روسيا الى مصادقة الأرمن والسلاف مضايقة لتركيا فأثارتهم لنوال استقلالهم عن الاتراك ، كما أثارتهم للقيام بعدة مظاهرات من شأنها اضطراب الأمن وتألفت جمعية ثورية فى تفليس وعدة عواصم أوربية لمناصرة الأمن ، وقد اختارت تلك الجمعيات مسرحا لعملياتها البلاد التى يكثر فيها الأتراك ويقل عدد الأرمن ، ومن ثم قابلت تركيا هذه العمليات بالمثل ، مما دفع دول أوربا للتدخل سنة ١٨٩٥ ٠

(اسكندر سعيد عمون : الامتيازات الأجنبية والأقليات التركية ، القاهرة ، د٠ت ، ص ٢٧) ٠

(٢) لوبانوف : Lopanof   اسندت اليه ادارة الشئون الخرجية البريطانية فى الخارجية الروسية ٠

تحالف يتحتم ★
(السلطان وأوروبا) ★

لقد مضى جلالة السلطان فى الشهر الماضى على مشروع الاصلاحات الأرمنية (١) ظانا أنه يضع بذلك حدا للاضطرابات التى تقيمها انكلترا فى مملكته ، وأنه لحقيق

(★) نشرت هذه المقالة بمجلة « النوفيل ريفيو » وهى من المجلات الفرنسية الشهيرة ، بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٨٩٥ ٠

(١)جاءت الاصلاحات بعد أن ثارت المسألة الأرمينية بثورة الأرمن على النظام التركى الخاضعين له ، وظهرت أحداث دامية أدت الى تدخل الدول الثلاث فرنسا وروسيا وانجلترا وحاولت التوصل مع تركيا الى اصلاحات من شأنها اسكات ثورتهم ٠

وبعد مراسلات بين سفراء الدول الثلاث فى ٢١ أكتوبر ١٨٩٥ مع الباب العالى صدرت الاصلاحات وكان الباب العالى قد صدق عليها فى ١٧ أكتوبر ١٨٩٥ ٠ أما مشروع الاصلاح فهو بمثابة اعادة للقوانين التى كانت موجودة وزيد عليها تعيين معتمد عثمانى سام وهو شاكر باشا ، وانتخب فتحى بك ناعوم وكيلا له ، وأن يكون لتراجمة سفراء الدول الثلاث حق مخابره رئيس لجنة المراقبة ٠ أما نص لائحة الاصلاحات الأرمينية فتحتوى على ١٦ فصلا ، ٣٢ مادة ، والحقت بتذييل ٠ ونورد فيما يلى أهم البنود التى وردت ولها تاثير مباشر :

الفصل الأول : الولايات والمتصرفيات (مادة ١ ، ٢) :

مادة (١) يعين لكل ولاية معاون غير مسلم ويساعد المعاون فى أشغال الولاية العمومية ٠

مادة (٢) اذا كان المتصرف فى الصناجق والأقضية مسلمين يعين لهم معاونون مسيحيون متى كان عدد الأهالى المسيحيين بالغا حد الكثرة المسوغة لذلك ٠

الفصل الثانى : القائمقاميون (مادة ٣ ، ٤) :

مادة (٣) ينتخب وزير الداخلية بصرف النظر عن ديانته من الحائزين لشهادة المدرسة الملكية ويعين بموجب ارادة سلطانية ٠

مادة (٤) يستمر الموظفون بدون شهادة طبقا للكفاءة واذا كان عدد المسلمين الحائزين للشهادات غير كاف يعين الذين يكونون فى الحكومة بدون شهادة ان كان كفئا لوظائف القائمقامية ٠

الفصل الثالث : فى نسبة المسيحيين فى الوظائف العمومية :

مادة (٥) : يعين فى الوظائف الادارية المسلمون وغير المسلمين من رعايا الدولة بنسبة عدد الأهالى من غير المسلمين فى مصلحة البوليس والجندرمة ٠

الفصل الرابع : فى مجالس الصناجق والأقضية (مادة ٦) :

الفصل الخامس : فى ترتيب النواحى (مادة ٧ ــ ١٢) ٠ =

بالشكر على سماعه نصائح فرنسا والروسيا بغاية الحكمة اذ أن قراره على الاصلاحات الأرمينية دعت اليه الحوادث ، وكان ضروريا لتحقيق السكينة والطمأنينة ، ويود اليوم

= مادة (٨) يقوم بادارة كل ناحية مدير ومجلس مؤلف من أربعة أعضاء وينتخبون من الأهالى وهذا المجلس مؤلف من أربعة ينتخب من أعضائه المدير أو الوكيل ويكون المدير من أكثرية أهل الناحية والوكيل من الفريق الآخر ويعين للمجلس كاتب .

مادة (٩) اذا كان سكان الناحية من طائفة واحده انتخب أعضاء المجلس منهم ، واذا كانوا من طوائف كان للطائفة الأقل أعضاء بالنسبة الى عددهم بشرط ألا يكونوا أقل من ٢٥ بيتا .

مادة (١٢) لا يجوز انتخاب مديرى المجالس المحلية من أئمة الدين ولا من القسوس ولا أساتذة المدارس ولا موظفى الحكومة .

الفصل السادس : قرى النواحى (من ١٣ ــ ١٦) :

مادة (١٥) يعين مختار لكل قرية تابعة للناحية واذا وجدت جملة حوار يسكنها الأهالى على اختلاف الطوائف عين مختار لكل حارة ولكل طائفة .

مادة (١٦) لا يجوز أن تكون قرية تابعة لبلدتين فى آن واحد .

الفصل السابع : فى العدلية (مادة ١٧ ــ ١٩) :

مادة (١٩) يعين المفتشون القضائيون بحيث لا يكون عددهم أقل من ستة ويكون لصفهم من المسلمين ... ويكون التفتيش بمعرفة اثنين من المفتشين أحدهما مسلم والآخر غير مسلم .

الفصل الثامن : فى البوليس (مادة ٢٠ ، ٢١) :

مادة (٢٠) : يكون من رعايا الدولة العلية المسلمون ومن غير المسلمين بنسبة عدد سكان الولاية .

الفصل التاسع : فى الجندرمة (مادة ٢٢ ، ٢٣) :

مادة (٢٢) يؤخذ ضباط الجندرمة وعساكرها من رعاية السلطنة المسلمين وغير المسلمين بنسبة عدد كل منهما .

الفصل العاشر : فى عساكر الرديف (مادة ٢٤) .

الفصل الحادى عشر : فى السجون والتحقيق الابتدائى (مادة ٢٥ ــ ٢٨) .

الفصل الثانى عشر : فرسان الجندية .

الفصل الثالث عشر : فى حجج العقارات (مادة ٢٩) :

تشكل لجان لمراجعة الحجج فى بنادر كل ولاية وصنجق تؤلف كل لجنة من أربعة أعضاء نصفهم فى الأشغال العمومية بالنقد أو بصفة عين .

الفصل الرابع عشر : فى جباية الأموال (مادة ٣٠) .

الفصل الخامس عشر : فى العشور (مادة ٣١) :

يلغى الالتزام الاجمالى وتحصل كل قرية مكوسها باسم سكانها والغيت السخرة ، ويصير دفع الأجر فى الأشغال العمومية بالنقد أو بصفة عين .

الفصل السابع عشر : فى لجنة المراقبة الدائمة فى الأستانة (مادة ٣٢) :

تشكل لجنة مراقبة مستديمة فى الباب العالى تحت رئاسة موظف عال من المسلمين ويكون نصف أعضاءها من المسلمين والنصف الآخر من غير المسلمين العثمانيين ، حيث يفوض لها النظر فى انفاذ الاصلاحات بالضبط ويكون لتراجمة سفراء الدول حق عرض النصائح والبلاغات والأخبار التى يكلفون بها من قبل سفرائهم فيما يرون لزومه لانفاذ هذه الاصلاحات المدونة فى هذا الاتفاق ، ومتى اتفق الباب العالى والسفارات على أن هذه اللجنة أدت مأموريتها انفضت .

وقد الحق بهذه اللائحة ذيل تضمن ما يأتى :

الرأى العام الذى أتعبته منذ أشهر المظاهرات الارمينية أن يرى السكون سائدا فى تركيا ، وانا نود ونتمنى ذلك مثله ، ولكنا لا نظن امكان تحققه ، لا لأن تركيا تبغى شيئا آخر غير السكينة ، ولكن لانه يظهر أن انكلترا غير راغبة فى الكف عن تشجيع المهيجين على القلاقل والثورات ٠

ولقد ظهرت الآن مشروعات بريطانيا العظمى ووضح سر سياستها فى الشرق : فما دامت مسئلة مصر قائمة ، وما دام الباب العالى لا يتنازل لانكلترا عن حقوقه فى وادى النيل تدوم القلاقل وتكدر مسئلة الأرمن صفو السلام ، ولا يمضى زمن يسير حتى تخلق مسائل أخرى ٠

وليس القصد من كل الدسائس البريطانية والطرق الممقوتة التى يستعملها المهيجون الانكليز والخطة التى اتبعتها الجرائد الانكليزية الا الحط من مقام الحضرة السلطانية والخفض من كرامتها وتغرير العالم الاسلامى بأن انكلترا تسير الحوادث فى أوروبا كما يشاء هواها ٠ ويؤمل الانكليز من اضطهاد جلالة السلطان اكراهه على الاعتراف رسميا باحتلال مصر ، أو على الأقل اهمال مسئلتها مدة من السنين فى زوايا النسيان ، وهذه المسئلة الحيوية التى يطالب مسلمو الأرض كلها بحلها ٠

ويتساءل الكل هل أفلحت السياسة الانكليزية فى أحد الأمرين ؟ واذا لم تكن أفلحت فهل فى امكانها أن تفلح ؟

أما الجواب على الأمر الأول وهو اكراه الحضرة السلطانية على الاعتراف رسميا باحتلال مصر ، فمستحيل فلاح الانكليز فيه ، لأن جلالة السلطان عبد الحميد ينكر على نفسه صفته أميرا للمؤمنين اذا اعترف لانكلترا بالبقاء فى مصر ولو بصفة نظرية ، لأن مصر هى مركز الاسلام ومفتاح مكة والمدينة ، وما اعطاء مصر لانكلترا الا اعطاء السلطة الاسلامية الدينية والدنيوية الى الملكة فيكتوريا ، وبذلك لا يكون السلطان خليفة للمسلمين ويمضى بيده على قرار ضياع حقوقه ٠

---

١ ــ يعين الباب العالى موظفا جديرا بالرعاية من كل وجه ، ويلقب هذا الموظف بالمندوب العالى للنظر فى تنفيذ الاصلاحات ومباشرة اجرائها واذا غاب هذا المندوب العالى أو ظهر عدم كفاءته عين جلالة السلطان موظفا بديلا له مسلما أيضا ، وعلى كل حال يكون فى معيته معاون غير مسلم ٠

٢ ــ بما أن جلالة السلطان المعظم منح فى ٢٣ يوليو ١٨٩٥ الأرمن الذين أتهموا بذنوب سياسية والذين صدرت عليهم أحكام بسببها عفوا ، ينفذ هذا العفو أيضا على الذين حبسوا قبل هذا التاريخ ولا يزالون مسجونين ما لم تثبت عليهم مخالفة هذا القانون ٠

٣ ــ يؤذن للأرمن الذين طردوا أو هاجروا من أوطانهم أو الذين يكونون قد هاجروا الى البلاد الأجنبية بالعودة الى أوطانهم متى أثبتوا تبعيتهم للدولة العلية ، ومتى ثبت حسن سلوكهم ٠

٤ ــ تنفذ المبادىء المسطورة فى كل قضاء يكثر فيه عدد غير المسلمين بحروفه ٠

للمزيد من المعلومات يرجع الى المؤيد ع ١٧١٥ ، ٦ نوفمبر ١٨٩٥ ٠

وأما حمل السلطان على اهمال أمر مصر حينا من الزمن فميسر لانكلترا اذا لم تبرهن الروسيا وفرنسا للحكومة العثمانية على رغبتهما المشتركة فى المحافظة على حقوقها فى وادى النيل ٠

ولقد رأينا أن انكلترا تسعى على الخصوص لأن تبرهن للعالم الاسلامى بأنها المتصرفة القادرة فى أوروبا ٠ ويحزننا أن نقول أنها كادت تنجح في هذا القصد (١) ، اذ أن نصف المسلمين يظنون اليوم أن فى أوربا تعصبا ضد الاسلام ، ويظن النصف الآخر أن انكلترا تملى رغباتها ليس لألمانيا والنمسا وايطاليا فقط ، بل أيضا لفرنسا والروسيا اللتين يعلم عنهما أن مصالحهما مناقضة كل المناقضة لمصالح بريطانيا ، وكيف لا يظن المسلمون أن انكلترا هى الدولة الآمرة فى أوروبا ، أو أن النصرانية كلها متعصبة ضد الاسلام ، عندما يرون أمورا كالتى رأوها أخيرا فى تركيا ٠

رأوا هناك الأرمن ملطخين بدماء جرائم عديدة ، رأوا الأرمن متزيين بزى المسلمين وغالبا نرى العلماء ليظن أن المسلمين هم المعتدون ، رآوهم يجترمون كل الفظائع ويقترفون ذنوب المذابح التى يقدمون عليها متسلحين بأسلحة انكليزية ، رأوهم هنالك يبذرون بذور البغضاء والموت فى كل أنحاء المملكة ، ثم ينالون جزاء على سيئاتهم هذه تعضيدا وتشجيعا ، حتى أن الروسيا وفرنسا اضطرتا الى المداخلة فى انالتهم ذلك الجزاء ٠

وبديهى أنه كان من الصعب على الدولتين الحبيبتين أن تعملا غير ما عملتا . ولكن الثلاثمائة مليون من المسلمين لا يمكنهم ادراك أسرار السياسة ولا يحكمون على الأشياء الا بظواهرها ٠

وانا نعلم حق العلم نحن الذين تعلمنا فى فرنسا أن ليس فى أوروبا تعصب ضد الاسلام ، وليس لانكلترا أقل يد على فرنسا والروسيا ، ونعتقد كل الاعتقاد أن هاتين الدولتين تداخلتا فى المسئلة الأرمنية لا كعدوتين بل كصديقتين ، تداخلتا لكيلا

---

(١) تبلور ذلك فى أحد أشكاله بالمفاوضات الانجليزية الايطالية ابتداء من فبراير ١٨٨٧ ، اللتان اتفقتا سرا بخصوص الرغبة فى الاحتفاظ بالوضع القائم فى البحر المتوسط ، وتأييد إنجلترا في مصر ٠٠ ثم انضمت النمسا والمجر الى الاتفاقية فى ٢٤ مارس ١٨٨٧ ، ووجدت أنها مرتبطة بأهداف ألمانيا التى ترمى الى عزل فرنسا وابطال مفعول روسيا رغم عدم التوقيع على اتفاق ، ونجد اتفاق القسطنطينية ٢٩ أكتوبر ١٨٨٨ الخاص بحرية الملاحة فى القناة لبريطانيا ، وفى عام ١٨٩٠ انتقل تنافسها الى فارس حيث عرضت المساعدة المالية على حكومة الشاه لتمنع الروس من الحصول على المكاسب الاقتصادية ، وفى ٦ مايو ١٨٩١ تجددت معاهدة التحالف الثلاثية ، وأشارت ايطاليا الى اتفاقيات البحر المتوسط ، غير أن بريطانيا قامت باعطاء ضربة أوقفت بها السياسة الفرنسية فى الهند الصينية ، وهذا يبرهن على عظم النفوذ البريطانى ، ومحاولة الهيمنة أو الاتفاق مع غالبية دول أوربا ، ورغم أن العزلة الروسية دفعتها للتحالف مع فرنسا فى ١٨ أغسطس ١٨٩٢ الا أن النفوذ البريطانى العالمى كان أعمق ٠

للمزيد من المعلومات ، انظر : بيير رنوفان : مرجع سابق ، ص ص ٥٩٦ ــ ٦٢١ ٠

تتركا تركيا معرضة وحدها لهجمات انكلترا ، ولكن لسنا الا عددا قليلا ومن الأسف أن الجموع تحكم بعكس حكمنا .

ولذا فاننا في هذه الساعة نرى أنفسنا أمام سلطنة عثمانية ضعيفة وأمم اسلامية قليلة الثقة فى فرنسا والروسيا الدولتين الأكثر احتياجا الى زيادة احترامهما ونفوذهما فى الشرق ، واطرادا لخطتها بعد هذا النجاح ، نرى انكلترا تقلب الأمور وتشجع المجرمين على الجرائم وتبذر بذور الشقاق فى قلوب المؤمنين ضد أوروبا كلها ، وتحفر هاوية عميقة بين الاسلام والنصرانية لصالحها الخاص ، لا لشىء آخر غير صالحها .

وعلى ذلك فماذا يلزم لعدم نجاح انكلترا فى نواياها وفشلها ذلك الفشل الذى يكون عنوان السلام فى العالم ؟ الجواب على ذلك هو أن يختار الباب العالى بكل صراحة الخطة التى تأمره بها رغبة المحافظة على ملكه .

ولقد أتبعت تركيا من عام ١٨٧٧ الى الآن سياسة ضارة بها ، سياسة عزلة وانفراد جعلتها فى كل الحوادث آلة فى يد انكلترا (١) . وتاريخها فى هذه الثمانية عشر عاما الأخيرة يثبت خطر هذه السياسة .

فلقد اختلست منها انكلترا فى عام ١٨٧٨ وقت اجتماع مؤتمر برلين جزيرة

---

(١) اتخذت السياسة التركية منذ عام ١٨٧٧ سياسة عزلة ضاره بها ، جعلتها آلة فى يد انجلترا ، مثل قمع الاتراك ثورة أهل البوسنة والهرسك اذ أعلن القيصر الروسى فى ١١ نوفمبر ١٨٧٦ ، تصميمه على استخدام السلاح اذا لم تقرر الدول التدخل بقوة لدى الحكومة العثمانية وبعد فشل مؤتمر القسطنطينية فى ديسمبر ١٨٧٦ فى مشروع العمل الجماعى ان اتفقت النمسا والمجر مع روسيا لابعاد تدخل انجلترا واعلنت روسيا الحرب فى ٢٤ ابريل ١٨٧٧ وتقدمت القوات صوب القسطنطينية فخافت بريطانيا ذات المصالح من تقدمها ، فأنذرت روسيا وعقدت الهدنة فى ٣١ يناير ١٨٧٨ ، وفى ١٥ فبراير ١٨٧٨ قررت الحكومة الانجليزية أن تدخل أسطولا الى بحر مرمرة لطمأنة السلطان العثمانى ، وبعد أن تحقق التفاوض مع روسيا ، وفى مايو ١٨٧٨ عرضت الحكومة الانجليزية على الحكومة العثمانية تحالفا دفاعيا لحماية تركيا الآسيوية بشرط أن يضع السلطان تحت تصرفها قاعدة بحرية ، ووافق السلطان حيث كان فى حاجة الى قرض مالى ، فوضعت قبرص تحت الادارة المؤقتة البريطانية باتفاق ٤ يونيو ١٨٧٨ ، وعلى الجانب الآخر كانت السياسة الالمانية ترمى الى تقسيم الأملاك العثمانية .

وكان الاقتراح البريطانى الفرنسى بعزل الخديو اسماعيل ووافق عليه السلطان فى يونية ١٨٧٩ ، وكانت الحماية الفرنسية على تونس فى مايو ١٨٨١ ، التى كانت تحت السيادة العثمانية ، ثم ما كان من دور انجلترا فى تصفية الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ ، وأخذ النفوذ البريطانى يتسع فى مصر بعدئذ ، وهكذا نجد أن الدولة العثمانية ذاتها لم تكن من القوة نتيجة الصراعات الداخلية والتكتلات الأوربية التى اهتمت بمصالحها ، الأمر الذى كان عاملا هاما ، فى سيطرة النفوذ البريطانى الى حد ما ـ على السياسة التركية .

للمزيد من المعلومات يمكن الرجوع الى : بيير رنوفان ، مرجع سابق ، ص ص ٥٤٧ ـ ٥٥٤ ، د. شوقى الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها .. ص ص ٤٨٣ ـ ٦٢٧ .

قبرص مقابل وعدها لها بالمساعدة فى الحالة التى تسعى فيها الروسيا لامتلاك بعض أراض فى آسيا ٠

وبعد ذلك بعامين حدث حادث (دولسينيو) (١) التى ظهرت فيه انكلترا بمظهر العدو اللدود للدولة العلية ، فلقد كانت تشجع فرنسا على أن تطلب من أوروبا عقد مؤتمر لسلب (دولسينيو) من التركية وتدعوها الى عمل مظاهرة بحرية ، وفضلا عن ذلك فانها كانت تعد الروسيا بالاتفاق معها على محاربة تركيا اذا لم تتنازل هذه عن (دولسينيو) وانكلترا التى كانت تتظاهر عام ١٨٧٨ بالدولة الغيورة على استقلال الدولة العثمانية ظهرت عام ١٨٨٠ بمظهر دولة تسعى الى تقسيم تركيا ، فلم تترك فرصة تمر دون أن تتعدى بأشد وطأة على العثمانية ، ولما تغيرت الوزارة التركية فى ١٢ سبتمبر عام ١٨٨٠ وتولى سعيد باشا منصة الأحكام فان اللورد غرانفيل قبل أن يعرف رأى الصدر الأعظم الجديد فى مسئلة (دولسينيو) ـ التى كما يعلم كان بطلب اعطاؤها الى مونتيجرو ـ دعا دول أوروبا الى عمل مظاهرة بحرية تحت قيادة القائد الانكليزى سيمور ٠

ولقد تأثر كثيرا وقتئذ سياسيو العثمانيـة من هـذه الخطة العدائية ولكنهم بالأسف نسوها بعد ذلك بقليل حين ظهور المسئلة المصرية فى عالم الوجود ، تلك المسئلة التى أطاعت فيها تركيا انكترا اطاعة الصبى لولى أمره وسببت بطاعتها هذه احتلال الانكليز لبلادنا ٠

وفى الواقع فان الدسائس الانكليزية نجحت تماما فى تركيا عامى ١٨٨١ و ١٨٨٢ ، فما تظاهر عرابى مظاهرته الحربية التى كان القصد منها عزل الوزارة المصرية فى سبتمبر ١٨٨١ حتى شجعت انكلترا الباب العالى على انتهاز هذه الفرصة لنوال سلطة فعلية على مصر ٠ وما رأى الانكليز فلاح سياستهم فى الآستانة وسماع نصائحهم حتى زادوا منها وغرروا بالتركية ، اذ منوها بالوصـــول الى محو امتيازات عائلة « محمد على » واعادة وادى النيل الى ولاية تركية بتشجيعها عرابى والحزب الوطنى ، ولم تكتف وقتئذ وزارة لندن بتشجيع الباب العالى على تعضيد عرابى ، بل أوحت الى الجرائد أن تساعدها على ذلك ٠ فرأيناها حين ذاك تسمع أوربا أن الطريقة الوحيدة لايقاف تيار القلاقل فى مصر هى تداخل تركيا فى الأمر ٠

---

(١) دارت الحرب بين الروس والأتراك عام ١٨٧٧ وكانت سجالا بين الفريقين تقدم فيها الروس أول الأمر ، ثم تغلب عليهم الأتراك ، ثم عاد الروس فانتزعوا كثيرا من المواقع الحصينة من أيديهم آخرها دولسينو Dulcigno امتلك بعدها الاسطول الروسى زمام البحر الأسود وهددوا القسطنطينية مما هال انجلترا فأرسلت بعض قطع أسطولها لحماية الأتراك فى الوقت الذى كان التعب تسرب الى الروس برا وبحرا ، وانتهز الروس فرصة طلب السلطان عبد الحميد الهدنة فوافقوا واجتمع مندوبو الدولتين فورا وأبرموا معاهدة سان استفانو فى ٣ مارس ١٨٧٨ دون الرجوع الى دول أوربا ٠

د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى وكامل جرجس : أوربا المعاصرة ، القاهرة ١٩٥٠ ص ص ٧٢ ، ٧٣ ٠

وقد دفع الباب العالى هذه الدفعة فى غير طريق الهدى أرسل الى القاهرة لجنة تحقيق مركبة من أحمد أسعد أفندى وقدرى أفندى اللذين لم تكن مأموريتهما فى الحقيقة الا أن يحققا لعرابى عضد الخليفة ، الأمر الذى دفع بعرابى الى الأمام وحمله على الظن بأنه النائب الحقيقى عن الخليفة فى مصر • ولذا كان يرى فى كل مظاهراته مدافعا غيورا عن حقوق جلالة السلطان •

وما نال عرابى ثقة المصريين الا بمدافعته عن تركيا وتظاهره بالولاء لها •

ولم تغفل انكلترا وقتئذ عن تشجيع الباب العالى على تعضيد عرابى ، ولكى تزيد تداخله فى الأمر أمرت وزارة لونده وكيلها فى مصر « السير ادوار ماليت » أن يطلب من الخديوى أن يرجو تركيا فى ارسال مندوب عال ، وبالفعل كان ذلك ، ووصل درويش باشا الى القاهرة فى ٧ يونيو سنة ١٨٨٢ (١) وبعد وصوله بأربعة أيام حدثت مذبحة الاسكندرية ، وبما أن الانكليز شعروا حينئذ بأن الحوادث داعية الى تشجيع عرابى زيادة عن ذى قبل ، حمل اللورد دوفرين الباب العالى على الانعام على عرابى بالنيشان العثمانى ، ذلك الانعام الذى صارت بعده الحوادث كما يشاء الانكليز ، فلقد ضربت الاسكندرية فى ١١ يوليو وغرر الانكليز بالباب العالى مرة أخرى ، فرفض الانضمام الى مجتمع الاستانة الدولى بحجة انضمامه اليه يعد انكارا لحقوق سيادته على مصر • وأخيرا لما كلفته الدول رسميا فى ١٥ يوليو عام ١٨٨٢

---

(١) أجاب السلطان الخديو على رسالته بعد ثورة الضباط أنه سيبعث لجنة للتحقيق ، وعين مصطفى درويش باشا معتمدا ساميا عثمانيا ، وعهد اليه برياسة الوفد لمعالجة الأمور فى مصر ، وفكرة السلطان أن مثل هذا الاجراء يغنى عن عقد مؤتمر دولى للنظر فى المسألة المصرية ، وان ذلك يحول دون تدخل انجلترا ، وتوهمت أن عدم اشتراكها فى مؤتمر الدول يحول دون اتخاذ قرار بشأن مصر ، والواقع أن الوفد كان بمثابة المظاهرة للاعلان عن استمرارية تبعية السيادة العثمانية فى الوقت الذى تواجدت فيه بوارج الاسطولين الفرنسى والانجليزى • ووصل درويش باشا فى ٧ يونيو ١٨٨٢ واتضحت نية تحرش الانجليز ، وخطة الوفد التظاهر لكلا الفريقين العرابيين والخديو فى الوقت الذى ازداد موقفه سخفا ، واتضاح عجزه عن معالجة الموقف ، حيث وقعت مذبحة الاسكندرية فى ١١ يونيو ١٨٨٢ ، فكانت اعلانا واضحا عن اخفاق مهمة المندوب العثمانى ، الذى حضر ضرب الاسكندرية فى ١١ يوليو ، ثم انقلب الى الآستانة فى ١٩ يوليو ١٨٨٢ •

أما المذبحة فقد وقعت فى الثانية بعد ظهر يوم الأحد ١١ يونيو ، بحركة مدبرة نتيجة شجار وقع بين أحد المالطيين المقيمين فى مصر وأحد الوطنيين حيث طعن الأول الثانى مما أفضى الى موته ، وذلك بسبب مطالبته أياه بأجرة ركوبه الحمار ، وعلى أثر ذلك تجمع الأجانب فى الاسكندرية وبدأوا فى اطلاق النيران لتبدأ مذبحة الاسكندرية •

والمسئولية العامة فى الحوادث تقع على عاتق السياسة البريطانية والفرنسية التى تحرشت بمصر بارسال الاسطولين ثم تحريض قنصل انجلترا فى الثغر للرعايا البريطانيين بالاضافة الى أن أول من أشعل الفتنة كان أخو خادم القنصل البريطانى ، ولا يمكن أن يكون هذا من قبيل المصادفات •

عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال البريطانى ؛ القاهرة ؛ ١٩٦٦ ص ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ، ٣٣١ ، ٣٤٥ •

أن يحتل مصر قبل الانضمام الى المجتمع الدولى عوضا عن قبول هذا التوكيل الصريح ٠ وبعد قبول تركيا الانضمام الى المجتمع بأيام قبلت التوكيل وطلبت جلاء العسكر الانكليز الذين احتلوا بعض الأراضى المصرية عقب ضرب الاسكندرية ، ولما كانت انكلترا اذ ذاك فى آخر فصل من الرواية لم ترفض صريحا الجلاء ، ولكنها عرضت على الباب العالى وضع اتفاقية حربية ٠ وعلى ذلك انقضى كل شهر أغسطس فى المخابرات واجابة لطلب انجلترا أعلن جلالة السلطان فى ٥ سبتمبر عصيان عرابى ، ولم يكن بين الانعام عليه بالنيشان وأعلان عصيانه الا شهران !! ٠

وبعد ثمانية أيام من اعلان عصيان عرابى انهزم هو وجنوده فى واقعة التل الكبير ، وفى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ دخل الانكليز العاصمة ، وبعدها بثلاثة أيام اخبر اللورد دوفرين الباب العالى أن لا حاجة هناك لارسال جنود تركية فى مصر ، وانتهت على هذا الشكل هذه الرواية المضحكة المبكية بقهقهة ضحك الانكليز أى الذين أداروا ستائر فصولها ٠

وبعد هذه الرواية المحزنة لعبت انكلترا رواية أخرى محزنة أيضا : رواية السودان ، فلقد انتهزت فرصة هيجانه (١) المشجع عليه احتلال الانكليز لمصر ، وطلب اللورد كرومر (وكان اذ ذاك السير افلن بارنج) من الحكومة المصرية فصله عنها ورفض حقوقها عليه ، الأمر الذى حمل شريف باشا على تفضيل الاستعفاء عن الرضى بقبول مثل هذا الطلب ، ولكن نوبار الأرمنى رضى بما لم يرض به سلفه وفصل مصر عن السودان المصرى ، فرأينا عندئذ الفصول الأخيرة من الرواية ، انهزام الجنرال هيكس باشا وفشل شاكر باشا فى طوكر وضياع سنكات وطوكر وشندى واستيلاء غردون باشا على الخرطوم وانتصار الجنرال « ستوار » فى أبى قلعة وموت غردون وتتمة لكل ذلك استيلاء الطليان على مصوع اتباعا لارشادات الانكليز ٠ وبذلك تعدت انكلترا أعظم تعد على حقوق جلالة السلطان بعد أن خدعت تركيا بكل مهارة واحتلت مصر ٠

ولقد استعمل الانكليز دائما الدولة العلية سلاحا لأغراضهم ضد صوالحها نفسها ، ففى عام ١٨٨٥ ، لما اشتد الخلاف بين انكلترا والروسيا بسبب الأفغانستان أرسل اللورد سالسبورى الى الآستانة السير درومندوولف بحجة الاتفاق مع الباب العالى بشأن مسئلة مصر ٠ ولم يكن سر مهمته الا التظاهر بذلك والتأثير على تركيا تأثيرا حسنا ينال منه التقرب منها فى الحالة التى تشتعل فيها نيران الحرب بين انكلترا والروسيا ، ولكن لما سوى الخلاف فى لندن ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٥ بترك (ميروسحاق) (وذو الفقار) الى الأفغانستان وأخذ الروسيا « البندجية » لم تكن هناك حاجة للتقرب من تركيا وشعر بذلك سياسيو لندن وسان بطرسبورغ كما شعر

---

(١) يقصد الثورة المهدية ٠

به سياسو الآستانة ، ومع ذلك فلم يترك السير درومندوولف الآستانة واستمر يخابر ظاهريا مع النية النابتة في عدم الاتفاق على شيء ما ، ولقد سافر الى القاهرة مع مندوب عثماني بعد اقامته في الآستانة ، وقضى كل عام ١٨٨٦ يتخابر مع مختار باشا ثم عاد فجأة الى لندره وترك مختار باشا وحده وهو لا يزال الآن فى مصر متعجبا من سلوك السير درومندوولف ومن ماجريات الأشـياء ، واذ دعت وزارتا باريس والآستانة وزارة لندن الى تفسير كل هذه الأمور عاد السير وولف الى الآستانة ومع اتفاقيته المشهورة (١) التى كانت قاضية القضاء المبرم على مصر ، وكاد يمضى عليها جلالة السلطان • والفضل فى عدم امضاء السلطان عليها عائد الى فرنسا والروسيا اللتين عارضتا حين ذاك أشد المعارضة ، واذ لم تفلح الاتفاقية عاد السير دروموولف الى لندن ممزقا لها •

ولم تحدث بعد ذلك مخابرات بشأن مصر الا فى عام ١٨٩٠ وفى هذه المرة رفض

---

(١) كانت بعثة السير دروموندوولف Sir Henry Drummondwolff تهدف الى عقد اتفاقية بشأن جلاء الانجليز عن القطر المصرى ، ولكن وولف عقد مع الباب العالى اتفاقيتين فى ٢٤ أكتوبر ١٨٨٥ ، ٢٢ مايو ١٨٨٧ على أساس أن انجلترا لا يسعها أن تترك مصر والسودان نهبا للفوضى حسبما رأى هو ذلك ، فكانت الاتفاقيتان بمثابة اعتراف من البـاب العـالى باسـتمرار الاحتـلال الانجـليزى لمصر ، ثم اداموا لا يطمئنوا الى استقرارها وقيام حكومة ترعى شئونها ، ولم يقلل من قيمة هاتين الاتفاقيتين أن الباب العالى رفض أن يصادق عليهما ، وبعدئذ بدأت انجلترا تعمل على استرداد السودان ، وأخذت الدول الأخرى تنشط فى عملية اقتطاع أجزاء منه ومنذ يوليو ١٨٨١ نجد الأطماع الايطالية فى مصوع رغم احتجاجات مصر بأن حقوق السيادة العثمانية على جميع الساحل الغربى للبحر الأحمر •

وتطور الأمر بعقد اتفاقات انجليزية ايطالية أثمرت عن تعاون ونشطت حركات المقاومة من الدراويش والأحباش فحققوا انتصارات ، وعلى ما يبدو أن مصادر تسليحها كانت فرنسية وروسية •

غير أنه كانت هناك دلائل على مفاوضات بين الفرنسيين والاحباش ، أسفرت عن اتفاق الفريقين بأن يجهز الفرنسيين حملة تزحف من مراكزهم فى السودان الغربى صوب السودان الأوسط ، لترفع العلم المثلث الألوان على ضفاف النيل الأبيض ، بينما يزحف الأحباش بدورهم من الشرق حتى يتقابلوا مع الفرنسيين فى فاشودة ، ومن ثم يعمل الفريقان على توطيد سلطانهما فى جميع ربوع السودان والقضاء على حقوق السيادة المصرية فى تلك الأصقاع ، وفى مواجهة بريطانيا التى أخذت توطد نفوذها منذ اتفاقية السير دروموندوولف ترتكب فرنسا خطأ التدخل ، اذ نجدها بعد أن وقعت بريطانيا اتفاقية مع الكونغو البلجيكى فى ١٤ مايو ١٨٩٤ تنازلت لها بمقتضاها عن الأراضى التى توجد على النيل الأبيض من بحيرة ألبرت حتى فاشودة وكانت هذه ضمن أراضى السيادة المصرية ؛ وقد سعت فرنسا فعقدت اتفاقية هى الأخرى مع ولاية الكونغو فى ١٤ أغسطس ١٨٩٤ نالت بمقتضاها منطقة نفوذ تصل الى مشارف بحر الغزال وتشمل جزء مما تنازلت عنه انجلترا ، وأعدت العدة لارسال حملتها الى النيل الأعلى • ولعـله وصل الى علم مصطفى كامل أثناء تلك الاتفاقيات التى تضر بالسيادة المصرية العثمانية فى السودان لكنه استبعد فرنسا لما يكنه من عاطفة لها ؛ متوهما أنها لن تضحى بمصر فى سبيل أطماعها وكان الأجدر بفرنسا أن تتحرك فى الاتجاه المضاد •

للمزيد من المعلومات : د• محمد فؤاد شكرى : مصر والسيادة على السودان ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص ص ٦٠ ــ ٦٤ •

اللورد سالسبورى صراحة بعد بعض مناقشات تحديد أجل الانجلاء فغبنت تركيا بذلك مرة فوق المرار الأخرى ٠

واذ لم يسر الانكليز من عدم استيلائهم على مصر تماما عاكست انكلترا الدولة العلية فى كل جهة بعد رفض اتفاقية السير دورمندوولف ٠

ففى يونيه عام ١٨٨٩ ذهب الى جزيرة كريد انكليزى ذو دسائس اسمه (ستيلمان) أحد مكاتبى جريدة التيمس ، وأهاج سكان كريد ضد الباب العالى ، واعدا اياهم مساعدة انكلترا ، وفى ١٦ يوليو من السنة نفسها قال اللورد سالسبورى فى خطاب ألقاه فى وليمة بلندن أن فصل كريد عن الدولة التركية من الأمور الجائز وقوعها ، فأحدثت أقواله تأثيرها المرغوب ، وحدثت معارك عديدة بين المسلمين والمسيحيين ، ولولا أن المشير شاكر باشا جاء معيدا للسكينة بنشاطه وهمته لاستمر الهيجان زمانا طويلا ٠

وبعد كريد أهاج الانكليز اليمن (١) ، فان لهم فيها صديقا لا يخالف لهم أمرا اسمه محمد بن حميد الدين ، وهو رئيس قبيلة من العرب وله نفوذ عظيم ، ومما أوحى

---

(١) حرص الاتراك على بقائهم فى اليمن ، ففى ذلك تعزيز لبقائهم بالحجاز علاوة على الجزء الجنوبى من ممتلكاتهم ، ولذا اتبعوا سياسة الحكم المركزى فى ادارة شئون هذه الولاية حتى يحكموا قبضتهم غير أن تلك السياسة اصطدمت بطبيعة الشعب اليمنى القبلية ، علاوة على ضعف الدولة العثمانية وعدم القدرة على تنفيذ سياستها فى تلك الاراضى الجبلية الوعرة ٠ وفى ذلك الوقت بدأت المساوىء المثيرة للتنافر من جانب الولاة العثمانيين ، من ذلك ما يرويه المؤرخ اليمنى « الواسعى » عن اشتداد الظلم واستحلال المحرمات ، وترك ما أمر الله به من الواجبات وارتكاب المعاصى مثل شرب الخمر ، وبلغ سوء الادارة الى الاعتداء على الحريم فى بعض الأحيان ونهب المنازل ولا مبالاة الموظفين العثمانيين ٠٠ ولا يمكن انكار الخلاف المذهبى بين اليمنيين الزيديين والعثمانيين السنيين والتجاء هؤلاء الى القوانين وهجر أحكام الشريعة ، فكان ذلك مدعاة لاستقلال الأئمة الزيديين ، وقيادتهم للثورة ضد الأتراك ٠

واذا كان الحديث عن الثورة والأحداث الكبرى التى جرت باليمن ١٨٩٠ ـ ١٨٩٢ فانه علاوة على ما سبق هناك حقائق لا يمكن تجاهلها :

الأولى : لم تكن ثورة اليمن عملا مفاجئا للدولة العثمانية ، فقد حدث أن نشب نزاع بين حاكم ذمار التركى محمد رشدى باشا وبين أحد رؤوساء القبائل اليمنية بالقرب من هذه المدينة بسبب الضرائب ٠

الثانية : كانت حكومة اليمن العثمانية تدفع اعانات مالية لبعض السلاطين والمشايخ تتضمن الولاء ، ومثل ذلك فعلت بريطانيا والتى لم يكن هدفها معروفا لدى الأتراك ، وان كان مرجحا تأمين قوافلها التجارية بين عدن الى بقية أجزاء اليمن من عدوان القبائل أو على الأقل مهادنة تلك المنطقة ٠

الثالثة : وجد بعض الولاة العثمانيين المصلحين أمثال عثمان نورى باشا الذى تولى الحكم سنة ١٨٩٠ ومنع الرشوة الأمر الذى أحدث تآمرا عليه وبالتالى عزله مما أساء اليمنيين وخلفه اسماعيل حقى باشا ، وكأنما العوامل قد جاءت معا ، ففى الوقت نفسه توفى الامام الزيدى الهادى شرف الدين فى مدينة صعدة وتولى من بعده الامام المنصور بن يحيى حميد الدين ٠ ويبدو أن القبائل اليمنية التى بايعت المنصور بالامامة ١٨٩٠ قد توسموا فى دعوته الفرج عما حل بهم خاصة وانه تعرض من قبل للاضطهاد واعتقل في عهد الوالي مصطفى عاصم باشا ، مع زمرة من العلماء ٠ =

له الانكليز بالهيجان حتى هاج وصار العصيان في بلاد اليمن عاما ، ولم تخمد ناره الا في عام ١٨٩١ ، ومن ذلك العهد صارت الاضطرابات في اليمن ثانوية كما هي في كريد ٠

وفي ابان ثورة اليمن هذه بذل الانكليز جهدهم في الاستيلاء مرة على شاطئ « فو » الكائن على مصب نهر « شط العرب » ومرة أخرى على جزيرة « سيجري » بالقرب من « متلين » ٠

ولما لم تفلح مساعيهم في كريد واليمن أعدوا من عهد بعيد مسئلة أرمينيا ، فمن عام ١٨٨٩ ، اشتغلت الدسائس الانكليزية في آسيا الصغرى واليوم نراها عيانا ، ولقد كبرت المسائل الأرمينية التي لم تبلغ من العمر الا ست سنين ، ومنشؤوها يكبرونها بمهارة خاصة بهم ، فلا يغفلون آونة عن التهكم على الدولة العلية وسبها بمناسبة هذه المسئلة ولا يقصرون لحظة عن أن يظهروا لدولتنا عداءهم لها ٠

★★★

يظهر اذن جليا أن كل حوادث هذه الثمانية عشر عاما من تاريخ تركيا تعارض

= دهب الامام المنصور الى صعدة فاجتمع به العلماء والأعيان وبايعوه ثم وضع يده على ما كان قد جمعه شرف الدين لبيت المال استعدادا لبدء الحرب مع العثمانيين ، وانتقل الى جبل الاهنوم في عام ١٨٩٠ ومنه أخذ يرسل رجاله وأتباعه الى جميع الجهات لبث الدعوة ودعوة القبائل الى حرب الأتراك ٠

وعندما علم السلطان عبد الحميد رأى أن يتبع الأسلوب الدبلوماسي فكتب الى الامام يدعوه للكف على اراقة الدماء ويرهبه ويغريه براتب شهري ومرتبة عظيمة ٠ غير أن القبائل اتجهت الى محاصرة صنعاء في ١٨٩١ بعد أن سيطرت على حصون ظفير حجة ، مسور ، الشرف ، يريم ، ذمار ، حفاش ، ملحان ، الروضة وغيرها ، وهزم الأتراك في بلاد الشرق بل قتل قائد الحامية التركية ويدعى محمد عارف ، وكان لذلك أثره في نفوس الأتراك ٠

وفي محاولة للاصلاح أوفد السلطان أحد رجال الدولة هو « نامق بك » سنة ١٨٩٢ . غير أن زيارته انتهت وأعادت الدولة العثمانية لنفس الغرض بعثة أخرى من أربعة عشر رجلا للوقوف على أسباب الثورة ، غير أن شيئا لم يأت بنتيجة أفضل ، بل ان الوالي التركي أحمد فيضي باشا ازداد في الظلم ، الى أن تم حصار صنعاء وفشلت القوات التركية في أول الأمر في رفعه ، الى أن تمكن أحمد فيضي من اجلاء الثائرين وانهاء الثورة عام ١٨٩٢ ٠

وتجدر الاشارة الى أن الكاتب الانجليزي هاريس Harris زار اليمن في أثناء الثورة عام ١٨٩٢ وقبض عليه وعلى خدمه وألقى بهم في السجن وعدهم الاتراك جواسيس رغم جوازات السفر وأطلق سراحه بعد مرضه الشديد بالحمى ورأيهم التخلص منه حيا ٠ ويروى هاريس أن عددا من الاتراك أكد له أن الحكومة البريطانية في عدن كانت تمد الثوار اليمنيين بالأسلحة والمساعدات لمحاربتهم ، وبالطبع في محاولة منه للدفاع أوضح أن الأسلحة كانت تهرب الى اليمن من أبوك — الميناء الفرنسي المواجه لسواحل اليمن بواسطة التجار والمغامرين ٠

للمزيد : أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٢٦٥ ٠

السيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث ١٩٠٧ — ١٩٤٨ ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ص ٣٤ — ٥٦

فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ — ١٩١٨ ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ص ١٢٩ — ١٤٢ ٠

ضد سياسة العزلة وبعبارة أصح سياسة الانصياع لانكلترا ، وأنها الى الأبد ممقوته هذه السياسة الضارة ٠

وان الحالة الحالية للدولة العلية تدعو جلالة السلطان الى الدخول فى اتحاد يكون له منه قوة وفائدة . فلكى ينجو من تقسيم ملكه الداعية اليه انكلترا يجب أن يدخل فى الاتحاد الثلاثى أو فى الاتحاد الفرنساوى الروسى ، ولا يوجد شك ما فى أمر الاختيار ٠

وليس هناك لألمانيا والنمسا مصالح متحدة مع مصالح التركية وايطاليا ، تهدى هدى انكلترا وتهدد دائما أبدا الباب العالى بالاستيلاء على طرابلس كما استولت على مصوع وكسلا ٠

أما فرنسا والروسيا فصوالحهما فى كل مكان قاضية بالمحافظة على حقوق جلالة السلطان وليس لهما صالح مناقض لصوالح تركيا ، ولهما مع القسم الأعظم من المسلمين علائق دائمية ومحتاجتان الى البقاء الى الأبد فى سلام مع العالم الاسلامى ٠

ولا يوجد على الأرض مسلم واحد يستطيع انكار هذه الحقائق ، ولكننا ربما اعترض بعض الناس بنية سليمة على اتحاد تركيا مع فرنسا والروسيا بأن هذه الدولة الأخيرة كانت فى أزمنة كثيرة عدوة للدولة العثمانية ، فأجيب على هذا الاعتراض : نعم حاربت الروسيا تركيا ، وكانت عدوة لها ولكنها كانت عدوة صريحة ظاهرة معلنة عداءها وانتهت عداوتها بالامضاء على المعاهدة المقررة انتهاء الحرب ٠ ولكن انكلترا التى يجب أن يتألف التحالف ضدها كانت دائما عدوة فى زى صديقة فكانت أدنى الأعداء الى الدولة وأشدهم خطرا عليها ، من غير أن تقيم سلاحا فى وجهنا وقهرتنا كثيرا بالمكر والدسائس ، أما الروس فلم يجرحونا الا فى براز ٠

وفضلا عن ذلك فان الروس والترك لهم أن يشتكوا من انكلترا خصيمتهم المشتركة ، فان من صالحها أن تراهما فى شقاق ، ولفائدتها فى الهند وفى آسيا الصغرى دفعتهما دائما ضد بعضهما ، واذ أدركوا اليوم أعمالها المضرة المحزنة فليتحدوا ضدها ٠

فلنكن اذا ذوى صراحة الضمائر ولنجب صوت السرائر ولنبذل كل قوانا لتحقيق التحالف مع الدولتين الحبيبتين فان تحالفا كهذا يكون أقوى التحالفات وينتج عنه تحرير مصر ونهضة تركيا ، وأخيرا الاتفاق الأبدى بين المسلمين والمسيحيين ٠

فليمد جلالة السلطان يده الى فرنسا والروسيا ، وليتحقق هذا التحالف ٠ فانه اذا تحقق كان ضمانة عظمى للسلام العام ٠ ويرضى به ولا شك تمام الرضى مسلمو الأرض الذين قلبت انكلترا أحوالهم وأصبحوا فى أشد الحاجة للطمأنينة والسلام ٠

حديث لجريدة الجولوا ★

سأل المراسل مصطفى كامل :

١ ـ هل في قدرة مصر اذا رحل عنها الاحتلال أن تدير شؤونها بنفسها كما يديرها الأجانب الآن ؟

٢ ـ وما هي الضمانة التي تقدمها مصر للدائنين محافظة على ديونهم اذا انجلى الانكليز عنها ؟

٣ ـ وما هي طرق الاصلاح التي يريد المصريون سلوكها اذا سلمت اليهم مقاليد الأمور ؟ .

وكانت اجابته كالآتي :

« انك سألتني أولا عن أمر أدهشني كثيرا لأنك تعرف مثلي أنه يكفي لاستقامة الاعمال في أي بلد أن يكون مديرو دفتها مخلصين لها حاملين لرؤوس استقت من موارد العلم الصحيح وهذا هو الحال في مصر ، فان ما غرسته فرنسا من بذور العلم في بلادنا سواء بواسطة أساتذتها الذين توظفوا في مدارسنا أو بواسطة مدارسها التي علمت ارسالياتنا السنوية العديدة قد أخرج رجالا يعدون الآن بالآلاف وفيهم القانوني والمهندس والحكيم والصيدلي فضلا عن الكثيرين من ضباط الأركان الحرب الذين تعلموا تعليما كبيرا عاليا سواء في أوروبا أو في مصر .

واني أؤكد لك أن الاحتلال وغلطاته علمتنا كيف نصلح ما أفسده الدهر علينا ، ويكفي أن تقرأ تاريخ دي فوجاني وغيره ممن كتبوا عن مصر الحديثة لتعرف كيف أن في مصر جيوشا من الرؤوس العامرة والقلوب الوطنية الحكيمة المخلصة وتحكم معي بأن مصر قادرة في كل وقت أن تحكم نفسها .

---

(١) حديث صحفي لمصطفى كامل أجرته معه كل من صحيفتي الجولوا والجرنال الفرنسيتين . (علي فهمي كامل / مصطفى كامل ٣٤ ربيعا ، جـ ٣ ص ص ٢٣٤ ـ ٢٣٧) .

وانّنا يا جناب المحرر اذا كنا نستغيث بأوروبا لتجبر انكلترا على تحقيق وعودها وعهودها فما ذلك الا لاننا نخاف كثيرا أن ينقرض مع هذا الاحتلال الجيل الذى تعلم تعليما صحيحا فى مدارسكم ، أو على أيدى معلميكم ، ولا نجد من يقوم مقامهم من الذين يتعلمون اليوم تعليما انكليزيا ٠

وانى أؤكد لك مرة أخرى أن الانكليز فى مصر ليسوا الا هادمين لبنيانكم الأدبى مدمرين كل حصن علمى مطفئين كل نور يستعين به المصريون على كشف مساوئهم ٠

أما السؤال الثانى وهو الضمانة التى تقدمها مصر للدائنين اذا رحل الانكليز من ديارنا فهى أكبر من الضمانة التى يقدمها الانكليز اليوم لأنهم ألغوا المراقبة التنائية ليتمكنوا من التصرف كيفما شاءت أهواءهم ، ومآربهم بأموال البلاد (١) ٠

أما نحن فنقبل كل مراقبة دولية على ديون مصر ، والجزء الذى يخصها من ميزانية البلاد ، ويكفى فى ذلك وضع الثقة بأعضاء صندوق الدين الذين يمثلون الدائنين أحسن تمثيل (٢) ٠

---

(١) اتجهت الأذهان فى أثناء النزاع الذى شب بين الوزارة والرقابة من جهة والخديو والوزارة من جهه أخرى ، وظهور الشعور القومى فى الثورة العرابية الى الغاء نظام الرقابة واستبداله بنظام آخر ٠ ولما حضر اللورد دوفرين الى مصر ، قدم الى حكومته اقتراحا بالغاء المراقبة الثنائية والاكتفاء بمراقب انجليزى ، وفعلا قبل هذا الاقتراح والغيت هذه الرقابة بأمر عال فى ١٨ يناير ١٨٨٣ على الرغم من معارضة فرنسا وعين السير اوكلند كولفن مستشارا ماليا للحكومة المصرية . على أن يختص بالاشراف على المصالح المالية بوجه عام ، ويكون له نفس الاختصاصات التى كانت للمراقبين وله حق حضور جلسات مجلس النظار . وبذلك أصبحت الرقابة المالية تحت النفوذ الانجليزى ، ونظم اللورد دوفرين الادارة المالية على هذا الأساس ٠ ولا ريب أنه لم تلغ الرقابة الأجنبية بالغاء الرقابة الثنائية ، وانما استبدلت برقابة فردية . على أن تقوم بها الحكومة الانجليزية فى شخص المستشار المالى الذى أصبح فى نطاق عمله ما كان للمراقبين معا من اختصاصات ، وقد تخلصت انجلترا من فرنسا بهذا الالغاء الذى كانت تعارض فيه لأنه يحرمها ـ بطبيعة الحال ـ من حق الاشتراك مع انجلترا فى الاشتراك الفعلى على شئون البلاد ، بينما رأت انجلترا أن تستأثر لنفسها بهذا ، والواقع أن وجود هذه الرقابة بعد الاحتلال لم يكن له ما يبرره حيث أن هذا الوجود لم يكن فى الحقيقة الا استمرارا لحكم حملة السندات الذى بدأ فى سنة ١٨٧٦ ،ولكن مع هذا الفارق الجوهرى وهو أن نظام الرقابة لم يكن ماليا فحسب بل اتخذ شكلا سياسيا ٠

ولنرى قول « السير شارل ولكى » وكيل وزارة الخارجية سابقا فى مجلس العموم سنة ١٨٨٣ « انه كانت ثمة مراقبتان ثنائيتان الأولى التى أنشأها اللورد دربى وسالسبورى والثانية التى حمل عليها خطباء الأحرار حملة شعواء وفيها حرمت الحكومة حق عزل المراقبين وفيها تغلغل التدخل الأجنبى ٠ (أحمد صادق موسى : مرجع سابق ط ١ ، ص ص ١٥٠ ـ ١٥٣) ٠

(٢) امتنعت الحكومة الانجليزية عن تعيين مندوب لها فى صندوق الدين ولم يكن فيه الكفاية لضمان مصالح الدائنين على حين رضيت فرنسا وكان مندوبها دى بلنيير De Bliginreres واختارت النمسا فون كريمر Kermer وايطاليا السنيور بارافلى Baravelli وجاهرت انجلترا أن من الواجب وضع تسوية أخرى والواقع كانت ترمى الى وضع نظام يمكنها من =

واما طرق الاصلاح التي نقوم بها متى سلمت الينا الاحوال فهى لا تخرج عن طرق الاصلاح فى أية مملكة راقية فننشر العلم بأسهل الطرق ونوفد البعثات الى أوروبا ، ونعزز الصناعة والتجارة بما نشد به أزر الزراعة ، وكذلك نضع حد لفوضى القوانين التى أصبحت خليطا من نظريات عقيمة لا تصلح لأحقر أمة فى الوجود ... الى غير ذلك من الاصلاحات التى تكون رسل خير بين العباد ومن البواعث على خدمة الانسانية ..

« ان(*)العالم كله متفق على أن الافضل لكل قطعة من الأرض أن تكون مملكه قوية فى ذاتها عوضا عن تجزئتها الى جماة مما لك ضئيلة ضعيفة كذلك الحال فى الدولة العلية فانها دولة قوية بشهادة العدو والصديق ولكن اليد السياسية الدولية التى لا يستريح لها بال الا بمشاغبات دولتنا المنصورة تغش بعض سكانها من المسيحيين وتدفعهم الى مناوأة حكومتهم وسلطانهم باسم الاستقلال الموهوم فينشأ عن ذلك اراقة الدماء وخطف الأرواح .

وهذه اليد هى يد انكليزية قامت لتشغل أوروبا عن مسئلة مصر ، فحركت تلك الجماعة التى ظلت من حيث طمعت فى ملك كبير وسلطان عظيم .

وانى لا أشك فى أن العالم كله سيقف على حقيقة السياسة الانكليزية التى لا يخرج تاريخها فى كل أطواره عن الدسائس ونصب الاشراك لكل الدولة على السواء وكيف لا وهى السياسة التى تجد الشرف فى كل حيلة بها تصل الى نيل بغيتها ولو احمر وجه البسيطة من دماء البشر لتملك بيتا واحدا .

وانه يدهشنا كثيرا موافقة الدول لانكلترا فى كل عمل تريد القيام به ضد الدولة العلية ، وهى لا يفطن لمثيرى هذه الحركة وهم معتمدو انكلترا وقناصلها فى الخارج الذين يثيرون الخواطر بكل الوسائل ثم يحتالون على معتمدى وقناصل الدول

= التدخل الفعلى فى ادارة الحكومة المصرية ولكى تمهد الى هذا أوفدت الى فرنســا أحـد أعضاء البرلمان الانجليزى وهو مستر جوشن Gochen وجاء معه جوبير الى الخديو فى أكتوبر ١٨٧٦ لعرض مطالب الدائنين وتدخل اللورد فيفيان Vivian قنصل انجلترا والبارون دى ميشيل Michels قنصل فرنسا ، فتم الضغط على الخديو الذى كان رافضا ، وصدر مرســوم ١٨ نوفمبر ١٩٨٦ قضى بفرض الرقابة الأجنبية وأن يتولاها مراقبان بوظيفة مفتشين عموميين أحدهما انجليزى لمراقبة الايرادات العامة ، والآخر فرنسى لمراقبة المصروفات . وقضت المادتان ٦ ، ١٨ من مرسوم ١٨ نوفمبر ١٨٧٦ على بقاء صندوق الدين هيئة دائمة الى أن يسدد كامل الدين العام ، ولأعضـــائه أن يتسلموا الايرادات المخصصة لاستهلاك الدين ويرسلوها رأسا الى بنكى انكلترا وفرنسا ويكون تعيين أعضاء صندوق الدين بناء على طلب حكوماتهم .

عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل . جـ ٢ ، القاهرة ١٩٣٢ ، ص ص ٧٢ ــ ٧٨ .

(*) جاءت اجابة من مصطفى كامل عن سؤال حول المسألة الارمينية لصحيفة الجورنال الفرنسية ، عن : على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا ، جـ ٣ ص ص ٢٣٧ ــ ٢٣٩ .

الأخرى فيرينون لهم الباطل حقا والحق باطلا . وهؤلاء يبعثون بتقاريرهم السريعة التى لو تليت على جماد لذاب من هول الافصاح بأبشع عبارة ضد الدولة العلية والدول لا تتوانى اذاً فى ارسال أساطيلها عقب انذاراتها المتكررة ·

فاذا أرادت أوروبا أن تستريح من هذه المتاعب فلتعرف كل دولة مركزها بازاء الاخرى ، ولتتخذ التاريخ عبرة ونحترم شعور ثلاثمائة مليون من الأنفس · فلا تتعدى بلا حق على دولة لا ذنب لها ، الا أنها اسلامية وعرضة لدسائس انكلترا ·

الوزارة الفرنساوية الجديدة ★

لما سقطت وزارة المسيو ريبو اجتمع رئيس الجمهورية الفرنساوية برئيسى مجلس النواب والشيوخ وبرؤساء الأحزاب ذات الشأن ليستشيرهم فى أمر تشكيل الوزارة ، فأشار عليه المتطرفون والمعتدلون معا بتشكيل وزارة من المتطرفين برئاسة المسيو بورجوا فعمل الرئيس بما أشاروا به وكلف المسيو ليو بورجوا بتشكيل الوزارة فشكلت متطرفة محضة وألقى رئيسها بالأمس خطابه الافتتاحى مبينا فيه سياسة وزرائه الجديدة وقد آن أن نبحث فى هذا الخطاب ووقعه عند النواب .

نذكر للقراء لماذا أجمعت الأحزاب على تشكيل وزارة متطرفة عندما سقطت وزارة المسيو ريبو عقب المناقشة فى مسئلة سكة حديد الجنوب فالاشتراكيون والمتطرفون والمتحدون (وهم الذين لم يكونوا جمهوريين ثم رضوا بالجمهورية) طلبوا تشكيل وزارة متطرفة لأنهم لم يفلحوا مع الجمهوريين المعتدلين ، ولم يستطيعوا تنفيذ مطالبهم ، فضلا عن أنهم أعداء لهم ألداء وسقوط الوزارة الأخيرة كغيرها من الوزارات لم يكن الا لتحزب هاته الفئات المختلفة ضد حزب الوسط (أى حزب المعتدلين) وانضمام حزب اليمين (حزب الملكيين) اليها .

أما الجمهوريون المعتدلون فقد طلبوا من رئيس الجمهورية تشكيل وزارة من المتطرفين لأنهم لما رأوا أن رجال هذا الحزب يسعون دائما فى اسقاط الوزارة المشكلة من حزبهم أرادوا أن ينتقموا ويسقطوا وزارتهم الراديكالية ، وبذلك يبرهنون لهم وللأمة الفرنساوية كلها على أنهم وحدهم القادرون على تولى الأحكام وان غيرهم اشتراكيا كان أو متطرفا لا يستطيع مجاراتهم ، وادارة الأمور مثلهم فلذلك ألحوا كثيرا على المسيو فليكس فور الذى اقترع المتطرفون ضده فى انتخابه رئيسا للجمهورية أن يشكل منهم وزارة تقضى بنفسها على حزبها .

وما تشكلت وزارة المسيو بورجوا حتى رأينا الجرائد جميعا تندد بها وتنذر

(★) مقالة نشرت بجريدة الأهرام اليومية بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٨٩٥ بمناسبة الازمة الوزارية الفرنسية .

بقرب سقوطها ويعللون هنا هذه النبوة السياسية بثلاثة أسباب :

أولا : حضور النواب المعتدلين الذين كانوا متغيبين عن المجلس ٠

ثانيا : وجود المسيو كافينياك فى وزارة الحربية ٠

ثالثا : عدم رضى المسيو هانوتو بالوجود مع وزراء اليوم ٠

وعلى ذلك لا يبعد أن تحدث قريبا أزمة وزارية فى فرنسا نسلم بعدها الأحكام للمعتدلين كذى قبل ، والجفاء الذى أظهره بالأمس حزبا الوسط واليمين للوزارة عند قراءة رئيسها خطة سيره يدل على ذلك ٠ والذى يحمل الكثيرين من الكتاب على القول بأن عمر هذه الوزارة لا يتجاوز الشهر هو أن حزب اليمين يبغض المتطرفين أكثر من بغضه المعتدلين فينضم هذا الحزب الى حزب المعتدلين الذى يزيد عدد أعضائه عن نصف أعضاء المجلس بنحو ٤٠ نائبا ٠

والمسائل الأصلية التى جاء بها خطاب المسيو بورجوا هى مسـئلة سكة حديد الجنوب والحجر على النواب من الدخول فى شركات مالية ومناقشة الاخصام فى المرافعات بعضهم بعضا ونشر التحقيقات القضائية والاقتراع على الميزانية قبل آخر العام ومسئلة الضرائب التدريجية وتعديل الضرائب على المشروبات الروحية والمحصولات ، وسـن قوانين خاصة بالعمال وحرية الشركات ومشروع انشاء جيش اسـتعمارى وأخيرا المحافظة على الروابط القوية التى تربط فرنسا بحليفتها روسيا » (١) ٠

ولا غرو اذا كانت مسئلة سكة حديد الجنوب هى المسئلة التى لفتت الأنظار أكثر من غيرها ، اذ بسببها سقطت وزارة المسيو ريبو وبها بدأ المسيو بورجوا خطابه الذى قال فيه : « أيها السادة : أن اقتراع مجلس النواب فى جلسته الأخيرة أوجد أمام الرأى العام مسئلة يجب أن يجيب عليها أولا من دعتهم ثقة رئيس الجمهورية الى حكومة البلاد » ، ولذلك فانا نطيع أمر المجلس باجراء تحقيقات تكميلية فى هذه المسئلة التى اقترع عليها أخيرا (أى مسئلة سكة حديد الجنوب) ومهما كانت نتائج هذه التحقيقات فاننا ننشرها بتمامها لنسمح بذلك للمجلس أن يحكم حكمه السياسى والأدبى على الأمور التى يظهرها التحقيق » ٠

---

(١) كانت السياسة الروسية تميل الى فرنسا وأن تأجل اعلان هذا الميل عشرون عاما نظرا لموقف بسمارك العدائى لفرنسا ، وقد ظهر هذا الوفاء جليا بعد وفاة بسمارك سنة ١٨٩٠ ، بعد أن تعرضت المصالح الروسية فى الشرق للخطر فضلا عن حاجتها الى المال ، أما فرنسا فكان لعزلتها وحاجتها الى المعونة أكبر دافع لاتمام هذا التحالف ، وفى أغسطس ١٨٩١ أعلنت الخطوط العامة للاتفاق الودى بينهما ، وتبادل الرأى فى أى قضية تهدد السلام خاصة اذا تعرضت احداهما للتهديد أو العدوان ، وفى ٢٧ ديسمبر ١٨٩٣ ألحق بهذا الاتفاق ميثاق عسكرى يتلخص فى اتفاق روسيا على مساعدة فرنسا لها اذا هاجمتها ألمانيا أو النمسا والمجر ، وكذلك غطت فرنسا القروض الروسية فى باريس ، ووضح هذا التحالف جليا فى سنة ١٨٩٥ حين وقف التحالف الثنائى (روسيا وفرنسا) وجها لوجـه أمام التحالف الثلاثى (ألمانيا والنمسا وايطاليا) ٠

أ٠ ج جرانت ، هارولد تمرلى : أوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، ترجمة محمد على أبو درة جـ ٢ ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ص ٧١ ـ ٧٢ ٠

ومن هذا التصريح الوزارى أن المتهمين فى مسألة سكة حديد الجنوب لا نثبت عليهم تهمة الا اذا أمر المجلس بعد مطالعة أوراق القضية بمحاكمتهم وقضى عليهم القضاء بما ينسبونه اليهم ٠

ولم يكن فى استطاعة وزارة المسيو بورجوا محاكمة النواب المتهمين فى هذه المسألة قبل أن يصدر المجلس أمره بذلك لأنه لا قانون يسوغ محاكمة نائب من النواب قبل تصديق المجلس ولا قانون هناك يحجر على النواب الدخول فى شركات مالية وما ينسبونه للمسيو أتين وروش وروفيه ودلونكل والآخرين هو أنهم كانوا أعضاء فى شركات فرعية من شركة سكة حديد الجنوب وأنهم لم ينقدوا المبالغ التى نقدوها الا لأنهم نواب ذوو كلمة ونفوذ لا لأنهم أعضاء فى الشركات يستحقون هذه المبالغ مقابل أعمالهم وأتعابهم ٠

فوجه النهمة هو أنهم استعملوا نفوذهم فى المجلس ، ولدى الحكومة فى عقد شروط مضرة بصالح الحكومة وموافقة لصالح الشركة ، وعما قليل تلبس هذه المسئلة الغريبة ثوبها الحقيقى ويكشف عنها الستار ٠

ولابد أن جرائد الاحتلال (*) فى مصر انتهزت الفرصة ونددت بالوطنيين العاملين على تحرير بلادهم من النير الانكليزى الثقيل قائلة كعادتها أن المسئلة المصرية قبرت الى الأبد وأن المسيو دلونكل نصيرها الوحيد تلطخ بالتهم ، فلم يعد لها فى أوروبا معضد ولا نصير ، وقد كان بالأمس يشترى (ولست أدرى بأى مال) الجرائد الروسية والألمانية والفرنساوية ٠

ولسنا فى حاجة لأن نجيبها على هذه الأقوال الساقطة اذ كل عاقل يعلم أن المسيو دلونكل هو نائب من النواب الذين تهمهم مسألة مصر وأن المصريين اذا كانوا احترموه وأكرموه فلم يقوموا الا بواجب تفرضه عليهم الوطنية الحقة ٠

وسواء ثبتت على المسيو دلونكل تهمة سكة حديد الجنوب ، أو لم تثبت فلا ضرر على مسألة مصر التى ان فقدت نصيرا واحدا وجدت بدله أنصارا وان عدمت واحدا فلم تعدم آلافا ٠

ولا تعجب اذا كان الانكليز وحدهم هم الباكون غدا على ما أصاب المسيو دلونكل لأنهم كانوا يستعملون اسمه للقضاء على كل ما يعمل فى مصلحة مصر ، فان كتب كاتب عن مصر ، قالوا عنه أنه مأجور للمسيو دلونكل وان خطب خطيب قالوا الخطابة كتبها المسيو دلونكل حتى عندما تأسس حزب مصر لم يستحيوا أن يقولوا عنه حزب دلونكل مع أن المسيو دلونكل ليس الا عضوا كسائر الأعضاء ٠

---

(١) يقصد صحيفة المقطم ٠

وبالجملة أن أقوال الجرائد الانكليز هذيان فى هذيان ، وأجمل جواب يجيب به المصريون على أكاذيبها هو ولأبدع قول فيكتور هوجو شاعر فرنسا الشهير وفيلسوفها الكبير : « ان للحقيقة والحرية مزية خاصة بهما وهى أن من يعمل لهما أو ضدهما يخدمهما على السواء » والسلام ٠

فى الحملة الدنقلية ★

كلا وألف مرة كلا ، يعلم المصريون اليوم ان انكلترا لا تريد بارسال الجنود المصرية فى السودان الا اطالة أمد الاحتلال الانكليزى اطالة لا نهاية لها ، فهم يبكون أبنائهم واخوانهم الذين سيضحون فى سبيل تحقيق مقاصد الانكليز وليس بكاؤهم لأقاربهم عن ضعف فى قلوبهم أو عن جبن . بل بالعكس كان المصريون يعدون أنفسهم سعداء لو كان أبناء الوطن ذاهبين لأن يكتبوا بدمائهم صحيفة فخر ومجد لمصر ، ويردوا « لمصر المصريين » لا « لمصر الانكليز » الأراضى المفقودة ، ولكن المصريين تعلموا من التجريدات التعسة لعام ١٨٨٣ و ١٨٨٤ و ١٨٨٥ (١) أن أقاربهم حاربوا ويحاربون السودانيين لمصلحة انكلترا ليس الا .

(★) نشر بجريدة (الاكلير) الباريسية بتاريخ ٧ أبريل ١٨٩٦ ، وهو اجابة على كتاب مدير الجريدة ، يسأله الرأى فى حملة دنقلة .

(١) أ ـ أزاء تزايد خطورة الموقف وحرص بريطانيا على عدم التورط فى عمليات عسكرية فى السودان ، اتسمت السياسة البريطانية بالحذر الشديد وبعد مكاتبات شريف باشا وجرانفيل ، وافقت الحكومة البريطانية فى ١٤ ديسمبر ١٨٨٢ على تعيين الكولونيل وليام هيكس رئيسا لأركان حرب الجيش فى السودان وكانت مهمته اخماد الثورة المهدية فى سنار .

ومن ثم كانت التجريدة الأولى لعام ١٨٨٣ التى باءت بالفشل حيث أبيدت قوات كردفان وانتشرت الثورة فى السودان ولقى هيكس حتفه فى ٥ نوفمبر ١٨٨٣ فى شيكان وجميع الضباط .

ب ـ أحست بريطانيا بضرورة اسداء النصح باخلاء السودان فاستقال على اثرها شريف باشا وتولى نوبار باشا فى ١٠ يناير ١٨٨٤ ، ووقع الاختيار على الجنرال غوردون لتنفيذ سياسة الاخلاء التى اختلف المفهوم حول طبيعتها ، بينه وبين الحكومتين البريطانية والمصرية أنها تقريرية استشارية أم استشارية تنفيذية ، وفى ٢٦ يناير ١٨٨٤ كان فرمان الخديو بتعيينه حكمدارا للسودان ، ولم ينجح غوردون فى كسب جانب المهديين ، بل ازدادت انتصاراتهم ، وتوالت هزائم غوردون .

ج ـ وفى عام ١٨٨٥ جاءت بدايته مع ارسال حملة الانقاذ بقيادة السير جارنت ولسلى Sir Garnet Wolsely) ثم تجريدة أخرى تحت أمرة السير هربرت ستيورات H. Stewart وقتل هذا الأخير فى قرية هبة قرب أبى حمد فى ١٨ سبتمبر ١٨٨٤ ، ومنذ ٢٧ يناير ١٨٨٥ ، كان الحصار الشديد مؤذنا بسقوط الخرطوم ، ثم قتل غوردون ورفاقه ، وتم اخلاء دنقلة بواسطة الجنرال ولسلى فى ٥ يوليو ١٨٨٥ .

=

ويقول الناس كافة هنا أنه ليس ببعيد عن ذهن الانكليز أن يكون المقصد من الحملة ابادة الجيش المصرى والاضطرار عندئذ لانشاء جيش جديد مما يحتاج لأعوام وأعوام .

والذى يزيد هذه الفكرة قوة ويحمل على قبولها هو ما يحس به المشتغلون بالسياسة فى مصر ، من أن انكلترا تفتح باب المسئلة السودانية عندما تطالبها أوروبا ـ وفرنسا على رأسها ـ بالجلاء عن مصر .

وبالاختصار أقول أن المصريين غير راضين بالجملة ويخافون أن تنخدع أوروبا أيضا هذه المرة ، والمصريون كافة يقولون اليوم ويكررون هذه العبارة : « أننا نريد حقا استرداد السودان ولكن قبل استرداد السودان نريد استرداد مصر نفسها » (١) .

كيف يسترجع السودان ؟ ـ لا يسترجع السودان بالحرب . ان السودانيين هم مسلمون متعصبون فى الدين ذوو صلابة وعناد ، ولم يقبلوا ولن يقبلوا أبدا أن تحكمهم انكلترا ، وأول نتيجة لجلاء الانكليز عن مصر تكون استرداد السودان

= ثم وضعت دوات لحماية حدود مصر الجنوبية عند أسوان .

ثم خمدت الحركة المهدية بعد وفاه المهدى وانصراف خليفه التعايشى فى أمور أخرى ، وكانت خاتمة المطاف واقعة جنسى فى ٣٠ ديسمبر ١٨٨٥ والتى حققت فيها القوات المصرية الانجليزية بضعة انتصارات .

وفى رأينا أن التجريدات كان ولا بد أن تبوء بالفشل ، اذ أن القوات المهدية اتخذت فى عملياتها طابعا عسكريا منظما مجهدا للقوات التى تحاربها ، وأيضا الموقف المالى المصرى كما أن بريطانيا كانت مشاركتها قاصرة على الضباط فقط ، وعدد قليل منهم ، بيد أن فشل الحملات كان دافعا قويا لاستمرار الاحتلال البريطانى لمصر بحجة وجود خطر من قبل المهدية .

د./ محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ، وحدة وادى النيل السياسية ١٨٢٠ ـ ١٨٩٩ ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ص ٢٨٠ ـ ٣٧٠ .

(١) كانت مصر ترزح تحت الاحتلال البريطانى ، ومن ثم فممتلكاتها الخارجية ليس بادارة مصرية خالصة ، أما من ناحية السودان فان انجلترا أخذت من خطر الدراويش دعما لبقائها فى مصر ، وكانت سياستها نحو المهدية قائمة على التزام الدفاع ، فهى لا ترغب الابادة التى تكلفها نفقا تباهظة ، أو تدفعها الى الرحيل بعد زوال الخطر . الا أن الأسباب بدأت تتجمع لدى بريطانيا منها الرأى العام نفسه فى أعقاب الهزائم ، ثم اطمئنانها عن ذى قبل للاحتلال وتطلعها الى الكسب الاقتصادى من مصر ومن ثم فانهم المسئولون عن اخلاء السودان ، وفى مصر كانت حكومة رياض باشا (يونيو ١٨٨٨ ـ ١٨٩١) ترى ضرورة استرجاع دنقلة ، وكان السير فرنسيس جرنفل ١٨٨٥ ـ ١٨٩٢ سردار الجيش المصرى يقوم بتنظيمه وتدريبه . وفى السودان اندلعت الثورات الداخلية على عهد التعايشى ، وتسابقت الدول الأوربية على اقتطاع أجزاء من السودان ، وعلاوة على ما سبق انفردت بريطانيا بالعمل فى مصر بعد أن وضح تخلى تركيا بعد اتفاقية دروموند وولف معها ، ومن ثم بدأ تفكيرها فى استرداد السودان ، وفى أعقاب مراسلة بارنج (٢٧ مارس ١٨٠٩) وافق اللورد سالسبورى على العمليات العسكرية فى السودان ، وكان البدء احتلال طوكر فى فبراير ١٨٩١ ، ثم احتلال السودان باكمله بعدئذ .

بلا حرب ، ويكفى أن يعلم السودانيون أن الانكليز قد تركوا وادى النيل ليعودوا تحت راية مصر التى هى راية خليفة الاسلام ٠

وانا بمحاربتنا لهم اليوم نحملهم على أن يعتبرونا أصدقاء أوفياء لانكلترا ، وبذلك لا يعتبروننا مسالمين ٠

وقد أوضح هذه الحقيقة بكل صراحة الغازى مختار باشا (١) — وهو الرجل العظيم الكفاءة فى مثل هذه المسائل — فى تقريره الذى كتبه فى عام ١٨٨٦ عندما أرسله الباب العالى بقصد تسوية مسئلة مصر مع السير درومندوولف ٠

وما هو مقصد انكلترا الحقيقى ؟ وماذا تكسب ايطاليا من هذه التجريدة : — لقد أحسنت انكلترا اختيار الفرصة ، فانها لما رأت ايطاليا مغلوبة النجاشى ظهرت فى الميدان وأعلنت رغبتها الكريمة فى انقاذ ايطاليا ٠٠٠ وكيف ذلك ؟ بتجريدة على دنقلة (٢) ، ولكن كسلا لا تنقذ بواسطة دنقلة ، لأنه يلزم على الأقل مسيرة خمسين

---

(١) الغازى أحمد مختار باشا : كان المندوب السامى العثمانى (مومسيير) المكلف بفحص المسألة المصرية مع المندوب الانجليزى السير دروموند وولف منذ ٢٤ أكتوبر ١٨٨٥ ، وتحديد موعد الجلاء وصل الى مصر فى ٢٧ ديسمبر ١٨٨٥ وقدم تقريره الى الباب العالى فى ١٤ مارس ١٨٨٦ ، وكان من رأيه فيما يتعلق بالسودان ان استرجاع دنقلة ضرورى لقمع الثورة التى لازالت مشتعلة بالرغم من وفاة المهدى ، وان يكون القمع على يد جيش مصر ولا ينفع فى قمعها جيش انجليزى أو جيش خليط من جنود مصريين وانجليز ، وأن تكون دنقلة هى قاعدة الأعمال العسكرية المنتظرة ، وعارض وولف فى مذكرة بتاريخ ٢٥ أبريل ١٨٨٦ فى الأمور المتعلقة بالجيش وتنظيمه وزيادة عدده والاستغناء عن منصب السردار بدعوى عجز مصر عن تحمل أية زيادة فى النفقات متعلقة بزيادة الجيش ، أو ما كان متعلقا باسترجاع دنقلة حيث سياسة الحكومة البريطانية اخلاء السودان وجعل حدود مصر عند وادى حلفا ٠

(د٠ محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ١٨٢٠ — ١٨٩٩ ، ص ص ٤٣٠ — ٤٣١) ٠

(٢) تجريدة دنقله : كانت الأنظار المصرية والبريطانية تتطلع معا الى استرداد السودان ، أما الايطاليا فقد أخذت فى التوسع فى تلك الأراضى التى لا صاحب لها واستولت على كسلا ، الا أن نظرة الحكومة الايطالية تغيرت مع تولى وزارة السنيور دى روديني Di Rudini ومحاولة توفير النفقات الحربية ٠ عندئذ وقع الانجليز مع ايطاليا اتفاقا فى ١٥ ابريل ١٨٩١ أهم ما جاء به اعتراف ايطاليا بحقوق مصر على كسلا ، ونفوذ ايطاليا المؤقت عليها ، مما أدى الى التخلى مؤقتا عن مشروع استرداد دنقلة ٠

وفى يوليو ١٨٩٤ احتلت ايطاليا كسلا على غير ما ترجو بريطانيا ، وازداد خطر الدراويش فهددوا الايطاليين أنفسهم ، وكان التحالف بين منليك الثانى ، والخليفة عبد الله التعايشى لقيام الحبشة والسودان بعمل مشترك ضد ايطاليا ٠ وحينئذ اقترح أن تسير القوات فى مظاهرة لارهاب الدراويش من سواكن الى بربر ٠ وازاء الشائعات عن خطورة الموقف ، أدرك كرومر أن مجرد مظاهرة لن تجدى ، وفى ١٣ يناير اتضحت نيته فى مساعدة ايطاليا ضد الدراويش . ولكن الصعوبة هى عدم موافقة الحكومة المصرية على النفقات ٠

وفى فبراير ١٨٩٦ أخطرت ايطاليا بريطانيا بأنها ستخلى كسلا ، وفى أول مارس ١٨٩٦ هزم الأحباش ايطاليا هزيمة ساحقة فى عدوة ٠ =

يوما للذهاب من كسلا الى دنقلة ، ولا تظن أبدا أن الدراويش يتركون كسلا ويسيرون خمسين يوما للمدافعة عن دنقلة ، واذا كانت انكلترا تريد حقيقة خدمة ايطاليا كان يجب أن تسير التجريدة من سواكن الى (بربر) التى هى أهم كثيرا من دنقلة والتى هى على بعد اثنىعشر يوما من كسلا ٠

وعلى ذلك فلا تكسب ايطاليا شيئا من هذه التجريدة ، ومن الذى سيكسب اذا من كل ذلك ؟ انكلترا وحدها ٠

وحيث أن التجريدة سائرة فماذا يكون ؟ يكون ولا شك أحد أمرين : اما انتصار جنود مصر واما انهزامهم ، فان انتصروا فدنقلة تكون المحطة الاولى ، وانكلترا تظهر وقتئذ الحاجة للتقدم نحو الامام لاسترداد السودان كله ٠ وان انهزموا تضطر انكلترا الى المدافعة عن مصر بنفس جنودها وتعمل لتنظيم جيش جديد ، الأمر الذى يؤجل فى الحالتين ميعاد الجلاء ٠

ولا تنس أن المال والرجال لازمان فى الحالتين ، وعلى فرض أن صندوق الدين سيدفع الخمسمائة ألف جنيه المطلوبة ، منه فمن المستحيل أن يدفع فيما بعد غير ذلك مما يجبر انكلترا على أن تنفق من جيبهـــا الخاص ، الأمر الذى يزيد الأحوال تعقيدا ٠

أما من جهة الجنود ، فالجيش المصرى لا يكفى أبدا لقهر السودانيين ، وانكلترا مضطرة لأن تكمل الفتوح بجنودها وهذا مما يزيد الأمور تعقيدا على تعقيد ، وينشىء المشاكل فوق المشاكل ٠

= حينئذ اتجهت الآراء الى ضرورة احتلال دنقلة الى سنتحمل مصر نفقاتها ، ومن ثم اتجهت الخطة البريطانية الى الزحف عليها بدلا من اقتراح قيام مظاهرة عسكرية على سواكن ، وأصبحت وجهة النظر البريطانية الاحتفاظ بدنقلة ٠ وأقر الخديو تحت ضغط كرومر – فى برقيته الى الباب العالى فى ٢٥ مارس أن الحملة من تقرير الحكومتين ، وتولى قيادتها السير هربرت كتشنر ، وتحت الاشراف الكامل لكرومر ، وتوالت الانتصارات حتى أخلى الدراويش دنقلة دون قتال فى ٢٣ سبتمبر ١٨٩٦ ، حيث احتلها الجيش الزاحف ، وأقيمت بها الحاميات ونظمت الادارة ، ثم عاد كتشنر الى القاهرة فى ١٣ أكتوبر ١٨٩٦ ، وفى ١٥ أكتوبر ١٨٩٦ حلت تجريدة دنقلة ٠

ونلمح – علاوة على ما ورد بالمقال – تفسير اللورد سالسبورى للحملة فى كتابه الى اللورد كرومر فى ١٣ مارس ١٨٩٦ – أنه أراد قتل عصفورين : تحقيق امتداد السيادة المصرية ، فضل الاحتلال عن التحرك من سواكن أو فى تجاه كسلا ٠ ثم منع الدراويش من تحقيق أى انتصار ٠

ونرى أن أهداف بريطانيا الحقيقية أنها تحاول أن تقف أمام الأطمـــاع الدولية التى ظهرت آنئذ مثل الاطماع الفرنسية والايطالية ، وبحكم احتلالها مصر يكون لها السيادة على تلك المناطق ، علاوة على أن التكاليف تثقل الميزانية المصرية المرهقة أساسا ٠

محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ص ٤٣٣ – ٤٥٧ ٠

ومن ذلك كله ترى أن الحملة السودانية تعسة مشؤومة ، والحنق العظيم الذى يتظاهر به المصريون الآن ضد الاحتلال ليس فى غير موضعه ٠

وقبل الختام أذكر لك أمرا غريبا ، وهو أن انكلترا تدعى أمام أوربا أنها ذاهبة ـ الى السودان لنصرة ايطاليا وتوعز هنا لوزراء مصر أن يجيبوا على احتجاج جلالة السلطان ضد الحملة « انها لم تسير الا لأن الدراويش مشغولون بكسلا عن غيرها . وليس من مدافع عن دنقلة أليس هذا الأمر غريبا ؟ ٠

أو ليس من الأغرب أن الايطاليين لا يزالون يظنون أن انكلترا ذاهبة الى السودان لاسعافهم ٠

ولنفرض أن انكلترا ذاهبة حقا لانقاذهم ، أليس حقيقة من الأمور القاسية التى يرفضها العقل أن المصريين الذين سلبهم الطليان كسلا يذهبون لانقاذهم فى كسلا نفسها ٠

(المسلمون والتجريدة) : انى أعتبر الحملة على دنقلة بمثابة تهييج للأمم الاسلامية بأفريقيا فان هذه الأمم على جانب عظيم من التعصب والصلابة ، ومن مبدأ الاحتلال الى الآن لم تحج الى مكة مع بقية الامم الاسلامية بسبب اقفال طريق مصر فى وجوهها ، ولذا فانها ناقمة على مصر وتنتظر الفرصة المناسبة للهجوم على بلادنا رغبة فى تأدية فريضة الحج ٠

وانى أخاف أن الحملة على دنقلة تهيجهم وتكون بسبب ذلك مبدأ أعظم المصائب وأشد البلايا ٠

يوم ٤ يوليو ★

يالك من يوم مشهود يا هذا اليوم ويالك من تذكار مجيد يا هذا التذكار . ان فى مثلك منذ مائة وعشرين سنة مضت أشرقت فى الآفاق أنوار أمة جديدة ونودى فى العالم الحديث بمبادىء العدل والانصاف وشيد للحرية والاستقلال بنيان متين واسترد الانسان حقوقه من نفس الانسان .

أجل انه فى يوم ٤ يوليو من عام ١٧٧٦ أعلنت الولايات المتحدة بأمريكا استقلالها ونادت بتحريرها من ربقة النير الانكليزى فلذلك كان هذا اليوم فى تاريخ الحرية أعظم يوم وكان هذا التذكار فى تاريخ الانسان أشرف تذكار .

ايه معشر الأمريكانيين يحق لكم أن ترفعوا اليوم أعلامكم وتقيموا الأعياد وتحيوا ذكرى هذا اليوم السعيد الذى يذكركم بما آتاه آباؤكم العظام من جلائل الأعمال . بل يحق لكم أن تقوموا اليوم فى وجه الأمم مفاخرين وتتلوا على الشعوب آيات مجدكم وفخاركم . يحق لكم أن تباهوا العالم بتاريخكم وبحالكم واستقبالكم وعلى الخصوص باتحادكم وقوى ائتلافكم .

ان ذكرى هذا اليوم تبعث فى فؤادى آمالا كبارا لأنها تذكرنى ان الأمريكانيين ما وصلوا الى ما هم عليه من الرفاهية والسعادة والحرية والاستقلال الا باتحاد الكلمة واجتماع القلوب على محبة الأوطان . وأذكر أن بنى وطنى يحسون احساسا صادقا بالمصائب الشديدة التى تتساقط على بلادهم . ومقرر أن المصائب تجمع بين المتنافرين وتؤلف بين المتباغضين فلا ينقص أبناء مصر للوصول الى المأمول من الحرية والسعادة الاجتماعية الا الائتلاف والاتحاد . ولذا . كان هذا اليوم يوم ٤ يوليو يبعث فى نفسى آمالا كبارا ويحملنى على الاعتقاد بقرب تحقق الائتلاف والاتحاد بين بنى مصر المخلصين لها المتألمين لآلامها .

(★) نشرت فى المؤيد يوم [illegible] يوليه ١٨٩[illegible] بمناسبة ذكرى اعلان استقلال الولايات المتحدة الامريكية .

ولكن ذكرى هذا اليوم نفسه تبعث فى فؤادى حزنا وكآبة لأنها قريبة الذكرى من يوم مشئوم وتذكار تعس اذ ذكره المصرى ذكر المصائب الجسام ٠

الا وهو يوم ١١ يوليو تذكار ضرب الاسكندرية (١) ٠

حقا ان المقارنة بين يومى ٤ يوليو و١١ يوليو لمن أشد المقارنات تأثيرا على النفوس فذلك اليوم تذكار أمة عظيمة أراهـا الانكليز من الظلم أعظم الظلم ومن الاستبداد أكبر الاستبداد فقامت متحدة مؤتلفة وطردت الانكليز من ديارها وأعلنت للعالم كله تحريرها واستقلالها ٠ وهذا اليوم تذكار ضرب أول الثغور المصرية بل قل تذكار الذل والهوان تذكار العار والشنار ٠ تذكار الشقاق والانقسام ! فما أسعد رجلا تذكار بلاده يوم ٤ يوليو وما اشقى رجلا تذكار بلاده يوم ١١ يوليو ٠

ان أقوى سلاح يتسلح به المطالبون بحرية بلادهم المخاطرون بأنفسهم حبا فى انقاذ أوطانهم واعلاء شأن معاهدهم هو الاتحـاد فهـذا السلاح المتين كان سلاح الأمريكانيين وغيرهم من الأمم الحرة ويكون سلاح المصريين ان أرادوا عزا ورفاهية وحرية واستقلالها ٠ وأحسن مثل أقدمه لبنى مصر على قوة الاتحاد هو أنه لما أعلنت الولايات المتحدة استقلالها انتخب الشعب لجنة لسن الدستور ٠ فكان وراء رئيس هذه اللجنة صورة تمثل الأفق ونصف الشمس ظاهر منه والنصف والآخر محتجب تحته ــ وكان لا يعلم أتمثل هذه الصورة شروق الشمس أم غروبها لأن علماء التصوير أقروا على ان لا تمييز هناك فى التصوير بين صورة شروق الشمس وصورة غروبها ــ فلما أتمت اللجنة أعمالها وسنت الدستور القويم الذى سارت عليه الولايات المتحدة من يوم تحريرها الى هذا اليوم ٠

قام فرانكلين الشهير وقال لأعضاء اللجنة ما معناه :

« أبناء وطنى ــ لقد كنت أنظر من أول يوم اجتمعنا فيه الى هـــذه الصورة الموضوعة خلف الرئيس ، وكنت مرتابا فى أمرها ، هل هى صورة شروق الشمس أم صورة غروبها فلما أتممنا اليوم أعمالنا بالنجاح والاتحاد ولم نختلف على شىء ما علمت انها صورة شمس مشرقة وهي شمس الولايات المتحدة فليدم الاتحاد ، قولوا فليدم الاتحاد » ٠

---

(١) كانت النية مبيتة عند الانجليز لغزو الاسكندرية ، لهذا تعللت بحجج واهية لضربها ومنها أنه فى أول يولية سنة ١٨٨٢ أرسل الأميرال سيمور الى حكومته ينبهها أنه اكتشف بعض ترميمات يقوم بها المصريون فى حصون الاسكندرية ، وانهم يركبون بطاريات حديدة تجاه بوارجه وان عرابى يعتزم سد بوغاز الاسكندرية لحصر البوارج الانجليزية التى كانت راسية فى الميناء ٠ وفى صبيحة ١٠ يولية سنة ١٨٨٢ أرسل الى محافظ الاسكندرية انذارا نهائيا يطلب منه تسليم البطاريات المنصوبة فى الحصون القائمة برأس التين ٠ وما ان جاءت صبيحة ١١ يولية سنة ١٨٨٢ حتى أعطى سيمور اشـارة الضرب ، واستمر الضرب ١٠ ساعات الى أن استولى الانجليز على المدينة ٠

عبد الرحمن الرافعى ٠ الثورة العرابية والاحتلال حـ ١ القاهرة ١٩٦٦ ص ص ٣٦٨ ، ٣٧٧ ، ٣٩٤ ٠

ما سقت لكم أيها القراء النبلاء هذا الحديث الا لأناديكم باسم الوطن الشريف أن تخلعوا عنكم أثواب الشقاق والنفور وحب الذات وتجمعوا كلمتكم على خدمة مصر ومحبتها فان الوطن على خطر وما يدبره أعداؤه لا عظم مما رأيتم ٠

نعم أناديكم فى هذا اليوم العظيم مما رأيتم ٠ نحتفل فيه أمة عظيمة بسعادتها واستقلالها أن تعملوا كما عملت هـذه الأمة لا أن تثـوروا بل تتحدوا قلبا ولسانا وتسمعوا الملأ الأوروبى أصوات الشكوى ٠ ولا يكن مبلغكم من الضعف مبلغ مريض يتألم ولا يشكو أو مبلغ صاحب دار سلبها منه خصمه فتركه فيها آمنا مطمئنا يعمل دون أن يسأل القضاء عدلا وانصافا ٠

انزلوا يا قوم الى أعماق نفوسكم وناجوا سرائركم واسألوا ضمائركم هل انتم فى ضير أم فى خير ٠ وهل انتم على شقاء أم على هناء ٠ ولئن أحسنتم الاصغاء سمعتم سرائركم تجيبكم انكم أذل الأمم اليوم وان الزنوج الذين كنتم تستخدمونهم عبيدا أرقاء أصبحوا أشد محافظة منكم على حقوق الأوطان !

أما فى مصر رجال يشعرون بأن من العار الكبير أن يعيش المصرى فى سعة من العيش مرتاح البال وأمه الشفوقة الحنونة تهان أعظم اهانة وتلوث كرامتها كل يوم فيقومون ويطالبون بحقوقها ويسمعون أوربا صوت شكايتها !! ٠

أما نفوس أبيات لها همم

أما على الحق أنصار وأعوان

أسطر هذه السطور وأسمع صدى لما يردده الخائفون أسمع هذه العبارة !! اننا نحب من صميم أفئدتنا وطننا العزيز ونريد حقا اسعاده ولكن اذا قمنـــا مطالبين بحقوقه اختصمنا الانكليز وخربوا ديارنا وأملاكنا فلا ينالنا الا الضرر والوبال ٠

انه لخير لكم أن ينالكم الضرر والوبال أيها المصريون ان كان فى نيلهما اياكم خدمة للأوطان ٠

نعم ليعيش الأحرار منكم فقراء ولكن ليعيشوا أحرارا !

أتحسبون يا قوم ان ما ترونه اليوم من المصائب والبلايا هو منتهى ما يأتيه الانكليز فى مصر من الظلم والاذلال أن دام الاحتلال ٠ لا تحسبوا يا قوم أن الله ينصركم وانتم على هذا الفشل كيف ينصركم ربكم وقد خذلتم أنفسكم ؟ كيف ينصركم ربكم وقد وهبكم شريعة تأمركم بالاتحاد والائتلاف فنبذتم أمـرها ظهريا ووهبكم وطنا سعيدا غنيا كريما فاحتقرتموه وما قدرتموه قدره ووهبكم ذكاء عاليا فاستعملتموه فى دنايا الأمور وصغار الأشياء ٠ أتظنون أن من وهبكم هذه النعم الكبيرة يهبكم الحرية والاستقلال على غير حق ٠ كلا ٠ انه لأعدل العادلين ٠

فهبوا اذا من رقدتكم وقوموا مطالبين بحقوق دياركم واسمعوا الأمم انكم أمة تستحق العناية والرعاية . والا فان كنتم قد اســـتسلمتم للذل والهوان وأذعنتم للمذلة والاستعباد فودعوا الحياة الوداع الأخير وودعوا الحرية والمستقبل المنتظر وودعوا الأمم كافة . وقولوا اننا قد ظلمنا أنفسنا بأنفسنا وما ربك بظلام للعبيد .

هذه كلمات يمليها على فؤادى يترنم الليل والنهار بقول الشاعر العربى :

(لا تســـقنى ماء الحيـــاة بـذلة   بـل فاســـقنى بالعز كأس الحنظل
مـــاء الحيـــاة بـــذلة كجهنـــم   وجهنـــم بالعـز أطيـب منـــزل)

مصر وفرنسا ★

ماذا يرى المصريون الآن فى مسألة بلادهم ؟؟

ان المصريين لم ييأسوا من الخلاص ولكنهم ينظرون الى المستقبل بقلق شديد فان أعمال انكلترا ومطامعها على شواطىء النيل أصبحت مشهورة عند كل انسان وليست مسئلة مصر اليوم بمسألة الاحتلال المؤقت بل أصبحت مسئلة ترك مصر للانكليز ·

فهل تترك أوربا وطننا لانكلترا أم ترده الينا ؟ أما كره المصريين للاحتلال فيتزايد من يوم لآخر · وقد علمنا الآن حق العلم أن انكلترا تستعمل كل الوسائط بما فيها « الشرف البريطانى » للوصول الى غايتها فى مصر وليس لها من غاية هناك سوى الاستيلاء على بلادنا ·

وان الأمة المصرية لساكتة اليوم سكوتا جيدا وصابرة صبر اجميلا ولكن لا أعرف ماذا يمكن أن ينشأ عن حقدها الشديد على الاحتلال والمحتلين ·

وماذا يظنونه فى فرنسا بمصر ؟؟

يسوءنى أن أقول لك جوابا على سؤالك ان احترام فرنسا فى مصر أصبح الى حد معلوم وهو ان لم يكن يتناقص فانه لا يزيد واننا ما شاهدنا من فرنسا فى مصر منذ أربعة عشر عاما الا فشل سياستها المتكرر فمثلا حينما تقررت حملة دنقلة كنا معتقدين أن فرنسا تعمل « عملا ما » ضد هذا القرار ·

وقد انتظرنا ذلك ولا نزال ننتظر ·

وانى أعلم أن فرنسا (١) لا يمكنها أن تعلن الحرب لأجل مصر ولكن مع ذلك

(★) جرى هذا الحديث بين محرر جريدة الليبر بارول الفرنسية وبين مصطفى كامل أثناء وجود هفى باريس فى ١٨٩٦/٩/٧ وتناول فيه الأحداث التى كانت دائرة حين ذاك بالنسبة للآستانة والمسئلة المصرية ·

(١) موقف فرنسا من الاحتلال البريطانى :

أصبحت مصر بعد الاحتلال خاضعة لسلطان دولتى تركيا وبريطانيا فضلا عن الوصاية المالية الثنائية وكان أصعب ما صادف كرومر فى مصر تعدد الادارات والنظم الدولية مثل المراقبة الثنائية

أظن انها مع محافظتها على السلم وبمساعدة الروسيا (٢) يمكنها أن نعمل كثيرا ٠ وفضلا عن ذلك فمن عادة الانكليز ـ وذلك أمر مشهور ـ أن ينصاعوا ويطأطئوا رؤوسهم متى كلمهم خصمهم بصوت عال ٠

« يرون أن أوربا متعصبة ضدهم اذ أنها في كل المسائل المتعلقة بالمسيحيين تنفعل وتجتمع وتنفق للعمل في مصالحهم وتعرف عندئذ الانسانية والمدنية والحق واعتراف المعاهدات ولكن عندما يكون الأمر متعلقا بنا معشر المسلمين فالانسانيـة والمدنية والحق واحترام المعاهدات وكل شيء من هذا القبيل تجهله أوروبا » !!

والامتيازات الأجنبية ، كذلك اعتبرت فرنسا أن احتلال الانجليز لمصر جعل التوازن الدولي في البحر المتوسط أمرا مستحيلا فقلل من تفوق فرنسا في منطقة الشرق الأدنى وقد نجح كرومر في وضع الخطة لابعاد فرنسا عن طريق انجلترا في مصر فألغى المراقبة الثنائية في ١٨ يناير سنة ١٨٨٣ وبذلك خسرت فرنسا نفوذها المتفوق في مصر ولم يعد أمامها أما أن تعلن الحرب على انجلترا أو أن تنسط في تقييدها حتى تمنعها من الاستئثار بمصر ، وقد ساعد بسمارك فرنسا في الرأى الثاني ٠ فحاولت اثارة الدول الكبرى على انجلترا وأيدت الباب العالي في شكواه الدائمة وعضدت الحكومة الروسية في سياستهـا التوسعية الاستعمارية في أواسط آسيا وفي الشرق الأقصى والبلقان ، ثم عارضت فرنسا في الاشتراك في مؤتمر لندن الا بعد أن تحدد انجلترا موعدا للجلاء وحرضت على منع أى اتفاق بين تركيا وانجلترا ٠ ولم تترك فرنسا يد انجلترا مطلقة في مصر الا بعد ابرام الاتفاق الودى سنة ١٩٠٤ اذ تعهدت فرنسا في هذه الاتفاق بألا تعرقل مساعى انجلترا في مصر فلا تطلب تحديد موعد للجلاء في مقابل اطلاق يد فرنسا في مراكش ٠

محمد مصطفى صفوت : مرجع سابق ص ٧٤ ـ ٧٦ ٠

(٢) موقف روسيا من الاحتلال الانجليزى ٠

كانت حكومة القيصر تهتم بكل المسائل الخاصة بالدولة العثمانية وتعتبر نفسها الى درجة كبيرة وريثة الدولة العثمانية في أوربا على الأقل ، وكانت لا تعارض في أن تأخذ انجلترا في أن تأخذ انجلترا مصر بشرط أن توافق على التقسيم ممتلكات الدولة العثمانية ، وحين ثارت مسكلة الرجل المريض سـنة ١٨٧٦ كانت روسية تخص مصر من نصيب انجلترا وسوريا من نصيب فرنسا ، هذا اذا وافقت انجلترا على مشاريع روسيا في تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية ، ولكن انجلترا كانت تقف موقف العداء أمام مشاريع روسيا ، كما دعمت انجلترا الجبهات التي تكونت ضد روسيا ، بل كان رسو الاسطول الانجليزى = = في مياه الدولة العثمانية عقبة حالت دون تحقيق آمال القيصر في البلقان والبحر المتوسط ، لذا عارضت روسيا رغبة انجلترا في التدخل منفردة مع فرنسا في شئون مصر ووقفت أمام رغبتهم في أن تنتدبهما الدول لحل المسألة المصرية ، وأيدت كل رأى ينادى بالتدخل الجماعي ولم ترض بضرب الاسكندرية ولم يسرها انتصار انجلترا في التل الكبير رغم عدائها المعروف مع تركيا ولم يكن اهتمام روسيا أفريقيا بل كان آسيويا وبلقانيا ولذا لم تكن تستطيع أن تثير مسألة مصر جديا خوفا من أن تثير انجلترا مسألة بلغاريا ومنذ سنة ١٨٨٣ كانت ميالة الى مناصرة فرنسا على انجلترا ، وكان لموقف روسيا العدائي وتهديداتها للباب العالي أثر كبير في فشل مشروع دروموند ولف ١٨٨٧ واشتد تأييد روسيا لفرنسا بعد التحالف الروسي الفرنسي في أواخر القرن التاسع عشر غير أن روسيا لم تكن مستعدة لاعلان الحرب على انجلترا من أجل مصر أو فرنسا فلم يكن لها مصالح حيوية في مصر حتى تتخذ هذا الموقف ٠

د / محمد مصطفى صفوت : الاحتلال الانجليزى لمصر وموقف الدول ازاءه ٠ القاهرة ١٩٥٢ من ص ١٧٢ الى ص ١٧٥ ٠

لماذا تجبر أوروبا الدولة العلية على احترام المادة ٦١ من معاهدة برلين « المتعلقة بالأرمن » ومعاهدة هاليبا « المتعلقة بالكريديين » ولا تجبر انكلترا على احترام المعاهدات المختصة بمصر ٠

حديث مع مصطفى كامل ★

دخل الانكليز مصر القاهرة فى يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ومضى عليهم ١٤ عاما لم تسألهم أوروبا فيها الجلاء عنها احتراما لوعودهم المؤيدة لذلك بعد توطيد الأمر الا بكل فتور وبلا جدوى .

قد تكون فى بلاد مصر — التى هى الصلة بين آسيا وافريقيا والتى أصبحت بوضعها الجغرافى وبمدنيتها الزائدة عن مدنيـة غيرها من البلاد الاسـلامية قلب الاسلام — حزب (١) وطنى على رأسه رجال تربوا فى أوروبا وعلى الخصوص فى فرنسا .

ولقد أدرك الوطنيون المصريون بمهارتهم الشرقيـة أسرار السياسة الأوروبية وعرفوا الأسباب الحقيقية التى تجعلها عاجزة عن العمل على تخليص بلادهم . وأخذ يتلاشى من نفوسهم أملهم فى الخلاص على يد الدول الأوروبية . ولكن كانوا حزب صبر وانتظار . ولا يبعد أن يصيروا يوما من الأيام حزب أعمال ذات تأثير فعال .

(★) نشر هذا الحديث فى جريدة الاكلير الفرنسية فى عددها الصادر بتاريخ ١٨٩٦/٩/١٥ .

(١)

شكل فى شكل جمعية سرية قدر لها أن تكون نواة الحزب الوطنى فيما بعد ، وهى جمعية الحزب الوطنى، تزعمها لطيف سليم الحجازى وكان أعضاؤها مصطفى كامل ومحمد فريد ومحمود أنيس ومحمد خلوصى وأحمد الصوفانى وعبد اللطيف الصوفانى .

ثم فى عام ١٨٩٥ ألف الخديو لجنة سرية بالاتفاق مع مصطفى كامل وجماعته بالاضافه الى بعض الفرنسيين الذين كانوا يشغلون مناصب فى مصر ومن بعض الصحفيين الفرنسيين أو ذوى الميول والثقافة الفرنسية وأطلق على هذا الخليط المجابه للاحتلال اسم (جمعية احياء الوطن السرية) وكان من الاسماء اللامعة فيها :

اسماعيل النسيمى — يوسف صديق — محمود سالم — أحمد شـفيق — وجافيو Gavillot الصحفى الفرنسى ونائب الجالية الفرنسية فى مصر ومسيو آن مارى ومسيو جوردان بيترى ومسيو برونت Pront المندوب الفرنسى فى السكة الحديد — ومسيو بونتون رئيس اللجنة المختلطة للدومين والمسيو بروتيير Prutieres رئيس المحكمة المختلطة الابتدائية بالقاهرة .

المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى ١٤ مايو ١٩٥١ .

أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ القاهرة ١٩٣٤ ص ١٩٠ .

أحمد شفيق : أعمالى بعد المذكرات القاهرة ١٩٤١ ص ٣١٤ .

تذكار دخول الانكليز مدينة القاهرة ★
(١٤ سبتمبر)

١ ـ يوم ١٤ سبتمبر :

أى تذكار محزن ! وأى ذكرى تعسة مؤلمة ؟

لقد مضى على الأمة ١٤ عاما وهى مقهورة مضغوط عليها من قوم يلقبون أنفسهم بممدينى العالم وأن الانسان عندما يفكر أن الانكليز مضى عليهم أربعة عشر عاما وهم يهدمون كل بنيان فى مصر ويحاربون أوروبا والمدنية الأوروبية على شواطىء نهر النيل ويقوضون أركان نفوذ فرنسا واحترامها ويقهرون المصريين . كل ذلك ودول أوروبا ما عملت ولم تعمل شيئا ما ضد الاحتلال يظن أن أوروبا تلاشت من على وجه الأرض وان لا وجود لها اليوم .

وليس تذكار ١٤ سبتمبر تذكار حداد للأمة المصرية فقط بل هو أيضا ـ واسمح لى أن أقول لك ذلك ـ عار وخجل على سياسة أوروبا ومدنيتها .

٢ ـ سياسة الانكليز فى مصر من عام ١٨٨٢ :

سار الانكليز فى مصر من عام ١٨٨٢ الى اليوم على سياسة واحدة ما تغيرت قط ، وهى هدم السلطة الخديوية (١) والاستيلاء على الادارة المصرية مع العمل

(★) حديث صحفى لجريدة البرلينرنا جبلاط أكتوبر ١٨٩٦ .

(١) منذ تولية عباس الثانى أريكة الحكم أخذ يرسم سياسته على مقاومة التدخل الانجليزى والتمسك بحقوق مصر وعدم التنازل عن حقوقه وكانت الازمة الوزارية سنة ١٨٩٣ أول احتكاك بين الخديو والانجليز ، فقد حاول الخديو تغيير الوزارة الفهمية الموالية تماما للانجليز والمنفذة لأوامر كرومر ، فانتهز فرصة مرض مصطفى فهمى رئيس الوزارة وأعلن تكليف تيجران باشا رئيسا للنظارة الجديدة ولما أخذ رأى كرومر رفض بحجة عداء تيجران للانجليز ، كما أنه أرمنى مسيحى لا يستطيع قيادة الرأى العام الاسلامى ، حينئذ رأى الخديو أنه يمكن أن يعين رئيس نظارة مسلم دون الرجوع الى كرومر فاعلن اعفاء مصطفى فهمى وتكليف حسين فخرى بتكوين الوزارة ، واعتبر كرومر هذا التصرف قلبا لميزان السلطة =

ضد أوروبا عامة وفرنسا خاصة ولقد كان من سكوت أوروبا أن صارت انكلترا نبالغ في التعدي على الحقوق فهي تعلن اليوم على السنة جرائدها انها تريد شراء الدين المصرى كله والغاء المحاكم المختلطة (١) وكل النظامات الدولية ليسقط بالمرة كل حق لأوروبا في مصر ·

ولم يكتف الانكليز بالتعدي على حقوق أوروبا ومصر بل تعدوا أيضـــا على المسلمين فهم ينشرون بلغتنا رسائل الطعن على الدين الاسلامي ويوزعون في المدارس كتبا تحقر الرسول محمدا (عليه الصلاة والسلام) (٢) ويستأجرون جرائد تطعن ليلا ونهارا على المسلمين وخليفة الاسلام ·

= ومحاولة من جانب الخديو لضرب النفوذ البريطاني وبعد مداولات لتعريب وجهات النظر أعلن الخديو اقامة حسين فخري وتكليف رياض باشا صديق الانجليز لتأليف الوزارة الجديده وكان هذا ارضاء للانجليز مع توجيه نظر الخديو الى بحث أفضل العلاقات الودية مع انجلترا وأن يتبع في المستقبل نصائحها من المسائل الهامة ·

عبد المنعم الجميعي : (مرجع سابق) · من ص ٦٥ الى ص ٧٠ ·

ثم خضع الخديو توفيق للسيطرة البريطانية ولعميد الاحتلال كرومر الذى آمن بان طبيبي حـطط انجلترا في مصر لن يتم الا بتعيين عدد من الانجليز في الادارات الحكوميه المختلفة مما أدى الى تقـوية قبضة الادارة الانجليزية على مصر ، وبالفعل تغلغل النفوذ البريطاني ممثلا في كرومر صاحب اليـد العليا في تسيير شئون الحكومه لجانب موظفيه في المصالح المختلفة فسردار الجيش انجليزى وكبار الضباط من الانجليز كما أن البوليس خضع لاشراف مفتش بريطاني عام كذلك الحقانية من سنة ١٨٩١ خضعت للمستشار القضائي البريطاني كما أن القضاة الانجليز في محكمة الاستئناف والمحكمة الأهلية سيطروا على القضاء المصرى وهكذا استمر النفوذ البريطاني يتغلغل منذ عهد وزارة رياض فنجد أن وزارتي الداخلية والأشغال خاضعتين لوكيلين انجليز والمالية في يد المستشار المالي واستمر الحال كذلك في عهد وزاره مصطفى فهمي وحتى اعلان الحماية سنة ١٩١٤ ·

ـ عبد الرحمن الرافعي : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ١٩٦٢ ص ٢٠ ، ٢١ ·

ـ د· عبد المنعم الجميعي : المرجع السابق ص ٣٠ ، ٣١ ·

(١) بازدياد نفوذ المحاكم القنصلية فيما يختص بمخالفات الرعايا الأجانب في مصر قدم نوبار باشا في عهد اسماعيل مشروع بنقل سلطة هذه المحاكم الى محكمة مختلطة غالبية قضاتها من الأجانب وتم انشاء هذه المحكمة في سنة ١٨٧٥ ومن اختصاصها :

١ ـ الفصل في المنازعات المدنية بين المصريين والأجانب ·

٢ ـ تفصل في المنازعات العقارية اذا كان أحد الطرفين من الأجانب ·

٣ ـ تفصل في المسائل الجنائية بالحكم على المتهمين الأجانب في بعض المخالفات البسيطة ·

٤ ـ أما الجنح والجنايات التى تقع من الأجانب فلا تختص بالحكم فيها بل من اختصاص المحـاكم القنصلية عبد الرحمن الرافعي : عصر اسماعيل حـ ٢ ـ ط ٢ · القاهرة سنة ١٩٤٨ ص ٢٤٠ ·

(٢) عن هذه الكتب يمكن الرجوع الى :

محمد لطفي جمعة : حماة الشرق ، القاهرة ١٩٣٢ ·

حيث عرض أمثلة لهذا وهو كتاب (مهدى الله في تاريخ أحمد محمد الدنقلاوى) وتقديم تشرشل له وطعنه على النبى الكريم وعلى الدين الاسلامي ·
=

ولقد علم كافة الناس أخيرا ان اثنين من الأهالى حكم عليهما بالسجن ثمانية عشر شهرا لأنهما سبا ملكة الانكليز فهل عملا شيئا خلاف الجارى فى مصر ؟ كلا لأن محررى جرائد أخرى « يختلفون عنهما بأنهم ليسوا بمصريين وأنهم يحتمون بالانكليز » طعنوا قبلهما ولا يزالون يطعنون أشد الطعن على سلطان مصر الذى كان خليفة الاسلام • فلماذا عوقب الطاعن فى ملكة الانكليز ولا يعاقب الطاعنون على جلالة السلطان ؟ على انه يجب ان يحترم جلالة السلطان فى مصر أكثر من أى ملك كان لأنه سلطانها الشرعى الذى لا يعارض أحد فى سلطته الشرعية •

وقد يطول بى الكلام اذا أردت ان أعدد لك أعمال الانكليز ضد المسلمين وأن آخر مثل حاضر فى الاذهان هو مسئلة الجامع الأزهر •

٣ ـ أوروبا ومصر :

ومن يوم أن سلمت مقاليد أمور مصر (١) لمحمد على الكبير دخلتها المدنية الأوروبية وسارت فى طريق التقدم معتمدة على اخلاص أوروبا والأوربيين نحوها ولما دخل الانكليز بلادنا لم يكن فيها يومئذ مصرى واحد يمكنه أن يظن أن دولة متمدينة مثل انكلترا تعمل ضد تعهداتها وعهودها بل كان المصريون كافة معتقدين اعتقادا ثابتا أن انكلترا تسحب عساكرها على اثر اخماد نيران الثورة (٢) واستتباب الأمن فى البلاد غير اننا نرى الأمن توطد من سنين والانكليز لا يزالون محتلين • ومن ذلك الحين فقد الانكليز ثقة المصريين • وفقهنا جميعا كنه أغراضهم ولكن أوروبا لم تفقد ثقتنا بها معتمدين عليها مؤملين الخلاص على يديها • ولهـذا اليوم ما عملت شيئا مذكورا وقد كادت ثقتنا بها تزول شيئا فشيئا •

ولقد أصبح اليوم كثير من المسلمين (الذين كانوا فيما قبل أعظم أصدقاء أوروبا) يعتقدون أن أوروبا تحارب المسلمين كافة وبدون استثناء حربا صليبية فى شكل سياسى وفى الواقع أن أوربا حررت فى القرن التاسع عشر أمما مسيحية عديدة (٣) لم تحرر أمة واحدة اسلامية وأن مصر التى هى مجمع المسلمين ومحط

= أما الجرائد التى كانت تحاول النيل من قدر السلطان فهى الجرائد الانجليزية وما سار فى ركابها مثل (المقطم) •

(١) منذ تولية محمد على الحكم سنة ١٨٠٥ •

(٢) يقصد بالثورة العرابية •

(٣) حسب مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ . تم استقلال الدول الآتية . التى تحررت فى القرن التاسع عشر عن الدولة العثمانية :

١ ـ بلاد اليونان سنة ١٨٣٢ •

٢ ـ رومانيا سنة ١٨٧٨ •

٣ ـ الصرب سنة ١٩٧٨ •

٤ ـ الجبل الأسود سنة ١٨٧٨ •

٥ ـ بلغاريا • سنة ١٨٧٨ وتم الاستقلال التام سنة ١٩٠٧ •

أنور الرفاعى ـ شاكر مصطفى مرجع سابق ، ص ٣٤٢ •

... كافة مثال الاعتدال الدينى والاتفاق الحسن مع ... :

« وانبا نرى أن أوروبا لا تعمل ولا تفاخر الا بالجرائم والمذابح فهل تريد أيضا من المصريين أن يستعملوا هذه الأسلحة الدموية لينالوا الحرية والخلاص ؟؟

... لقد أصبح من الأمور ... الحقائق التى لا تنكر أن أوروبا اذا تساهلت وتركت الانجليز ... زمن أيضا كانت الحافرة بيدها لأعمق حفرة بين المسلمين والمسيحيين و كانت المعرضة بنفسها صوالحها وأبناءها الى الخطر .

٤ – المصريون والخديوى :

مما ذكرت لك تفهم مقدار حقد المصريين على المحتلين ذلك لأن الاحتلال مبغض من العموم سواء فى المدائن أو فى الأرياف ...

... فيما أراد خصومه وما يقولوه عنه لكن واثقا من أنه ... المصريين تعلم مقدار وطنيته وما خطته ... الظروف الحالية ... الحقوق المهضومة ...

(١) الخديو عباس حلمى الثانى الذى تولى سنة ١٨٩٢ ...

حديث مع جريدة «برلينرتا جبلاط» ★

١ ــ أترى أغلب المصريين كارهين للاحتلال الانكليزى ٠

ــ نعم ٠ نعم ٠ حقا ان الأمة المصرية لمتألمة كثيرا من أعمال الاحتلال الممقوتة وتؤمل من صميم فؤادها أن تتخلص من ربقة هذا الاحتلال ٠ وأن الاحساس الوطنى المنتشر فى كل بلاد مصر وهو ان لم يكن فى انتشاره وقوته كما هو عند الأمم الأوروبية لكنه قوى ومنتشر بدرجة يثبت معها حب الأمة لحريتها ورغبتها العظيمة فى استرداد حقوقها المقدسة وأن سكوت الأمة المصرية لا يدل على شىء آخر غير اتصافها وتمسكها بالصبر ٠

وقد يستدل بعض رجال السياسة فى دول التحالف (١) الثلاثى بالسكينة السائدة فى مصر الآن على أن المصريين راضون بالاحتلال ويفتكر أولئك السياسيون أنه لو كانت مصر تريد اجلاء الجنود الانكليزية عن ديارها لثارت من زمان ضدهم ولكن هؤلاء السياسيين مخطئون فى هذا الاعتقاد اذ أن المصريين وطنيون صادقون المحبة لبلادهم واذا كانوا يبغضون الاحتلال بغضا شديدا فانهم كذلك يكرهون الجرائم والمذابح ٠ اذا فهم يريدون استرداد حقوقهم بالسكينة والسلم وهم عالمون أن أوروبا المتمدينة لا تزال موجودة فى العالم ولا نزال نحن معتقدين بها مؤملين فيها ٠ ولكن مع هذا وذاك لا أنكر عليك أنه اذا أهملتنا أوروبا زمنا طويلا ولم تجبر انكلترا على الجلاء فيضطر المصريون الى التظاهر بطرق أخرى (٢) غير ما لبثوا عليه السنين الطوال وحينئذ فليست المصالح الانكليزية هى التى تقع وحدها فى الخطر بل يلحق ضررا بالمصالح الأوروبية جميعا ٠

(★) جرى هذا الحديث بالفرنسية بين مصطفى كامل ومندوب جريدة برليزناجبلاط « الألمانية » أثناء وجوده فى العاصمة الالمانية فى احدى رحلاته الاعلامية للقضية المصرية وقد مجدت الصحيفة الزعيم المصرى وباركت خطواته فى سبيل بلاده ٠ على فهمى كامل : (مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا) ج ٥ ص ١٩٩

(١) ألمانيا ــ النمسا ــ ايطاليا ٠

(٢) وهذا التنبوء تحقق فى شكل ثورة عام ١٩١٩ ٠

٢ ـ ماذا يظن المصريون فى خطة ألمانيا نحوهم وماذا ينتظرون منا ؟

لقد أمل المصريون دائما أن الحكومة الألمانية تنضم الى الدول التى لها صالح أكثر من غيرها فى جلاء الانكليز عن مصر تصديقا لتصريح البرنس بسمارك لسفير فرنسا فى برلين سنة ١٨٨٧ لما كان السير درومندو وولف (١) يشتغل فى الاستانة ليتحصل على توقيع جلالة السلطان على الاتفاقية المشهورة بشأن مصر وهو قوله « ان الحكومة الألمانية مستعدة للعمل فى سبيل تحقيق الجلاء عن مصر ، والمصريون يعتبرون هذا التصريح من أهم التصريحات السياسية التى صرح بها من يوم أن احتل الانكليز مصر .

وانى لا أظن ان استعداد الحكومة الألمانية للعمل فى سبيل تحقيق الجلاء الذى كان موجودا فى سنة ٨٧ قد فقدته الآن ولو أن حملة السودان (٢) . لم تقرر الا بعد رضى الحكومة الألمانية التى كانت تؤمل بتجريدها مساعدة حليفتها ايطاليا . بل يظهر لى أنه من الأمور المستحيلة قيام حكومة جلالة الامبرطور غليوم يوما ضد حقوق مصر المقدسة .

---

(١) عندما وجهت ألمانيا أنظارها الى تركيا اتبع الامبراطور الألمانى مع تركيا خطة جديدة ميزتها أنها لا تستدعى منه تكاليف حملة مسلحة وفى الوقت نفسه لا تلقى معارضة مكشوفة من قبل أى دولة أوروبية وحينما رأت ألمانيا استحالة القيام بأعمال عسكرية فضلت عليها سياسة التغلغل السلمى المأمون النتائج ، وقد كان هناك أكثر من سبب يدعو الى ميل السلطان عبد الحميد نحو الالمان الذين لم يظهروا نحوه من العداء ما أظهره الانجليز والدول الأخرى فى قضايا الارمن ومقدونيا وخاصة بعد أن اضطرته انجلترا الى التنازل لها عن جزيرة قبرص اثر انعقاد مؤتمر برلين . وهكذا وافق السلطان نهائيا فى سنة ١٩٠٣ على منح الألمان امتياز مد سكة حديد بغداد ، فبدأت انجلترا وفرنسا وروسيا تحارب تنفيذ المشروع ونشبت أزمات حاده بين السلطنة العثمانية والانجليز حول مد سكة حديد بغداد والحجاز أهمها وأجدرها بالذكر أزمة الكويت وطابة ، توفيق على برو : العرب والترك فى العهد العثمانى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، القاهرة ١٩٦٠ ص ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) كان من مصلحة ألمانيا بقاء مسألة مصر معلقة ومعقده وموضع نزاع بين انجلترا وفرنسا حتى تعمل انجلترا على ضرورة المحافظة على صداقة ألمانيا . وكانت حكومة ألمانيا تعمل على أن تكون سياستها بصفة عامة مبهمة لا تعرف انجلترا بدورها ولا منتهاها ولا مقصدها ، وان يكون تأييدها لسياسة انجلترا فى المناسبات المختلفة حسب ما يتفق والمصالح الألمانية وحين قررت انجلترا بالاشتراك مع مصر ارسال حملة الاسترجاع السودان أعلن قيصر المانيا تأييده لسياسة انجلترا تأييدا تاما ضد فرنسا حتى هددتها بالحرب ووافق القيصر الالمانى على أن تقوم المالية المصرية بنفقات الحملة الى دنقلة كما انه خشى اذا لم يؤيد انجلترا فى مسألة السودان فربما تفكر انجلترا فى تغيير سياستها نحو ألمانيا وتتجه لاصلاح العلاقات مع فرنسا والانضمام الى التحالف الثنائى القائم بين فرنسا وروسيا . كما أن تأييد ألمانيا لانجلترا كان ضروريا أيضا لنصرة ايطاليا صديقتها ، وكانت ألمانيا دائمة الاتصال بانجلترا لمعاونة الايطاليين الذين هزموا هزيمة منكرة من الأحباش ولقد حاولت حكومة انجلترا تبرير حملتها على السودان أمام دول التحالف الثلاثى ألمانيا ـ النمسا ـ ايطاليا برغبة انجلترا فى نصرة الايطاليين المهزومين .
(د. محمد مصطفى صفوت ـ مرجع سابق ص ١٥٠ ـ ١٥٢) .

وها نحن نرى أن الحكومة الألمانية تعمل بالاتفاق مع الدول فى مسئلتى الأرمن وكريد وليس لها صالح مادى خاص فى هاتين المسألتين بل هى تعمل فيهما بقصد توطيد أركان السلام العام واحترام تنفيذ المعاهدات الدولية واذا كان هذا مقصدها الحقيقى فواجب أن تنظر لمصر · اذ لو أقام الانكليز فيها طويلا لكدرو لا شك صفو السلام فضلا عن أن هناك معاهدات يجب احترامها أيضا كما يجب حمل انكلترا على احترامها ·

واننا نظن أن التحالف (١) الثلاثى لو بقى على الحياد لا لنا ولا علينا لنبلغ مع ذلك امانينا لان انكلترا تبقى يومئذ منفردة امام الدولة العلية وفرنسا والروسيا ــ هذه الدول الثلاث التى تطالبها عندئذ أن تحترم عاجلا المعاهدات والعهود العلنية ·

(٣) الاتخافون أن فرنسا تغتال مصر اذا خرج الانكليز منها ؟ (٢)

ــ كلا · فانى عرفت بكل تدقيق حقيقة احساس الامه والحكومة الفرنسيتين نحونا · وأقول جازما أن فرنسا مخلصة النية فى رغبتها لجلاء الانجليز عن مصر · اذن فهى لا تريد بأى صفة كانت احتلال مصر بعد خروج الانكليز منها وهى تقدر كفاءة المصريين حق قدرها وتعلم من جهة أخرى أن مصر بموضعها الجغرافى وبأهميتها السياسية لا يمكن امتلاك أى دولة اياها بل يجب أن تكون حرة وتبقى مفتوحة الأبواب لتجارة العالم كله ولصناعته ·

وان الانكليز يشيعون فى كل مكان ان الفرنساويين انما يعملون للجلاء ليأخذوا محل بريطانيا فى مصر ولكنها أكذوبة ساقطة وخبث النية ظاهرا فيها جليا · فالانكليز بهذه الاكذوبة يريدون أن يغشوا المصريين وأن يبعدوكم أنتم معشر الألمانيين عن الدولة الراغبة للجلاء ·

واننا نؤمل أعظم الأمل أنكم لا تغشون بالأباطيل حتى تساعدونا على استرداد حقوقنا الشرعية المسلوبة » ·

---

(١) المانيا ــ النمسا ــ ايطاليا ·

(٢) هو تخويف للمصريين وارد فى السياسة البريطانية عندما دخلت مصر بادعاء حمايتها ·

مصر وانكلترا ★

« لا يخفى ان حل المسألة المصرية ذو فائدة عظمى لألمانيا اذ لابد لنا أن نهتم بأمر قناة السويس بعدما تقدمت مستعمراتنا فى أفريقية وانتشرت تجارتنا فى الشرق ويهمنا أن تكون هذه الطريق المائية حرة · ولا يشك أحد اليوم أن انكلترا تعمـــل لامتلاك وادى النيل أو بعبارة أخرى لامتلاك قناة السويس ·

وبسبب هذه الاعتبارات أخذت الأمة المصرية تشتغل بمسئلة الاحتـلال · هل ترضى به وتحتمله الى أمد طويل بذلة وهوان · أم تتخلص من ربقة أسرة ؟ ·

ومن الأمور المعقولة والطبيعية قيام كل الذين لا يرضيهم حالة بلادهم الحاضرة لغرض استمالة دول أوروبا نحوهم والعمـــل لتخليص بلادهم ولهذه الغاية نفسها حرك المصريون الوطنيون الساكن من مسئلة الجلاء عن مصر بالخطب والرســائل السياسية واعتنوا بنشر أفكارهم فى كل أصقاع أوروبا ·

(١) أى مأمورية سياسية أنت مكلف بها فى حضورك الى برلين ؟؟

« أنى مكلف من لقاء نفسى وبواجبى الوطنى بمأمورية وطنية محضـة يدفعنى اليها الاحساس النفسانى فانى لما فكرت فى الحالة التعسة التى فيها وطنى وشعرت من نفسى بأننى انسان عليه واجبات لأرض آبائه وأجداده رأيت بعـــد التروى مع أصدقائى الوطنيين أن آتى لأوروبا · وقد مضى على عاما وأنا مشتغل بعملى هذا مدافعا عن قضية بلادى ضد الانكليز المحتلين لها بالرغم من المعاهدات الصريحة القطعية وأعظم التعهدات العلنية صراحة ·

ولقد وجدت اينما كنت تعضيد محبى « الحق والعدالة » وهم لله ليسوا بالقليلى العدد فى أوروبا · وانى أخاطب الأمم والحكومات وسواء سمع صوتى الآن أو بعـد

(★) حديث صحفى أجرته صحيفة ذى بوست الالمانية مع مصطفى كامل فى صورة أسئلة يجيب عنها ونشر ذلك بتاريخ ١٧ أكتوبر ١٨٩٦ ، بعد مقدمة تعمر بالثناء عليه ·

الآن حتى لو كان سماعه بعد موتى فانى عامل ما عشت لأداء واجباتى نحو وطنى وانادى كل ذوى الضمائر الحرة من جميع الامم للعمل لانقاذ مصر ·

ومع كونى لا أعرف من اللغة الألمانية الا بعض كليمات فانى جئت برلين لأسمع صوت مصر المضغوط عليها لأنه لا يهم الناس اللسان الناطق به الانسان ما دام موضوع كلامه حقا وصدقا وانى أظن انكم لا تبخلون بأميالكم لأمة جديرة بالرعاية والعناية مثل الأمة المصرية ·

(٢) هل فقد الانكليز حقيقة ثقة المصريين واصبحتم فى يأس من أن يقوموا بوفاء وعودهم ؟

ـ أجل لقد فقد الانكليز ثقة المصريين وأصبحنا جميعا لا نظن انهم يقومون يوما ما من تلقاء أنفسهم بوفاء وعودهم وأن ثقة المصريين بالانكليز كانت فى بدء الاحتلال كبيرة لأننا لم نكن نحسب مطلقا أن أناسا متمدينين ينسبون لأمة بلغت من العظم والمرتبة مبلغ الأمة الانكليزية ينقضون وعودهم ويتظاهرون باحتقـــار شرفهم وشرف الأمم الأخرى بأشد ما يمكن من ضروب الاحتقار علنا · نعم اننا ما كنا نحسب قط أن الانكليز يتاجرون بشرف البرلمان الانكليزى وبشرف جلالة الملكة وهاهم الآن أولئك الذين دخلوا مصر ليعيدوا الامن فيها ولينجلوا عنها بعد زمن قليل أصبحوا يدعون أنهم حماة النيل !!

وان سوء مقاصد الانكليز نحونا أصبح واضحا تمام الوضوح حتى الأحرار (١) الذين يجاهرون بأنهم نصراء الجلاء هم خبيثو النية وليسوا فى الحقيقة الا (انكلبزا) أقل صراحة من غيرهم وأن الحوادث الاخيرة أتحفتنا بأعظم البراهين على ذلك ·

ولقد كتب لى المستر غلادستون فى الشتاء الماضى كتابا سياسيا صرح فيــه « بأن زمن الجلاء عن مصر قد حان منذ أعوام أى أنه كان يجب ولا يزال يجب على الانكليز أن ينجلوا عن مصر · وبناء على هذا التصريح العظيم الاهمية الفريد فى بابه كتبت أخيرا الى المستر غلادستون أساله أن يلقى خطبة على مصر يذكر فيها حكومة الملكة بأن هنالك معاهدات يجب عليهــــا احترامهـــا على شـــواطىء النيل لأن المستر غلادستون يجب عليه أن ينصح حكومته باحترام المعاهدات التى يجب عليهـا احترامها قبل أن ينصحها باجبار تركيا على احترام المعاهدات المختصة بها وبرعاياها ·

وقد كنت انتظر أن المستر غلادستون يقبل رجائى الا انه أجابنى بأنه شخص ككل الاشخاص المجردين من كل حيثية وسلطة فلا يسوغ له التداخل فى مسألة مصر مع أن المستر غلادستون هو بعينه وبصفته احد الافراد المجردين عن كل ســـلطة وحيثية يتداخل ويتداخل فوق ما يلزم فى مسألة الأرمن · وهذا مما يثبت ســوء نيات الانكليز حتى القائلين منهم بضرورة الجلاء عن مصر ·

---

(١) نقصد الأحرار بانجلترا مثل غلادستون ·

(٣) هل احساس الخديو نحو الانكليز على مثل احساسات أمته نحوهم ؟

حقا أن الخديو لا يريد الا أن يكون حاكما حقيقيا فى بلده فضلا عن كونه مصريا يحب وطنه حبا صادقا • وهو يريد أن يكون جالسا على أريكة ملكه وأميرا على بلده ولا يقبل بحال من الأحوال أن يكون تحت حماية أى دولة أجنبية ومنذ ما استلم زمام الخديوية أظهر علنا وبكل صراحة احساساته الوطنية الشريفة وبذلك أوجد فى مصر تيارا وطنيا يقوى ويزداد من يوم الى آخر وهذا التيار هو اليوم أقوى منه فى سائر الازمان • وكل الذين يعرفون اخلاقه وصفاته يعلمون جيدا ان خطته الحالية لا تشير الى تجدد ضعف عنده ولا تدل على تنازله عن حقوقه ولكن تدل على أنه صابر يرقب الفرص والحوادث •

وأننا معشر المصريين نعلم جميعا أن خديوينا المعظم يفكر دائما فى تاريخ عائلته الكريمة المحتد ولا يغيب عن ذاكرته قط مجد جده « محمد على » الذى طرد فى أول هـذا القرن (الانكليز) المحتلين بذلتهم (١) • عنـدما حاولوا أن يسلبوا مصر وان عباس باشا لجدير بأن ينال هذا الفخار •

وبالجملة فأننى معتقد بأن الخديو عباس باشا لايعتبر للحياة قيمة فى جانب المحافظة على حقوقه التى هى اقدس شىء عنده خصوصا اذا كانت المحافظة على هـذه الحقوق مرتبطة بمحبة امته اياه وبشرف عائلته المجيدة •

(٤) هل من الجائز أن بغض المصريين للانكليز يتحول الى بغض كل الأوروبيين النازلين فى مصر ؟

حقا ان هذا السؤال لمن أهم الاسئلة • فان الامة المصرية عاشت من عهد المغفور له محمد على الى هذا اليوم مع الأوروبيين على أكمل وفاق وأصفى وداد والأوروبيون والمصريون يخلصون لبعضهم فى المحبة ولا خلاف يفرقهم ولقد كان دائمـا تساهلنا الدينى أحسن موفق بيننا وبينهم ومودتنـا للأوروبيين مستمرة لا تتغير ولمبـدأ الذى جرى عليه ابناء وطنى دائما مع النزلاء هو « أحرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا » •

ومنذ احتلال الانكليز لمصر اتفقنا معـاشر المصريين ونزلاء بلادنا فى المطالب والأمانى • وانا نعلم علم اليقين أن مصالحنا ومصالحهم متحدة ضد مصـالح الانكليز وأملنا أن أوروبا تخلصنا من يد هذا الاحتلال الثقيل فتزداد بذلك محبتنا للأوروبيين وتعظم ألفتنا مع نزلاء بلادنا منهم •

اذن فان أوروبا اذا أجابت نداءنا وحققت أمانينا ومطالبنا وحمـلت الانكليز

(١) حملة فريزر سنة ١٨٠٧ م

ـ وهى قادرة ــ على احترام المعاهدات بقى الاتفـاق والوئام بين المصريين والنزلاء الاوروبيين تامين كما هما الآن بل واتم · اما اذا أهملت أوروبا زمنا طويلا حل المسئلة المصرية فأمتنا تضطر عندئذ للاعتقاد بأن كل أوروبا موافقة على الاحتلال راضية بـه وانما تبغض كافة المسلمين بغضا دينيا ومتحاملة عليهم · وهذا يحمل الأمة بالطبع على كره الأوروبيين عموما كرهها للمحتلين · وهذه نتيجة خطرة من البديهى أن أوروبا لا تعمل للوصول اليها ·

المسئلة المصرية

(حديث سياسى) (*)

« نعم اننا متألمون من الاحتلال الانكليزى لأنه مسقط لكرامتنا باعتبارنا أمة فضلا عن كونه مخدشا لبلادنا حسا ومعنى فاننا أمة نقدر محبة الوطن حق قدرها ونعلم أن بلادنا مادامت تحت نير الاحتلال الأجنبى ومادمنا لا ندير شؤوننا بأيدينا فلا حق لنا فى أن نحسب انفسنا أمة من الأمم التى لها حقوق محترمة ولهذا نرغب من صميم افئدتنا التخلص من الاحتلال الانكليزى ولقد وعدت انكلترا أوروبا بالجلاء عن مصر ونطق وزراء الانكليز بذلك فى تصريحاتهم العلنية المتكررة وضمنت أوروبا بالمعاهدات التى عقدتها مع الدولة العلية حقوق الخديوية فمن الواجب احترام هذه الحقوق . وأوروبا التى نسأل اليوم جلالة السلطان احترام المعاهدات يجب عليها أن تسأل انكلترا قبل كل شىء هذا السؤال .

ولما كانت الامة المصرية متألمة ولها حقوق الخــلاص من النير الانكليزى فترى للوصول الى غرضها سبيلين . سبيل الثورة والسبيل السلمى .

فأما سبيل الثورة فنحن لا نريده لاننا قبل كل شىء قوم مشـــهورون بالدعة وحب السكينة ونبغض المذابح والجرائم ومن جهة أخرى فأن لاوروبا عندنا مصــالح قد تضربها الثورة .

وحيث كنا نحترم حقوق أوروبا ومصالحها فى مصر وربما أن الأمة اذا ثارت ضلت عن سبيل الرشاد فلا تمييز بين الانكليز وغيرهم من الأوروبيين اذ تقول وقتئذ « لقد تظاهرت أوروبا ضدنا بموافقتها على الاحتلال فمن الواجب اذا العمل ضدها « لذلك اعرضنا عن سبيل الثورة الذى نكرهه بفطرتنا » .

وعلى ذلك قد اخترنا السبيل السلمى ورفعنـا صــــوتنا الى مسامع أوروبا المتمدنة بمطالبنا الحقيقية . وان الساعة قد أذنت ولا محالة وتحتم على أوروبا أن تكره الانكليز على الجلاء عن مصر .

(*) حديث مع جريدة الاكسترا تاجبلاط النمساوية ابان تواجده بالنمسا من ٢٤ أكتوبر حتى ٣٠ أكتوبر ١٨٩٦ اذ سئل عن موضوع (المصريون والاحتلال) فكانت اجابته .

ولقد كان الاجدر بانكلترا ان تثبت عدالتها ومحبتها للانسانية بوفاء عهودها ووعودها والجلاء عن مصر لا باظهار محبتها للأرمن وشفقتها ٠٠ عليهم !!

ومن الوجهة الادارية نرى الانكليز قد أضروا بمصر ضررا بليغا حسا ومعنى فهل الانكليز لا يزالون محتلين القطر المصرى لاعادة الأمن الى ربوعه ؟؟ كلا ٠ فان الأمن قد تأيد فى مصر بعد مضى أيام قليلة من سجن عرابى وأنه يكون من العار العظيم على الانكليز ان يدعو بأن الامن لم يتأيد مع احتلالهم لمصر ١٤ عاما ٠

أو هل الانكليز محتلون الديار المصرية الآن لتقوية سلطة الخديو على اريكته ؟؟ كلا ٠ فأنه لم ينل أمير من امراء مصر احترام شعبه ومحبته مثل ما نال منها خديونا الحالى عباس الثانى وان الانكليز هم وحدهم الذين يعملون فى مصر ضد سلطته فلا يستطيع أن يستعمل أول حق من حقوق الولاية والملك الا وهو حق اختيار الوزراء الذين يديرون شؤون البلاد بأسمه فأن انكلترا هى التى تسميهم له وقد اعترضوه اعتراضا وقحا لما لاحظ على جيشه بعض الشىء الذى رآه وبالجملة فهو لا يمكنه اليوم أن يعمل ضد رغبة الانجليز (١) وحتى لا يمكنه أن يزور باريس بصفة غير رسمية الا وتسبه وتتطاول على مقامه السامى الجرائد الانكليزية البذيئة

---

(١) ٠٠ اهتم الخديو عباس الثانى بامر الجيش منذ اعتلائه الاريكة الخديوية ، فوطد صلته به ، وآمر بترقية الكثير من الضباط المصريين ، وكان يشهد المناورات الحربية بنفسه ، ويقوم بالتفتيش على الثكنات . مما أغضب اللورد كتشنر Kitchener سردار الجيش المصرى ، فاحتج لدى كرومر ، واستقر الأمر على انتهاز أول فرصة لخنق اهتمام الخديو بالجيش . لكنه تمكن بعد تعيينه الفريق ماهر باشا فى وكالة الحربية من الوقوف على حقيقة أحواله علاوة على بثه بعض العيون فى فرقه ووحداته التعليمية ٠

وبمناسبة الاحتفال بعيد الجلوس الخديوى فى ٨ يناير ١٨٩٤ سافر فى اليوم التالى للاحتفال الى الصعيد لتفقد أحوال الجيش المرابط فى أسوان وجنوبها يصحبه عمه الأمير أحمد فؤاد ومحمد ماهر باشا ٠ وكبار رجال المعية ، حيث كان الضباط المصريين قد قدموا اليه شكوى من سوء معاملة قائدهم ٠٠ ويروى أن هناك سببا آخر للسفر ، هو علم الخديو بخطة سرية أعدها كتشنر ، وتتضمن ارسال جيش لمحاربة التعايش ويبدو انه كان فى نيته توجيه الانتقادات للضباط الانجليز الذين يشرفون على الجيش المصرى ، فكان استعراضه قوات الجيش فى وادى حلفا فى ١٨ يناير ١٨٩٤ مبديا انتقاداته وملاحظاته على سير الاورطتين الثانية والحادية عشر ، وطلب القومندانات بآخر الطابور وأبدى لهم ملحوظاته . ثم القى خطبة على مسامع الضباط انتقد فيها طريقة التعليم التى ينتهجها الضباط البريطانيون ازاء الجيش المصرى ٠٠ فثار كتشنر مدعيا امتهان كرامة الضباط الانجليز ، وقدم استقالته وحاول الخديو اثنائه عنها وان ما وجهه أمر يراه كمصرى وكقائد للجيش ٠٠ ولم يقصد سوى لفت نظر القائدين الى ضرورة السهر على الكمال والنظام وفعل ذلك مدفوعا بحبه لجيشه ٠٠ ولكن كتشنر صعد الأمر وافتعل أزمة حادة بما يوحي بها كنية مبيتة وصور لكرومر أن الأمر غاية فى الخطورة وأوصى له بمناسبة الفرصة لعزل ماهر باشا المناوىء للانجليز ٠٠ واستكمالا للتصعيد أحيطت الحكومة البريطانية علما ـ وجاء ردها يعبر عن الاستياء فكان التهديد بخلع الخديو اذا لم يعتذر ويسحب انتقاداته ، وأصر كرومر على ذلك ولم يسع قنصلى فرنسا والروسيا سوى التوفيق بين الطرفين وازاء التهديدات أبلغ الخديو اعتذاراته وترضيته كرومر ، فى تصريح رسمى باللغة الفرنسية والعربية ، الأمر الذى أصاب نفوذه بضربة قوية وتصدعت هيبته بالنفوس ٠

د٠ عبد المنعم الجميعى / مرجع سابق ص ٧٨ الى ص ٨٩ ٠

وفضلا عن ذلك فان للانكليز فى مصر جرائد ينقدونها أجرة الطعن على الأمير والعمل للغض من واجب احترام مقامه فى أعين الامة ولا يمكن أن يحسب راضيا بهذه المعاملة ولكنه متبصر وصبورا على أنه لا يوجد عند الأمة شيء أقدس من كلمة الأمير لو أراد شيئا .

أو هل الانكليز محتلو مصر لتربية المصريين وتعليمهم شئون بلادهم ؟؟ كلا . فان أعمالهم جميعا تثبت عكس ذلك . انهم يقفلون المدارس فى أوجه الطلاب . وها هى مدرسة الطب أوضح مثال فقد كان عدد تلامذتها قبل الاحتلال اكثر من مائتى طالب ولكنهم الآن لا يزيدون عن التسعة وهم يفسدون اخلاق التلامذة حيث يطلعونهم على الجرائد الانكليزية المملوءة طعنا على الامير والوطن المصرى ويعطونهم كتب تاريخ تسب الرسول وتسخر بالعقيدة الاسلامية وبالجملة فهم يربونهم على أن ينكروا وطنهم ويجحدوا قوميتهم كل الجحود ويكونوا خدما وعبيدا للانكليز . وفى الادارات (١) والنظارات استولى الانكلير على أهم الوظائف حيث ابعدوا الوطنيين منهم وقربوا الاجانب والدخلاء الذين يسهل عليهم قيادتهم وربما قربوا بعض السذج والخونة من الوطنيين ليتبتوا بذلك كله ان مصر غير قادرة ان تحكم نفسها بنفسها .

أو هل الانكليز محتلون مصر لسعادة الفلاحين وخيرهم ؟ كلا . فالانكليز يحتقرون قبل كل شيء المصريين احتقارهم للمعاهدات وانى أقدم لكم مثلا على ذلك . ذهب يوما من الايام أحد عمال مصلحة التلغراف يحمل نسخة تلغراف الى مهندس انجليزى فلما قدمه اليه سأله آداء لوظيفته أن يمضى على وصول الاستلام فرفض الانكليزى وكرر ساعى التلغراف الطلب لانه لابد ان يأخذ وصل الاستلام بمقتضى وظيفته فما كان من الانكليزى الا ان تناول بندقيته واطلقها على المصرى المسكين فسقط مضرجا بدمائه . ولم يعاقب السادة الانكليز هذا المهندس الا بنقله الى الهند !! (٢) .

ولا تنس المحكمة المخصوصة التى تحكم فى المنازعات التى تقع بين المصريين والعساكر أو البحارة الانكليز وهى تحكم لغاية الاعدام بلا قانون وتأمر بتنفيذ حكمها فى الحال فينفذ .

---

(١) انظر الى تعليقنا على حديث ١٨٩٦/٩/١٥ .
حاشية رقم ٢ ، ص ٢١٩ .

(٢) وقع هذا الحادث فى سنة ١٨٩٦ ذلك ان أحد عمال مصلحة التلغراف قد حمل تلغرافا الى مهندس انجليزى بالجيش البريطانى ، ولما طالبه ساعى التلغراف بالتوقيع بالاستلام رفض المهندس الانجليزى ولما كرر ساعى التلغراف طلبه بالتوقيع أطلق المهندس بندقيته عليه فارداه قتيلا .

والغريب ان المحكمة المخصوصة بدلا من معاقبة الجانى برأته وبنت حكمها على أن القتيل قد أثار المتهم مما دفعه الى ذلك التصرف .

واكتفت المحكمة بنقل الضابط الى المستعمرات الانجليزية بالهند . ولم يكن تصرفها بابعاد الضابط المهندس عن البلاد حرصا على مشاعر أهل القتيل بل حرصا على المحافظة على حياة هذا الضابط التى هى أثمن فى نظرهم من حياة أى مصرى .

جريدة المؤيد اليومية ٣٦ يونية سنة ١٨٩٧ العدد ٢٢١٠ .

وأما من حيث الوجهة المالية فلما كان الانكليز مضطرين لدفع مرتبات باهظة لموظفيهم قد أعلوا الضرائب حتى أصبحت مصاريف الادارة المصرية سبعة ملايين من الجنيهات خلافا لاتفاقية (١) لندرة التى تحددها بخمسة ملايين فقط ·

وديون الفلاحين لم تكن قبل الاحتلال الانكليزى الا سبعة ملايين جنيها بلغت اليوم أكثر من اثنين وعشرين مليونا ·

أم هل الانكليز محتلون مصر اليوم لمصلحة أوروبا ؟؟ كلا · ثم كلا · فأن أول غرض للانكليز من احتلال مصر هو تقويض أركان النفوذ الاوروبى لا ليعود ذلك على مصر بالاستقلال فى المستقبل ولكن ليحصروا القوة فى ايديهم ·

ولقد أفزعت تصرفاتهم المالية حملة القراطيس (٢) المصرية وتراهم اليوم « أى الانكليز » يجتهدون فى الغاء المحاكم المختلطة التى هى أعظم ضمانة لاوروبا فى مصر ·

ومن جهة أخرى يجب أن لا ننسى المسئلة الجارية فان للانكليز فى الجمرك وزانين وعيارين ولست فى حاجة لأن أقول لك أن التجارة الانكليزية هى المميزة بجملة مزايا خصوصية ·

وبالاختصار فأن انكلترا محتلة القطر المصرى لمصلحتها الخصوصية ليس الا · وان كانت أوروبا تريد تحقيق السلام وضمانه حقوقها وانصاف أمة متمدينة معتدلة كريمة فعليها وجوب حمل الانكليز على الخروج من وطننا فى أقرب وقت والسلام » ·

---

(١) عقدت هذه المعاهدة فى ٥ يوليو سنة ١٨٤٠ بين انجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا وتركيا ولم تذكر هذه المعاهدة بالتحديد قيمة الجزية السنوية التى تدفعها مصر الى الباب العالى ولكن فى ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ صدر فرمان حدد قيمة هذه الجزية وهو أن ربع ايرادات الحكومة المصرية الحاصل من دخل الجمارك والخراج والضرائب يرسل الى خزينة الباب العالى ويخصص الثلاث الارباع الأخرى لشؤون مصر من نفقات الجباية والادارة العسكرية والمدنية وحاجات الحكومة والغلال ·

ويبدو أن مصطفى كامل حدد مبلغ الخمسة ملايين جنيه الخاصة بمصاريف الادارة المصريه من واقع الدخل الحاصل فى الخزانة والذى وجده بها فى هذه السنة ١٨٩٦ ·

(عبد الرحمن الرافعى — عصر محمد على ، القاهره ١٩٥١ ، ص ٣٣٤ ، ص ٣٦٤ ·

(٢) بدأ العمل بنظام الأسهم منذ نهاية ١٨٧٦ من خلال المراقبة الثنائية الأولى وهى الفترة التى بدأت بين صدور الأمر الخديوى بفحص مالية مصر وبين تأليف الوزارة الأوربية فى أغسطس ١٨٧٨ والتى تولى فيها موظفون أوربيون مالية مصر لصالح حملة السندات وان كانوا ظاهريا فى خدمة مصر وظهرت كفاية هذا النظام فى السرعة التى تم بها دفع فوائد شهر يناير وقد أدى ذلك لوقوف الأعمال الصناعية على اظهار أموالهم عنوة ثم تسريح عدد من رجال الجيش وحبست مرتبات الموظفين ·· ويقول روزشتين « ··· ان التقريرات الواردة من أنحاء القطر متفقة على أنه قد عمل بجمع ايراد السنة المقبلة قبل دخولها !! وقد تابع هؤلاء استخراج ربح الدين من الفلاح المصرى والحكومة المخربة ·

وبعد أن وضعت انجلترا يدها على مصر رسميا وتولى لورد كرومر الأمر فيها عمل على تشكيل لجنة هو أحد أعضائها لتغطية ما تراكم من الديون السائرة وتعديل قانون التصفية وقد رأت اللجنة أن السبيل الوحيد لحل مشكلة الديون هو تخفيف أرباحها بمقدار ½٪ أو بعبارة أخرى اعلان افلاس جديد وقد وضع كرومر نصب عينه تركيز عنايته الى الادارة المالية وكذلك عنى بكل ما له صلة مباشرة به ·

— تيودور روزشتين ، ترجمة عبد الحميد العبادى ومحمد بدران ، تصول فى المسالة المصرية ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٢٦ ·

حديث عن المسألة المصرية ★

« لا تظن يا حضرة المكاتب ان المسلمين يكرهون المسيحيين أو فى نفوسهم شىء من البغضاء لهم · وان الذين يصرخون فى أوروبا بتعصب المسلمين الدينى انما يضرون اعظم الضرر بمسيحى الشرق فاذا تساهلت أوروبا زمنا طويلا وأغضت عن الكتابات والخطابات العدائية ضد الاسلام اضطر المسلمون عندئذ ان يجزموا بأن أوروبا قاطبة متعصبة ضدهم محاربة لهم حربا دينية وان نتيجة انتشار اعتقاد كهذا الاعتقاد فى العالم الاسلامى لعظيمة الخطر على العالم كله ·

وماذا تقولون معشر الاوروبيين اذا قام اليوم علماء الاسلام وقلدوا قسوس الانجليز والقوا فى الجوامع والمساجد الخطب الدينية ضد النصرانية والنصارى وحرضوا هذه الأمم التى يبلغ عددها ثلاثمائة مليون من النفوس ضد المسيحيين ؟

ولقد رأيت بنفسك يا حضرة صاحب المكاتب فى الحوادث الاخيرة برهانا واضحا على عدم تعصب المسلمين ضد المسيحيين فهل نال أحدا من الاوروبيين شىء من الاذى ؟؟ كلا ثم كلا انما بغض الأرمن وان كان شديدا فانه طبيعى لأن هؤلاء القوم الذين كانوا فى رغد تام من العيش وفى نعمة زائدة لم يجدوا وسيلة يظهرون بها امتنانهم للدولة العلية غير الثورة والجرائم والمذابح !! فاؤلئك المجرمون هم المسؤلون وحدهم عن مصائب اخوانهم الارمن الذين ماتوا أبرياء وذهبوا ضحية عمل فريق منهم ·

واذا كانت أوروبا تريد حقيقة العمل للتوفيق بين المسلمين والمسيحيين فعليها أن تجبر انكلترا على احترام المعاهدات وحقوق السلطان فى مصر التى هى من الخلافة الاسلامية روحها وقلبها · واعتقد يا حضرة المكاتب أنه متى انحلت مسئلة مصر لا يكون لانكلترا فائدة من الآن فى دس الدسائس للدولة العلية ··

(★) أجرى هذا الحديث مع جريدة فرنكفور تركورييه الالمانية اثناء وجود مصطفى كامل بالاستانة فى ٣ نوفمبر سنة ١٨٩٦ ·

او ليس من الغرائب أن أوروبا المتمدينة تهمل حمل انكلترا على احترام حقوق السلطان في مصر ثم هي بنفسها أوروبا التي تســـأل السلطان نفســـه احترام المعاهدات ؟؟ ·

أما الجواب على سؤالك لي عن نفوذ خليفة الاسلام المعنوي بين الأمم الاسلامية فقطعي لا ريب فيه · وان للخليفة الاسلامي نفوذا هائلا لا يدركه الفكر بين كل الامم الاسلامية · واذا كان يوجد في أوروبا أناس يقولون عكس ذلك فانهم يغشون أوروبا ليلقوها في هاوية خطر عظيم ·

ويكفيني أن أقول لك أن كلمة واحـدة من جلالة الخليفـة تكفي لتسيير الأمم الاسلامية كلها في أي سبيل يشاء فليتيقظ لذلك الامر محبو السلام في أوروبا ·

كشف الغطاء عن دسائس الانكليز ★

السياسة ذات الوجهين

ما هى احساسات المصريين نحو الانكليز ؟

ان عموم المصريين كارهون للاحتلال الانكليزى وهم يعتقدون اليوم ان غـــاية السياسة البريطانية امتلاك كل وادى النيل ٠ ولذلك فقدوا الآن ما كان عندهم من الثقة فى وجود الانكليز ٠ وبالاختصار فقد تعلمنا من الاحتلال الانكليزى أن نعتقد بأنه لا شرف ولا دمة فى السياسة ٠

ما هى رغائب الوطنيين المصريين أو الحزب الوطنى فى مصر ؟؟

ان الحزب الوطنى (١) فى مصر هو عبـارة عن الأمة بأسرها تجاه الاحتـــلال فرغائبه هى رغائبها ٠ وأهم هذه الرغائب تحقيق الجلاء عن مصر من غير أحداث (٢) أى اضطراب أو أى أمر من شأنه تكدير الامن العام ٠

ولهذا الغرض قمنا نستلفت أنظار أوروبا الينا بالقلم واللسان ولسنا بغير القلم واللسان نريد أن نخاطب أوروبا ونستفزها للنظر فى مصلحة بلادنا ٠ أما الانكليز الذين يدعــون أنهم احتلوا مصر لتأييد الأرمن فيها فانهم يعملون جهــد استطاعتهم لاحداث اضطرابات فى البلاد فهم يجتهدون فى اهاجة خواطر المسلمين ضد المسيحيين وينشرون رسائل تطعن على الدين الاسلامى وتدعـــو المسلمين لاعتناق النصرانيـــة ويطعنون فى جرائدهم على خليفة الاسلام الذى له فى مصر سلطة معنوية لا يحدها العقل ٠ كل هذا مع احتقارهم لسائر النظامات والقواعد الشرعية ٠

(★) حديث مصطفى كامل الى جريدة نيويورك هيرالد فى ١١ نوفمبر سنة ١٨٩٦ :
علقت الجريدة أهمية على زيارة مصطفى كامل للاستانة فى تلك الفترة المحدوده سابقا واعتبرتها فرصة سانحة لاظهار ولاء المصريين للباب العالى بعد اشاعة الفتور فى العلائق الخديوية بالعرش العثمانى ٠

(١) هكذا كانت فكرة تكوين حزب وطنى تراود مصطفى كامل ، على أساس ضرورة ايجاد تجمع وطنى منظم تقف فى وجه المحتل يحمل اسم أول حزب وجد عام ١٨٧٩ ، (زكريا سليمان : الحزب الوطنى ص ١٩) ٠

(٢) كان مصطفى كامل فى جميع مراحل كفاحه يبغض العنف والثورة فى تحقيق الجلاء ٠

ولذا كان عمل كل وطني صادق في مصر موجها الى تسكين خواطر الأمة التى من الجائز أن تثور يوما بسبب تحريضات شيعة الانكليز ·

ولكن قل لى لماذا يرغب المصريون فى الجلاء والانكليز يشيعون أنهم فى أرغد عيش تحت سلطتهم ؟؟

ـ أننا نعمل للجلاء أو تحرير وطننا أولا لأننا نشعر بواجباتنا وحقوقنا ونعتقد ان من واجباتنا القيام بمثل هذا العمل الشريف وأن فينا من الحياة ما يكفى لتمتعنا بكل حقوقنا ·

أما ما يشيعه الانكليز من اننا سعداء تحت سلطتهم فهذا كذب قام بدحضه البرهان اذ الحقيقة أن المحتلين فرقوا مصر أحزابا حسا ومعنى ·

هل لك أن تقول لى ما هى خطة مصر بازاء الدولة العلية (الجواب على هذا السؤال وعلى الذى بعده هما ولاشك بيت القصيدة من هذا الحديث) ·

أن سياسة مصر نحو الدولة العلية ـ وهى السياسة التى يجرى عليها الوطنيون المصريون هى سياسة حسن التقرب منها وتوطيد العلاقة الحسنة على قدر الامكان بين التابع والمتبوع ·

. فالتاريخ ينذرنا بألا نتبع سياسة أخرى غير سياسة المحاسنة لأنه اذا كان الانجليز فى مصر الآن فالسبب فى ذلك ولاشك هو النفور والخصام اللذان كانا مستحكمين قبل الاحتلال بين جلالة السلطان (١) والخديو السابق توفيق باشا · ولقد نجح الانكليز فى التفريق بينهما بالسير على سياسة ذات وجهين ، فأفهموا جلالة السلطان وقتئذ ان خديو مصر عدو له يعمل لاسقاط جلالته عن عرش الخلافة ليجلس هو عليه كما سعى لذلك من قبله جده الاكبر (محمد على) وافهموا المرحوم توفيق باشا من جهة أخرى ان السلطان يعمل ضده ويسعى لعزله عن كرسى الخديوية ليعد مصر ولاية عثمانية كما كانت عليه من قبل العائلة الخديوية ·

---

(١) لم ينظر الى الخديو توفيق فى الآستانة بعين الرضا والعطف لأن السلطان عبد الحميد لم يغفر له عدم ذهابه الى عاصمة السلطنة حين ولايته الحكم ليقدم له فروض الولاء ، وكان السلطان العثمانى قد انتهز فرصة تولية توفيق بعد اسماعيل وحاول ان ينقص من حقوق البلاد السياسية وهى الحقوق التى حددها فرمان سنة ١٨٧٣ وكان يعتقد أن الحقوق التى منحها لاسماعيل لا داعى أن يتمتع بها خلفه الذى لا يروق له لا سيما وأن اسماعيل لم يحسن استغلال الامتيازات التى منحت له لهذا وجد السلطان فى الثورة العرابية فرصة سانحة للتدخل فى مصر وانتقاص من سلطة الخديو بدليل انه ارسل وفد عثمانى بقيادة على نظامى باشا بعد واقعة عابدين دون علم الخديو أو دون استشارة مصر فى ذلك فى ٦ أكتوبر سنة ١٨٨١ ·

(د· مجيد مصطفى صفوت ـ مرجع سابق ص ٢٩ ، ٣٠) ·

فلما قامت مسئلة عرابى رأى الانكليز من تمام المهارة ومن وسائل توسيع خرق الشقاق أن يبرهنوا للخديو على كراهة السلطان له فسعوا عند الخليفة سعى الصديق حتى حلوه على تقليد عرابى بالنيشان العثمانى الاول !! ومن هو عرابى ؟؟ هو الذى كان يدعى يومئــذ بأنه المدافع عن حقوق السلطان فى مصر • وهـذا الأمر أوغر صدر المرحوم توفيق باشا والقاه فى حضن الانكليز • وها هم الانكليز الآن يعملون جهد استطاعتهم للشقاق والتفريق بين الجناب الخديو وجلالة السلطان ولكن ما نعهده فى اميرنا الحالى من التبصر والحكمة والوطنية يحقق لنا أنه يعمل دائمـا لتأييد المحاسنة والتقرب من الدولة • وهى السياسة التى فى اتباعها سلامة الكرسى الخديوى والوطن المصرى •

هل يمكنك أن توضح لى السبب الحقيقى للحملة على دنقلة (١) ؟

ان مرمى السياسة الانكليزية من يوم احتل الانكليز مصر هو الاستيلاء على السودان • فهم يرغبون امتلاك هذا الوادى المملوء بالخيرات والنعيم وهم أدركوا أن من ملك السودان يملك مصر وانهم اذا اضطروا اجابة لقرار أوروبا للانجلاء عن مصر يبقى السودان تحت سلطتهم •

ولا يخفى أن السودان بلاد لا ديون عليها لاوروبا كمصر فامتلاك الانكليز لها يجعلها مستعمرة انكليزية مطلقة وكل أعمال الانكليز من يوم الاحتلال موجهة لهذه الغاية •

فلما احس ابناء التاميز (٢) فى سنة ١٨٩١ أن فرنسا والروسيا تشتغلان بوضع اساس اتفاق لحل المسألة المصرية وخـافوا أن هاتين الدولتين تعضـدان النجاشى (٣) بالضباط والاسلحة فيسير بجيشه الجرار الى السودان وهم يدركون عواقب ذلك — أوقعوا بين ايطاليا والنجاشى ، ولم يكن لهم غرض الا ان يمنعوا ملك الحبشة من التقدم فى السـودان وقد نجحت سياستهم نجاحا عظيما ، والقت ايطاليا بنفسها بين يدى الأحباش وما عملت شيئا غير كونها خدمت سياسة الانكليز ومشروعاتهم الخفية بمالها ودماء ابنائها •

ولمهارة الانكليز فى سياستهم انتهزوا فرصة انهزام الايطاليين وقرروا حملة دنقلة بحجة مساعدة ايطاليا المنهزمة لينالوا بهذه الحجة رضى التحالف الثلاثى عن الحملة وموافقته عليها •

---

(١) انظر تعليقنا على حمـلة دنقلة فى الحديث الذى دار بين مصطفى كامل وجريدة الليبرباروول الفرنسية فى ١٨٩٦/٩/٧ ، ص ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ حاشية (٢) •

(٢) يقصد الانجليز •

(٣) ملك الحبشة •

ونرى الانكليز يريدون الآن تمثيل آخر فصل من هذه الرواية بطلبهم ابتياع كسلا من ايطاليا !!

وبمثل هذه الاعمال تسخر انكلترا من أوروبا باسرها حيث لم تعمل هذه عملا ما لاخراج تلك من وطننا العزيز !

«دعوة للأمة الألمانية» (*)

« انى أتقدم للأمة الالمانية فى هذا اليوم التاريخى الذى تحتفـــل فيه بالعيد السعيد لتذكار جلالة الامبرطور غليوم سائلا اياها معـونة بلادى ومساعدة وطنى السىء الحظ ٠

وأنى أعلم علم اليقين أنه لكى تجرى أمة من الأمم فى سبيل سياسى يلزم زمن طويل وعمل عظيم ولكنى أعلم أيضا أن الحقيقة لو كانت معلنة على لسان رجل واحد تكفى وحدها للتأثير على الضمائر والافكار ، ولا شىء يشجع النفوس الميالة للحرية مثل ميل الأمم الحرة الى نشر الحرية بين سائر بنى الانسان وانا نعلم جيدا أن الأمة الألمانية لا تستطيع مطلقا الا المناداة بحرية مصر والمساعدة على الوصول اليها وان بلادنا لجديرة حقيقة بالرعاية والعناية من الأمم الحرة لأنهـــا برهنت على شـــدة احترامها للمدنية والانسانية وما وجود الاحتلال الانكليزى فى ربوعها الا برهان ساطع على ثقتها بدول أوروبا حيث أنها بثقتها هذه قبلت توسط انكلترا فى اعادة الأمن الى البلاد بعد ثورة عرابى ٠

ولقــد تأيد الأمن فى مصر فى العــام الأول من الاحتـــلال ولم يعد هناك حاجة مــا لوجوده الا تخريب وادى النيل حسا ومعنى ٠

فعوضا (١) عن تأييد سلطة الخديو وهو السبب الأول للاحتلال صار الانكليز اليوم لا يعملون الا على تقويضها الى حد أنهم أصبحوا يعضدون الرجال الذين اشترتهم انكلترا والذين هم قليلون جدا كما هم محتقرون للطعن على (٢) سمو الخديو والتظاهر ضــده ٠

(*) نشرت بجريده برليمزنا حلاط الألمانية فى ٨ فبراير سنة ١٧٨٧ بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاد الامبرطور غليوم فى ٢٧ يناير سنة ١٨٩٧ ٠

(١) انظر تعليقنا على هدم سلطة الخديوى وتقويضها فى حديث لجـــريدة الاكلير الفرنسية فى ١٨٩٦/٩/١٥ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ حاشية (١) ٠

(٢) المقصود جريدة المقطم وهيئة تحريرها ٠

فأولئك الانكليز بأعينهم الذين كانوا يعتبرون سابقا سخط العرابيين على الخديو توفيق جريمة لا تغتفر اصبحوا اليوم يعتبرون محبة سمو الخديو (عباس حلمى) جريمة الجرائم ٠

وهم دون أن يأتوا بأى نافع لمصر نفسها ما عملوا الا على تخريبها وتدمير معالمها فلقد بلغ فقر الفلاحين لازدياد الضرائب مبلغا لا يحده الفكر واضحت اليوم غايات الانكليز الشخصية ذات المفعول الاسمى وباتت العدالة اسما بلا معنى وبلغ الظلم العسف تحت حكم انكلترا الى حد أن الانكليز صاروا الآن يحرقون الناس جهارا وهم أحيـــاء ٠

ولما رأت الأمة المصرية مقدار احتقار الانكليز لكل الحقوق الشرعية وشعرت تمام الشعور بآلامها ومصائبها نطقت بحكمها النهائى على الاحتلال الانكليزى بأن قضت عليه شر قضاء فلقد أعلنت مصر بأعلى صوتها باقلام كتابها الفضلاء وعلى السنة خطبائها ونوابها الذين تنتخبهم انها لا تستطيع مطلقا تحمل الاحتلال الانكليزى وانه يجب أن تعيش أمة حرة وأن تحقق أوروبا لها هذه الحرية الى الأبد ٠

وان القضاء على الاحتلال الانكليزى من الأمة المصرية بهـذه الصـورة الجهرية لقضاء ذو قيمة عظيمة فى نظر العـــالم بأسره فان أمة تستطيع بما نها من الكفـــاءة والمدنية أن تحكم نفسها دون ان يضر ذلك بمصالح الدول المتمدينة يجب أن تحرر ويجب أن تعيش حرة ٠

نعم ان مصر يجب أن تحرر ويجب أن تعيش حرة ليس فقط لأنها تستحق هذه الحرية بل ايضا لان فيها المصلحة السامية لكل العالم فلقد رأى الناس طرا أن انكلترا تهدد مصالح مصر ومصالح أوروبا الاساسية واصبحت بريطانيا العظمى بلا ريب تعمل اليوم على خرابنا وامتلاك بلادنا فماذا تنتظر أوروبا اذا ؟؟

أن هذا السؤال يلقى صراحة على الأمم الأوربية وهو هل ترضى بأن تقتل امة حية علنا فى آخر القرن التاسع عشر ؟ كلا انا لا نظن ذلك ٠ ولذا أخذنا على عهدتنا مناداة الامم الاوربية وقد جئت اليوم انادى الامة الالمانية العظيمة السطوة ٠

لقد تعهدت انكلترا لأوروبا بأسرها أن تنجلى عن مصر متى استتب الأمن فيها ٠ وتعهدت الدول نحو بعضها بالمحافظة والدفاع عن سلامة مصر واستقلالها ٠ فلماذا تترك انكلترا تحكم بلادنا ؟ أن تركها تحكم وادى النيل لمسبة علنية لأوروبا ولمسبة كبيرة للمدنية الغربية ٠

وبديهى أن لكل أمة تريد الاستقلال والتخلص من النير الأجنبى الحق فى رفع لواء الثورة والعصيان وازهاق النفوس وأسالة الدماء وللامة المصرية كذلك هذا الحق الشرعى الذى لا ريب فيه ٠ ولكن أليست أمتنا أجدر حقيقة بالرعاية والمساعدة اذا كانت هى حتى الآن مبتعدة عن سبيل الثورة لوثوقها بعدالة أوروبا ٠

انا منذ سنين عديدة حافظنا امام شعوب الارض على السلم وبرهنا على أننا أمة نريد من صميم فؤادها نيل الحرية وتعمل للوصول اليها بدون اسالة الدماء ·

فأمة هذا شأنها من المدنيه وهذا شأنها من الوثوق بالمدنية هى بلا محالة جديرة باتعطاف الامة الالمانية نحوها ومساعدتها لها ·

ولقد تحققنا من ظروف عديدة ان فرنسا وروسيا تريد ان مساعدتنا على تحرير وطننا (١) أما ألمانيا فقد بقيت على الحياد · فلم لا تتحد مع جارتيها فى تحرير مصر ذلك التحرير الضامن للسلام والعدل والانسانية ·

لقد صرح فى يوم ١٦، نوفمبر الماضى بأعــلى صــــوته من منبر خطابة مجلس الريشتاغ البارون فون مارشال وزير الخارجية الالمانية بأن « من مصــــلحة المانيا السير مع فرنسا وروسيا بالاتفاق فى جملة مسائل سياسية خارجية كما جرى ذلك فى مسألة الصين واليابان » .وبديهى أنه ليس هناك من مسألة تتحد فيهــا مصلحة المانيا مع مصلحة فرنسا وروسيا مثل المسألة المصرية ·

فساعدينا اذا أيتها الامة الالمانية على استرداد حريتنا واستقلالنا ·

ألا أيتها الامة الالمانية الا أيتها الامة المتمدينة العظيمة ان الانكليز محتلى بلادنا يمثلونك لنا بآلة فى أيديهم وبمدية يقبضون عليها للقضاء على حياتنا ونقيس عمرنا مع أن الحقيقة والتاريخ يبرهنان لنا على ضد ذلك ·

---

(١) لقد كانت « مسألة مصر » فى أول الأمر مرتبطة فى ذهن المستشار الالمانى بسمارك بمسألة بقاء الدولة العثمانية ومصيرها ولم تكن سياسة بسمارك فى السنوات العشر التى تلت سنة ١٨٧٠ سياسة المحافظة على كيان هذه الدولة أو سلامتها ، فقد صرح مرارا انه ليس للحكومة الالمانية مصالح مهمة تدعوها للتدخل فى شئون الدولة العثمانية لصالح مسيحيو أو مسلمو هذه الدولة وان كل ما يهمه ان يضع نفوذه فى خدمة أصدقائه وليست الدولة العثمانية واحدة منهم وكان بسمارك هو الذى دعا الانجليز الى اخذ مصر ، وهو الذى عمل على تثبيت أقدامهم فيها وعضد سياسة الاحتلال فى سنة ١٨٨٢ ، فأيد الانجليز تأييدا لا تشوبه شائبة ونصرها بكل قوة ، وجعل من مسألة مصر وسيلة لربط انجلترا بدول التحالف الثلاثى المكون من المانيا والنمسا وايطاليا للمحافظة على مركز المانيا المتفوق فى أوروبا ·

واستمرت ألمانيا على تعضيدها للاحتلال الى أن عارضت انجلترا سياسة ألمانيـــا الاستعمارية سنة ١٨٨٤ ، حينئذ هددت ألمانيا أنها ستناقش مركز انجلترا فى مصر ومناصرة فرنسا عليها وقد اضطرت انجلترا امام معارضة فرنسا وتأييد روسيا للسياسة الفرنسية ان تحنى الرأس أمام ألمانيا فقادت الحكومة انجلترا امام معارضة فرنسا وتأييد روسيا للسياسة الفرنسية ان تحنى الرأس أمام المانيا ،ما لبثت هذه السياسة أن شابها شيء من التغير بعد زوال بسمارك من مسرح السياسة الألمانية فالتمس القيصر الألمانى معارضة سياسة انجلترا فى مصر ، مستعملا مصر وسيلة لحل مشكلة الكونغو لصالحه ، ومن ثم أصبح لا يهمه فى ذلك الوقت ان يشتجر النزاع بين الخديو عباس والانجليز ، ولا يهمه نمو الشعور القومى المصرى اذا ما تعارض مع المصالح الالمانية ·

(محمد مصطفى صفوت : مرجع سابق ص ص ١٢٠ ، ١٥٠ ، ١٥١) ·

كلا · انتم لستم اذا أقوياء لتتركونا نموت !

كلا · انتم لستم اذا احرار لتحكموا علينا بالعبوديه للانكليز !

مصر كلها نقل في هذا اليوم السعيد انكم تتحدون مع الدول الراعية انصافنا وتعملون معها على رفعنا الى مكانة الشعوب الحرة ·

ونؤمل جميعا ان تذكار ميلاد جلالة الامبرطور غليوم يعود على العالمين بالسلام

ما هي الحالة الحقيقية السياسية في مصر الآن ؟

مصطفى كامل فى برلين ★

ما هى الحالة الحقيقية السياسية فى مصر الآن ؟

ـ انها لحالة فوضى عمومية فى ادارة البلاد وقلق شديد فى أفكار الشعب المصرى . فلقد أصبح بين المصريين وحكومتهم ـ كما يوجد بينهم وبين الانكليز ـ هاوية عميقة جدا . فان حكومة بلادنا ورجالها من صنائع الانكليز ـ تعمل فى مصر كل ما ينافى رغبة الأمة فكم من مرة طلب مجلس الشورى وهو الهيئة النيابية عن القطر اجراء اصلاحات فى الادارة والتعليم فالحكومة بدلا من أن تخضع لرغبة الشعب كانت تقابل المجلس باللوم بكل خشونة وتجرى ضد رغائبه ومطالبه . والفضل فى ذلك لتعضيد الانكليز فأصبحت الامة المصرية اليوم لا احترام لها لحكومتها اما سمو الخديو فهى تعلم أنه رئيسها الوحيد الذى يحترم ادارتها ويحبها ويرغب فى خيرها وسعادتها فلذلك ترى مصر كلها مجمعة على محبته منتظرة أن تنال على يده مستقبلا سعيدا .

ومصر الآن بلاد قائم الاحترام المعنوى بها دائما بين الشعب والحكومة ، وحكومتها تعتبر نفسها مجرد آلة فى يد الانكليز ، وسمو الخديو يرى بعينه مصائب وطنه ولا يستطيع الى دفعها سبيلا ، حتى أنه يرى فى بعض الاحيان جماعة من مأجورى الانكليز يتجاسرون على الطعن فى مقامه الرفيع .

أما النزلاء الاوروبيون فقلقهم مثل قلقنا فهم يرون انفسهم مهددين من الانكليز الذين بدؤا فى هدم ما بنته أوروبا فى مصر واعلنوا بعبارات ملؤها الكبرياء انهم سيقضون على المحكمة (١) المختلطة بعد عامين . وليس بعد هذا تهديد لمصالح أوروبا فى مصر .

فقال الكاتب . وهل ترى علاقة بين مسائل تركيا ومسئلة مصر ؟

(★) حديث نشرته جريدة البرلينزتا جبلاط الالمانية فى ٧ ابريل سنة ١٨٩٧ .

(١) انظر الى تعليقنا على المحاكم المختلطة فى مقالة ١٨٩٦/٩/١٥ .

قال . لا ريب فى ذلك فان الواقف على ما جرى بين تركيا وانكلترا منذ بدء الحوادث العرابية الى اليوم يعلم يقينه ان غاية انكلترا الوحيدة من حوادث الشرق واضطراباته هى تحويل نظر اوروبا عن مصر .

فلما تبوأ سمو الخديوى الحالى الاريكة الخديويه تغير مجرى الامور اذ أدرك سمو الامير ان الجفاء بين مصر وتركيا عقبة فى سبيل انقاذ مصر من مخالب الانكليز فجرى على غير تلك الخطة فسعى الانكليز فى الآستانة نفسها ضد الجناب الخديوى فلم يفلحوا ، ولما رأوا ذلك هاجوا ضد السلطنة والسلطان ليشغلوا أوروبا عن مصر وفوق ذلك فانهم يريدون بأعمالهم فى الشرق أن يدخلوا فى أذهان المسلمين أن أوروبا عدوة لهم متعصبة ضدهم مما يثبط بلا شك همة كل ذى وطنية فى مصر ولكننا أدركنا قصدهم فلم نيأس من مستقبل بلادنا المرجو . على أنه من المهيجات للخواطر أن أوروبا بأسرها تترك انكلترا تخدعها مثل هذا الخداع .

ثم تكلم عن الاكتتاب الجارى فى مصر لمساعدة الحكومة (١) العثمانية فقال : أنه وان كان المصرى لا يعرف الا وطنا واحدا وهو مصر فمن الامور الطبيعية المحضة أن يساعد المصريون جيش الدولة والخلافة ويظهروا بذلك امتنانهم للدولة لانها لم ترد ان تكون آلة فى يد الانكليز » .

---

(١) منذ أوائل مارس سنة ١٨٩٧ وقعت عدة حوادث عدائية بين اليونان وتركيا فى جزيرة كريت ففكر كثير من أكابر المصريين فى جمع اعانة مالية بواسطة الاكتتاب وارسالها الى الدولة العلية . وفى ١١ مارس سنة ١٨٩٧ ذهب وفد يمثل كبار الباشوات فى مصر الى الخديو يلتمسون منه أن يكون الاكتتاب تحت رعايته فقبل الخديو هذا الالتماس .

وقد وضعت صناديق فى المساجد وفى بعض المحال التجارية لقبول تبرعات العامة . وقد زادت التبرعات عقب وصول أنباء تفيد اختراق اليونان للحدود التركية واعتدائهم على الجيش العثمانى مما اضطر تركيا الى اعلان الحرب رسميا ، والجدير بالذكر أن كثيرا من ضباط الجيش المصرى تقدم للتطوع فى الجيش العثمانى وكذلك الكثير من الاطباء .

(أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن قسم أول جـ ٢ من يناير ١٨٩٢ – ١٩٠٢ ط ١ ص ٢٣٩)

اعانة المصريين للدولة

تكذيب صريح

جناب مدير جريدة الليبرتية

قرأت ما نقلتموه عن جريدة الايجبيسان غازيت الانكليزية التى تصدر بثغر الاسكندرية واتهمتنا فيه نحن الوطنيين المصريين بالسعى فى اثارة الخواطر والتحريض على احداث القلاقل والاضطرابات ولو علمتم جنابكم أنها جريدة الاحتلال وان اختلاقها علينا أصبح أشهر من نار على علم ما نقلتم عنها شيء · لأننا اذا كنا ندافع عن حقوقنا المسلوبة فذلك بالاعتدال والسكينة والطرق المشروعة واننا ما فكرنا أبدا فى الاعتداء على النظام لأن هذا يضر كثيرا بمسئلتنا الحيوية ولأن نفوسنا الوطنية تدرك مصالح أوروبا فى مصر ·

وانى أرجو جنابكم أن تسمح لى بأن أصرخ جهارا بأننا لم نفكر قط فى الطرق الثورية للوصول الى تحرير وطننا العزيز لكن الانكليز هم الذين يلقون بذور الشقاق فى مصر ويسعون بما لديهم من الوسائل الى احداث الاضـــطرابات فيها فلم يفلح سعيهم لاننا قاومنا حركاتهم بكل قوتنا ·

ان مصر الآن شرعت فى جمع اعانة وطنية للجيش العثمانى وليس سبب ذلك البغضاء للمسيحيين مهما كانوا بل ان الذى بعثهم على ذلك واجباتهم لخليفة المسلمين لاسيما الواجب الوطنى ·

نعم أقول أن واجباتهم الوطنية هى التى بعثتهم على ذلك اذ يهمنا أكثر من غيرنا سلامة المملكة العثمانية لأن سلامة ممالكها هى الاساس التى تبنى عليه حقوقنا الشرعية

(★) كان مصطفى كامل قد سافر الى باريس فاحس بتيار معاد له فى الصحافة الفرنسية نتيجة نشر مقالة فى جريدة (اجشيان غازيت) فيها طعن على أسلوب مصطفى كامل ثم نقلتها عنها الليبرتيه مما كان سببا فى اثارة الخواطر فى مصر وخارجها ، من أجل هذا سعى مصطفى كامل لهذا الرد ارجاعا للأمور الى نصابها ، وكان ذلك بتاريخ ١٧ أبريل ١٨٩٧ ·

(على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا جـ ٥ ص ٢٢٩) ·

ضد عمل الانكليز يجب أن ننسى ان كل ما نبديه من مساعدة تركيا ننتظر ونراعى فيه المسئلة المصرية ضد الانكليز (١) ٠

وانه اذا كان يسوء الحكومه الانكليزيه أن نكون وطنيين مخلصين للدولة العلية التى مسئلتنا مسئلتها فنحن لا يهمنا ارضاؤهم لانهم خصومنا الغاصبون وسنسير فى طريقنا الذى رسمناه لأنفسنا وجعلنا أساسه المطالبة بالجلاء رضوا أم لم يرضوا ! ٠

انا نعلم قبل كل شىء اننا فى حاجه الى مساعدة أوروبا فكيف اذا نحرض على الثورة ضد الاوروبيين الذين يعيشون فى مصر ٠ وهل لجريدة الايجيسيان غازت أو غيرها ان تدلنا على شخص قال أو جريدة كتبت بما يؤخذ منه التحريض على الاضطراب !! ٠

المسئلة مسئلة شعور نحو الدوله فاذا تظاهرنا اليوم بمساعدتها فى حرب بنيت على غير أساس الشرف بل على المطامع فانما نمثل ما مثلته الأمم الأخرى من قديم الزمان وهو عطف الاخ على أخيه فى زمن الشدة ٠

ان الذين يحرضون هم الانكليز أنفسهم لأنهم كيف ينسبون الى المصريين التهييج والاضطراب عندما يتضافرون لمد الدولة بالمال فى الحرب التركية اليونانية ولا ينسون انهم هم أصل هذه الحرب وانهم هم الذين حرضوا اليونان ولا يزالون يمدونها بكل شىء ان لم يكن فى الجهر ففى السر ! ٠

---

(١) هذه كانت سياسة مصطفى كامل أن يظل تحت جناح الدولة العثمانية الوصية الشرعية على مصر حتى تكون انجلترا غير ذى صفة رسمية فى وجودها فيها ٠٠ ثم بعد ذلك تكون تصفية الحساب مع العثمانيين (الرجل المريض) ٠

نحن واليونان ★

الاسكندرية فى ١٦ مايو سنة ١٨٩٧ :

حضرة مدير الفارد السكندرى ٠

لقد قرأت بكل استغراب فى عدد أمس من جريدة الفار العبارة المختصــة بالتلغراف الذى أرسلته الى باشكاتب جلالة مولانا السلطان(١) ولا شك أن الذى ترجم اليكم من العربية هذا التلغراف أخطأ فى فهم مرادى ٠

فانى ما فكرت قط فى أن الانتقـــام من محتلى بلادى أى الانكليز يكون بأن تسحق الجنود العثمانية اليونانيين فى أراضى تساليا (٢) ٠

(★) هذه المقالة نشرت بجريدة الريفورم الفرنسية التى تطبع بالاسكندرية « نقلا عن مصطفى كامل ٣٤ ربيعا ج ٦ ص ٧ — ٩ » ٠

(١) التلغراف المشار اليه هنا أرسله مصطفى كامل بمناسبة عيد الاضحى وكان نصه « أرجو منكم أن ترفعوا الى جلالة مولانا أمير المؤمنين أجل وأصدق تهانئنا بعيد الاضحى المبارك وانتصار الجنــود الشاهانية المظفرة ، وان جميع المتعلقين بعرش الخلافة العظمى يؤملون ان جلالة السلطان يحن لانين مصر المسلوبة الحقوق بسلطة الاحتلال الانكليزى فيشترط على دول أوروبا جلاء الانكليز عن مصر مقابل جلاء العساكر الشاهانية من بلاد اليونان ليتم بذلك فوز تركيا وخلاص مصر » ٠

وقد اعتبره اليونانيين دليلا على كراهية مصطفى كامل والمصريين لهم ، وصرحت بذلــك جريدة الفارد لكسندرى وصاحبها اليونانى المتمصر فرد مصطفى كامل على هذا الاتجاه بهذه المقالة ٠

(على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا ج ٦ ص ٥ ، ٦) ٠

(٢) كانت ثورات جزيرة كريت المتكررة ضد الاتراك هى الشرارة التى أدت الى الحرب بين اليونان وتركيا سنة ١٨٩٧ والتى انتهت بسحق القوات اليونانية ، الا انه لم تنجح تلك الثورات لنقص الذخيرة والسلاح وتفوق الجيوش التركية ولما كان السلطان عبد الحميد قد وعد بمنح الجزيرة حكما ذاتيا سنة ١٨٧٨ ونسبة من وارداتها لتحسين حالها ولما لم يبر بوعده عادت الثورات للظهور وكان أشدها ثورة ١٨٩٦ التى اقترنت بفظائع شديدة بين سكان الجزيرة من الترك واليونانيين الذين يمثلون أغلبيـــة السكان حينئذ أسرعت الحكومة اليونانية لمساعدة بنى جنسها من الكريتيين بارسال جيش واسطول وحاولت اثارة يونان مقدونيا ضد الدولة العثمانية فاعلن السلطان عبد الحميد الحرب على اليونان وانتصر عليها =

ولكن ما لا ريب فيه هو أن حـل المسئله التركيه اليـونانيه لا يتعلق فقط بالدولتين المتحاربتين بل أيضا بدول أوروبا وانى أظن أن فى الظروف الحالية لجلالة مولانا السلطان أعظم فرصة لاقامة المسئلة المصريه فان الدول الأوروبية التى تريد أن تجبر جلالته على احترام رغبتها وسحب عساكره الشاهانية من تساليا يجب عليها أيضا ــ وذلك مالا ينكره أحد ــ أن تجبر انكلترا على الجلاء من مصر ٠

فلماذا تتداخل أوروبا فى المشكلة التركية اليونانية ولا تتداخل فى المسئلة المصرية ؟ لماذا تريد أوربا أن تحمل جلالة السلطان على احترام رغبتها ولا تعمل هى على اجبار انكلترا على احترام حقوق جلالة السلطان فى مصر ؟ ٠

هذا هو رأيى وهذا هو فكرى ولعله لا يرضيك ولعلك يا جناب المدير لا توافق على آرائنا وأفكارنا ٠ ولكنه يجب عليك أن نحترمها كما أننا نحترم احســاســاتك وأرائك فأنت ترى الأشياء من حيث المصلحة اليونانية وأنا أراها من حيث المصلحة المصرية ٠ ومن العدل أن يكون كل منا لوطنه ٠ لا لغير وطنه ٠

وأن اليونان بالرغم عن المحبة التى يتظاهر بهـا عدد منهم لمصر لا يمكنهم أن يطلبوا منا أن نرى كما يرون ونفكر كما يفكرون وعلى الخصـــوص أن نحن لبلاد اليونان أكثر من حناننا لمصر ! !

وبقطع النظر عن كل هذه الاعتبارات السياسية وعن احساسات أمتنا فاننا نعجب حقا بوطنية اليونان اذ أن كل مصرى محب لوطنه لا يمكنه مهما كانت آراؤه السياسية واحساساته الا أن يحترم كل المدافعين عن وطنهم من أية جنسية كانوا ويعجب بهم ٠

ومما لا شك فيه أن مصلحة المصريين فى الظروف الحالية هى ومصلحة اليونان على طـرفى نقيض ٠ ولكن هـذه الاعتبارات كلهـا لا يجب أن تخلق اشـــكالات لا لزوم لها ٠

= انتصارا ساحقا فى تساليا وخشيت الدول الأوروبية متابعة النصر واعادة اليونان للحكم العثمانى بعد أن أصبحت أثينا تحت رحمة الجيش التركى فتدخلت لوقف القتال فى مايو سنة ١٨٩٧ واجبرت اليونان على ارضاء تركيا بقسم صغير من تساليا ، ومن ناحية أخرى قررت جلاء الجيوش التركية عن كريت وأحلت محلها حاميات دولية لحفظ الأمن بعد أن يقام فيها حكم ذاتى تحت السيادة الاسمية التركية وعينت الدول الامير جورج ثانى اولاد ملك اليونان حاكما على كريت ولم تنضم كريت رسميا الى اليونان الا سنة ١٩١٢ ٠

(أنور الرفاعى ، شاكر مصطفى : مرجع سابق ص ٢٨٥ ــ ص ٢٩٠) ٠

وانى أول من يشير على أبناء وطنى بمعاملة اليونان الآن — وهم منهزمون — باللطف والرقة ... اذ خير ما يتمنى لمصر من حيث روابطها بالأوروبيين هو أن يعيش أبناؤها فى اتفاق مع النزلاء الأوروبين المخلصين لها .

وانى أرجو منك يا حضرة المدير أن تتفضل بقبول فائق احترامى .

مصر والدولة العلية ★

« لقد لفتت أخيرا جريدة (برلينر نويست نخرشتن) أنظار أوروبا الى احتلال انكلترا لمصر · وأبانت ضرورة عقد اتفاق بين فرنسا وألمانيا والروسيا لمعارضة الاحتلال الانكليزى فى مصر تحقيقا للجلاء السريع وأنه لرأى حق وصواب فان الظروف الحالية أحسن الظروف لوقوف المطامع الانكليزية عند حد محدود · فلقد تساهلت أوروبا كثيرا مع الانكليز وصار من المحتم عليها الآن أن تجبرهم على احترام المعاهدات الدولية واحترام الحقوق الشرعية للأمة المصرية ·

وان البرنس بسمارك نفسه الذى خبر الانكليز أكثر من كل سياسى فى العالم هو أول من يوافق بل ينصح بجلاء الانكليز من مصر · وقد صرح بهذا الرأى جملة مرات وعلى الخصوص وقت المداولة فى معاهدة درومند وولف الشهيرة (١) :

ولم تبق مسئلة (٢) الترنسفال ريبا عند أحد فى ألمانيا بشأن ما ندعيه الحكومة

(★) هذه المقالة منشورة فى صحيفة المؤيد العدد ٢١٨٢ بتاريخ ٢٦ مايو ١٨٩٧ تعريبا فى جريدة (برلينونويست نخرشتن) التى كانت تصدر فى برلين ـ ألمانيا ·

(١) عقدت عام ١٨٨٧ وسبقت الاشارة اليها ·

(٢) دخلت مستعمرة الكاب الهولندية ضمن مستعمرات الامبراطورية الانجليزية رسميا بموجب قرارات مؤتمر لندن سنة ١٨١٥ · ولكن اضهاد الانجليز لجماعة البوير دفعهم الى الهجرة للمناطق الداخلية فى الشمال فى الفترة من ١٨٣٥ الى سنة ١٨٣٦ حيث استقروا فى جهات ناتال واورانج والترانسفال ، وأسسوا لهم جمهوريتى الأورانج والترانسفال وقد اضطرت انجلترا سنة ١٨٥٤ الى الاعتراف باستقلالهما ·

ثم بدا الصراع بين البوير والانجليزا ازاء محاولة رودس ربط القاهرة والكاب بخط حديدى واحد عبر أفريقيا وحين اكتشفت مناجم الذهب والماس فى اراضى البوير سنة ١٨٨٠ فقامت انجلترا من جانبها بمحاولات لضم الترانسفال والمناطق المحيطة بها ، ولكن أحلام انجلترا اصطدمت بوجود بول كروجر رئيس جمهورية الترانسفال الذى كان يطمع هو الآخر فى تكوين جمهورية للبوير فى جنوب افريقيا لا تكون تحت رحمة انجلترا ، كما كان كروجر يطمع فى ضم بتشوانا لاند باعتبارها مخرجا طبيعيا للبوير الذين بدأت تضيق بهم أرض الترانسفال وهى نفس أطماع رودس بقصد فتح الطريق امام انجلترا من جنوب أفريقيا الى الشمال · وازاء هذه الأطماع المتشابكة بدأ الصدام بين انجلترا وكروجر خاصة وأن الحكومة البريطانية قررت فى ذلك الوقت ضم الترنسفال وما حولها من مناطق البوير الى حظيرة السيادة البريطانية

الانكليزية من احساسات العدل والحق والانسـانية التى تفود سـياستها • على أن سلوك الانجليز فى مصر أشد ظلما منه فى الترنسفال وانه لمن الواجب على أوروبا آلا تجعل أنظارها محولة فقط للمسئلة التركيه اليونانية بل يجب عليها أن تنظر أيضا نحو انكلترا • هنالك يعرف السياسيون فى أوروبا أهمية المسئلة المصرية فى الظروف الحالية اذ ليست مسئلة الترنسفال هى الشاغلة وحدها للسياسة البريطانية بل ان هذه السياسة الماكرة تؤمل اليوم أكثر من كل يوم وضع يدها بصفة نهائية على جميع بلاد وادى النيل •

وفى الواقع فان الانكليز ـ قد عرفوا فى كل بلاد العالم بأنهم أمهر من يخلق الاضـطرابات ـ يريدون انتهاز فرصة اشتغال أوروبا بالحـرب بين تركيا واليونان لتهييج المسلمين فى مصر ضد اليونانيين واليونانيين ضد المسلمين ليحدثوا اضطرابا على شواطىء نهر النيل تكون لهم به الحجة التى ينتظرونها من زمن طويل للاستيلاء على بلادنا • وهم يظنون أن أوروبا لاشتغالها بمنع حدوث حرب عمومية لا تقدر الآن على مقاومة مشروعاتهم ورد أطماعهم •

واذا دلت أعمال الانكليز على هذه الرغبة فمن واجب رجال السياسة فى أوروبا ورجال الفكر والاحساس أن يعلنوها صراحة ويقضوا عليها أشد قضاء • ومن الواجب

فلم تجد البوير بدا من استخدام القوة واستطاعت قواتهم أن تلحق بالقوات البريطانية الهزائم فى عدة مناطق الى أن كانت الهزيمة الساحقة للانجليز فى تلال ماجوبا فى سنة ١٨٨٠ وفى سنة ١٨٩٥ اتجـه جيمسون على رأس حملة لمهاجمة الترانسفال ولكن البويو هزموهم وقتلوا الكثير من قـــواتهم وأسروا جيمسون •

ولما كثرت شكوى البريطانيين الموجودين فى جمهورية الترانسفال من سوء معاملة حكومة كروجر لهم ارسلت الحكومة البريطانية لجنة يراسها الفريد ملنر لمحاولة التوفيق بين الترانسفال وبريطانيا سنة ١٨٩٩ ولكن كروجر لم يقبل اقتراحات ملنر فحشدت بريطانيا قواتها على حدود الترانسفال حينئذ أرسل كروجر انذارا الى بريطانيا فى أكتوبر ١٨٩٩ • بضرورة سحب قواتها ورفضت بريطانيا هـــذا الانذار أعلنت الحرب بين الطرفين فى اكتوبر ١٨٩٩ وقد فشل الانجليز أول الأمر فى هزيمة البوير الى ان عين كتشنر قائدا عاما للقوات المتحاربة فى جنوب أفريقيا فى ديسمبر سنة ١٨٩٩ فكان تعيينه نقطة تحول فى مجرى هذه الحرب حيث سقطت مدن البوير تباعا فى يد الجيش البريطانى الى أن سقطت بريتوريا عاصمة الترانسفال فهرب كروجر الى أوربا طلبا للمعونة من الاصدقاء ولكنه فشل فبقى فى أوربا الى أن توفى واتبع كتشنر فى حربه مع البوير أبشع صنوف الوحشية والتخريب من حرق للمدن وابادة للسكان حتى كانت سنة ١٩٠١ •

فظهرت محاولات للصلح ولما اشترطت انجلترا لأنهاء الحرب تنازل جمهوريتى البوير عن استقلالهما رفض بوتا Potha زعيم البوير الصلح واستؤنف القتال مره أخرى الى ان اضطر البوير الى عقد الصلح فى ٢١ مايو سنة ١٩٠٢ نتيجة الوباء والدمار الذى أصابهم مع وعد من انجلترا لمنحهم استقلال ذاتى فيما بعد •

ـ أنور الرفاعى ، **شاكر مصطفى** : مرجع سابق ص ٤٣٤ ـ ص ٤٣٦ •

ـ د• شوقى الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها • ط ٢/ ١٩٨٠ ص ٢٨٠ ـ ٢٩٥ •

علينا معشر المصريين أن ننذر أوروبا بما ينويه ضدنا الانكليز فمهما كانت اشتغالات الدول اليوم فمحتم عليها أن تلتفت لأحوال وادى النيل ٠

ولقد أراد كتاب الانكليز وصنائعهم أن يسهلوا على أصحاب الدسائس عملهم الدنىء فأخذوا يتسلحون بالسلاح القديم البالى وأعنى به سلاح التعصب الدينى ٠ فأشاعوا ولا يزالون يشيعون أن المصريين على وشك القيام بثورة دينية ضد المسيحيين عموما واليونانيين خصوصا ٠ وان القائمين ينشر هذه الاشاعة يغشون ولا محالة أوروبا بأقبح وجوه الغش وأدناها فان المصريين عرفوا عند سائر الأمم بأنهم أمة هادئة حرة معتدلة ٠ واننا لنفتخر بهذه الصفات ونحافظ عليها بكل ما فى استطاعتنا٠ ومن البديهى أنه ليس لنا اليوم أقل مصلحة فى العمل ضد ماضينا ولا فى القيام بما يفقدنا ميل أصدقائنا فى أوروبا وعملهم لحل مسئلتنا على أنه ليس لنا فى مصر غير عدو واحد هو الاحتلال المغتال لوطننا ٠ فليس لنا غرماء سواء من اليونانيين أو النزلاء الأوروبيين ٠

وأى مصلحة تدفعنا ضد المسيحيين ؟ ؟

ليس لنا مصلحة فى معاداتهم أما من يدعى أن الاكتتاب للاعانة العسكرية هو نتيجة كراهيتنا للمسيحيين فمخطىء خطأ كبيرا خصوصا وأن أغلب النزلاء الأوروبيين فى مصر ميالون لتحرير وطننا مجاهرون بهذا الميل الشريف ٠

وأهم معنى سياسى فى الاكتتاب لاعانة الجيش العثمانى هو القيام بمظاهرة من الأمة بأسرها ضد الاحتلال الانكليزى فان المصريين يعلمون علم اليقين أن كل دسائس انكلترا فى الشرق ترمى الى امتلاك وادى النيل وأن الانكليز لم يستطيعوا استمالة جلالة السلطان الأعظم اليهم ضد الخديو المعظم وضد مصر وبلاد العرب واعلان سيطرتهم على الاسلام كله ٠

فقد أعلنت السياسة الانكليزية عداءها للدولة العلية من عام ١٨٩٤ أى من ذلك اليوم الذى خالف فيه الخديو (عباس حلمى) سياسة المرحوم والده وعمل بكل همة واقدام على توثيق العلائق بينه وبين جلالة السلطان الأعظم (١) واذ أبان التاريخ

---

(١) كانت العلاقة بين الخديو والسلطان علاقة يشوبها الحذر والشك خاصة وان القوى المؤثرة على الوضع السياسى فى مصر حاولت أن تضم الخديو الى صفها بينما حاولت تركيا صاحبة السيادة الشرعية فى مصر أن تسيطر على الخديو وظهر ذلك جليا حينما طلب السلطان من الخديو زيارته أثناء وجوده فى أوروبا وقبل توليه عرش الخديوية فى مصر ولكن الخديو توجه مباشرة الى مصر تحسبا لضغط السلطان حينئذ جدد السلطان محاولاته لسحب الامتيازات التى حصلت عليها مصر منذ عهد محمد على واقتطاع شبه جزيرة سيناء من مصر ولكن تحت ضغط انجلترا أصدر السلطان فرمانه السلطانى بتولى عباس الثانى عرش الخديوية مع ادارة مصر شبه جزيرة سيناء ٠ =

أن الدولة العلية خدعت عام ١٨٨٢ بالانكليز وعملت من حيث لا تشاء على احتلال الانكليز لمصر فمن الضروريات أن تكون الدولة العلية نفسها الآن أول دولة عاملة لجلاء الانكليز عن مصر · وليس من شيء يقف تقدم الانكليز فى مصر ويعطل عليهم سياستهم مثل تقوية السلطة الشرعية للمعاهدات الدولية المختصة بمصر · ويعلم الناس أجمع أن كل هذه المعاهدات جـرت بين الدولة العلية وبين دول أوروبا · فما دامت مصر معتبرة قطعة من الدولة العلية فليس للاحتلال الانكليزى أدنى قوة شرعية بل وليس له أدنى صفة شرعية فى وجوده ·

يظهر اذن جليا من ذلك أن المصريين هم أول المتهمين وأول من يجب عليهم أن يهتموا بالمحافظة على سلامة الدولة العلية · فالذين ينتقدون اكتتابنا للجيش العثمانى يجهلون تماما حقيقة مركزنا وحقيقة واجباتنا وحقيقة احساساتنا ومن الجائز أن بعض سواس (١) أوروبا يكونون ضـــد الدولة العليـة فى بعض مسائل سياسية أو غير سياسية ولكنهم جميعا معها ويجب أن يكونوا كذلك فى مسئلة مصر · خصوصا وأن مصر لم تتألم قط من سيادة الدولة العلية عليها اذ لهـا عائلة مالكة خاصة بهـا واستقلالها الداخلى تام وخاص بها · ومع ذلك فسواس أوروبا لا يجهلون مطلقا أنه يصير من الصعب جدا حل المسئلة المصرية اذا اتفقت تركيا مع الانكليز على احتلالهم لوادى النيل ·

يتضح للقارىء من هذه الكلمات أن مقاصد المصريين كافة سلمية معتدلة وان نيات الانكليز بعكس ذلك · فهم الذين يوافقهم أن يعملوا لاحداث اضطراب وقلاقل ولكن صار من اللازم اعلان هذه النيات للملأ كله باستمرار وبلا توان · اذ الموقف عسير والساعة حرجة · ومن العـــار على أوروبا أن تترك الانكليز ينتهزون فرصة اشـتغالها بأمـر خطير ويهزمونهـا فى مصر هزيمـــة تكون ولا شـــك فريدة فى بابهـا ·

= وقد حاول الخديو مد جسور التعاون بينه وبين السلطان من أجل وقف سيطرة بريطانيا على مصر استنادا على تبعية مصر للدولة العثمانية ولما للسلطان من قوة روحية يعتد بها الخديو والمصريين ـ ولكن بعد سنه ١٨٩٤ اتخذت العلاقة بين الخديو والسلطان شكلا بعيدا عن التعاون ·

عبد المنعم الجميعى ـ مرجع سابق ص ٥٨ الى ص ٦٠ ·

(١) أى ساسة أوروبا ·

الأحوال فى مصر وتركيا ★

« قال مصطفى كامل فيما يتعلق بمصر »

ـ أما ما يختص بمصر فلم يحدث تغيير فى حالتها الأولى اذ لا يزال الانكلبز يحابون كل ما كان مصريا أو أوروبيا بمعنى أن أوروبا بأسرها أصبحت محتقرة فى نظرهم بالقطر المصرى ، ولا شـك فى أنها اذا لبثت محافظة على سكوتها هذا تجاه الاحتلال الانكليزى فان نفوذها يمحى شيئا فشيئا وتعلوه غبرة الانحطاط والتلاشى ، ويتألم أبناؤها النزلاء كما نتألم نحن · وسيحاول الانكليز فى السنتين الآتيتين الغاء المحكمة المختلطة ، ولست أدرى اذا كانوا يستطيعون تحقيق هذه البغية وانما أقول انهم اذا توصلوا الى ازالة معـــالم تلك المحاكم فان أوروبا تفقد كل حياة ووجود فى القطر المصرى ·

ويذهب الكثيرون فى الدوائر الانكليزية وغيرها الى القول بأن اليونانيين الكثيرى العدد فى القطر المصرى ـ ولهم معظم القضايا التى تقدم الى المحاكم المختلطة ـ ربما يساعدون انكلترا على الغـاء المحاكم المختلطة وتحرير ذلك انهم بالنظـر الى كثرة قضاياهم نرى أن معظم ايرادات هاتة المحاكم منهم فاذا تحولوا نقصت الايرادات نقصانا فاحشا يتخذه المحتلون حجة لنيل مقصدهم · ومن المحتمل لدينا أن تكون هذه الفكرة وعدا من الوعود التى عللت بها الوزارة اليونانية الحكومة الانكليزية فى مقابل ما نالته من مساعدتها أثناء الحرب ·

وانى لم أطل الكلام فى هذا الموضوع الا لكى أطلعكم على مكنونات الدسائس الانكليزية الموجهة للمحاكم المختلطة التى هى أكثر التأسيسات فى مصر فائدة وموافقة للصبغة الدولية العمومية . وضمانة لحقوق أوروبا ضد الانكليز فى القطر المصرى · أما نفوذ فرنسا فيما بيننا فلا يزال موضوع جهاد متوال من الانجليز ولذا ترون أن المصريين الذين هم أصدقاء الفرنساويين فى كدر من جراء ذلك وهم ينتظرون كثيرا من

(★) حديث اجرته معه جريدة « الاكلير » الفرنسية فى ١٨٩٧/٨/١٦ بمناسبة وصوله الى باريس قادما من بودابست ·

فرنسا ولكن طال الانتظار ولا بد لى هنا من ملاحظة أن المطاعن الموجهة ضد الاسلام من بعض الكتاب الفرنسويين كان لها التأثير المؤلم فى القطر المصرى ٠

وأما مايتعلق بالنفوذ السياسى القنصلى لفرنسا فانى آسف مثل بقية أبناء وطنى من وقوفه عند الحد الذى كان عنده ، وهو مجرد التأمل فى الحوادث وتدوينها ، ولست أقصد بهاته الكلمات الطعن على المسيو كوكردان والتنديد بموقفه ازاء تلك الأحوال بل بالعكس فان هذا الوزير حائز لحبل المصريين وهو محترم منهم الى الغاية ولكنه لا يستطيع سلوك خطة سياسية شخصية ٠ نعم انى لست من الواقفين على أسرار السياسة الفرنسية غير أنه يظهر لى كما ظهر لكثيرين ان موقف فرنسا فى مصر يجب أن يكون مؤسسا على هذا المبدأ وهو مؤازرة الجناب العالى الخديو ٠

فان سموه هو الممثل لحقوق الشعب المصرى وحقوق أوروبا أيضا ، ولا يذهب عن خاطرا أحد أن الخديوية المصرية مقبولة مكفولة من أوروبا ، فينبغى والحالة هذه أن تقوم أوروبا بالذود عن حياضها ووقايتها من كل مساس يكون مصدره أوروبا على العموم وفرنسا على الخصوص ولو كان الجناب العالى مؤيد الجانب من فرنسا لتمكن من تغيير كل وزير لا يخدم البلاد بصدق وتحسنت الحالة عما هى عليه ألف مرة ٠

والأمر الذى لا يختلف فيه اثنان هو أن الجناب العالى لا يزال محبوبا من جميع المصريين وكلما اشتدت حملات الانكليز على حقوقه وحاولوا أن ينقصوا من قدره فى أعين الأمة كبر فى أنظارهم وعلا شأنه دائما ٠ والشعب المصرى لا ينسى أبدا أنه مدين للخديو عباس(١) باشا لكونه أيقظه من سبات الخمول وأن ثباته ونشاطه ووطنيته وجميع فضائله قد بثت فى روح كل مصرى ان الانكليز ليسوا فى القطر المصرى بصفة أصدقاء أوداء بل بصفة مغيرين وستبقى الخديوية الممثـــلة فى ذات صاحب السمو عباس حلمى باشـــا مرتبطة فى مصر بنفس تلك العواطف والمبـــول فى الاستانة العلية ٠

« وقد بارحت الاستانة العلية وأنا على اعتقاد وطيد بأن انتصارات الجيش العثمانى قد أسكرت بخمرة الفرح جميع الشعوب الاسلامية فى أقطار العالم ورفعت

---

(١) باعتلاء عباس الثانى عرش الخديوية فى مصر بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحركة الوطنية فى مصر ٠ فقد أسعد المصريين تصريح الخديو ببغضه للاحتلال وعدم رضائه عن سياسة والده الذى كان يسير فى ركاب الانجليز ورسم لنفسه سياسة مقاومة السيطرة الانجليزية فى أوائل حكمه بقصد أن تكون له يد فى ادارة الحكومة وقد انزعجت الحكومة البريطانية من سياسة عباس ولكنه استمر فى سياسة مقاومة سلطات الاحتلال ، فتقرب الى الشعب وكان يستقبل طوائفه كل شهر ليستمع الى شكواهم وأفرج عن بعض مسجونى الثورة العرابية وعينهم فى وظائف خارج الجيش بفروع النظارات والمأموريات وأعاد اليهم جميع حقوقهم المدنية ومن هؤلاء عبد الله النديم ٠

وهكذا اعتبر الشعب ان الخديو عباس الثانى أيقظه من سباته العميق ٠

د٠ عبد المنعم الجميعى ــ مرجع سابق ص ٩٧ ــ ٩٨ ٠

فى أعينهم شأن جلالة السلطان الاعظم ونفوذه • فاذا كان أهـــالى أوروبا يعتبرون جلالة السلطان مسئولا عن كل ما يقع من الحوادث فى ممالكه وبلاده فان المسلمين أيضا ينسبون شرف تلك الانتصارات وفخرها الى ذات جلالة السلطان الأعظم (١) ، ولا ريب فى أنه لا يذهب عن خاطر أوروبا أن مركز جلالته تجاه العالم الاسلامى أصبح وطيدا جدا •

ومما زاد فى عجبى واندهاشى هو سوء الظن والاعتقاد الذى بنته أوروبا فى قلوب المسلمين نحوها اذ من المستحيل اليوم اقناعك أحد المسلمين بصدق اخلاص أوروبا نحو العالم الاسلامى أو أنها لا تتحيز ضد الاسلام ، وهذه مسئلة تساليا جاءت مثبتة لذلك الاعتقاد وموطدة له عقب كثير من المسائل غيرها وهو يعتبر مجاهرة أوروبا لجلالة السلطان بأن أوروبا المسيحية لا تسمح باعادة أرض مسيحية الى حكومة اسلامية اعلانا للعالم الاسلامى بأنها لا تريد سوى الشر والضر للحكومة العثمانية والاسلام ـ هذا فضـــلا عن نظر المسلمين وقتئذ لكل مشروع يتعلق بالاصـــلاحات بعين الغضب والازدراء ، ولست أود الكلام على النظام فى تركيا أو على عدل الاصلاحات وانما أردت أن أقفكم على ما وصلت اليه حركة الأفكار بين الشعوب الاسلامية •

ويوجد فى الشرق حزبان يرى أحدهما أن أوربا عدوة لدودة له ويرى الثانى عكس ذلك • أما الأول فيقوى عنصره كل يوم وتزداد شوكته والسبب فى ذلك سلوك أوروبا وفى الواقع أن المسلمين كثيرا ما يتساءلون عن أسباب انقسام الدول الأوروبية وانشقاقها بشأن اتخاذ الوســائل اللازمة لاكراه اليـــونان على الجلاء عن كريت (٢) وأسباب اتحادها واتفاقها على اخراج العثمانيين من تساليا وكيف أن أوروبا كثيرا ما تفتخر بمحافظتها على مجموع أملاك الدولة العلية ووقايتها من التجزء ثم هى تباشر تبديد أجزائها وتمزيق أعضائها مستندة على المبدأ المذكور بعينه •

---

(١) لانتصار تركيا فى الحرب التركية اليونانية سنة ١٨٩٧ •

(٢) كانت جزيرة كريت تابعة للسلطان العثمانى مما أثار اليونانيين فاسسوا جمعيه سرية فى أثينا اتصلت سرا بزعماء كريت وحضتهم على الثورة ضد تركيا ، فاضطرت الأخيرة الى تشكيل مجلس وطنى منتخب فى كريت سنة ١٨٦٨ يمثل أغلبية السكان ، وكانت غالبية أعضائه من اليونانيين الذين يمثلون أغلبية سكان الجزيرة وثارت كريت عدة مرات بتحريض من اليونان وطالبت لجنة يونانية تقيم فى أثينا بضم كريت الى اليونان ، ونزل جيش يونانى فى كريت فاعلن السلطان عبد الحميد الحرب عـلى اليونان فى سنة ١٨٩٧ وانتصر عليهم وحصل منهم على منطقة تساليا وبتدخل الدول أجبرت تركيا على الجلاء عن كريت وحلت محلها حاميات دولية لحفظ الأمن بعد قيام حكم ذاتى للجزيرة تحت الســـيادة الاسمية لتركيا • والجدير بالذكر أن الدول الأوروبية جعلت على حكم كريت أحد أبناء ملك اليونان مما يجعلنا نفكر فى أقوال مصطفى كامل فى هذه النقطة على أنه يريد اثارة عواطف الدول الاسلامية ضد الدول الأوروبية تمهيدا لحركة الجامعة الاسلامية التى كان يدعو الى قيامها تحت خلافة الدولة العلية •
(أنور الرفاعى ـ شاكر مصطفى ـ من ص ٢٨٥ الى ص ٣٥١) •

« يلومون السلطان لأنه يحض المسلمين على الاتحاد ويسعى فى جمع شتات المسلمين(١) ووضع زمام الاسلام فى قبضته . أما أنا فأرى الدول الأوروبية تحض المسلمين على ذلك أكثر من جلالته وتدعوهم الى الانضمام والاتحاد يدا واحدة فان أوروبا لم تخاطب المسلمين فى أمر ما الا وكان كلامها باسم النصرانية ، وهى لم تتكلم قط باسم التمدن الأعم على أفراد البشر من مسائل الدين . ولكى أمثل لكم الحالة التى وصلت اليها خواطر المسلمين أذكر لكم الجملة التى فاه بها جلالة السلطان الأعظم لكاتب جريدة نيوفرى بريسة النمسوية التى تصـــدر فى فيينا حيث قال « أوروبا تحاربنا حربا صليبية فى شكل سياسى » وقد أعرب جلالته بهذه الجملة عما يخالج أفئدة أفراد المسلمين فى العالم بأسره .

وقد نسيت أوروبا فى الغالب أن الواجب فى الشرق مراعاة الرأى العـــام الاسلامى ولا يخفى أن المقصد الذى تسعى وراءه أوروبا انما هو تحصيل السعادة والهنـــاء للأقوام المسيحيين العائشـــين فى الشرق وتوطيـــد دعائم الســـلام فى الممالك المحروسة .

وعلى ظنى أن هذا المقصد لا يمكن نيله الا بتسكين الخواطر الهائجة وتمكين روابط الاتفـــاق بين المسلمين والمسيحيين ولا توجد دولة غير انكلترا تستفيد من سوء ظن المسلمين بأوروبا ومن النزاع بين المسلمين والمسيحيين فى الشرق . وتقضى مصلحتها أيضا أن تمحو ذكر مصر من أذهان أوروبا بحادثة من الحوادث فى الاستانة العلية وقد يمكن أن يلحق المصريين القنوط بسبب ما تقدم لأنهم بما انهم مسلمون ربما اعتقدوا أنهم فقدوا ميول أوروبا وعضدها .

وجملة القول أن البحث فى المسائل الشرقية على مبدأ الدين من أكبر الوسائل لتوليد الأحقاد والضغائن وتأجيل توطيد السلام العام فى الشرق الى زمن مديد فينبغى أن تكون أوروبا والحالة هذه عادلة نحو جميع الناس بلا فرق وهى اذا أخذت على عهدتها الزام الغير باحترام الحقـوق والعهود من الواجب عليها أيضا أن تسوى المسئلة المصرية وتبرهن للعالمين الاسلامى والمسيحى على صدقها واخلاصها وعندئذ لا يتسنى لأى مسلم أن يرتاب فى ذمة أوروبا ونياتها » .

---

(١) الدعوة الى الجامعة الاسلامية

خطة الانكليز ★

فى مصر

انى أستميح قراء « البرلينرتا جبلاط » الاذن لأحادثهم اليوم فى شئون مصر بلاد الفراعنة وبلاد العجائب · فان اهتمام ألمانيا بالمسئلة المصرية فى هـذه الأيام يضمن لى أن الرأى العام الألمانى يقضى قضاءه العادل على هذه الأساليب الغربية التى يستعملها الانكليز فى مصر · أولئك الذين سموا ويسمون أنفسهم بممدينى العالم البشرى وحماة الانسانية ·

ما قرأ أحد تاريخ المصريين القدماء الا استغرب غاية الاستغراب من عنايتهم الزائدة بأمر القضاء والعدل · فقد أدركوا أن قوام الهيئة الاجتماعية المنتظمة المتمدينة اعطاء كل ذى حق حقه ورفع راية العدل والانصاف بين الناس بلا تمييز ولا محاباة وهذه الحقيقة الثابتة التى أدركها ورفع شأنها آباؤنا الأولون هى فى هذا العصر أول الحقائق والعدل هو أساس المدنية الغربية لا محالة · والانكليز يقدرون العدل فى بلادهم قدره ويفتخرون الفخار العظيم بسمو شأنه فى ديارهم ولكنهم قد لا يبصرون الحرف الأول من حروفه ولا يفقهون له معنى فى بلاد مصر · فلا عدل فى مصر الا وهو مشوب بالسياسة ولا قضاء الا وهو مشوب بها كذلك ·

والقاعدة الأساسية للعدل فى عرف الانكليز أن يحكم على المصرى متى كان عدوا للاحتلال وأن يبرأ الانكليزى حتى ولو جنى أفظع جناية وأن أمورا تجرى على هذا الأساس يجب أن تعرف فى أوروبا ويجب أن يقضى الرأى العام الأوروبى عليها قضاءه الشديد وتحتج ضدها ضمائر الشعوب المتمدينة ··

(★) كتبها مصطفى كامل فى ١٨٩٧/٨/١٧ عقب مقالة نشرتها جريدة الدبيش كلونيال الباريسية تثنى على وطنية مصطفى كامل ودعوته الأمم الأوروبية للاهتمام بمسئلة مصر والتخلى عن فكرة العصبية والتعصب حتى أن أعداء مصطفى كامل حاولوا تشكيك الرأى العام فى صحة نشر هذا المقال وأرجعته الى الحاح واستجداء مصطفى كامل لنشر هذا المقال مما يدل على مدى حقدهم عليه من أعماله الجليلة لخدمة المسألة المصرية ·

وقد نشر هذا المقال فى جريدة البرينرتاجبلاط الالمانية · فى ١٧ اغسطس سنة ١٨٩٧ ·

فلقد رأينا العدل آلة سياسية بيد الانكليز وانى لا أضرب على ذلك غير مثال واحد وهو مثال قضية المؤيد الشهيرة فان هذه الجريدة جريدة مصرية تصدر فى القاهرة باللسان العربى الذى هو لسان مصر ويحررها رجل مصرى ٠٠ الخ ٠ رأى الانكليز أن هذه الجريدة تحارب الاحتلال بسلاح الحقيقة الساطعة فاضطهدوها وساقوا مديرها للمحاكمة بحجة انه ساعد على اذاعة تلغراف رسمى بنشره فى جريدته وقد أحدثت هذه القضية فى مصر تأثيرا كبيرا وكانت المسئلة الوحيدة حين ذاك الشاغلة لأفكار المصريين والأوربين عامة(١) ٠

وقد برأت المحكمة الجزئية صاحب المؤيد براءة جاءت ضد رغبة الانكليز وجاءت بعد تهديدات طويلة عريضة هددوا بها القاضى المصرى العادل واستأنفوا القضية مؤملين نيل عقابه فكان استئنافهم للقضية استئنافا للبراءة مما شرف القضاء المصرى وبرهن على ان فى المصريين رجالا لا يخافون الاحتلال بل يأتون العدل بكل قوة وثبات ٠ فلما يئس الانكليز من استعمال قضاة مصر المصريين آلات لرغائبهم وحبا للانتقام والبطش وهدم قواعد العدل عينوا عقب هذه البراءة المزدوجة ثلاثة قضاة من الانكليز فى محكمة الاستئناف ليزداد عدد الانجليز بها وليكون الحكم على أعداء الاحتلال أمرا سهلا هينا ! ! !

أما من حيث الوجهة الانسانية فلا قيمة لحياة المصرى فى أعين الانكليز فالاعتداء

---

(١) تتلخص هذه القضية فى أن جريدة المؤيد نشرت تلغرافا سريا أرسله اللورد كتشنر سردار الجيش المصرى فى ٢٨ فبراير سنة ١٨٩٦ الى وزير الحربية بخصوص أحوال الحملة فى السودان واصابات الكوليرا التى وقعت بين أفراد الجيش هناك وقد ذكر التلغراف تفصيلا حالات الكوليرا التى وقعت ٠ وكان التساؤل عن كيفية حصول الشيخ على يوسف (صاحب جريدة المؤيد فى ذلك الوقت) على تلغراف سرى من وزارة الحربية رغم أن أخبار السودان كانت ممنوعة عن الجرائد الوطنية ٠ وتوصلت الحكومة بالبحث فى الأمر ان موظف التلغراف الذى تلقى البرقية من السردار وهو توفيق كيرلس قد أبلغ محتويات التلغراف الى المؤيد واستطاع الشيخ على يوسف بالاتفاق مع موظف التلغراف بأخذ البرقية ونشرها فى المؤيد ، وبناء على طلب اللورد كتشنر أقامت النيابة الدعوى العمومية على الشيخ على يوسف وتوفيق كيرلس والجدير بالذكر أن المؤيد كانت لسان حال الحركة الوطنية انذاك مما أعطى القضية صفة الوطنية ووضح ذلك من ازدحام الجماهير على محكمة عابدين التى نظرت فيها القضية ٠ وقد برأت المحكمة الشيخ على يوسف وحبس توفيق كيرلس ثلاثة أشهر وذلك فى ١٩ نوفمبر سنة ١٨٩٦ ونظرا لاستياء الانجليز من أحكام القضية فقد أوعزت الى النيابة باستئناف الحكم ونظرت القضية أمام محكمة الجنح المستانفة أول ديسمبر سنة ١٨٩٦ ٠

ثم تأجلت الى منتصف الشهر حيث صدر الحكم بتأييد برأة الشيخ على يوسف وبراءة توفيق كيرلس والغاء الحكم السابق عليه ٠

ومن ذلك يتضح مدى نضوج الوعى القومى فى ذلك الوقت وبرهانا على كراهية الشعب المصرى للاحتلال واعوانه متمثلا فى اهتمام الرأى العام المصرى بهذه القضية ٠

د٠ عبد المنعم الجميعى ــ مرجع سابق من ص ١٥ ــ ص ١٧ ٠

على الحياة البشرية فى مصر مبدأ من مبادىء أبناء التاميز ـ ممدينى العـالم وحماة الانسانية ـ وليحكم القارىء على ذلك بهذه الأمور ٠

سأل يوم من الأيام عامل من عمال التلغراف(١) مهندسا انكليزيا كان حاملا اليه تلغرافا ان يمضى وصـــل التلغراف كما هى العادة فى مصر فرفض الانكليزى ذلك ٠ فكرر موظف التلغراف الطلب اتباعا لأوامر المصلحة فعد الانكليزى ذلك منه سوء أدب يستحق العقاب عليه فقام بغايه السكون وتناول بندقيته وصوب رصاصتها فى صدر المصرى المسكين حيث ســقط يتخبط فى دمه كأنه حيوان صــغير حقير والانكليزى ساكن الفؤاد ٠ ولابد أن القارىء يتساءل عند قراءة هذه المسئلة « وأى عقاب نال الانكليزى ؟ » « فأجيبه ـ لا شىء لا شىء أبدا انما نقله اخوانه الانكليز الى الهند ! !

وقد رفض طلبة الأزهر مرة أن يسلموا مريضـا منهم الى الســلطة العسكرية فحاصر البوليس مدرستهم الكليه بأمر قائده الانكليزى والقى الرصاص عليهم حيث جـرح كثيرون ولم ينل الضـابط الانكليزى آقل توبيخ بل لا يزال موظفـا كبيرا آمنا مطمئنا ٠

وفى الشتاء الماضى اشتهرت قصة حريق (٢) البلينا التى ذهبت فيها أرواح

---

(١) وقع هذا الحادث خلال عام ١٨٩٦ ـ وملخصه أن أحد عمال التلغراف حمل تلغرافا الى أحد ضباط الجيش البريطانى وهو فى نفس الوقت مهندس وطالبه بالتوقيع باستلام التلغراف ولكن الضابط البريطانى رفض التوقيع بالاستلام مما دفع ساعى البريد باعادة مطالبته بالتوقيع كما هو متبع فى مثل تلك الأحوال فما كان من الضابط البريطانى الا أن أطلق بندقيته فأردى ساعى التلغراف قتيلا ٠

الا أن المحكمة المخصوصة بدلا من معاقبة الجانى برأته واتهمت القتيل باثارة القاتل مما دفعه لهذا التصرف واكتفت المحكمة المخصوصة بنقل الضابط البريطانى الى المستعمرات بالهند ٠

ونجد أن هذا الحادث يدل على استهتار السلطات البريطانية بانسانية ومشاعر أفراد الشعب المصرى حتى وان أدى الأمر من قبل جنود وضباط الاحتلال الى قتل المصريين أثناء أداء العمل الرسمى ٠

وبدلا من أن يكون الحكم بالعدل وهو ما يفترض فى أداء المحكمة كان حكمها اللوم على القتيـل المتسبب فى قتل نفسه أما القاتل المتضرر فانه يكتفى بابعاده عن موقع جريمته واقصائه عن البلاد ليس حرصا على مشاعر أهل القتيل بل حرصا على مصالح البريطانية المتمثلة فى مهندس ضابط بالقوات البريطانية والتى تعتبر المحافظة على حياته أثمن من حياة أى مصرى ٠

وقد تكرر حكم المحكمة المخصوصة المجحف بالمصريين فى حوادث شتى مثل تلك ولعل أبرزها فيما بعد حادث دنشواى عام ١٩٠٦ ٠

(٢) قتل عصابة من اللصوص عددها ثمانية أشخاص ملاحظ بوليس مدينة أبو شوشة بنجع حمادى المؤيد : ٢٦ يونية ١٨٩٧ العدد ٢٢١٠ ٠

وكان هؤلاء الاشقياء يترددون على أرض عبد الشهيد بك بطرس من أعيان البلينا وكان يعلم بوجودهم فى أرضه فعقد معهم اتفاقا بالأمان بينه وبينهم نظير عدم الاضرار باملاكه وانزلهم بحزانة فى عزبته غير مطروقة ، ثم ابلغ عنهم سرا معاون بوليس البلينا وعمدتها وحضرت قوة من البوليس وأحاطت بالخزانة المقفلة من الداخل بواسطة العصابة ومن الخارج بواسطة خدم عبد الشهيد وطلب البوليس من العصابة =

ثمانيه أشخاص حرقا بالنار ومآل هذه الحادثه أن عصابة لصوص اعتدت على ضابط بوليس وقتلته فأخذت الحكومة تبحث عنها حتى أشعرها يوما من الأيام أحد الأهالى بأنه احتال على رجال العصابة وأغلق عليهم قاعة فى دائرته فأرسلت الحكومة رجالها وبوليسها وسألت هؤلاء الرجال أن يخرجوا من القاعة فامتنعوا فوجدت الحكومة أن لا استطاعة لها على اخراجهم وأن خير عمل يعمل فى هذه المسئلة هو احراقهم جميعا فأمرت ـ أوامر الانكليز ـ بابقاء النار فى القاعة على من فيها فأحرقت وأحرق الثمانية الذين كانوا فيها وقام الحريق دليلا ساطعا متلألئا على ماهية العدل فى مصر تحت سلطة الانكليز .

والى القراء أمر آخر حدث أخيرا وهاجت له ضمائر المصريين كافة ونزلاء مصر غير الانكليز وهو أن عسكريا انكليزيا قتل صبيا مصريا (١) كان يرميه بالحصى . ولما سيق العسكرى الى مجلس المحكمة الانكليزى اعترف بجريمته ـ ... برأه المجلس براءة لا ريب فيها وانى أقسم للقراء أن هذا الأمر الفظيع بل هذه الجريرة البهيمية أتى بها الانكليز أبناء الانكليز لا الصينيون ؟ .

ولقد أحدثت براءة هذا القاتل فى مصر تأثيرا سيئا جدا فى الرأى العام ورفعت أم القتيل قضية مدنية أمام المحاكم المختلطة وتقدم لسمو الخديو وفد من أعيان

= تسليم أنفسهم ولكنهم رفضوا وبادلوا اطلاق النار مع البوليس وخشى البوليس حلول الليل ويتمكن اللصوص من الهرب فاتفقوا على شق سقف الخزانة والقوا عليهم غار البترول والقش والحطب واشعلوا النار فيهم وبذلك تمكنوا من الخلاص منهم حرقا .

وتعتبر هذه الحادثة رغم بشاعتها من الحوادث العادية فى محاربة المجرمين المسلحين والخطرين على الأمن فى ذلك الوقت والذين تعودوا على مقاومة البوليس بالسلاح وهى من الحوادث المعتادة فى منطقة الصعيد بالذات .

جريدة المؤيد : ٢٥ يناير سنة ١٨٩٧ عدد ٢٠٩٤ ، ٢٦ يناير سنة ١٨٩٧ عدد ٢٠٨٥ .

(١) فى ١٧ يوليو سنة ١٨٩٧ وقع هذا الحادث المؤسف وهو مقتل شاب مصرى بطلق نارى وظهر أن الذى أطلق عليه الرصاص جندى انجليزى من نافذة المعسكر الانكليزى بسراى رأس التين ، ولما قدم هذا الجندى الى المحاكمة أمام المحكمة القنصلية اعترف بانه اطلق الرصاص حقيقة ولكن على سبيل المزاح والفكاهة مع هذا الشاب ، وبالرغم من هذا الاعتراف الصريح بالقتل وشهادة الشهود ومن بينهم خـادم انجليزى كان ملحق بحاشية الخديو ـ برأته المحكمة القنصلية . وكان لهذا التصرف رنة استياء عامة بين المصريين ، فقد دلت على استخفاف المحتلين بأرواح المصريين ودليل على أن الجهات الانجليزية لا تقيم وزنا لارواح المصريين وقد زار وفد من أعيان الاسكندرية سراى الخديو اعرابا عن استيائهم من هـذا الحادث وانتهاء المسألة بلا تحقيق جدى وعادل وقد وضح تعاطف الخديو معهم حيث انه وعدهم بالاجتماع مع وزارته للوصول الى وضع حد لهذه الحوادث ولما كان القانون يقضى بالا يحاكم المتهم مرتين على تهمة واحدة ، فقد رفعت والدة القتيل دعوى بالتعويض المدنى أمام المحاكم المختلطة تطالب فيها بتعويض مالى عن فقد ابنها وعائلها .

أحمد شفيق باشا ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ ـ قسم ١ ص ٢٤٥ . ص ٢٤٦ .

الاسكندرية رفع لجنابه ما عم الناس من الكدر والانفعال بسبب تبرئة محرم يستحق الضرب بالرصاص ·

فهذه صحيفة من صحائف أحوال مصر اذا قرأها القارىء وتمعنها عرف كنه ما يجرى على شواطىء وادى النيل · وهذه الأمور التى أتيت عليها يعرفها فى مصر المصرى والغريب ولكنها مجهولة كل الجهل فى أوروبا · وأن الواجب على كل رجل متمدن وقف على هذه الأمور أن يحتج ضد الاحتلال الانكليزى لمصر ·

وانى أعرف أنه لا يزال فى المانيا بعض رجال يعجبون بحرية الانكليز فى انكلترا أيها المعجبون بالانكليز أن أردتم حقا أن تعجبوا بهم كل الاعجاب فاختبروا أعمالهم فى غير بلادهم تجدوهم يجنون أفظع الجرائم ويعتدون على حقوق الأمم وعلى حياة الأفراد ثم يتركون أحرارا بغير عقاب ···

ففى استطاعة أحقر الانكليز أن يعتدى فى مصر على أرفع المصريين بدون أن يعاقب أقل عقاب · ولكن اذا مس مصرى أحد الانكليز كان أكبر الجناة وأعظم المجرمين وقد اسس محتلو مصر محكمة مخصوصة واسـعة السلطة والارادة لا قانون لهـا ولا مرد لأحكامها تحكم على من يعتدى من المصريين على أحد العساكر أو البحارة الانكليز وليس للمصريين من يحميهم من الانكليز فهى هى المحكمة المخصـــوصة التى تكفى وحدها لتعريف أوروبا أحوال مصر وسير الانكليز فيها · اذ هى أفصح وأبلغ من كل الخطباء !

الخديوية المصرية ★

« لقد وجه الانكليز أكبر عنايتهم من أول يوم احتلوا فيه مصر للقضـــاء على الخديوية المصرية ومحـو آثارها من الوجود ، فاستعملوا وها هم يستعملون اليـوم أكثر من ذى قبل كل الوسائل لجعل خديو مصر بلا نفوذ فعلى فى بلاده ٠

وقد كان المرحـوم الخديو السابق توفيق باشـا مدينا للانجليز بتداخلهم لمصلحته(١) أثناء الثورة العرابية وكان يرى ضياع سلطته وقوته الشرعية بمساعى الانكليز ولكن لم يكن يستطيع الاحتجاج علنا ضـــد أولئك الذين كانوا يسمون أنفسهم أصدقاءه ٠

ولا ريب أنه كان يظن ككثير من المصريين وقتئذ أن حكومة جلالة الملكة تقوم من نفسها بالوفاء بوعودها وتحترم شرفها باجلاء الجنود الانكليزية عن مصر يوما ما ٠

وبينما كان الانكليز يعملون فى مصر على تقويض السلطة الخديوية فى عهـد المرحوم توفيق باشا كان وزراؤهم وكانت جرائدهم فى لندن ينادون امام أوروبا وأمام العالم كله أن وظيفة جنود دولتهم ورجالهم فى مصر تقوية السلطة الخديوية واعادة احترام الخديو وحقوقه الشرعية اليه ٠

(★) نشرها عام ١٨٩٧ فى جريدة البرلينر تاجبلاط الالمانية وهذا تعريبها كما ورد فى كتاب مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا جـ ٦ ص ١١٧ ٠

(١) كان الخديوى توفيق يقيم أثناء ضرب الاسكندرية فى ١٨٨٢/٧/١١ بسراى مصطفى باشا فاضل بالرمل بعيدا عن الضرب ، ويتلقى أخباره من اتباعه ، لم تكن عواطفه مع حماة الحصون ، بل كان قليل الاكترات بما أصابها وأصاب المدينة وكان الخديوى يبغض عرابى ، حتى أن الخديوى شعر بالسرور لأنباء سقوط الاسكندرية مما جعل العرابيين يحاصرون السراى للقبض على الخديو والانتقام منه ، وحين فكر الخديوى فى العودة الى رأس التين أرسل يستطلع رأى الاميرال الانجليزى فى هذه العودة فأمنه الاميرال سيمور ووضع الحرس الكافى على القصر عند عودة الخديوى وعند وصوله الى القصر فى ١٨٨٢/٧/١٣ استقبله الاميرال سيمور ومعه ضباط انجليز وفرقة من جنوده ومن ذلك الحين انضم الخديوى الى الانجليز وأصبح فى حمايتهم واقترن مصيره بانتصار الانجليز بل أصبح مدينا للانجليز ببقائه على العرش وسلامته ٠
(عبد الرحمن الرافعى ـ الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ٠٠ ص ٤٠٤ الى ص ٤١٥) ٠

فان سمو الخديو عباس حلمى باسا المملوء بالشبيبة والشهامة لما جلس على أريكه مصر رئى أن عمل الانكليز فى بلاده مناقض كل المناقضة لتصريحات وزرائهم الرسمية وتقريرات جرائدهم المعتمدة وشاهد أنه عوضا عن تقوية سلطة الخديوية يعمل الانكلبز لاضعافها ·

ومن البديهى أن نفسا طاهرة وروحا شريفة كروح سمو أميرنا لا يمكنها ان نقبل هذا الموضوع المخجل وترضى بضياع سلطتها مع تفهيم العالم كله ان المضيعين لها يقوونها ويؤيدونها !!!

ولما وجد سموه لحقوق ملكه وحقوق أمته قوة عظيمة ولشرف بريطانيا مكانا عاليا ولشرف أوروبا احتراما خاصا صرح علنا وجاهر بأنه يبتغى ويريد ارادة قاطعة أن يتمتع بحقوقه الشرعية التى لا خلاف فيها (١) ·

فكان هذا التصريح باعثا على المعارضة اللدودة العلنية من قبل الانكليز ·

ولم يجهل أحد منذ ذلك الحين أن اعتداء الانكليز على سلطة الأمير صار بينا مستمرا · وقد ابتدأت مطاعن الانكليز ضد الخديو عباس باشا بكل قحة ودناءة فى حين أنه ليس لسموه فى أعينهم ذنب آخر غير انه يريد تخليص أمته من النير الانكليزى وقيادتها متى صارت حرة قابضة بيديها على زمام أمورها فى طريق التقدم والمدنية ·

ويستحيل أن يقرأ الانسان مطاعن أسفل وأدنى من المطاعن الموجهة من الجرائد الانكليزية ضد خديوينا المعظم ولقد حرفت هذه المطاعن السافله سموه فى مصر وفى أوروبا كثيرا خلاف ما يشتهى الانكليز وأظهرت مقدار شجاعته فزاد بذلك نفوذه المعنوى ولكنها فى ذاتها تدل دلالة واضحة على أطماع الانكليز فى مصر بل أقول أنها البرهان الساطع على تلون رجال السياسة الانكليزية وتدليسهم فى تصريحاتهم ·

ولقد اتبعت الأمة المصرية نحو سمو أميرها المعظم وتتبع اليوم وفى المستقبل سياسة التعلق الشديد والارتباط المكين بشخص سموه كما أظهرت المرارة العديدة التضامن المشترك بين حقوقها وحقوق الخديوية الجليلة · واذا وجدت فى شخص سمو الخديو الحالى اسمى وأعظم مدافع عن هذه الحقوق المشتركة الشرعية فقد علقت حظها ومستقبلها بحظى سموه ومستقبله وقالت بلسان الأعمال والمظاهرات الفصيح » ان اخلاصها لسمو لعزيز يزداد كل يوم » ·

وفى الواقع أن أمتنا لم تنس مطلقا هذه الكلمات الصادرة عن شرف الاحساس

---

(١) كان هذا مسلك الخديو عباس حلمى الثانى عند بداية توليه العرش الخديوى ·

والوطنية الصادقة والثبات التي فاه بها سمو الخديو عباس باشا عام ١٨٩٣ « انى أفضل الموت على التنازل عن حقوق ملكى وحقوق أمتى » ٠

واذا كان غاية مرمى الانكليز اضعاف السلطة الخديوية فقد استعملوا للوصول الى هذا السبيل أدنى الوسائل فصار كل عدو للامير محبوبا منهم مكافأ بل صاروا يشجعون كل خائن وكل أجنبى يجاهر لمصر بالعدوان وصار كل محب لسمو الامير مبغضا منهم مهدد الحياة ٠ فمحبة الخديو ـ صاحب السلطة الشرعية التى جاؤا مصر بحجة لدفاع عنها وجمع القلوب حولها ـ صارت اليوم فى أعين أبناء التاميز جريمة لا تغتفر وذنبا لا ينسى !!

ولكن بالرغم عن هذه الأعمال وهذه الخطة التى لا تليق شرف بريطانيا فان الأمة المصرية بقيت كما ذكرت صادق الولاء نحو العزيز ٠ وقد زار سمو عباس باشا فى الأيام الأخيرة بعض مديريات الوجه البحرى فقوبل من سائر الأهالى والسكان أبدع وأجمل وأصدق مقابلة ٠ واحتفل المصريون فى هذه المديرات بزيارة سمو الامير احتفالا ما رئى انسان له مثيلا ٠

وانى أقول ولا أخشى فى الحق لومة لائم أن أرض الفراعنة ما رأت فى تاريخها الطويل أميرا محبوبا من أمته هذا الحب الصادق غير سمو الخـديو (عباس حلمى الثانى) ٠

وقد اغتاظ الانكليز كثيرا من هذه السياحة الدالة على حقيقة ميول المصريين ٠ وتحققوا اليوم جيدا أن كل دسائسهم ضد شخصه الكريم وكل أعمالهم المدبرة بغاية المهارة يكفى لاسقاطها وضياع نتائجها يوم واحد !!!

وان أمل الانكليز فى هدم السلطة المعنوية لسمو الامير باطل لا محالة !!

وبينما الانكليز يدسون الدسائس المختلفة فى مصر ضد الامير يعمل رجالهـم وسواسهم فى أوروبا لاظهار سموه بمظهر العاجز عن ادارة شؤون بلاده ٠ ولكنهـا وشاية لم تنتج شيئا آخر غير لفت الانظار الى أمور مصر ٠

اذ لا يستطيع أحد أن ينكر أن آمال سمو العزيز عباس باشا أوجدت فى أوروبا للمسئلة المصرية حياة جديدة ٠ واذا كانت الحكومات الاوروبية لم تقرر الى اليوم أمر الجلاء فمن الأمور التى لا خلاف فيها أن الرأى العام الأوروبى قضى هذه السنين الأخيرة على احتلال الانكليز لمصر أشد القضاء ٠

أما فى الاستانة فدسائس الانكليز ضد أميرنا المعظم دبرت فى الأيام الأخيرة بمهارة ونشاط عجيبين فان سواس انكلترا رأوا فى التقرب الحاصـل بين جلالة السلطان الأعظم وجلالة الامبراطور غليوم خطرا عظيما على بقائهم فى مصر اذا كانت العلائق بين يلدز وعابدين حسنة طيبة ٠ فبذلوا جهدهم فى القاء بذور الشقاق بين

السلطة العثمانية والخديوية المصرية · وان الناس كافة يعلمون ان للسياسة الانكليزية فى الأستانة عمالا سريين يدعون انهم اتراك وما هم الا سفلة لا وطن لهم وهؤلاء العمال اعتادوا أن يرفعوا للمابين التقارير عن بعض الأمور وانى لا أقول أن لهذه التقارير نتيجة أو تأثيرا ولكن القائمين بهذا الأمر يظنون انها ان لم تؤثر كلها فلا يبعد ان يؤثر بعضها ·

وقد ادعى هؤلاء السفلة فى تقاريرهم ان سمو الخديو عباس باشا يطمع فى الخلافة الاسلامية (١) وهى دسيسة يستحيل على العقل قبولها ولكن أصحابها يؤملون منها ولو تشويش الاذهان فى يلدز ·

ولما أرسل مولانا الخديو فى الصيف الماضى سفينة حاملة لبعض الذخائر الى طشيوز وقبضت عليها سفن اليونان ادعى هؤلاء القائمون بنشر الاكاذيب ودس الوشايات أن الخديو قد أرسل هذه السفينة لمساعدة اليونان ضد الدولة العلية وأن أمر القبض عليها ليس الا العوبة اتفق عليها من قبل بين الخديو وملك اليونان ·

وقد سافر أخيرا الى بلاد العرب البرنس عزيز بك واشيع قبل سفره انه يقصد زيارة الأمير ابن الرشيد المعروف بنفوذه العظيم فى جزء كبير من بلاد العرب · فانتهز ارباب الدسائس فى الاستانة هذه الفرصة للوقيعة بسمو الخديو وادعوا أن البرنس عزيز بك أرسل من لدن أمير مصر للاتفاق مع ابن الرشيد على تهييج القبائل العربية ضد الحكومة السلطانية · مع أن سمو الخديو قد بذل جهده لارجاع البرنس عزيز بك عن قصده الذى ليس وراءه شىء ماوانى لا أشك لحظة واحدة فى ان جلالة السلطان « عبد الحميد » مدرك بمهارته الفائقة وتبصره النادر المثيل أسرار هذه الدسائس فهى لا تصيب منه أقل اصغاء · كذلك قد رأى جلالته فى حكمه الطويل من السياسة الانكليزية أمورا كثيرة تبين لجلالته بأوضح بيان ان الدسائس الموجهة ضد عزيز مصر قد دبرت كلها بأيدى الانكليز !

وليس من ينكر أن الموجد لسياسة الميل للدولة العثمانية والتعلق بها أشد التعلق التى اتبعتها الأمة المصرية فى هذه السنوات الأخيرة بكل ظهور وبها انما هو سمو

---

(١) فكر الخديو عباس فى أن يتخذ من سمعة الازهر وعلمائه فى العالم الاسلامى سندا دينيا يرجحه على امراء المسلمين ويعطيه الاحقية فى تحقيق حلمه فى تولى الخلافة الاسلامية ، وحين التقى الخديو عباس بجمال الدين الافغانى عند زيارته للاستانة ظن السلطان ان التقائهما تآمرا على تحويل الخلافة عباسية فى مما دعا الافغانى الى نفى هذا القول باعتبار أنه لا يملك حق تولية الخلافة لمن يشاء ، كذلك بلغ ان الخديو عباس ارسل ابن عمه البرنس عزيز حسن الى بلاد نجد لمقابلة آل الرشيد للتباحث فى موضوع الخلافة العباسية · وفى الواقع أن الخديو عباس لم تكن لديه القدرة التى تمكنه من تنفيذ فكرة الخلافة العربية وان الأمر لم يكن الا محاولة للضغط على السلطان للحد من محاولاته استرداد الامتيازات التى نالتها مصر من قبل ووقف تدخله فى شئون مصر ·

د· عبد المنعم الجميعى ـ مرجع سابق ص ١٧٠ ـ ١٧١ ·

الخديو (عباس حلمي باشا) فهو الذى أدرك قبل كل انسان الأهمية السياسية العظمى للاتفاق بين السلطنة العثمانية والخديوية الجليلة • فضلا عن ذلك فان جلالة السلطان الأعظم « عبد الحميد » يعلم علم اليقين ان مسئلة مصر بالنسبة للخلافة الاسلامية هى مسئلة حيوية • ويعلم كذلك ان احتلال الانكليز لمصر هـو أكبر وأعظم اعتداء حصل ضد سلطته العالية واحترامه العظيم •

ولكن الذى يظهر جليا من كل الدسائس الانكليزية هو رغبة الانكليزية فى هدم الخديوية المصرية • وقد يتساءل كل انسان ما واجب أوروبا أمام هذه الرغبة وما هى رغبتها ؟؟ لا مراء أنه اذا كانت حقوق مصر مرتبطة بحقوق الخديوية كل الارتباط فانه لا يمكن كذلك احترام حقوق أوروبا والدفاع عنها الا بالمحافظة على الخـديوية المصرية واحترام حقوقها الشرعية •

فالخديوية المصرية هى السلطة العالية التى قبلتها أوروبا وضمنت وجودها والتى تضمن فى مصر لأوروبا حقوقها ولرعاياها الراحة والأمان •

واذا وصل الانكليز الى هدم الخديوية أو الى اضعافها فقط فان حقوق أوروبا فى مصر تفقد كل ضمان وتضيع كلها يوما ما •

وان مصر بلا خديوية تكون بلا أوروبيين أى بليدا أفريقيا محضا •

ولو أن دولة واحدة أوروبية ساعدت سمو الخديو مساعدة فعلية لخدم سموه مصر وأوروبا خدمة جليلة للغاية • ولكن خطأ الماضى لا يصح البقاء عليه فى المستقبل ! فان شرف أوروبا ومصلحتها يقضيان عليها بتخليص مصر من ربقة الانكليز •

وقد بدت لنا جملة أمور تدل على أن فى أوروبا دولا عظمى تريد تحرير مصر ووادى النيل • فلتعجل بالعمل أن كان فى النية عمل فقد رأينا من الآلام ما يستحيل أن نرى بعده شيئا •

وان اليوم الذى ترد فيه أوروبا لوادى النيل حياته وحريته تجد أمامها فيه أميرا عالى الذكاء شديد الوطنية محبا للعدل والمدنية تتبعه الأمة المصرية بأسرها • وها هو يجد اليوم وبجواره طبقة حرة متعلمة مهذبة ذكية مكونة من رجال لا هم لهم الا خدمة الوطن المصرى بصدق و خلاص والعمل لبقائه الى الابد حرا سعيد متمدينا •

جنات مدير جريدة لوريان ★

« قرأت فى أحد الأعداد الأخيرة من جريدتك جملة على الوطنيين المصريين كتبت بتحيز كبير للاحتلال الانكليزى وأشياعه وليست عليها مسحة من الحق · ولما كنت أعتقد أن مبادئكم حرة وشريفة وانكم تستظلون براية الحرية والاخاء والمساواة ورأيت أن أرسل اليكم كتابى هذا خدمة للحقيقة راجيا نشره فى المكان الذى نشرتم فيه مقالتكم التى نسبتم الى فيها امورا أنا أبعد الناس عنها وكذلك أبناء وطنى جميعا ·

يقول مراسلكم المصرى « أى المصريين عمى لا يفهقون ولئام لا يعترفون بجميل » ويدعى فى مقالته أن الاحتلال الانكليزى أحسن الينا فنظم ماليتنا ورد السودان ونشر المعارف بيننا واحيى فينا « مصطفى كامل » ···· الى غير ذلك مما عده نعما وجهها الانكليز واتهمنا بنكرانها والعمل على اشعال نار الثورة فى بلادنا ·

ولذلك هو يسأل أوروبا أن تعطى الانكليز الحرية التامة فى تأديبنا حتى لا تعرض بمالها ومصالحها الجمة فى مصر للضياع ··· الى أخر ما افترى »

هذا ما افترى مراسلكم علينا به ويعلم الله أنه ماجور من الانكليز لأن يدا تتصل بقلب طاهر يشعر وبعين ترى لا تكتب على نفسها اثما كما كتبت يد هذا المراسل ·

ان الانكليز العمليين دخلوا مصر بعد أن قضى فيها الفرنسيون العلماء ٦٥ عاما بين اطباء ومهندسين ومعلمين وماليين فأقاموا معالم الدوارس واوجدوا من أفريقيا مملكة أوروبية كبيرة ·

انى يا جناب المدير لو أردت أن أشرح لك ما سبقت شرحته فى أغلب عواصم أوروبا بالقلم واللسان لحملت نفسى فوق طاقتها ولذلك أرسل اليكم خطبة باريس التى

(★) كتب مصطفى كامل هده المقالة فى شكل رسالة بتاريخ الخميس ٣ فبراير سنة ١٨٩٨ ردا على ما أهاحته الصحف الاوربية وعلى رأسهم جريدة لوريان ضده من انه كان يضمر القيام بثورة ·
(على فهمي كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا حـ ٦ ص ١٥٣) ·

القيتها فى أواخر سنة ١٨٩٥ بقاعة الجمعية الجغرافية ورسالة « خطر مصر » لعلكم متى قرأتموهما تعرفون كيف بدد الانكليز أموالنا وحملوا الأمة ديونا عمومية وخصوصية ونسفوا الفضيلة من العلم واختاروا قشوره وهجروا لبابه · وانهم لم يضموا السودان الينا بل استبذلوا دماءنا فى فتحه ومن يعرف ماذا تكون النتيجة ·

أما مصطفى كامل الذى قال عنه مكاتبكم انه من عمل الانكليز الصالح فهو قول مردود لأن الانكليز لا يؤهلون المصريون ليقفوا فى طريقهم ويذكروهم بشرف تاجهم وكرامة أقسامهم !!

نعم ان المراسل بنى عملنا على اللؤم ونكران الجميل ولكن اسمح لمصرى مثلى ان يسألك سؤالا بسيطا ·

« أيعد الدفاع عن الأوطان فى نظركم لؤما · ولا تعدون السكوت عنه جنبا وخيانة»

اذا كنتم أنتم أبناء الأمة الفرنسية قد قمتم فى وجه حكومتكم الأهلية الرؤوفة بكم عدة مرات وهى منكم لانكم شعرتم بمظالمها فكيف تجدون من اللؤم قيام أمة جاءتها المظالم من سلطة أجنبية عنها طامعة فيها !!!

ألم نكن بشرا مثلكم نشعر بما تشعرون ونتألم كما تتألمون أنسيتم مركزنا السياسى ؟ أنسيتم مصالحكم عندنا ؟ ان كنتم نسيتم أو تناسيتم كل ذلك فانكم لا شك ذاكرون وطنيتكم التى ليست الا دروسا نقشت على كل قلب يقول فرنسا !!

انا كلما رتقنا خروق سياسة حكومتكم ووطدنا العلائق بين أمتنا العزيزة وأمتكم الكريمة قام منكم من يجد الحياة فى وحدة فرنسا وعزلتها فيعمل على اتساع الخرق ·

انك يا جناب المدير لو كنت تقرأ العربية لكنت بعثت اليك بنتف من سباب اذناب الانكليز ومأجوريهم ضد الوطنية والوطنيين لترى الى أى حد تهان كرامة الوطن والوطنية فى بلادنا · الى أى حد يغرى الاحتلال الدخلاء والمنافقين على هجو أمير البلاد ورئيسها الشرعى ·

ولو سألتنى ما ذنب الأمير وما عمله · لقلت لك أن ذنبه الوحيد فى نظر الانكليز انه صديق جلالة السلطان المخلص له المطيع لاوامره المحترم لتبعيته بينما يريد الدهاء الانكليزى ضمه اليه حتى تضيع مصر (لا قدر الله) ·

هذا ما اكتبه لجنابكم اليوم وأرجو منكم أن تنقوا بصداقة المصريين ووطنيتهم الصادقة التى مبدؤها « احرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا » وان تتفضلوا بقبول أجل اعتبارى واسمى احترامى ·

الجيش المصرى ★

« .نى أجد الشرف منتهى الشرف فى أن أخاطب قراء مجلة كبرى كهذه المجلة المقروءة المؤثرة فى شؤون جيش حبنا له من حب البلاد لأنه المدافع عن حوزتنا الساهر على صيانتنا الحامل لراية وطنيتنا الا وهو الجيش المصرى .

انى لم أكن عالما بفنون الحرب ونظام الجند حتى أصفهما وصفا دقيقا ولذلك أتكلم هنا على أعماله القديمة والجديدة وفخره الذى سطره له التاريخ وما لحقه من الغبن فى هذا العصر الذى جرت فيه كلمات الرقى والمدنية والانسانية حتى على لسان من لم يشبوا عن الطوق بعد ! .

كان فى مصر جيش كبير نظمه المرحوم محمد على باشا (١) رأس العائلة الخديوية حتى كاد يكون أول جيش فى العالم الشرقى بعد الجيش العثمانى الباسل وقد غزا به

(★) كان هذا رد مصطفى كامل على تساؤل المسيو فرانسوا دى مين مدير مجلة العالم الاسلامى التى كانت تصدر فى فرنسا حول حالة الجيش المصرى وموقفه بالنسبة لقوى الاحتلال .

(١) تحول الجيش المصرى فى عهد محمد على من جيش غير نظامى الى جيش نظامى ، كما تحولت صفة التبعية للجيش الى الصفة القومية . فقد كان الجيش المصرى فى بداية حكم محمد على يتكون من مزيج من الترك والألبان والمغاربة والدلاة ، ورغم أن محمد على قد حقق بهذا الجيش انتصارات حربية كثيرة فى بداية حكمه الا انه قرر تكوين جيش على أحدث النظم حتى يستطيع أن يحقق به آماله فى بناء امبراطوريته ، ولتحقيق ذلك شتت محمد على الجنود غير النظامية التى كان يتكون منها الجيش ووزعهم على الثغور والاقاليم ، ثم أخذ فى تكوين النواة الأولى للجيش فى أسوان وكانت تتكون من خمسمائة من خاصة مماليكه ، وخمسمائة من مماليك بعض رجاله واستعان فى تدريبهم بالكولونيل سيف Sévès الفرنسى ـ سليمان فيما بعد ـ وذلك ليكونوا ضباطا . وبعد الانتهاء من توافر العدد الكافى من الضباط أخذ فى التفكير فى الجنود ، وقد تجنب فى البداية تجنيد الأرناءود خشية تمردهم كما تجنب الفلاحين المصريين خشية وضع السلاح فى يد من لا يملكون ولجأ الى تجنيد السودانيين وأقام لهم المعسكرات فى أسوان ومنفلوط لتدريبهم على النظام الحديث ولكن التجربة فشلت فاتجه الى تجنيد المصريين ، وهكذا وضع محمد على وابراهيم أسس الجيش المصرى والأسطول الذى كان لهما شأن عظيم فى حروب محمد على .

ثم انتقل الجيش فى عهد عباس الأول (١٨٤٨ ـ ١٨٥٤) الى مرحلة الاضمحلال رغم أن عباس نفذ بعض الاصلاحات الحربية التى فكر فيها ابراهيم باشا قبل وفاته كتحديد الاستحكامات وانشاء الطرق =

محمد على بلاد' كثيرة لا أود ذكرها لأن فى ذكرى بعضها ما يحرك اشجانى ويؤلم فؤادى بصفتى مسلما مخلصـــا يرى القوة فى الدولة العليـــة والمجـــد المقبل فى سلامتها والالتفاف حول رأيتها ٠

= الحربية الا أن الجيش فى الجملة لم يكن موضع عنايته ، فأصبح فى عهد عباس الأول مثال الفوضى وسوء الادارة ، وقد زاد من ضعفه انه أدمج قيد نحو ستة آلاف من الارناءود وجعلهم خاصة جنده وسـلحهم بالمسدسات وكانت لهم السطوة وتعالوا على المصريين جنودا وأفرادا وظل سليمان باشا الفرنساوى القائد العام للجيش المصرى ولكن يده غلت عن النهوض به واصلاح شؤونه ٠

وبتولى سعيد حكم مصر بعد عباس (١٨٥٤ ــ ١٨٦٣) عاد الجيش المصرى الى عظمته ونظامه فقد إشتهر سعيد بميله الى الجيش فعمل على ترقية شئون الجيش من الوجهتين المادية والمعنوية وصبغه بالصبغة الوطنية ، فخفض مدة الخدمة العسكرية وجعلها فى الوقت نفسه اجبارية للجميع بعد أن كانت قاصرة على الفلاحين ، فرغب الأهالى فى الانتظام فى سلك الجندية ، كذلك عنى بترقية حالة الجنود والترفية عنهم من جهة الغذاء والمسكن والملبس وحسن المعاملة ، وكان لهذا الاصلاح أثره فى تقدم حالة البلاد الاجتماعية لأن المجندين حين يعودون الى القرى بعد انتهاء مدة خدمتهم كانوا ينقلون اليها مبادىء النظام والتقدم والنظافة التى تعودوها فى ظل الجندية ، وقد رقى كثير من الضباط المصريين الى المراتب العسكرية العالية بعد أن كانت قاصرة على الترك والشراكسة ٠

ولما كان مشهورا عن سعيد انه لا يستقر على وتيرة واحدة فنجده فى سنة ١٨٥٦ قد صرف معظم الجيش ولم يبق منه الا ست أورط من المشاه وثلاثة بلوكات من الفرسان وبلوكين من المدفعية وفى سنة ١٨٦٠ اعاد تنظيم الجيش مرة أخرى واعاد اليه ضباطه ونظم فيالقة ، وكان غرضه استعدادا للقتال بعد أن توترت العلاقات بينه وبين تركيا ، فكان عدد الجيش وقتئذ ٦٤٠٠٠ مقاتل كما اعتنى بالاسطول وعمل على احياء البحرية المصرية ولكن انجلترا أوعزت الى تركيا ان تمنع سعيد من تحديد الاسطول بحجة انه خطر على تركيا اذا قوى شأنه ٠

وبتولى الخديو اسماعيل عرش الخديوية سنة (١٨٦٣ ــ ١٨٧٩) وضع اهتمامه الكبير بالجيش وتنظيمه فارسل البعثات الحربية الى فرنسا لتعريف الضباط المصريين على نظام الجيش الفرنسى واقتباس خبرة قواده وضباطه فدرسوا النظم العسكرية الفرنسية والاستحكامات الحربية وغير ذلك من فنون الحرب والقتال كما أحضر بعثة حربية من فرنسا مؤلفة من بعض الضباط الفرنسيين لتنظيم المدارس الحربية المصرية ، كما عهد الخديو اسماعيل الى طائفة من الضباط ٠ الامريكيين لتاسيس هيئة أركان حرب للجيش المصرى تتألفت هذه الهيئة من الضباط المصريين العائدين من فرنسا علاوة على الضباط الامريكيين وعلى رأسهم الجنرال ستون Stone وقد بلغ تعداد الجيش سنة ١٨٧٣ ١٢٠٫٠٠٠ مقاتل ٠ كذلك اهتم اسماعيل بتجديد الاسطول فبعث النشاط فى ترسانة الاسكندرية وصنع السفن الحربية المدرعة فى ترسانات أوروبا كما جدد المدرسة البحرية بالاسكندرية وأحضر لها المدرسين الاكفاء من أوروبا ومصر وعهد بنظارتها الى ضابط البحرية الانجليزية ويدعى مكيلوب باشا وكانت تدرس العلوم البحرية التى كانت تدرس فى المدارس البحرية الأوروبية كما أرسل البعثات من خريجى هذه المدارس البحرية الى انجلترا لاتمام دراسة العلوم البحرية ٠

ولما اشتدت الازمة المالية والتدخل الأجنبى الفرنسى والانجليزى سنة ١٨٧٨ سرح اسماعيل الضباط الامريكان جميعهم ما عدا جنرال ستون الذى بقى رئيسا لاركان حرب الجيش المصرى حتى أوائل الاحتلال البريطانى فاستقال بدخول الانجليز مصر ٠

وكان الجيش المصرى قبل ضرب الاسكندرية يقدر بحوالى ٣٦ ألف مقاتل حسب قول عرابى ولكن الرافعى يعتقد ان هذا العدد مبالغ فيه فلم يكن يزيد عن ١٩٠٠٠ مقاتل موزعين بين مختلف المواقع ولما =

بلغ عدد هذا الجيش فى مدة محمد على ثمانين ألف جنـــدى وقد جلب له من أوروبا أساطين الحرب وقواد الجيوش الذين اشتهروا بسعة الاطلاع وقوة الابداع فى تنسيق النظام وترتيب الجنود ومنهم الكولونيل سيف الفرنسى الشهير الذى أسلم وغير اسمه وأصبح سليمان باشا الفرنسى ٠

قاد محمد على هذا الجيش فى بعض الغزوات ولكن الذى اشتهر بقيادته زمنـا طويلا هو ابنه ابراهيم باشا الذى تولى ملك مصر زمنا قصيرا وقد أثنى المؤرخون جميعا على اســتعداد المصرى للجنــدية غير أن الأزمنة المختلفة التى أهاجت حب منافســة معاصريه واستيلاء الأجنبى على بلاده لم تمكنه من التدرب على القيادة العامة فصار مرؤوسا مطيعا حازما ولعله يكون كذلك اذ جاءه حظ الترأس فى مقتبل الأيام !

جاءت بعد محمد على أدوار الخديويين والجيش كما هو فى كفاءته وعدده حتى زمن حكم اسماعيل باشا الخديو الاسبق فان الجيش المصرى بلغ فيه مبلغا عظيما من الرقى ٠ ومن يراجع تقارير ضباط الأركان الحرب الأجانب الذين استخدموا فيــه كالجنرال

– طالب عرابى سنة ١٨٨١ بزيادة مرتبات الضباط والجنود وافق مجلس الوزراء مقابل تخفيض المصروفات العسكرية البرية والبحرية وتخفيض عدد الجيش الى ١١ ألف مقاتل ولما طالب عرابى فى مظاهرة عابدين زيادة عدد الجيش رفض الخديو تحت تأثير المراقب المالى أوكلند كلفن بحجة أن مالية الحكومة لا تسمح ٠

وبعد خمسة أيام من احتلال القاهرة أصدر الخديوى مرسوما بتسريح الجيش ، ثم أصدر أمرا عاليا فى ١٨٨٢/١٠/٢٤ بتجريد الضباط الذين اشتركوا فى الثورة العرابية من رتبهم ٠ وفى نفس الوقت بدأ اهتمام انجلترا بانشاء قوة عسكرية جديدة تحل محل الجيش الملغى وبناءا عليه أرسلت الحكومة البريطانية لورد دفرين فى أكتوبر سنة ١٨٨٢ فى بعثة لهذا الغرض ، وتم الرأى على تكوين جيش جديد على ألا يزيد عن ستة آلاف مقاتل وحجته فى ذلك أن مصر محاطة بالصحراء من ثلاث جهات وهذا العدد كاف فى نظره للوفاء بالاغراض التى تحدث عنها ، كما رأى دفرين استبقاء جميع العناصر الانكشارية الأجنبية سواء كانت من الترك أو الالبانيين أو الشراكسة ولكنه استثنى الاتراك المتمصرين أو المصريين من الأصل التركى وذلك لتدعيم صفوف المحاربين الجدد ، كما قرر أن يضع الجيش تحت الاشراف المباشر لجنرال انجليزى وبعض الضباط الانجليز ومن ثم فان أربع أورطة مشـــاة من ثمان سو فيكون ضباطها فى جميع الرتب من أعلاها لأدناها من المصريين ويرأسهم لواء مصرى أما الأربع أورط الأخرى فسيكون القائد الأعلى انجليزى وكذا مساعداه ونائبه بالاضافة الى ثلاثة ضباط انجليز ، وينطبق هــذا بالنسبة لسلاح المدفعية فسيكون تحت قيادة كولونيل من سلاح المدفعية الملكى ، أما سلاح الفرسان فيتكون من ٥٠٠ جندى قائده ونائبه انجليزيين ٠

وهكذا نجد أن الاحتلال الانجليزى صبغ الجيش المصرى بصبغة انجليزية وسيطر الجندى الانجليزى على الجندى المصرى ٠

(١) عبد الرحمن الرافعى – عصر اسماعيل جـ ١ ، ط ٢ القاهرة سنة ١٩٤٨ من ص ٧ الى ص ١٨٦ ٠

(٢) عبد العظيم رمضان ، مرجع سابق من ص ٨ الى ص ٤٣ ٠

ستون (١) وغيره يعلم مقدار عدده وعدده فقد بلغ عدد رجاله فى وقت من الأوقات من ضباط وصف الضباط وجنود ١٢٠ ألف نسمة ٠ كما بلغت عدده من الطراز آخر طراز ٠

لأن اسماعيل كان مغرما بتأسيس مملكة ضخمة فأنشأ السفن وبنى الحصون واستجلب العدد واستخدم الأوروبيين لتدريب الجند وهو عمل كان يجب معه أن يكون مقتصدا ليأمن الوقوع فى غائلة الدين وضيق ذات اليد ٠

ولو كان اسماعيل مع نشره المعارف واصلاحه البحرية والحربية عول على وضع نظام مالى قائم على أساس متين ما كانت البلاد وقعت فى هذا المرض المالى العضـال وما كان الأجنبى وجد بابا يدخل منه هذا الغيظ الذهبى تحت هذه السماء النادرة المثـال !! ٠

ذهب اسماعيل وجاء توفيق وقد استلم ملكا كبيرا مدينا وظن الناس جميعا فى مصر وفى غير مصر انه سيكون التوفيق حليفه فى خديويته ولكن الحوادث خانته، ولينه المتناهى وطيبته التى كادت تكون زهدا أضعفت كثيرا من جاهه وقوت كثيرا جهلاء قادة الجيش والذين تهجوا منهجهم ٠

ذلك أن الجيش المصرى كان على رأسه فى ذلك الأوان قواد من العنصر الشركسى المحبوب الباسل (٢) ولكنهم كانوا على ما يظهر من الذين لا يحسنون كثيرا سـياسة الجند ومن سوء حظهم أو من سوء حظ مصر أن وجد بجانبهم رؤساء فرق مصرية لم تخرجهم المدارس العالية بل أخرجتهم صفوف الجند وهم من سلالة مصرية صرفة ٠ وقد حنق هؤلاء على أولئك واشتبك التباغض الجنسى بينهم مما أدى الى النزوع الى الثورة العرابية التى انتهت فصولها باحتلال الانكليز لمصر ٠

دخل الانكليز مصر فى وقت كانت فيه الثورة السودانية (٣) قائمة بعد أن أحكمت السياسة الانكليزية حلقاتها وعرفت كيف تثير لهيبها ٠ فرأى من رأسوا الجيش المصرى

---

(١) هو ضابط أمريكى على جانب كبير من الكفاءه والخبرة غادر الولايات المتحده بعد انتهاء الحرب الأهلية وجاء الى مصر وعرض خدماته على الخديو اسماعيل فألحقه بالجيش وعهد اليه سنة ١٨٧٠ برئاسة هيئة أركان حرب الجيش المصرى لما آنسه فيه من الكفاءة وأنعم عليه برتبة اللواء وصار يعرف بالجنرال ستون باشا واضطلع بالمهمة التى اسندت اليه واستعان على احياء هذه الهيئة وتنظيمها بهيئة من الضباط الوطنيين والأمريكيين وبطائفة الميكانيكيين والمهندسين والخبراء فى علم طبقات الأرض ، وأنشىء فى هذه الهيئة قسم للجغرافية مهمته وضع الخرائط الطبوغرافية الدقيقة عن اتحاد مصر والسودان وتولى تخطيط هذه الخرائط ضباط أركان الحرب المصريين والأمريكان فجاءت أعمالهم غاية فى الدقة والاحكام ٠

وقد غادر جنرال ستون مصر نهائيا سنة ١٨٨٢ حين عزم الانجليز وضع أيديهم على الجيش المصرى ٠ عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١٨٠ ٠

(٢) أسلوب تحبب من مصطفى كامل للترك يجعله محل تساؤل ؟ ٠

(٣) ثورة المهدى ٠

من ضباط الانكليز ان يفنوا ما بقى من جيشنا القديم وقد تم لهم ما ضمروا اذ بددت فرق هذا الجيش التعس (١) فى وقائع كثيرة اشتبكت فيها وفى جهات شتى بالسودان مع أهله ودراويشه ٠

بعد أن تم للانكليز هذا الأمر بسهولة غريبة أسسوا جيشا جديدا لا يتجاوز العشرين ألف جندى وقد وضعوا على رأسه عدد كبيرا من الضباط البريطانيين ليكون لهم أحسن مدرسة حربية مصرية يجربون فيها كل نظام يخطر ببالهم لا ليكون أساتذة ماهرين يلقنون فنون الحرب الحديثة لمن ائتمنتهم أوروبا على احتلال بلادهم !

فان الضابط الذى لا يتعدى رتبة الملازم فى الجيش الانكليزى يلحق بجيشنا برتبة البكباشى وينقد من المرتب هنا ما هو ستة أمثال مرتبه هناك ٠ وهو ما لم تسمع به فى التاريخ !

للجيش المصرى الآن وفى كل مدة الاحتلال ثلاث نقط يوزع فيها قسم فى السودان الشرقى ومركزه سواكن وقسم بالسودان الغربى ومركزه حلفا وقسم آخر بمصر ومركزه العاصمة ٠

وهذه الأقسام يحل بعضها مكان البعض كلما لاح للرؤساء تبديل وتغيير ٠

والنظام المتبع الآن أن فى الجيش ثمانى عشرة أورطة مصرية بيادة منها اثنتى عشرة أورطة من المصريين وست أورط من السودانيين ولا يوجد على رأس هذه الاورط مصريون الا فى أربع منها فقط واما الاربع عشرة أورطة الأخرى فجميع روسائها من الضباط الانكليز ٠

وكذلك بطريات الطوبجية فلا يوجد فيها بالمرة رئيس مصرى أما آلايات السوارى ففيها بعض المصريين وكذلك بقية فروع للجيش ٠

ان فى كل جيوش العالم لا يشتغل الجندى ورئيسه الا بكل عمل حربى كانشاء القلاع والحصون وحفر الخنادق ووضع العراقيل والتعليم العسكرى بكل أنواعه ولكن الحال فى مصر غير ذلك فانه بينما يضع الجندى المصرى راميته ليستريح من عمل عسكرى أو واقعة حربية تناديه أعمال الفعلة التى لم تكن من شؤون الجند بالمرة فينقل أكياس الغذاء وحزم المواد من بر الى بحر ومن بحر الى بر وينشىء السكك الحديدية ويبنى القناطر والثكنات وبالجملة يطلب منه تشييد مدن فوق جماجم الذين قتلهم برصاصه أو مزق أجسامهم كل ممزق بقنابله ٠

---

(١) التجريدات الثلاثة سنة ١٨٨٣ ، سنة ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ ٠

فالجندى المصرى (١) نجار وحداد وتراب وبناء وفاعل وحمال وخدام وجندى كل ذلك فى حرارة السودان وتحت سلطة الانكليز ٠

أخبرنى موظف ملكى من موظفى نظارة الحربية فى بلادنا أن العساكر المصرية يحملون حتى غذاء وملابس ومواد الجنود الانكليزية المرافقين لحملة السودان من جهة لينقلوها الى جهة أخرى ٠ فهل بعد هذا استعباد للأمم فى صورة المدنية ؟؟؟

ان الانكليز أول المدعين أنهم ممدينو العالم رحماء بالجنس البشرى وأنهم ما دخلوا مصر٠الا ليقيموا فيها ستة أشهر حتى يستتب الأمن ثم يعودون من حيث أتو فما بالهم اتخذوا الحدود المصرية بعد أن أستتب الأمن داخل البلاد عكازا يتعكزون عليه كلما ضايقتهم المطالبة بالجلاء أو لاحت لهم لائحة من أوروبا يـكون وراءها حرمانهم من البقاء فى أرض الفراعنة ٠ الا أن الانكليز أصبحوا يسخرون من العالم كله وقد سجلوا على أنفسهم بهذا الاخلاف فى الوعود عارا فى صحف التاريخ لن تمحوه حسناتهم حتى لو كانوا مصادفة يأتون بالحسنات ٠

انى أرى ان المثل الذى ضربته على تعس حالة الجندى المصرى واستخدامه فيما لم يكن من شأن الجنود لم يكن شيئا مذكورا بجانب ما سأقصه على قراء مجلة العالم الاسلامى ٠

اختص رئيس الجيش ذلك الرجل الجبار كتشنر باشا أحد الأورط بنقل التعيينات من شاطىء النيل الى القطار فلما رأى رئيسها المصرى ان المرض المسبب عن النصب الزائد أهلك الكثير من رجاله شكا حالهم الى الرئيس ليرحمهم ويسـتبدلهم بغيرهم فهز الرئيس الانكليزى المتمدين العظيم كتفيه، وقال « ان موت أورطة بأسرها لا يهمنى فالأمة المصرية تعد بالملايين ومن يموت من الجند نجد عوضه فى الحال » ٠

---

(١) استخدم الجيش المصرى فى بناء السودان وتعميره بصفة خاصة فعندما انتهت موقعة أم درمان ، اتجهت السياسة البريطانية الى جعل الخرطوم عاصمة للسودان ، ولما كان السودان خال من الصـناع وكانت مصلحة الأشغال بالجيش المصرى عبارة عن قسم صغير من الصناع العسكريين فقد رؤى زيادة هذه المصلحة وتكبيرها ، وسرعان ما تم تجنيد بنائين ونجارين ونحاتين ونقاشين وحدادين ورادين وغير هؤلاء من صناع المعمار ٠ وابتدأ هؤلاء الصناعة يصلون الى الخرطوم سنة ١٨٩٩ وقد قام هؤلاء الصناع ببناء أهم المنشآت الكبيرة المدنية والعسكرية فى الخرطوم هذا بالاضافة الى ما أنشىء فى الأنحـاء الأخرى ٠ وكانت أورطة السكة الحديدية أكبر أورطة فى الجيش المصرى فقد قامت هذه الأورطة على صيانة السكك وتعهدها بالاصلاح وتتضح صعوبة وقوة العمل الذى قام به الجيش المصرى فى قول أحد الضباط « أنه توجد تحت كل شبر فيها جثة جندى مصرى » ٠

واتسعت ميادين الخدمة لفيلق العمال المصرى لتتجاوز حدود مصر فشملت فرنسا والدردنيل والعراق وفلسطين فضلا عن سيناء ٠ فقد قاموا بأعمال عديده منها مد السكك الحديدية وأنابيب المياه وفرش الطرق السلكية وتفريغ شحنات البواخر والقطارات وشحنها وحفر الآبار وادارة القوارب الساحلية ٠

د٠ عبد العظيم رمضان ـ مرجع سابق من ص ٨٠ ، ص ٨٢ ، ص ١٢٤ ٠

من هذا المثل وغيره يدرك القراء أن الشدة قد بلغت من نفس هذا القائد الأوروبى مبلغ القوة مع ان العدل يقضى بالتبديل والتغيير فى كل عمل واجب النفوذ فما بالك بعمل كهذا ليس شرعيا ولم يكن بالمرة من اختصاص الجنود ؟ نعم ان السرعة التى ترى السياسة الانكليزية وجوب اتباعها فى فتح السودان تحتم هذا العمل الذى يعوق سيرة التبديل والتغيير كما يقول بعض الضباط الانكليز وجرائد الاحتلال • ولكن أليس فى ميزانية الجيش الذى لا يعرف لها حساب ما يكفى لجعل الاورطة المخصصة لأى عمل ما أورطتين •

وبالجملة فان حالة الجيش المصرى حالة تعسة للغاية لا يمكن تطبيقها على حالة أقل الجيوش الأوربية استعدادا ونظاما •

ان الجيش المصرى الذى هو جزء من الجيش العثمـانى لا ينفع الدولة اليوم فى أى حرب لأنه فضلا عن أن نظامه مخالفا للنظام الحديث الأوروبى كما يقول الكثيرون فان الانكليز لا يسمحون بانضمامه الى جيش الدولة اذا دعت الحالة الى ذلك •

نعم ان الوقت الذى فيــه ثارت الحرب الأخيرة بين الدولة (١) واليونان كان الجيش المصرى مشتغلا بما هو فيه الآن من استرداد السودان ولكن أليس الانكليز هم الذين اشعلوا نار هذه الحرب ليشغلوا الدولة عن مسئلة من أهم المسائل العثمانية فى أفريقيا انهم خافوا أن توعز الدولة الالمانية ــ التى هى العدوة اللدود للدولـة الانكليزية ــ للدولة العثمانية بأن تحدث القلاقل على حدود مصر الشرقيــة وتسوق جنودها الى داخل البلاد فى وقت تكون قد رحلت فيه الجند المصرية والانكليزية عن مصر لاسترداد السودان وبذلك يقعون فى فخ السياسة الألمانية ويضيع منهم الأبيض والأسود •

ان كبار السياسيين فى أوروبا متفقون على أن الانكليز يخلقون كل يوم جديدا فى عالم السياسة لبلوغهم الغاية التى يرمون اليها فليس ببعيد بل من المعقول جدا ان يخلق الانكليز أنفسهم فى الغد شيئا آخر فى نفس جسم الدولة العلية •

نعم أن تنافس هاتين الدولتين الالمانية والانكليزية يفيدنا كثيرا لأن فيه صاعقة مقبلة تقضى على احداهما بينما تضعف الأخرى وتتركها فى النزع زمنا طويلا • هناك يقوم المصرى ليسترد حقوقه ان لم تكن أوروبا قد قامت بواجبها نحو صيانة مصالحها وتأديب الدولة الطامعة الساخرة منها وكل آت قريب •

---

(١) الحرب اليونانية التركية سنة ١٨٩٧ •

الأحوال المصرية ★

المكاتب : يشيعون في الدوائر السياسية الأوروبية أن المصريين قد نسوا مسئلة الاحتلال ولم يعد لهم صوت يرتفع بعد الآن · فهل هذا صحيح ؟؟

المترجم ــ قد دهشني سؤالك هذا غاية الدهش لأنه كيف ينسى المرأ أمه الحنون التي لا رحمة في الوجود تعادل رحمتها ولا شفقة تشبه شفقتها · ان الذين يقولون أن أصواتنا أخفقت يظنون أن بلادنا أصبحت مستقلة سعيدة عالية الشأن ·

نعم أن يوما فيه نرى مصر قد أخذت مكانها اللائق بها بين الأمم هو يوم لا تشكو فيه من ظلم ظالم أو جور جائر بل تكون ككل الأمم التي ترتفع أصواتها أمام حكومة أهلية لحسن قيادة دفة مرافق البلاد ·

ان الرجل الذي له وجدان يتألم لا يستطيع رؤية أم عزيزة تذبح في رائعة النهار بدون أن يتحرك فنحن كذلك مع هذا الاحتلال غير الشرعي الذي طال عليه القدم ومثل أكبر دور من أدوار الغش والخداع لا نسكت حتى اذا بحت أصواتنا أو عصبت ألسنتنا في أفواهنا · لأنه العار الأبدي المسجل علينا ما دام فينا والوصمة الوطنية التي تنكرها حقوق الأوطان مادام بين ربوعنا ·

أني أؤكد لك يا جناب المكاتب أن قلب المصري يذكر في كل خفقة من خفقاته الجلاء لأن السعادة لا تكون في الشقاء كما أن الاستقلال لا يكون في الاحتلال ·

فقاطعه المكاتب وقال : « ان أحد المصريين الذين حادثته أكد لي أن المصريين اليوم أسعد حالا مع الاحتلال الانكليزي مما كانوا قبله · وقولك مناقض بالمرة لقول هذا البعض » ·

فأجابه المترجم على الفور : « ان الذين حادثتهم ان قلوا أو كثروا ليســـوا على ما أظن الا دخلاء (١) يغشون من كان مثلك بانهم مصريون وهم ليسوا في الحقيقة

(★) حديث لمصطفى كامل أجراه معه مراسل جريده الاكسبرا جبلاية النمســـاوية في فينا في ٢٣ فبراير ١٨٩٨ ـــ ١٨٩٧ ، وقد أشار على فهمي كامل للمراسل « المكاتب » بينما أشار الى مصطفى كامل « المترجم » وهذا تعريبه ·

(١) مؤسسى جريدة المقطم الشوام ·

الا غرباء استأجرهم الانكليز لخدمة سياستهم • واذا كانوا مصريين فهـم من طبقـة الموظفين الذين باعوا الآخرة بالدنيا والوطن بالوظيفة وهؤلاء ليسوا والحمد لله كثيرين ولا بد أن يمحو الزمان أثرهم شيئا فشيئا أو يثوبوا الى رشدهم عندما يقع الظلم على رؤوسهم فان الانكليز يستفيدون على الدوام من الخانة ولكنهم أعـداء الخائنين متى قضوا منهم مآربهم وأطماعهم •

أنى أقول لك الحقيقة كما هى • فاذا أردت أن تؤمن عليها أو تتأكد منها فسل من شئت من الوطنيين الاحرار الذين لا علاقة لهم بالحكومة ولا بالاحتلال وهم يقصون عليك ما سمعته منى حرفا بحرف •

فقال المكاتب : ان الانكليز ينشرون فى العالم من حين الى حين انهم رقوا مالية البلاد ووضعوها على أضمن أساس أليس كذلك ؟

— نعم لا أنكر انهم اكتسبوا ثقة أوروبا بعد أن كـانت مفقـودة ولـكن بماذا اكتسبوها ؟ انهم اكتسبوها بهذه الأرقام التى تنشر حبرا على ورق لا يحاسب عليها ناشرها اذ لا رقيب عليه !!!

وبيان ذلك أن الانكليز زادوا الضرائب ومنعوا زراعة الدخان ليزداد دخل الكمارك بما يرد منه على مصر وضربوا للبدل العسكرى ضريبة عمموها فى كل القطر وأخلوا الأمن ليكثر ايراد المحاكم وفتحوا المصارف ليرهنوا أملاك الأمة ويعمموا الاستدانة التى هى فى نظر كل الاقتصاديين مجلبة الدمار على الأمم •

وأنه اذا كان رقم الايرادات يزداد فى كل عام عن الذى قبله فكذلك المصروفات تزداد أيضا والفضـــل فى الايرادات يرجع الى ما ذكرته لك وفيـــه أكبر فضل على المصروفات • أما المصروفات فأغلبها يدخل فى جيوب الانكليز ولأضرب لك مثلا صغيرا •

من يدخل مدارس الحكومة لا يجد أداة بيد تلميذ الا ومصدرها انكليزى ولا يصادف وجها أبيض تعلوه قبعة الا ويكون وجه انكليزى ولا يسمع صوتا يرن فى نظارة المعارف الا صوت الانكليزى •

ومن يدخل تكنات الجند لا يجد فيها أداة غير انكليزية ولا رئيسا غير انكليزى ولم يجد شيئا مصريا (الا العدس والفول وهما من غذاء العسكر) •

ومن يعرج على نظارة الأشغال لا يجد شيئا مما غلا ثمنه من أدوات البناء الا انكليزيا لأن المقاول اما انكليزى أو أجنبى غيره ممن اشترط عليه أن يستحضر أدوات انكليزية .

كذلك الحال فى السكك الحديدية ومصلحة الصحة والبوليس والكمارك وخفر السواحل وغيرها ••• وغيرها • فهل لنا فائدة فى هذا والدين باق كما هو وقد مضى على انكلترا وهى محتلة مصر ما يقرب من ستة عشر عاما •

ان رقما فى الميزانية أصغر من الرقم الحالى ومصروفا تراقب فيه مصلحة الأمة لأحب الينا من هذا العدد الضخم الذى لانكلترا فيه المغنم وعلى مصر المغرم •

فقال المكاتب : ولم لا تضعون تقارير مسهبة تفصحون فيها عن أمركم هذا ليقف الرأى العام الاوروبى على الحقيقة ؟؟

ـ اننا عولنا على نشر آرائنا وخواطرنا وما نالنا وينولنا من الاجحاف على صفحات الجرائد الأوروبية السيارة لأنها أسرع مبلغ للشعوب ولأن عدد من يقرؤها يفوق عدد قراء التقارير كثيرا نعم ان التقارير على قلة من يقرؤونها تقف السياسيين وهم الكل فى مسئلة مصر على حقيقة الحال وتكون بمثابة كتب موضوعة يرجع اليها فى كل وقت ولكن عدم اصدارها فى هذا الوقت لا يمنع من أن نقوم به قريباً فحزبنا لم يتكون الا حديثا وهو الآن آخذ فى الانتشار ولا بد أن يجاهر يوما بعمله بعد أن لبث الى الآن سريا ٠

ـ ان الانكليز يقولون ان وجودك بين المصريين دليل كبير على غرسهم بذور التربية الصحيحة التى روحها الوطنية فى قلوب الناشئين الذين أتموا دراستهم فى مدارس الحكومة ؟

ـ ولم لا تقول ياجناب المكاتب أنهم بذروا بذور الظلم فهالنا منظر نتاجها فصحنا مستغيثين بمن هم أصل هذه البلية وهذا البلاء ؟؟ أنسيت جنابك ان الانسان قطعة من الأرض التى نشأ فيها فيحن اليها حنو الابن البار بالأم الحنون ؟ قل لى كيف قام المجريون فى وجهكم وأنتم على جوار يحفظ شيئا من الشبه بين جنسيكم ؟ ألم يكن الدافع للوطنيين الذين هم تيجان التاريخ على حب بلادهم تلك الصلة الكبيرة التى تربطهما من مبدأ الخليقة الى اليوم ٠

الا أن الطامع لا يأتى حسـنة الا قسرا وليس فى الاجبـار من العمل ما يسمى حسنة ٠ فحسنات الانكليز التى يدعون انهم أتوها فى مصر لم يكن خيرها عائدا علينا بل عليهم كما ذكرت لك فنحن نكد ونعمل ونملأ خزائن الحكومة وهم يجنون ثمار أتعابنا باسم حسنات ظاهرها فى عين أوروبا خير عميم لمصر وباطنها شر مستطير وافتيات كبير ٠

فقال المكاتب : وعلى م(١) عولت بعد الآن أتستمر ورفاقك فى هذا الجهاد على هذا الأسلوب أم عولتم على اتخاذ وسائل أخرى ؟

ـ انى أصرح لك بأن سياستنا صريحة لا سر فيها وأن المحامى فى قضية لا يعتمد الا على الصراحة فى دفاعه حتى يظهر الحق جليا أمام الملأ أجمع ٠ ومن مصلحة مسألتنا أن نعتمد على أنفسنا أولا وأن لا نتعدى حدود السكينة والحكمة فى جهادنا وأن نضم الينا ثانياً ما نستطيع من أهل الحق وذوى الوجدانات مهما كانت أديانهم ونحلهم ٠

وان أوروبا التى صمت آذانها واغضت جفونها عند احتلال الانكليز لبلادنا ترتكب اثما كبيرا اذا حضرت مشهد اعدامنا على مرسح السياسة الانكليزية فلنعمل ولتعملوا فان الانسانية والمصلحة تدعو ان الى استقلال مصر وحرية قناة السويس ٠

---

(١) وردت فى الأصل هكذا ٠

الحالة العمومية ★
فى مصر

« أن الحالة العمومية فى مصر مؤلمة مبكية • فالانكليز يعملون اليوم كل شىء جهارا حتى سئم احرار المصريين الحياة ولم يعد للصبر سبيل • فهم فى كل سنة يجلبون الى مصر من اخوانهم عددا (١) عديدا ليحشروهم فى الوظائف حشرا بلا مسوغ شرعى وبلا علم يؤهلهم لهذه الوظائف •

ففى هذا العام الذى هو العام السادس عشر على وجود الاحتلال فى مصر قد استخدموا من أبناء الناميز نحو ٤٦ انكليزيا اكبرهم سنا لا يبلغ الثالثة والعشرين واكثرهم علما لم ينل غير الشهادة الثانوية وأقلهم مرتبا يتناول شهريا ٢٥ جنيها •

فهل سمعتم ايها الأوروبين الشرفاء المتمدينون ان أمة تجاهر بكره الخيانة والدناءة وتدعى أنها تطارد اللصوص أينما وجدتم تسلب فى رابعة النهار حقوق أمة تعتبر بلادهم قطعة من أوروبا ؟ انكم ما سمعتم وما سمعنا ولكن ها هى الأمة الانكليزية تسمعنا فى الغدو والرواح الغرائب والعجائب •

ضمنى مجلس من مجالسنا الوطنية الحافلة بذكر هذه المسائل المؤلمة وقد تعرفت فيه الى رجل من كبار رجال الحكومة الذين كادت أعمال الانكليز تصعقهم لشدة هولها وبشاعة جبروتها • فسألته عن هذه الأعمال فقال وهو يتأوه بين كل فقرة من كلامه تأوه الوطنى الصادق أمام بلاده المسلوبة المغصوبة ما نصه :

(★) مقال نشره فى جريدة زيتنج الألمانية فى ٩ مارس ١٨٩٨ وهذا تعريبه •

(١) كان اللورد كرومر العميد الانجليزى فى مصر هو صاحب الأمر والنهى فى شئون الحكومة فوضع الموظفين الانجليز على رأس المصالح المهمة فى الوزارات ، فالجيش تحت يادة السردار والضباط البريطانيين ، والبوليس تحت اشراف المفتش البريطانى العام والمالية فى يد المستشار المالى ، والأشغال فى يد وكيل الوزارة البريطانى ، والحقانية منذ سنة ١٨٩١ فى يد المستشار القضائى •

(عبد الرحمن الرافعى ـ مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية القاهرة ـ ط ٤ سنة ١٩٦٢ • ص ٣٠ ، ٣١ •

« عن أى شىء تسألنى ايها الأخ ونحن اليوم وقد حكم علينا جميعا من كبيرنا الى صغيرنا بالاعدام ننتظر ساعة العفو ساعة الخلاص بنافد الصبر · ان الانكليز كما تعلم هم القابضون على الحياتين المادية والأدبية فى البلاد وفى أيديهم معاول واشراك ينسفون بالأولى الحياة الأدبية ويصطادون بالثانية مجهودات الأمة · فانهم قد أكثروا من المدرسين الانكليز ليلقنوا العلم لقوم لغتهم العربية باللغة الانكليزية ولينسفوا ما بقى من مكارم اسلامية وأخلاق أهلية واحساسات وطنية · انهم اذا ذكروا الوطن المصرى حقروه وأذلوه ونسبوا ما فيه من رفعة باقية موهومة الى وجودهم والى قرائحهم واحسانهم للانسانية · مع أن الوطنين يا أخى ليسا الا أرضا وسماء حتى ان العاجز الغبى الذى لا يميز بين النهار والليل يحكم على وطنهم المجدب بالاعدام بينما يرحب بوطننا الذهبى الذى دونه جميع الأوطان فلم هذه الأعمال ؟ أليس لأنهم لو نشروا العلم الصحيح واحسنوا الى البشر أحسانهم لانفسهم يسقطون من عالى مجدهم حيث تعرف الأمم حقوقها فتسترد منهم بقوة العلم التى هى أكبر قوة فى الوجود ما سلبوه منها ؟ أليس لأنهم يسعون وراء المنفعتين الانكليزيتين منفعة ما يملؤون به جيوبهم من المرتبات الباهظة والمنفعة التى تعود عليهم مادمنا جهلاء ؟؟ ·

أمام هذا المنظر المخيف المفزع ترى حكومتنا الاهلية ساكتة لا تحرك شفة ولا تعارض فى أمر فهم باسم الأمة يصادقون على كل شىء (١) · هذه الأمة المسكينة التى تصرف على عدوها وسالبها والخائن والمنافق من أبنائها ليعيشوا ويقووا ضدها ويحاربوها فى وجودها ·

وماذا أقول لك ولو أردت أن أحصى الارقام التى تسرق من المالية باسم البيع والشراء والايجاد والانشاء لبلغت الملايين من الذهب · ولم نذهب بعيدا ؟؟ وهذا الجيش · ألم يكن فى ميزانيته أن تتمرن جنوده سنويا على ضرب النار مما قدر للانفاق فى سبيله مائة وثلاثين ألف جنيه على الأقل فأين ذهبت هذه النقود أمام هذه الحملة السودانية التى ما تمرنت فيها العساكر برصاصة واحدة منذ بدؤوا بأعمال التجريدة – ألم يكن هذا البرهان وغيره حقيقة ساطعة على التصرف فى أموالنا بلا حسيب ولا رقيب ·* » ·

قال صاحبنا هذا القول ثم بكى من شدة تأثره فأمن الحاضرون على كلماته وكان

---

(١) كان على رأس الحكومة فى هذه الفترة « صديق الانجليز الوفى » مصطفى فهمى باشا (١٢ نوفمبر ١٨٩٥ – ١١ نوفمبر ١٩٠٨) فكانت أطول الوزارات عمرا واستغلها الانجليز فى بسط نفوذهم الخاسرة بابرام معاهدة ١٩ يناير ١٨٩٩ وكانت بريطانيا هى الشريك الأرجح فى الجنوب ·

كما ضعفت خلال هذه الفترة أيضا حدة دولية المسألة المصرية خصوصا بعد خروج فرنسا من ميدان المنافسة حولها كما كان هذا ظاهرا فى مناقشات المجلس النيابى آنذاك وهو مجلس شورى القوانين فلم تكن هناك النخوة الوطنية واضحة فى أحاديث الأعضاء وهذا ما تظهره مضابطه ·

(د* يونان لبيب رزق : مرجع سابق ، ص ١٤٥) ·

من بينهم المسيو (م) أحد أساتذة المدارس وهو رجل فرنسى خدم مصر باخلاص وأخرج لها الكثير من الشبان النابغين ·

فماذا يقول قراء الزيتنغ بعد هذه الآلام التى سببتها أوروبا لمصر والتى نسألها اليوم أن تعمل فى بلادنا لازالتها ·

انى شرحت أكثر من مرة موقع مصر السياسى والاقتصادى مما وافقتنى عليه أغلبية جرائد أوروبا ورجال السياسة فيها واليوم نرى أوروبا مفتـــونة بمواعيـد الانكليز الباطلة خائرة القوى أمامها ضعيفة العزم فى خدمة الانسان ·

نعم أن أوروبا لكذلك لأن فى استطاعتها أن تقف على حالة المصريين الحقيقية من تقارير قناصلها التى أؤكد أنها مليئة بالحقائق ولكن لا أعلم لأى سبب تهمل هـذه التقارير فى زوايا الاهمال بلا عمل يذكر أو نتيجة تطمئن العالم المصرى وتوطد الثقة بينه وبين أوروبا ·

ان أوروبا اذا تركت انكلترا فى مصر بلا مراقبة فعلية ·

واذا أهملت مناقشتها الحساب فيما أخذته على نفسها من عهد فانه يأتى يوم تضيع فيه أفريقيا كلها وتأسف أوروبا حيث لا ينفع بعدئذ أسف ·

ان أقرب باب لأفريقيا هو القطر المصرى ولأوروبا أملاك كثيرة فى هذه القارة العظيمة فالمانيا وفرنسا وايطاليا وبلجيكا لها فيها أملاك تذكر فهل تترك هذه الدول انكلترا تحلق عليها حتى تسلبها متاعها · انى لا أظن ذلك فلتعجل ألمانيا بعمل تضمن فيه مصلحتها فى الشرق بحفظ استقلال مصر وحرية قناة السويس وها هى الفرصة اليوم سانحة لهذا العمل العظيم بعد أن خرجت الدولة العلية منصورة فى حربها مع اليونان وان ضياع الفرص لا يعوض ·

الدولة العلية ومصر ★

ما هى احساسات المصريين الآن نحو الدولة العلية ؟

ـ ان احساسات المصريين نحو الدولة العلية لا تزال كما هى احساسات التابع للمتبوع وكلما مر الزمان قويت الرابطة بين مصر والدولة العلية لجملة أسباب :

أولا ـ أن المصريين فى أغلبهم مسلمون بحيث أن العناصر الأخرى التى لم تدن بدين الاسلام لم تكن جزأ من عشرين من تعداد المسلمين القاطنين أرض مصر • وبما أن دولة الخلافة الاسلامية هى الدولة العلية وسلطانها هو رئيسنا الدينى فنحن كلما زدنا عددا أكثر تعلق النفوس بهذه الدولة المحبوبة •

ثانيا ـ أننا رأينا فى أيامنا هذه فوق ما قرأناه فى التاريخ أن أوروبـا جمعاء تحارب الدولة العلية بصفتها دولة اسلامية والا فلم نجدها تهلل وتكبر كلما انتصرت أمة مسيحية على أمة اسلامية فى حين أنها تتألم وتستشيط غيظا اذا كان الأمر على العكس من ذلك ؟؟

ألم يكن فى نتيجة انتصار الدولة العلية على اليونان ما يحقق هذه النظرية وذلك من شأنه أن يزيد فى تعلقنا بالدولة العلية ؟؟ •

ان المصريين عن بكرة أبيهم فى حاجة الى الاتحاد وأوروبا بأعمالها العدائيـة المتوالية ضد الدولة العلية تعلمنا كيف نتحد ونتمسك بها ونؤازرها فى كل ملمة • لأن وجودنا السياسى متوقف على نصرتها • وأنى أؤكد لجنابك أن الذين يهمهم سلامة العالمين المسيحى والاسلام لا يجدون دواء لهذا الداء العضال داء تعصب المسيحية غير أجبار أممهم بسلطتهم عليها على قبول مبدأ « لكم دينكم ولى دين » لأن هذا هو مبدأنا الذى نطق به القرآن الشريف كتابنا المقدس وأمرنا باتباعه • والا فانه اذا استمرت

(★) حديث أجراه مندوب جريدة البرليغر تاجبلاط الالمانية مع مصطفى كامل فى ٢٤ مارس سنة ١٨٩٨ حول انتصارات الدولة العثمانية •

أوروبا على مناصبتنا العداء أنتج ذلك لا محالة ــ ان لم يكن اليوم فغدا ــ أكبر البلايا وأشد الرزايا على العالم بأسره ·

ان الكتاب المسيحيين الأوروبيين الذين قطعوا فى نور العلم شوطا بعيدا هم المسئولون عن هذه النتائج السيئة التى تنتشر بسرعة مع انتشار العمران فى العالم لأنهم وحدهم القادرون على بث المواعظ بين أمم أوروبا ليخففوا من ثوران هذا التعصب ويقيموا قصورا من الاخاء بين الأمم جمعاء بما أوتوه من سعة العلم وغزارة القلم وقوة العارضة وحجة القول وسحر البيان ·

اننا هنا نلطف كثيرا بما نكتبه من وقت الى آخر بمناسبة اعتداء أوروبا على الدولة من هيجان الشعب الاسلامى ونلقى ما تحدثه الحوادث على حساب الحرق فى السياسة أو مطامع السياسيين ·

وأنى أؤكد لقراء البرلينرتا جبلاط أن النهر يسكن ماءه (١) ويقف تياره اذا بعدت عنه يد الصياد فأوروبا هى التى فى قدرتها الضرب على أيدى صيادى الأمم سافكى دماء الأبرياء سالبى حقوق القصر واليتامى بعصا من حديد حتى تجلس الانسانية على عرشها المحبوب وتنشر الحب الصالح بين أبناء البشر ·

انك ترى يا جناب الصحافى أن أمم أوروبا تعاون بعضها بعضا متى حلت باحداهن مصيبة أو نزلت كارثة ولا ينسب مسلم لهذه المعاونة الواجبة شيئا مما تسميه صحافة العالم المتمدين بالتعصب ولكن ما بالكم ترمون المسلمين الذين يساعدون المسلمين بهذه النعت الشائن ! انه ما التهبت نار الحرب بين الدولة العلية واليونان حتى دفعت الحمية الوطنية والغيرة الاسلامية أبناء مصر لمد يد المساعدة للجيش العثمانى الظافر ولكن الذين يرون فى الشرق قبيحا ما يرونه فى الغرب حسنا قد رمونا بالتعصب وقالوا فينا ما قال مالك فى الخمر ! فلم هذا ؟ ألسنا ذوى عواطف تشعر وتتألم ؟ ألم تكن مساعدة المصريين للدولة العلية كمساعدة الايطاليين وغيرهم من أمم أوروبا الذين تطوعوا فى الجيش اليونانى لمحاربة اخواننا العثمانيين ؟ أليست مساعدتنا للدولة ونحن أبناؤها وأخواتها كمساعدة فرنسا للولايات المتحدة يوم جاهرت بخلع النير الانكليزى وهى بعيدة عنها ولم يكن بينهما رابطة شرعية تحتم هذه المساعدة ؟

أنه بالرغم من توجيه التهم الينا ازاء علاقتنا بالدولة العلية أؤكد أن هذه الرابطة تقوى على ممر الأيام وليس ثمة ما يحلها أو يؤثر فى عقدتها المتينة ·

ثالثا : انها الدولة الاسلامية الوحيدة التى لها أملاك فى أوروبا وآسيا وأفريقيا وأغلب هذه الأملاك اسلامى ··

ونحن أبناء دين يحتم علينا أن نكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وان نعامل ذوى الأديان بالرفق والانسانية وأن نجادلهم بالتى هى أحسن ·

(١) وردت هكذا في الأصل وصحتها « ماؤه » ·

هل رأت أوروبا من الدولة العلية عداء للمسيحيين المستظلين برايتها كعداء أهل هولند! المسيحيين المتمدينين لأهل جاوه (١) المتوحشين على رأيكم ؟ هل صادرت الدولة العلية أموال الكنائس القائمة فى بلادها كما صادرت النمسا أوقاف البوسنة والهرسك وصادرت الروسيا أموال مسلمى قزان واسرائيلى موسكو ؟ ألم يكن عدد عظيم من المسيحيين يشغل أهم الوظائف فى دائرة الحكومة العثمانية بينما نرى الهندى والجزائرى والتترى وغيرهم من أبناء الأمم الاسلامية أو الشرقية والمحكومة بدول مسيحية محرومين من مراكز بلادهم العـالية ؟ ألم تختر الدولة العـلية من بين رجالـكم القـواد والأطباء والعلماء وكفاءتهم بين أبنائها كما فعل محمد على فى مصر ؟ فلم يقولون بعد ذلك ان ميل الأمة المصرية للدولة العلية لم يكن الا شعلة من لهب التعصب الدينى ؟ اننا اذا كنا متعصبين كما يقول الساخرون بشعور الأمم الراغبون فى هلاك العالم ما عاش بينـنـا مسيحى واحد الى اليوم ٠٠ ولكن الغرض يعمى ويصم ٠

فسأله المندوب : واذا كان هذا الارتباط متينا الى هذا الحد بين أمتى مصر والدولة العلية فهل هو كذلك بين الخديو والسلطان ؟

ــ انى تكلمت على هذه النقطة المهمة كثيرا ولكن أعداء مصر والدولة أو بعبارة أخرى ساسة الانكليز لا يودون أن يروا الاتفاق سائدا بين الخديوية والسلطنة العثمانية بل يودون من صميم أفئدتهم أن يحل الشقاق محل الوئام والخصام محل السلام ٠ ولذلك فهم يشيعون فى الدوائر العثمانية على الدوام بواسطة جواسيسهم ومأجوريهم أن سمو الخديو يسعى لتشييد خلافة اسلامية يكون على رأسهما ٠ كما يشيعون فى مصر أن جلالة السلطان ناقم على سمو الخديو حتى انهم يقلبون الحقائق الظاهرة للعيان ٠ خذ مثالا على ذلك أنه عندما يسافر سموه الى الاستانة ويظهر جلالة السلطان مزيد التلطف وعظيم الرعاية عند استقباله يسارع الانكليز على لسان سماسرتهم وأبواق احتلالهم الى نشر مثل قولهم « وان الخديو قوبل بالازدراء وهى اهانة للأمة المصرية » ٠ الى غير ذلك من الكلمات المهيجة ٠

وهذا السلاح الذى يستعمله الانكليز اليوم لايجاد فتور فى العلائق العثمانيـة المصرية الشاهانية الخديوية قد سجل عليهم من زمن بعيد حتى أطلق عليهم الكثيرون منا لقب « جواسيس أوروبا » وهو حقيقة لاننا رأينا لانكلترا اليد الفعالة فى كل خلاف قائم بين الشرق والغرب لتقضى هى من ورائه لبانتها ٠

ــ وماذا تظنون فى ألمانيا ؟

ــ أنا نعتقد فيها الى اليوم اعتقادا حسنا بيد أنها لم تعمل فى مصر عملا يذكر واذا كانت مصالحها اليوم فى مصر قليلة ازاء مصالح غيرها من الدول ففى استطاعتها

(١) امتد الاستعمار الهولندى الى جزر جنوب شرق آسيا وكانت معاملته للأهالى معاملة قاسية ٠

اكثارها بما تنشئه من مصارف تزاحم المصارف الانكليزية وما تؤسسه من مدارس لنشر العلم بين الطبقات المصرية حتى يقف أبناؤنا واخواننا على درجة الوطنية الألمانية ومبلغ مدارس الألمانيين من العلم . وأنى أؤكد لجنابك أن ألمانيا تربح كثيرا اذا كانت سياستها فى مصر مصرية أكثر منها انكليزية لأنا نرى أن العلائق بين وكيلكم السياسى فى مصر ومعتمد انكلترا على تمام الوئام فى حين اننا نجدها فاترة بين الأمتين الألمانية والانكليزية . وليس هناك سبب لذلك الا قلة مصالحكم فى مصر . ولكن لا تنس مصالح التحالف الثلاثى فى مجموعه فتجارة النمسا فى مصر تكاد تكون أكثر من كل تجارة سواها وكذلك ايطاليا فان لها فى بلادنا المقام الأول بين دول هذا التحالف فالكثير من ابنائها يقطنون مصر ومنهم عدد غير قليل من الموظفين بمصالح الحكومة المختلفة ... » .

التهم الكاذبة ★

« ما هى آخر أمنية تريد أن تصل مصر اليها ؟ » ٠

ـ ان غاية أمانينا أن نرى مصر مصر العلم مصر الحرية مصر النعيم أخرى ٠٠ لأنه اذا كانت مصر قد بلغت فى زمن من الأزمان من الحضارة والعلم مالم تبلغه أمة فى الوجود فقد كان ذلك من عمل أبنائها الأولين ٠ ولما كنا نعتقد أننا من سلالة أولئك الذين افتخر بهم التاريخ وعدوا فى زمنهم أساتذة العالم بذلنا كل ما فى وسعنا للتشبه بهم والنسج على منوالهم ٠

ولما كانت العقبة الكؤود فى طريق رقينا وجود انكلترا فى بلدنا رأينا أن أول واجب علينا العمل صباح مساء لنشر الحقيقة فى العالمين حتى يتحول الذين ظنوا فينا السوء الى أصدقاء يعطفون الينا عطف العادل على المظلوم ٠

ان الانكليز عقبة أمامنا أى عقبة ٠ لانهم طامعون والطامع لا يرتاح له بال ولا يكل له عزم الا اذا استعمل كل الوسائل لتخدير أعصاب المطموع فيه حتى يسلبه علمه متى أراد ويغتصب منه داره ومتاعه متى شاء ٠

فقد جاءوا الى بلادنا مقسمين أغلظ الأيمان آخذين على أنفسهم المواثيق بألا يمكثوا فى مصر الا ريثما يتممون العمل الذى دخلوها من أجله وهو توطيد عرش الخديوية المصرية بنشر الأمن ليأمن الدائنون على ديونهم ٠

ولكن ماذا عملوا ؟ انهم سلبوا العرش الخديوى سلطته وأخلوا بالأمن فى البلاد والقرى بما نشروه من حرية كاذبة وخمور قتالة ٠ وهاهم الدائنــون لم يأخذوا قرشا من ديونهم بعد ستة عشر عاما على احتــلالهم وبعــد أن كثرت الضرائب ونما ايراد الخزينة ٠٠

ان الأوروبيين المقيمين منهم فى مصر البعيدين عنها يجهلون تمام الجهــل حالتنا

(★) حديث أجراه مراسل جريدة لاكوييبرى الايطالية مع مصطفى كامل وهذا تعريبه ٠

السياسية الاقتصادية فهم لا يقرؤون شيئا عنها واذا قرؤوا فما يغشهم ويغير معالم الحقيقة أمام أبصارهم كتقرير اللورد كرومر • وعندى أن أحسن طريقة لسير الممالك الكبيرة سيرا عادلا مع الحكومات الصغيرة أن تنشر تقارير كافة الوكلاء السياسيين حتى يقف الرأى العام على الحقيقة بحذافيرها • لانه لو كان الوكلاء السياسيون فى مصر ينشرون عنها تقارير سنوية سياسية اقتصادية لكان اللورد كرومر يتأدب فى تقاريره ولا يصف الاحتلال بالملك الكريم والأمة المصرية بالشيطان الرجيم •

ان علة خذلان الأمم الصغيرة التنافر القائم بين أفرادها وتخييم الجهـل عـلى ربوعها • وقد أدركنا هاتين النقطتين الأساسيتين فى رقى الأمم والتففنا حول أميرنا وها نحن أولاء مجدون فى نشر المدارس الأهلية (١) لنبلغ بها ما نريد من حضارة وعمران •

نعم انه لو كانت حكومتنا أهلية لجعلنا كل المنازل مدارس ولأرسلنا الارساليات لأنحاء المعمورة ولاعتنينا بالأحوال الصحية ليزداد عددنا ولوضعنا حدا لهذه الفوضى المالية التى يسمونها رقيا وكنزا ووفرنا نحو ثلث المصروفات التى تذهب سدى فى موارد غالية أو فى تجربة يظهر بطلانها بعد أن تتكبد الخزينة من ورائها الآلاف من الجنيهات •

ان الله لم يخلق أمة بليدة فى أرض طيبة لأنه جل شأنه لم يكافىء البلداء والخاملين بل هو يحسن على الدوام الى العاملين النابهين فبلادنا من أخصب بلاد العالم تربة ومن أعدلها جوا وأحكمها موضعا وأيسرها طريقا والأمة المصرية من أذكى أمم الأرض عقلا وأحسنها معاملة وأقربهـا الى الخير سـبيلا ولذلك كانت حقيقة بأن تملك أرضها وتتمتع بخيراتها •

ان التاريخ قد سجل على الانكليز جنايات كثيرة ولم يسجل علينا الى اليوم جناية واحدة • انهم أقسموا وحنثوا ووعدوا وما أنجزوا وأخذوا وما أعطوا • كل ذلك على مسمع من العالم وهم لا يخجلون •

أما نحن فقد عاملنا الغريب معاملة القريب وأحسنا الى من أساءوا الينا وفتحنا ديارنا للنازلين بيننا وتمسكنا على الدوام بمبدأنا « أحرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا » فقل لى بالله عليك أتوجد أمة كهذه الأمة التى أغـاثت الفنيقيين ورحمت الاتيوبيين وكانت مقبرة الطاغين حتى جاءت جماعة تظلمها من الاوروبيين ؟؟

---

(١) كان مصطفى كامل أشد المتحمسين لنشر التعليم وتقوم فكرته الأساسية بصدد ذلك على أساس اخراج التعليم من دائرة الرقابة الحكومية بتوسيع نطاق التعليم الأهلى ، وقد بدأ الأفراد والجماعات يتسابقون لانشاء المدارس الوطنية الأهلية ليعوضوا النقص والتغيير الذى قصده الاحتلال ، وقد تناولت هذه الجهود الوطنية التعليمية جميع مراحل التعليم •

د• جرجس سلامة • أثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فى مصر ، القاهرة ١٩٦٢ ص ٣٨٩ •

اننا لم نعول الى الآن على الدم فى تحرير بلادنا بل عولنا وسنعول مادام فى الوجود انصاف على القلم واللسان (١) لنكون خدام الحقيقة واقفين أمام عهود الانكليز وقفة الساهر على مصلحة الراغب فى اصلاح حاله · واليوم الذى نرى فيه ــ ولعله لا يكون ــ آذان أوروبا المتمدينة قد صمت عن سماع شكوانا وتلبية ندائنا نكون مضطرين الى تغيير خطتنا والترقى فى اتخاذ وسائل أخرى فعالة أساسها الاعتماد على عقلنا ومالنا وساعدنا ·

هناك تخرج الأمة المصرية للعالم عملا من أعمال الأمم المستميتة فى التمسك بحقوقها فى العالمين ·

هناك تشهد الانسانية منظرا من أبشـــع المناظر منظر مصر الجميلة وحـــولها حليلها وخليلها يتقاتلان فى حبها · هذا فى عذره وذاك فى حقه ولا بد أن يكون النصر حليف الأول لأن يد الله فى معونته والله يتولى الحقوق ·

هناك تندم أوروبا وتقول ليتنى سمعت ليتنى فعلت ليتنى أمددت أمة مظلومة سألتنى نصرتها ورد حقوقها اليها !

هناك لا تنفع ليتنى بعد أن تلبس الانسانية الأوروبية ثوب الحـداد وتلبس مصر المظلومة ثوب العدل وحلة الاستقلال ·

هناك تكتب الدماء البريئة « اننا لم نظلم أنفسنا ولـكن الانسانيـة ظلمتنـا فحاربناها لخلاص أمتنا من جورها وقدمنا أرواحنا فداء عنها » ·

ليشهد العالم ذلك اليوم اذا دامت أوروبا فى صمم وانكلترا فى تعد وافتيات ومصر فى عذاب أليم ·

فسأله المكاتب « انهم يقولون انك مهيج وانك أتلفت على الطلاب أمرهم وقلبت حالهم من سكينة الى ثوران ؟ »

ــ ليقولوا ما شاءوا فانهم أعداء ظاهرون ونحن أمـة فى ديارنـا مهاجمـون مسلوبون ! نعم أنا مهيج لانى أذكر الوطن · بل مجرم لانى أقول بلادى · بل سفاك لأنى أشهر بالغاصبين بل أفاك لأنى خاطب الحق !!! الا أننا فى زمن لا يستحى فيه معتد أثيم ! ·

كان الأجدر بهؤلاء الانسانيين أن يقولوا انى هائج لضياع الاستقلال ! لسرقة الأموال ! لقتل ذكاء الأطفال لتعس الحال ! للاخلاف فى العهود والأقوال ! ·

أمهيج أنا لأن الطلاب اجتمعوا فى عيد سمو الامير ودعونى لحفلتهم فأجبت بكل ارتياح ؟ كيف يدعون أنهم ما دخلوا مصر الا لتوطيد عرش الخديوية حتى اذا ما التفت الأمة حوله قاموا يدعون أننا مهيجون ؟ ألم يكن فى هذا الادعاء ما يثبت دعوانا من

---

(١) وهذا يشير الى انتفاء نية الثورة في دفاع مصطفى كامل عن قضية البلاد ·

انهم يكرهون كل متقرب من العرش وأنهم كاذبون فيا أدعوه عند احتلالهم هذه البلاد ؟ أيريدون أن نلتف حول الوكالة البريطانية والراية الانكليزية تاركين الخديوية المصرية والراية العثمانية ؟ أيريدون أن نتخذ العدو حبيبا والسفاك طبيبا ؟ اننا لم نكن معتوهين الى هذا الحد حتى لا نميز بين العدو والصديق والغريب والقريب ·

أمهيج أنا لأنى أحاسب الانكليز على تصرفاتهم السيئة فى بلادنا بينما كل منهم يحاسب حكومته بحق وبصوت عال على تصرفاتها الحسنة ويريد لها أن تبلغ حد الكمال ؟

أمهيج أنا لانى مصرى أحب مصر وعلى يمينى وشمالى بيوت خربها الظلم ونفوس كادت تباع فى الأسواق ضحية الاهواء والغايات ؟

أمهيج أنا لانى أعتقد أن الدولة العلية روح مصر ومصر قلبها وأنه لا سلامة لكلبتهما ما لم ترتبط بالأخرى ؟

أمهيج لانى أبكى نور العلم الذى كاد يرحل من ديار وحل محله الجهل الممقوت والظلام الحالك ؟

أمهيج لانى وقفت على ما وصلت اليه الأمم من الحضارة والعمران بهمة حكومتها الأهلية وأريد لبلاد أنسب اليها وأمة أنا أحد أبنائها تلك الحضارة وذلك العمران ؟

أللهم أن كان المهيج فى نظركم من يوصى بالقريب خيرا ويحض على العلم واخراج العدو من دياره ونقل أمة من حضيض الذل والفاقة الى أوج الشمم والسعادة فأنى أول المهيجين —

دعهم يقولوا عنا ما شاؤوا فانا منهم ساخرون ·

— انى أرى انك محق فى كل ما قلته ولكن ألم يعمل الانكليز حسنة واحدة فى مصر يستحقون عليها ثناءكم ؟

— ان ما يسمونه حسنة أو حسنات لم يك الغرض منه تقديم الثمرات الينا ولكنها اليهم فظاهرها لنا لانها تعمل باسم الحكومة الخديوية ولكنها فى الحقيقة لهم لانها لابنائهم وأدواتهم ومصالحهم ؟

---

(١) كانت المشكلة المالية هى أول مشكلة واجهت اللورد كرومر عند تعيينه عميدا للاحتلال فى مصر · اذ كان يريد مواجهة النفقات التى استلزمتها الاضطرابات التى نشبت فى السودان الى جانب نفقات جيش الاحتلال والتعويضات التى طالب بها الأجانب بسبب حريق الاسكندرية وكذلك النتائج المترتبة على انتشار وباء الكوليرا وانخفاض منسوب النيل سنة ١٨٨٣ ، لهذا رأى كرومر أنه لا بد النظر فى قانون التصفية التى وضع فى أوائل عهد توفيق وذلك بأن تستولى الحكومة المصرية على ما خصص لصندوق الدين ونمتد الى احتياطيه ، ولذلك دعت الحكومة البريطانية الى عقد مؤتمر دولى فى لندن سنة ١٨٨٥ لبحث الوسائل الواجب اتخاذها لتلافي افلاس مصر والنظر في تعديل قانون التصفية ، وانتهى المؤتمر بعقد —

ان المسئلة الوحيدة التى يمنون علينا بها مسئلة المالية (١) وهى مسئلة واضحة ظاهرة فالمالية المصرية ما كانت فى فوضى الا فى آخر أيام اسماعيل ولكنها كانت فى أيام من كانوا قبله من الولاة حسنة سليمة حتى كان الاقتصاديون يعدون حكومة مصر أول حكومة مالية لبعدها عن الدين والاستدانة • فهل وجود رئيس حكومة مبذر واحد يدل على أن مصر لا تحسن التصرف فى ماليتها الى الأبد وهل حكومات أوروبا خلقت على هذا الرقى المالى وحافظت على محاسنه الى اليوم أما كانت انكلترا نفسها فى أكبر فوضى مالية فى القرن الثامن عشر ؟

واذا قال قائل ان زيادة الايرادات فى ميزانية الحكومة يدل بصراحة على تحسين النظام المالى نقول له مجاهرين بهذه الحقيقة ولو آلمت الكاذبين • ان زيادة الايرادات لا تذكر عند الماليين اذا كانت تصرف كلها لانه على قدر الايرادات كانت المصروفات ولكن يقال ان المالية المصرية تحسنت وانتقلت من أدوارها السيئة الى النظام الكافل للبلاد سعادتها متى زادت الايرادات عن المصروفات زيادة محسوسة يسد منها الدين شيئا فشيئا • ولكن هل هذه الزيادة التى تستنزفها المصروفات العائدة الى مصادر انكليزية مع بقاء الدين على ما هو عليه يعد عملا نافعا وتحسينا ماليا ؟

ومع ذلك فان زيادة الايرادات لا تعد من عمل الانكليز الا فى أمر واحد وهو زيادة الضرائب على الأطيان والعقارات وأما بقية الزيادة فراجع الى زيادة عدد الأمة الذى يستلزم زيادة التجارة والصناعة وهو ما يزيد دخل ايرادات الكمارك والبوستة والتلغراف والسكك الحديدية كما يزيد دخل المحاكم من كثرة احتكاك الناس فى معاملة بعضهم بعضا وكذلك نمو عدد الأمة يقضى بأزدياد كمية الأراضى المنزرعة وهذه الكمية الزائدة تطلب مجارى ترويها مما يضاعف عمل مصلحة الرى •

هذه يا جناب المكاتب النظرية الطبيعية فى تحسين ماليتنا من حيث زيادة الايرادات • ولكن قل لى لماذا تزيد المصروفات اذا كان عدد الموظفين المصريين فى وفر مستمر أليس لأن المبانى الضخمة التى تستنزف جزأ كبيرا من المصروفات يدخل جيوب أبناء التاميز ومرتبات الروساء الانكليز التى بلغت اليوم ٩٢٣ ألف جنيه بعد أن كانت قبيل الاحتلال ٧٢٦٠ فقط • هى التى ابتلعت الميزانية لحما وعظما ؟آ؟

أرجو أن تبلغ العالم الايطالى مصائبنا وتذكرهم بأن الطامع لا يكون مصلحا رحيما » •

= اتفاقية بين الدول السبع التى حضرت المؤتمر (ألمانيا ـ النمسا ـ فرنسا ـ بريطانيا ـ ايطاليا ـ روسيا ـ الدولة العثمانية) فى ١٧ مارس ١٨٨٥ لتحسين مالية مصر ، وقد تمكنت مصر باسترضاء انجلترا لروسيا وألمانيا من الحصول على رض مقداره ٩ ملايين جنيها بضمان الدول الكبرى بفائدة ٣٥٪ وقد عملت قرارات مؤتمر لندن على تحسين أحوال مصر المالية ، فتم دفع التعويضات وسد عجز السنوات من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٨٥ وبقى للحكومة فائض مليون جنيه وجه لأعمال الري ، عمر عبد العزز عمر • مرجع سابق • ص ٣٠٢ الي ص ٣٠٤ •

الفلاح المصرى ★

« أنى لم أكن من المزارعين المصريين الذين عاشروا الفلاح ووقفوا على أحوالـه ولكنى أعرف الكثير منها بما وقفت عليه من أهلى وعشيرتى ·

لا يخفى على القراء ان مصر بلاد زراعية من عهد بعيد وكانت اصناف الفول والعدس والبصل والقمح والذرة والارز وأصناف كثيرة وغيرها تزرع فى أرض مصر وهى لا تزال تزرع الى اليوم ولكن الصنف الذى رفع أسعار الأراضى ونقل مصر الى درجة تحسدها عليها البلدان الأخرى الزراعية هو القطن فقد جلبه محمد على باشا الى مصر كما جلب اليها دودة الحرير وعنى بتعميم زراعة شجر التوت وقد نجح ذلك الرجل العظيم فى كل أعماله ·

ان مواقيت الزراعة المصرية تختلف باختلاف الفصـــول وهى ترجع الى التاريخ المصرى القديم (التاريخ القبطى) الذى يتفق تماما مع التاريخ الشمسى وهو التاريخ الذى يبتدىء تقريبا بعد تاريخ ميلاد المسيح بنحو مائتين وثمانين سنة ·

ان الفلاح المصرى مجد فى غيطه نشيط فى عمله فهو لا يؤخر عمل اليوم الى الغد يعنى كثيرا بتربية المواشى والطيور المنزلية ويحافظ عليها كمحافظته على نفسه ·

وليس الفلاح المصرى أقل من غيره من فلاحى العالم علما بما يجب عليه نحـو أرضه ولكن الذى ينقصه وجود مرشدين رسميين يلقنونه الطرق الزراعية الحديثة حسبما قرره علماء الزراعة من أن طريقة زرع الأرض تحتاج الى تغيير كلما مر الزمان لتغيير الجو ولضعف الأرض وتحمل المياه التى ترد اليها وعلى الأخص متى كانت مياه أنهر بما لا يوافق نماء الزرع فى بعض الأحيان ·

ويرجع التقصير فى هذا العمل المهم الى الحكومة المصرية الحاضرة لانها لم تبد أقل

(★) مقال كتبه مصطفى كامل بناء على طلب المجلة الزراعية الايطالية حول الفلاح المصرى ، ونشر بتاريخ أول أبريل سنة ١٨٩٨ ·

عناية رسمية بترقية الحالة الزراعية فى البلاد ٠ الأمر الذى كان يجب أن يكون موضع عنايتها قبل كل أمر ، فاذا سأل سائل عن كمية القمح أو القطن أو الذرة أو غيرها مما أنتجته الأرض فى عام لا يستطيع الوقوف على رقم صحيح يعول عليه ٠ بينما نرى الحكومات الزراعية كأمريكا مثلا لها نظارة خاصة بالزراعة وتصدر فى كل عام تقريرا مفصلا حاويا لكل ما يهم علماء الزراعة ٠

وقد اهتمت الجرائد الوطنية هنا بهذا الأمر المرة بعد المرة ولكن الحكومة لم تعرها أذنا صاغية وليس هناك من سبب الا أن أكثرية الأراضى ملك للاهالى والاعتناء من قبل الحكومة بشؤونهم الزراعية يزيد من المحاصيل مما يملأ جيب الفلاح ذهبا وهو ما لا ترضاه حكومة الاسم لها والفعل للاحتلال الانكليزى الذى ألقى على العالم أكبر درس من أعمال حكومته بأزاء بلاد الهند (١) ٠

ومن هذا الحال الذى فيه الزراعة المصرية التى لا تزال على حالتها الأولى من بذر وتقليب وسقى ودرس وغيرها فان الضرائب المضروبة على الاطيان ثقيلة جدا ٠ فمثلا اذا زرع الفلاح قمحا وأراد بيعه فى الأسواق فانه يدفع نصف ما يربحه حتى يوصله اليها لأنه ينقل كل شىء على الدواب الى السكة الحديدية وهناك يجد التأخير الشائن والأجر الباهظ ٠ واذا نقله فى النيل فلن يأمن عليه تأثيرات الجو لعـدم صلاحية سفن النقل وان أمن فطول الزمن الذى تستغرقه السفن فى آلامه وربما هبطت الاسعار بعد مضى زمن طويل كهذا ٠

انه كان يجب على الحكومة المصرية ان كانت حكومة أهلية تبذل كل جهدها فى نجاح حال الفلاح ومساعدته وهو منها ومن خزينتها الكل فى الكل ان تعنى بتعميم السكك الحديدية فى كل بلد وقرية من بلاد وقرى مصر حتى توفر على الفلاح نفقات كثيرة ينفقها بلا جدوى وكانت هى تربح أيضا الأموال الطائلة ٠ وليست فائدة السكك الحديدية مقصورة على نقل البضائع بل تنقل أيضا المسافرين والمواشى وغيرها من المنتجات الحيوية الأخرى ! ولكنها وهذا ما نأسف له كثيرا حكومة أجنبية عن البلاد !

ان الفلاح المصرى يعرف كيف يستثمر أرضه بكل الوسائل وقد زاد اهتمامـه باقتناء الأرض والتعلق بها من يوم ان تولى سمو خديوينا المحبوب عباس باشا فانه لما رأى الاحتلال قد استولى على كل ادارة فى البلاد غصبا حول نظره الى استغـلال

---

(١) عملت انجلترا على استغلال الهند على نطاق واسع فأرسلت اليها الانجليز الأكفاء للعمل بها ، وعملت على نشر زراعة الشاى والأرز وانشاء السدود للرى ومد السكك الحديدية فتقدمت البـلاد تقدما اقتصاديا واسعا ، وكانت اصلاحات الحكومة الانجليزية انما هى لفائدة المستعمرين فالسدود للزراعة التى تحتكرها انجلترا ، والطرق الحديدية بنيت لغايات حربية ولم تشجع نشر الصناعات الحديثة خشية تحطيم الصناعة الانجليزية ، والمسابقات للوظائف فى الهند أينما تجرى فى لندن وهكذا كانت سياسة انجلترا دائما فى المناطق المحتلة أن تحتكر اقتصاديات البلاد لنفسها ولمصلحتها لهذا نجد استعمارها اقتصاديا أنور الرفاعى ــ شاكر مصطفى ، مرجع سابق ص ٤٢٩ ــ ٤٣٠ ٠

الأراضى وقد أصبح سموه بين الفلاحين المثل الذى يضرب فى الفلاحة والنشاط وهى همة أكسبت الكثيرين من الذين كانت ثروتهم لا تذكر أرضا واسعة تقدم اليهم ثمرا يانعا جنيا ٠

والفلاح المصرى لم يكن متعلما تعليما يأمن معه على حقوقه مع الآخرين من الاغتيال ولكنه بطبيعته ذكى يحسب ويعامل ويبيع ويشترى كل ذلك غير مستعين فيه الا بأصابع يديه العشرة فهى آلة عده وأستاذ ميقاته ٠ ان انسانا كهذا الانسان ما كان يليق بحكومة كحكومتنا فى أواخر القرن التاسع عشر أن لا تهتم بشؤونه وتهمله بلا علم حتى ولا القراءة والكتابة بينما نجد حياة الزارع العلمية فى البلاد الراقية أصبحت فى هذا الأوان مما لا يستهان به ٠

ان الكثيرين من أعيان البلاد قد أسسوا كتاتيب من زمن بعيد ولكنها فى الغالب لا تكون الا فى البلاد الأكثر عمارا من غيرها أما القرى الصغيرة والعزب الكبيرة فالنادر منها ما يجد فيه السائح كتابا ٠

ان الفلاح المصرى لم يكن متعصبا الا لثلاثة أشياء من اعتدى على أحدها فكأنه اعتدى عليه نفسه وهى امرأته وزراعته وماشيته ومن يراجع تقارير القضاء السنوية عندنا يجد أسباب جميع الجرائم الكبيرة ترجع الى واحد من هذه الثلاثة ٠ أما ما يقال عن الفلاح المصرى المسلم من انه متعصب تعصبا دينيا فهو بهتان كبير واختلاق ممقوت لأن الأقباط وهم المصريون المسيحيون يعيشون مع المسلمين فى قرية واحدة حتى تكاد تكون عيشتهم واحدة وما سمعنا مرة أن مصريا مسلما اعتدى على مصرى مسيحى بسبب مخالفته له فى الدين ولا لمجادلات دينية ٠

ولو قال قائل أنهما من جنس واحد وربما رجع أصلهما الى دم واحد مما لا يدع للشقاق بينهما سبيلا فما قول أولئك الذين اتهمونا بالتعصب ضد الأجانب المسيحيين فى اليونانيين الذين ليسوا مصريين وها هم يتجولون فى البلاد شرقا وغربا متجرين بالربا والخمر وهما محرمان فى الدين الاسلامى ! فلو كان هنا تعصب اما كان يوجه الى هؤلاء الذين اذا سئلوا أثنوا على معاملة المصريين لهم أحسن من معاملة بنى جنسهم أنفسهم !!

واذا كان الفلاح المصرى المسلم متعصبا كما يقولون فهل هناك شك فى أن العلم أول قادر على ازالة هذا العيب من نفسه فلم لا تهتم الحكومة بنشرة وتشجيع الذين يؤسسون المدارس بمساعدتهم وتسن قانون تعميم التعليم الابتدائى مجانا !

ان فى استطاعة الحكومة أن تتخذ من عقول المصريين علماء ومن قلوبهم جنودا كما تأخذ من أرضهم ذهبا ولكنها لم تفعل ولن تفعل ما دامت حكومة انكليزية غاصبة !

أن الكرم العربى لا يزال بكل معانيه عند الفلاح المصرى فاينما سرت تجد الأبواب مفتوحة للضيوف والموائد منصوبة والفرح عاما عند قدوم غريب مهما كان دينه أو جنسه وسبب تأصل هذه العادة فى المصريين بعد أن كانوا من ألف سنة مشهورين بالبخل والحرص على المال ان الدم العربى امتزج بهم وأصبحت مكارم اخلاقه سائدة فيهم . حتى أن الرجل يفديك بحياته اذا التجأت اليه أو احتميت فى جاهه الى غير ذلك من الصفات العربية العالية المشهورة .

ان الفلاح المصرى الذى ما كان يعرف من أحوال ادارة بلاده شيئا فى الزمن السالف أصبح اليوم يدرك الحالة السيئة التى هو فيها ويكره الاحتلال الانكليزى بكل جوارحه والسبب فى ذلك راجع الى انتشار الجرائد الوطنية التى تفصح له كل يوم عن جرائم الانكليز بمصر حتى ان الأمة بأسرها كادت تلتهب قلوب ابنائها شوقا لقراءة أنباء الحرب الأخيرة بين الدولة العلية واليونان مما آلم الانكليز كثيرا ونسبوه للتعصب المزعوم .

وسبب تعلق الفلاح المصرى بالدولة العلية لم يكن تعصبا أعمى كما قال الانكليز بل هو ناشىء من احترام هذه الدولة المحترمة للحالة السياسية التى رسمتها لنفسها بأزاء مصر فى حين أن الانكليز قد برهنوا على انهم لم يحترموا اقسامهم ولا وعودهم . وان الذين يقولون ان الفلاح المصرى راض عن الاحتلال مخطىء كل الخطأ . نعم ان الفلاح المصرى ما كان يعنى أبدا بالمسائل السياسية ولكن أليس الاجحاف بالحقوق وعدم احترام الأمم الغاصبة للأمم المغصوبة يعلم هذه كيف تنقم على تلك وكيف يصبح كرهها وراثيا فى النفوس .

ان الذين يقولون ان الفلاح المصرى محب لكنز الذهب ويضربون الأمثال به ويضعون لذلك ما شاؤوا من الروايات والقصص كاذبون ولم يكن قولهم صحيحا لانه كيف يمكن الجمع بين حب المال وحب اقتناء الأرض .

والفلاح المصرى يسجل كل يوم فى المحاكم المختلطة ما يدل على انه ميال لامتلاك الأرض كلما توفر لديه شىء من النقود ؟ نعم انه يوجد بعض المصريين من تزيد أرباحهم من أرضهم زيادة كبيرة على نفقاتهم واثمان احتياجاتهم ولكن هذا البعض لا يعتد به .

ان الفلاح المصرى سواء كان كثير الثروة أو قليلها لم يكن عالما بطرق الاقتصاد لانه ورث حياة اليسر ورخاء المعيشة عن آبائه وأجداده . ولذلك أصبح واجب الاغنياء والحكومة معا أن ينشر بينه التعليم ليكون مقتصدا فى مقتبل الأيام حتى يتبقى نتيجة التزاحم الشديد الذى سيلاقيه فى غده . فان الأمة المصرية يزداد عددها زيادة محسوسة ولذلك فانه لا بد أن يأتى يوم تصعب فيه الحياة على الكثيرين عندما تضيق الأرض بسكانها وليس لهم متكل يتكلون عليه فى ثروة البلاد غير الزراعة . وكذلك أصبح من واجب الحكومة والأهالى معا أن يهتموا بنشر الصناعة حتى ترتقى التجارة

ولو بمقدار حاجات سكان مصر وما جاورها من البلاد الأفريقية المتأخرة · لأن الأمة التى تعتمد على مصدر واحد من مصادر الحياة لا بد أن تصادفها ازمات معاشية مؤلمة بالرغم من أن تاريخها لم يذكر مسئلة واحدة من هذا القبيل ·

وبالجملة فان حالة الفلاح المصرى العلمية والصناعية والاقتصادية تعسه للغاية ولا يمكن اصلاحها الا باصلاح الحكومة وتحويل دفتها الى الطريق الأهلى وذلك لا يكون الا بجلاء الانكليز عن مصر ·

مابعد عطبرة ★

« ان الفرح كان يعمنا والسرور يشملنا اذا كان وراء هذا الانتصار نصر لنا ولكن الحقيقة التى ان لم تظهر اليوم للعيان فستظهر غد متى أتم الانكليز عملهم فى هذه الحملة وقبضوا بأيديهم التى لا ترحم على منابع النيل الذى فيه حياة مصر بأسرها ·

ان الجيش المصرى قد انتصر انتصارا باهرا وهو ما يملأ قلب كل مصرى سرورا بصفته جيش البلاد وقوتها واليه ترجع عظمتها وسلطانها · ولكن النتائج التى ستعود علينا من وراء هذا النصر واضحة مما يقوله اليوم مأجورو الانكليز ومروجو سياستهم من أن الفخر عائد الى الانكليز بصفتهم قوادا والى جنودهم الذين اشتركوا فى الحملة · وسواء كانوا صادقين أو غير صادقين فمما لا شك فيه أن دماء المصريين وأموالهم قد بذلت فى سبيل فتح السودان وهو ما يجعل لهم الحق الأول فى ادارته والاستيلاء على خيراته · فهل الانكليز الذين تعودنا منهم الطمع المتناهى يتركون لنا السودان متى فتحناه بدمائنا وأموالنا ووضعنا يدنا عليه برمته ؟ هذا ما أترك الجواب عليه للأيام · غير انى أقرر هنا حقيقة مرة وهى أن الانكليز لا يعملون لغيرهم بل كـل أعمالهم تنحصر فى فائدتهم حتى ولو كان فيها قتل شعوب الأرض قاطبة ·

أنه عندما أعلنت بجريدة السودان صرحت برأيى فى هذه الحملـة وقلت ان الانكليز لا يريدون بها الا فتح باب من اثنين أما القضاء على الجيش ليجدوا جيشا غيره

(★) هذه المقالة رد على أسئلة وجهتها الى مصطفى كامل جريدة الاكلير الباريسية الشهيرة فى ١٩ أبريل سنة ١٨٩٨ بعد انتصار الجيش المصرى فى موقعة العطبرة ·

كان كتشنر قد استولى على شندى فى ٢٦ مارس سنة ١٨٩٨ وكانت مركز الدراويش بعد تقهقرهم امام جيش السردار عقب هزيمتهم فى أبو حمد · وتلاقى الجيشان فى واقعة العطبرة فى ٨ أبريل سنة ١٨٩٨ وانهزم الدراويش هزيمة ساحقة وقتل من الدراويش حوالى ثلاثة آلاف كما بلغ عدد الأسرى حوالى ألفين وقد كان هذا النصر تمهيدا لفتح السودان ·

د· محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان · تاريخ وحدة وادى النيل السياسى فى القرن التاسع عشر من ١٨٢٠ ـ ١٨٩٩ ص ٥١٥ ، ص ٥١٦ ·

وهو ما يدعو لاطالة أمد الاحتلال وأما فتح السودان وهو ما يدعو لاطالة أمد الاحتلال أيضا بحجة استتباب الأمن فيه زمنا طويلا . فضلا عن أن بلاد السودان نائية واسعة وليس في وسع الجيش ان يستولى عليها فى زمن قصير بل لا يشك الكثيرون فى أنه فى حاجة الى عشرات من السنين ليصل الى هذه الغاية .

مضى على الجيش المصرى ثمانية أشهر وهو يستعد لهذه الواقعة بعد واقعة أبى حمد (١) وقد لقى أشد الصعوبات فى هزم جنود الأمير محمود الذى هو أكبر قائد يذكره التاريخ بين جنود السودانيين .

ففى حرارة السودان المحرقة نقلت العساكر المصرية كل حاجات الجيوش وشيدت الحصون ثم انتهى الأمر بانتصارها فهل بعد هذا يقال ان المصرى غير كفء لأن يكون انسانا ككل انسان يدير حركة بلاده بنفسه ؟ وهل الانكليز الذين فى الجيش المصرى هم الذين نقلوا وأقاموا ؟ وهل الكمية القليلة من جنود الانكليز التى كانت تسير فى ظل الجنود المصرية والتى ما لقيت شيئا من متاعب الجيوش هى التى سببت هذا النصر الكبير ؟؟

لا بد أن الجرائد الانكليزية ستزيدهم فخرا وترفع من قدرهم بينما تحط من قدرنا أو لا تذكرنا فقد عودتنا هذه الحملة كلما لاحت لها بارقة من أعمال الانكليز فى مصر .

ان السودان كما لا يخفى على القراء قطعة من مصر وقد سلخ منها بلا حق شرعى لأن الحكومة الخديوية المصرية ليس لها أدنى حق فى التنازل عن أى شبر من أرضها أو من أملاكها للغير . فالسودان على هذا الاعتبار باق ملكا لمصر وليس للانكليز حق فى الادعاء بانه ملك جديد انضم الينا فاذا فتحته اليوم العساكر المصرية فقد أعادت اليه السلطة الخديوية التى اعتدى الدراويش عليها عشرين سنة تقريبا واذا كانت الجنود الانكليزية اشتركت معنا فى فتحه فاننا ما كنا فى حاجة اليها وقد كان جيشنا بل وأقل منه كافيا لبلوغ هذه النتيجة .

انه كما يقول رجال الجندية هنا ليس أمام الجيش الا عاصمة السودان التى بفتحها يعود لمصر ما كان لها . وانى لا أظن أن ذلك يكون بعيد المنال بل أنه قريب لأن الضربات الكثيرة التى توالت على رؤوس السودانيين لا بد أن تكون قد أرعبتهم وهزت قلوبهم أمام قوة مصر وسواعد أبنائها .

---

(١) غادر كتشنر القاهرة فى ٨ يولية سنة ١٨٩٧ ليتولى قيادة العمليات العسكرية فى السودان فبلغ مروى واتخذ منها مركزا له ، وفى ٢٩ يولية سنة ١٨٩٧ اتجه الى تخوم أبى حمد لطرد الدراويش منها ووقعت معركة أبى احمد فى ٧ أغسطس سنة ١٨٩٧ وفيها انهزم الدراويش وأسر قائدهم وأخلى الدراويش بربر متقهقرين الى شندى .

د. محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ١٥ ، ص ٥١٦ .

وقد تحققنا اليوم انه أصبح من مصلحة انكلترا أن لا تترك ضابطا انكليزيا فى السودان بعد فتحه لأن الأمة السودانية شديدة التعصب فقد بلغ من نفس ابنائها حب الدين مبلغا كبيرا • والضباط المصريون ورجال الادارة المصرية قادرون على ادارته أحسن ادارة ونشر الوية الأمن فى ربوعه باسم جلالة السلطان وسمو الخديو والا لو دفعت المطامع انكلترا الى دعوتها القديمة من وجوب مراقبة نشر الأمن فى السودان خوفا على مصر فاننا نخاف على مصر أكثر منها ومصر لا تخاف الا بقاء الاحتلال فيها ••

ان الانكليز هم الذين أثاروا ثائرة السودانيين فى الأول مما هو معلوم مشهور وذهبت ضحية سيآتهم الآلاف المؤلفة من نفوس المصريين وها هم اليوم يستردونه ثانيا بدماء وأموال المصريين فليس لهم حق فى احتلاله بل يجب عليهم أن يرحلوا عنه وعن مصر اذا كانوا من أهل الشرف الذين يردون الأمانات الى أهلها •

نعم ان الانكليز قد عرفوا كيف يشغلون أوروبا عن مسئلة مصر بهذا السودان الذى سيكون حجتهم البالغة كلما قامت زوبعة سياسية حول مصر فبأسمه يهددون مصر فى مصلحتها ومصلحة الأجانب ويرجعون على أنفسهم بالمسؤولية فى وجوب المحافظة على هاتين المصلحتين •

وانه اذا كانت هناك مسئولية عن ترك انكلترا تعمل كما تشاء فى وادى النيل فهى لا ريب عائدة على أوروبا التى كان فى يدها مناقشتها الحساب على المواعيد الرسمية التى حددتها للجلاء ولكنها وقد تركتها ستلاقى المتاعب الجمة فى وقوفها عند حدها • وانى أرى أن الفرصة أصبحت ضائعة أمام هذا السودان الذى أوجد لانكلترا حججا قوية عملية ؟

ان السياسة الفرنسية كانت فى الازمان السالفة سياسة حزم وعمل ولكنا نراها اليوم سياسة تردد وتسويف وهذه السياسة العقيمة أضاعت الكثير من نفوذها فى الشرق ولعل البقية الباقية فى مصر تعيد ولو شيئا من تلك الذكرى التى لا ننساها •

وفى الختام فانى لا أزال متمسكا برأيى من أن التجريدة الحاضرة وبال على مصر احتلالا ودما ومالا •••

مصر والاحتلال ★

« جناب المدير ..

قرأت فى جريدتكم مقالة لرجل مجهول الاسم ولا أظنه الا من الانــكليز الذين لا غرض لهم الا ابتلاع بلادنا أو من صنائعهم المأجورين قال ذلك الكاتب ان الاحتلال دخل البلاد وهى على أبواب الافلاس فأخذ بيدها وزفعها من اليسر مكانة علياء فليقل لنا أن كان من الصادقين . اين هذا اليسر وديون الامة أصبحت أربعة أمثال ما كانت قبل الاحتلال وديون الحكومة لا تزال كما هى والضرائب زادت وكل شىء أصبح فى البلاد غاليا ؟

أيقصد بهذا اليسر خلق الوظائف لرجال الانكليز بالمرتبات الباهظة ؟ أيقصد التصرف فى أموال الحكومة بلا مراقبة ؟ أيقصد تصرف كل انكليزى رأس مصلحة فى ما ربط لمصلحته من المال بلا معارض واذا سئل عن مبلغ مهما كان قدره كان جوابه كيف أسأل وانا ربكم الاعلى ؟ أم يقصد بهذا اليسر انتقال هيئة الحكومة من القرن التاسع عشر الى القرن الأول بينما تجد كل ما فيها انكليزيا ؟ أنه ان كان يقصد ذلك كله فله الحق أن يكتب المجلدات الضخمة ومن مقالات الاطناب ما شاء فان الانكليز ما احتلوا مصر الا وقد احتلها الشقاء وما دخلوا مصالحها الا وقد دخلهــا الطمع ولن يبقى الطمع مما كان وما سيكون شيئا .

الم تكن الصورة التى ذكرها دسيسة من دسائس انكلترا ؟ ألم ترسم الحكومة الانكليزية هذه الخطة المحزنة منْ قرن (١) مضى ؟ ألم تعتد على مصر مرة قبل هذه المرة وقد طردتها جنود مصر ؟ ألم تثر دراويش السودان بدسائسها وضعف عزيمة بعد الذين استغوتهم لبلوغ مآربهم ؟ ألم تكن هى الدولة التى كذبت عــلى العالم بأسره

(★) أرسل مصطفى كامل هذا المقال الى جريدة الليبرتية الفرنسية الشهيرة ردا على ما نشرته الجريدة المذكورة تتهم المصريين بناكرى الجميل للانجليز مسترسلة فى سرد أفضال الانكليز على مصر والمصريين . علىٰ فهمى كامل : (مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا) جـ ٦ ص ٢٢٢ .

(١) حملة فريزر سنة ١٨٠٧م .

فكيف لا تكون الحافزة لهذه المكيدة بيدها الاثيمة ؟ ألم تكن هى الدولة التى اشتهرت بأثارة حرب الدهاء كلما بدرت لها بادرة أمل أو مطمع ؟ ألم تكن هى التى احتلت مصر لأشهر فقضت سنين ؟ ألم تكن هى الدولة التى تسلب باسم الانسانية والمدنية ؟ ألم تكن هى الدولة التى تركتنا نعمل لتجنى ثمر مجهوداتنا ؟ ألم تكن هى الدولة التى خانت نابليون · ألم تكن هى الدولة التى لقبها التاريخ بالغادرة ؟ ألم تكن هى الدولة التى تقتل أمة بأسرها لتصل الى بغيتها بين ربوعها ؟ فكيف يقول مراسلكم انها نشرت الأمن بعد الثورة وكانت رسول سلام لا شيطان خصام ؟ ان الذى يريد أن يزف الى انكلترا الثناء العاطر والشكر الجزيل يلام لوما شديدا اذا كذب على الحقيقة والتاريخ وجعلهما من حقها فى مصر · فانها فى مصر غاصبة خادعة أثارت ثائرة الجهلاء والخائنين لتستفيد شأنها فى كل أمر ·

وانى لفى غاية الدهش من جريدة فرنسية قرأ محرروها التاريخ وهم مع ذلك يقبلون نشر مثل هذه المفتريات ويقدمون لقرائهم نظريات غير معقولة وعلى الاخص قول هذا الكاتب أن الانكليز دخلوا مصر فى وقت كان فيه غاية الجهل مخيما على عقول أبنائها · أنسيتم أن محمد على الكبير لصداقته للويس فيليب مكن عقدة الارتباط بين مصر وفرنسا وجلب الى وطننا العزيز من علمائكم فى كل علم وفن من شهد لهم التاريخ بطول الباع وسعة الاطلاع فوضعوا للعلوم الحديثة أمتن الاساس وللصنائع والفنون المصانع العديدة وأخرجت مصر فى أيامهم من ابنائها من اذا ذكروا اليوم اهتز الفخار لذكرهم ورددت ارجاء مصر الثناء على فضلهم وجليل أعمالهم ؟؟

أنسينم مدرسة الطب ومؤسسها فرنسى ومدرسة الحربية ومؤسسها فرنسى ومدرسة الحقوق ومؤسسها فرنسى وغيرها من المدارس العالية والثانوية والابتدائية ؟ أنسيم أن الاحتلال دخل مصر و فيهانحو سبعة آلاف تلميذ يتعلمون مجانا أو بأجور قليلة جدا فأصبح اليوم فيها بعد ستة عشر عاما ثمانية آلاف تلميذ يتعلمون جميعا بمصاريف ثقيلة يدفعها آباءهم وبذلك حرم الكثيرون من أبناء الفقراء من العلم ؟ أنسيتم الارساليات التى كانت تذهب فى كل عام من مصر الى بلادكم بعد أن يؤدى أفرادها الامتحانات النهائية فيقضون أعواما بينكم يردون فيها موارد العلم حتى اذا ما ثقفوا عقولهم وهذبوا نفوسهم عادوا الينا علماء ليفيدوا بعد أن استفادوا ؟ ألم يكن رجال الحكومة الذين يقومون الآن بكل الاعمال المنسوبة للانكليز من أولئك الذين رضعوا لبان العلم فى فرنسا ونالوا أكبر الشهادات الناطقة بفضلهم منها ؟ ألم تكن طرق الرى فى مصر التى يتباهى بها الانكليز اليوم من غرس ارشادات كبار المهندسين الفرنسيين والتى سار على منهجهم فيها المهندسون الوطنيون ؟ ألم يكن عدد الأساتذة الفرنسيين الذين كانوا فى مدارس الحكومة عندما دخل الانكليز بلادنا نحو ٤٢ أستاذا فأصبحوا اليوم ستة بينما صار عدد الانكليز فيها ٢٨ معلما ؟ وعلاوة على ذلك لو فحصتم شهادات الفرنسيين الذين كانوا يوظفون فى مدارسنا كمعلمين

وشهادات هؤلاء الانكليز لوجدتهم فرقا هائلا فعرنسا ما كانت ترسل لمصر الا كل رجل يشرف سمعتها ويخدم البلاد خدمة نافعة ولكن انكلترا غير ذلك على خط مستقيم وسببه أن فرنسا كانت تعمل بنية خالصة غير طامعة فى مصر • أما انكلترا فمن مصلحتها أن يعيش المصريون كما خلقوا لا يعرفون من العلم شـــيئا حتى تستنزف أموالهم بلا معارضة ولا ممانعة •

وبالجملة فأنى لو أردت أن أفصح لكم عما وصلت اليه حالة التعليم بعد مـا أفصحت فى كتاباتى وخطاباتى لاحتجت الى صحف كثيرة دون أن أوفى الموضوع حقه لان الحقيقة فيه ساطعة سطوع الشمس فى رائعة النهار وكل من خالفها كان عدوا للحق أو مأجورا فى خدمة الانكليز •

أما العرش الخديوى الذى ادعى الكاتب أن الانكليز وطدوه بعد أن كانت تعبث به أيدى الثائرين فهو قول باطل مردود وفيه الحقيقة معكوسة . فبجانب الاحتلال تكاد تكون سلطة الخديو اليوم خيالا • فالخديوية المصرية التى هى سلطة شرعية معترف بها من جميع الدول والتى هى تابعة مباشرة لسلطة جلالة السلطان أصبحت فى مصر اسما بلا روح فالأوامر العالية يجبر سمو الخديوى على اصـــدارها بموافقة وزارته التى أغلب افرادها من صنائع الاحتلال والتى أقامها الاحتلال نفسه ولعلكم تذكرون ما كان من معارضة اللورد كرومر وحكومة اللورد روزبرى عند ما أراد سمو الخديو تعيين وزارة توافق مشربه مما يترتب عليه تهديده بجميع الوسائل وتم لانكلترا ما أرادت •

أنه لو كان الانكليز كما يقول عميدهم فى مصر يقصدون بسلب سلطة الخديو أن تتمتع بها الأمة لخولوها حق مراقبة أعمال حكومتها • ولكن الحال على العكس من ذلك فمجلس الشورى الذى وضع أساسه اللورد دوفرين لم يكن فيه رائحة السلطة الدستوريه ولم تجبه الحكومة الى طلب واحد من طلباته العديدة التى برهن بقوة على صحتها مدة وجود الاحتلال •

أن الاحتلال سلب سلطة الخديو لتكون سلطته فهو فى مصر عدو الأمة عدو الخديوية عدو رقى المصريين طامع فى كل شىء حتى أنه لو استطاع أن يطرد جميع الأوروبيين ليستأثر بكل شىء لفعل بلا تردد • ولذلك يسعى اللورد كرومر بكل ما فى وسعه ليقلب نظام المحاكم المختلطة حتى لا يكون فى مصر أثر دولى بعد أن ذهبت المراقبة الثنائية بذهاب المراقب الفرنسى وبعد أن ذهبت الدائرة(١) السنية وبعد أن

---

(١) تستخدم كلمة الدائرة للتعبير عن ادارة الاقطاعات الخديوية المختلفة ففى عهد اسماعيل كانت هناك سبع دوائر من هذا النوع أكبرها وأهمها الدائرة الخاصة وهى الدائرة التى يستمد منها الخديوى مخصصاته المالية والدائرة السنية وهى تمثل أملاك الخديوى الشخصية •

والمعروف أن اسماعيل عقد قرضا سنة ١٨٦٦ لمدة ١٥ سنة بفائدة ٧٪ مقابل رهن ايرادات الدائرة الخاصة والدائرة السنية وقد عقدت عدة قروض أخرى خلال الفترة من سنة ١٨٦٧ الى ١٨٧٧ حين صدر الأمر العالى فى سبتمبر سنة ١٨٧٧ لتسوية ديون الدائرة الخديوية (السنية) على أن يكون دفع هذه الديون شهريا وبلغت=

ذهب نفوذكم من المصالح · وأني أعتقد أن الانكليز أمام سلامة نيتكم وغيركم من ذى المصالح فى بلادنا سيعملون ضدكم فى كل شيء ·

وأما الأوروبيون القاطنون فى مصر فانهم قبل الاحتلال كانوا أسعد حالا منهم اليوم · فقد كانوا على الأقل يعاملوان أمة بغير مزاحم لهم · ولكنهم والانكليزى قد أصبح قابضا على كل مصادر الثروة فى البلاد نعس حالهم حتى أن الكثير منهم أصبحوا يجدون الاقامة فى مصر مما لا يطاق ·

نعم أن الأوروبيين الذين كانوا فى مصر زمن الثورة خافوا على أنفسهم كثيرا فتركوا البلاد راحلين وأهلهم الى بلادهم ولكن هذا لا يدل على أنهم كانوا غير آمنين على أرواحهم وأموالهم قبل الاحتلال · لأنه فى أى بلد قامت أو تقوم فيه ثورة يكون الحال كذلك من الخوف لعدم وجود النظام الشامل للأمن العام ·

أن فى فرنسا الكثيرين من أبنائها الذين عاشوا فى مصر قبل الاحتلال والذين يكذبون قول كاتب تلك المقالة التى كلها افتراء وما على جريدة الليبرتية أن تتحـــر الحقيقة منهم لندرك أننا مع الانكليز بائسون وان حالتنا يرثى اليها ·

ألم يكفنا ما نحن فيـــه من ذل وهو أن منتظرين ســـاعة الخلاص معتمدين على أنفسنا ونصراء الحق حتى نقرأ ما قرأنا من اتهام شائن وقول عقيم ·

أن الأمة المصرية من أرقى أمم الأرض أخلاقا ان لم تكن أرقاها لا تعتدى بغير حق ولا تسلب متاعا لنزيل ولا ترتكب اثما حبا فى الآثام ولا تشوه صحف تاريخها البيضاء بسيآت المتمدينين بل ولا تكذب على العالم كما كذبت انكلترا ·

أن الرجل الذى يماطل فى المعاملة لا يعامل فما بالكم تثقون بانكلترا وقد ماطلت كثيرا وكذبت طويلا وها هو تاريخها يعيد نفسه · وتتهمون أمة لم يكن ذنبها الا أنها شرقية اسلامية بهذه التهم التى هى بريئة منها ·

اننا لم نكن ناكرين الجميل ولكن الحق هو الذى يملى علينا ما نقوله فان كانت انكلترا تريد أن تحسن الينا وتنالِ اعترافنا بالجميل فلتترك بلادنا فان فى تركها اياها سعادتنا وفى بقائها شقاءنا ولا يقبل الشقاء الا أهل الشقاء ومن يسكت عليه أو يطنبه كان خائنا كبيرا ···

= ديون اسماعيل ٨٫٨١٥٫٤٣٠ جنيها سميت بدين الدائرة السنية وقد أدى استبداد لجنة المراقبة المالية الثنائية الى عرض أراضى الدائرة السنة الخديوية للبيع سنة ١٨٨٦ وفاء لسد الدين وفوائده ·

جون مارلو : تاريخ النهب الاستعمارى سنة ١٧٩٨ الى سنة ١٨٨٢ · ترجمة عبد العظيم رمضان ، القاهرة ١٩٧٦ ص ٢٣٣ ، ٢٦١ ، ص ٥٠٤ الى ص ٥١١ ·

ذكرى ١١ يوليو ١٨٨٢ ★

انى أشعر بألم شديد وسخط ليس عليه من مزيد ، كلما جاء هذا اليوم الذى يذكرنا بجميع مصائبنا ، فهو لمصر اذا تذكار حزن وحداد لبريطانيا العظمى ، عنوان العار والشنار ، وأى غضب يقوم بالانسان أكبر مما يعتريه لدى تلاوته تاريخ ضرب الاسكندرية ، اذ لا يستطيع أن ينصور أن دولة أوربية متمدنة ، وتتصدى للمتدنين غيرها ، ترتكب مثل هذا الاثم الفظيع ٠

من الذى يستطيع أن يروى تاريخ هاته الدولة الكبرى التى بعلة أن البطريات المصرية هددت أسطولها دمرت مدينة عامرة ، وأهرقت فيها الدماء ، ومع ذلك فقد كان ميناء الاسكندرية اذ ذاك سفن فرنسوية ونمسوية لم تر نفسها أنها مهددة من القلاع المصرية ٠

أن يوم ١١ يولية يجب أن يمثل فى مخيلة السياسيين الذين يقومون بادارة شئون أوروبا وواجباتهم نحو انكلترا فى المسئلة المصرية ، فلقد مضى على الانكليز فى مصر ١٦ عاما(١) بحجة توطيد النظام وتعزيز مركز الخديوية ، ألم يكن هذا الوقت كافيا لأداء مأموريتها واعادة وطننا ، الينا ، أو بالأحرى ألم يأزف الوقت الذى ينبغى فيه على أوروبا أن تحتم ارادتها على انكلترا ، لا يبرح عن ذهن أحد فى أوروبا الآن أن انكلترا تبغى أخذ مصر غنيمة باردة ٠

فهل ترضى الدول الأوربية أن تترك للانكليز هذا الطريق الذى لابد منه لجميعها ، لأنه الممر الوحيد لجميع الأمم وملتقى طرق المواصلات بأسرها(٢) ٠

(★) حديث صحفى أدلى به مصطفى كامل الى جريدة الاكليز الفرنسية بمناسبة ذكرى ضرب الاسكندرية ١٨٨٢ ، ونشرها المؤيد فى ٢١ يوليو ١٨٩٨ ، العدد ٢٥٢٥ ، وقد سبق الحديث عن هذه الواقعة ٠

(١) أى منذ احتلالها فى عام ١٨٨٢ ٠

(٢) لعله هنا يستحث الدول صاحبة المصالح فى المنطقة ، التى ظن أنها صديقة كألمانيا وفرنسا ٠

ونحن على أى حال نعلم ما هو الواجب علينا ، وهو العمل لمصلحة بلادنا ، اذ بذلك نتوصل بالتأكيد بجعل المصريين رجالا عارفين بحقـــوقهم ، وواجباتهم نحو الوطن ، ومبغضين من صميم أفئدتهم لمن يظلمهم ويسلب حقوقهم ، فاذا ما أتى اليوم الذى فيه لا يكون للأمة المصرية سوى قلب واحد وارادة واحدة ، مال الى مساعدتنا جميع الناس ، واكتسبت مصر حريتها المفقودة ٠

والفرنسيون الذين يفكرون فى مصر ، والذين يعلمون أن الانكليز يدمغون الآن فى أرضها(١) أعمال فرنسا الجليلة فيها ، يجب عليهم أن يتذكروا أن ضرب الاسكندرية والحوادث التى أعقبته الى الآن يتكون منها أكبر فشل أصابها فى هذا الجيل ، وهم يعلمون أنهم لا يستطيعون أن ينالوا مرتبتهم السابقة ونفوذهم الماضى فى الشرق الا اذا أجلوا الانكليز عن القطر المصرى ، ولهذا السبب لازلنا ننتظر نفحات كثيرة من الوطنية الفرنسوية ٠

ـ وما الذى يفتكره أهالى مصر فى الجناب الخديوى ؟

ـ لا يزال الجناب العالى محبوبا من الأمة المصرية ، وهو يمثل تجاهنا الوطن والمطالب الوطنية ، ونحن نعلم علم اليقين مقدار حرج مركزه ، ولكنا نعجب بشرف خصاله وقوة عارضته وصدق وطنيته ، وكل مصرى يقول لكم هذا القول ، بالنسبة لسموه ، واننا جميعا مستعدون للدفاع عن مسند الخديوية الى آخر لحظة من حياتنا ، لأن مصالح الخديوية مرتبطة تمام الارتباط بمصالح الأمة(٢) ، وضف الى هذا مركز شخص الجناب الخـديوى من قلوب الأمة بأسرها ٠ ولا شـــك أن الانكليز يعملون لتقويض نفوذ الخديو وسيطرته ، ولكن نفوذه الأدبى لا يزال عظيما ، وفى استطاعة أوروبا اذا ساعدته وأيدته ، أن تعزز مصالحها لأنه ما دام الجناب العباسى خديويا لمصر ففى سعة الأوروبيين القاطنين بالقطر المصرى أن يعتمدوا على مروءته وشهامته ، وجملة القول أن مصر بلا خديو يكون مثلهـــا بدون نزلاء أوربيين من غير انكليز بل يكون بها موت النفوذ الأوروبى على ضفاف النيل ٠

---

(١) شرع مصطفى كامل يستنفر القوى العظمى لنصرة القضية المصرية ، فعزف لكل منها النغمة التى تحلو لها ، فكان نصيب فرنسا منها هو تذكرها بالأعمال التى عملها أبناؤها لمصر ، وتقديره لها بقوله « الأعمال الجليلة ، منها آثارها فى التعليم والثقافة والفكر والأمور العسكرية والاقتصادية ٠

(يمكن الرجوع الى : تاريخ الجبرتى ، أمين سامى : تقويم النيل ، ج ٢٠ القاهره ١٩١٨ ، ثروت عكاشه ٠ مصر فى عيون الغرباء القاهره ١٩٨٥ ، رنيه قطاوى وجورج قطاوى : محمد على وأوربا القاهرة ١٩٥٢ ، عمر طوسون : البعثات العلمية ، ٠١ يواقيم رزق : العلاقات الثقافية بين مصر وفرنسا فى النصف الأول من القرن ١٩ دراسة فى كتاب ندوة مصر وعالم البحر المتوسط ، القاهره ١٩٨٥) ٠

(٢) كان مصطفى كامل حصيفا فى تناوله الدفاع عن القضية ، فهو بقدر ما كان يستحث القـوى العظمى فى الخارج ، كان يدافع عن واجهة الأمة نفسها ، رائبا كل صدع فيها فى عملية توازن اعـــلامى واضح ٠

الجناب العالى الخديوى ★

ـ ما هو الغرض من زيارة الجناب العالى لباريس ؟

ـ الذى أعلمه أن سموه حضر الى أوربا مراعاة لصحته ، فان ما اختص به جنابه العالى من الدأب على العمل والاهتمام بمصالح الوطن ، قد جعله فى حاجة الى الراحة ، والرياضة فترة من الزمن ، وهذا ما دعا سموه للمتابعة فى التنكر والاختفاء وقواعد الأدب واللطف ، تقضى بعدم الذهاب اليه للتشرف بمقابلته ما دامت رغبته منصرفة الى المعيشة بضعة أيام ، كما يعيش الخاصة ولذلك لم يطمح المصريون المقيمون فى باريس الى نوال هاته الخطوة ، وان كانوا فى شوق شديد للتشرف بمقابلة سموه ، وتقديمهم اليه عبارات الاخلاص وصدق الولاء ، وهم بهذا المسلك قد احترموا ارادة جنابه وحافظوا على رغائبه ٠

ـ وهل الشعب المصرى مشارك فى الأفكار والأميال لسمو أميره ؟

ـ أن الجناب العالى الخديوى محترم شخصيا من الشعب المصرى الذى يجل مقامه ، ويعجب بصفاته العالية وفضائله ، بالرغم عما يعمله الانكليز كل يوم ضد هذا الأمير الكريم ، فان الأمة المصرية بأسرها لا تزال مرتبطة بروابط الاخلاص والولاء له ، وهذا الارتباط هو الذى جعل نفوذه يكبر شيئا فشيئا فى نفوسهم ، وجميع الذين زاروا القطر المصرى ، قد شعروا بالرابطة الوثيقة ، ولا غرابة فى ذلك فان ارتقاء الجناب العالى الخديوى الى الأريكة المصرية قد كان عنوانا ليقظة مصر من سباتها الطويل ، وبه ابتدأت الحركة الوطنية التى لازالت تجعل وثوقنا بالمستقبل وطيدا ، ما دام سمو الخديو قائما بالأمر فينا ، ولا بد للأجنبى أن يعيش زمنا ما بالقطر المصرى ، ليتمكن من الوقوف على مقدار شهرة الجناب العالى بين الأمة المصرية ، فأن سموه اذا أراد التوغل فى داخل القطر تقاطر الأهالى من جميع الطبقات بين شيخ

(★) حديث سياسى لمصطفى كامل مع محرر جريدة « الليبربارول » الفرنسية ، عندما أراد الوقوف على سر مجىء الخديو الى باريس فى نفس العام ، وقد نشرته المؤيد ، العدد ٢٥٣٩ ، فى ٩ أغسطس عام ١٨٩٨ ٠

وشاب وغني وفقير وعامل وفلاح للسلام عليه والتشيد به والتهليل له ، ولكي يرفعوا الى علمه أن لا ولى لأمرهم سـواه ، وكم يكون هذا المنظـر جميلا وموجبا لانعطاف القلب ، لا سيما اذا افتكر الانسان أن الشعب المصرى بحذافيره ، الذى كان فى عهد الحركة العرابية عدوا ألد للمغفور له الحديو السابق ، وهو بعينه الذى يتظاهر الآن بتلك العواطف الشريفة للجناب العالى عباس باشا ضد الانكليز ، واذا كان المصريون الآن ملازمين للسكينة والصمت ، فما ذلك الا بارادة الجناب العالى ، الذى يرى أن مصـلحة مصر تقضى عليهـا ملازمة الهدوء ، وانتظار الانصراف من أوروبا ، ومن الواجبات المفروضة علينا شرعا أن نطيع أولياء أمورنا ، ونرشد بأفكارهم ، ونهتدى بهديهم ، وأن نبقى على الدوام مخلصين لهم ، ومرتبطين بمسندهم ٠

ـ وكيف كانت تربية الجناب الخديوى ؟

ـ أن الجناب العالى الخديوى تلقى تربية عظيمة(١) متينة ، وهو يجيد التكلم باللغات الفرنسوية والانكليزية والألمانية والايطالية والتركية والعربية ، ويعرف علوما كثيرة ، ويناقش فيها زائريه ، ثم هو ـ فضلا عن ذلك ـ سـامى الادراك ، واسـع العقل ، كثير النشاط ، بعيد الهمة ، وفى اعتباره أن الأمير يتنزل من الأمة منزلة الرأس من الجسد ، ولذلك نراه محبا لشعبه ، مصغيا لشكواه ، وعالما بحقيقة حاله ، وفضلا عن هاته الصفات العالية والفضائل الرقيقة ، اشتهر سموه بالتواضع واللطف ولين العريكة ، واذا ما زاره أحد نسى أنه حضرة الأمير ، وما ذلك الا لكثرة انعطافه لحلاوة طباعه ، ثم هو باعتبار كونه مسلما يبالغ فى احترام الأديان الأخرى ، ولذلك ترى غير المسلمين، من رعاياه يحبونه كما يحبونه المسلمين ، ومما حبب فيه النزلاء الأوربيين المقيمين فى مصر على اختلاف نزعاتهم وتباين مشاربهم ، شدة تساهله وزيادة ميله الى التمدن الأوروبى ٠

ـ وما هى عواطفه نحو فرنسا ؟

ـ عواطفه معلومة هنا لديكم ، انه يحب بلادكم ويعجب بها ، وليس ينسى أحد بمصر سواء كان من العائلة الخديوية أو من عامة الأمة أن فرنسا وحدها هى التى شدت أزر محمد على باشا فى عام ١٨٤٠ وساعدته على نشر أنوار العلوم والمعارف والتمدن فى القطر المصرى ، وفى ١١ نوفمبر ١٨٤٠ كتب مؤسس العائلة الخديوية الى صديقه لويس فيليبس(٢) ، صاحب فرنسـا فى ذلك العهد رسـالة جاء فيها ما يأتى :

---

(١) تلقى علومه فى معظمها فى كلية ترزيانوم بفيينا ٠
(عن نشأته يرجع الى الموسوعة العربية الميسره ، عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل ٠٠ وغيرها) ٠

(٢) لويس فيليب (١٧٧٣ ـ ١٨٥٠) تملك ناصية الحكم فى فرنسا من ١٨٣٠ ـ ١٨٤٨ ، عمـل فى الجيش الفرنسى وهرب منه عام ١٧٩٣ وعاش فى انجلترا وأمريكا حتي عودة أسرة البربون ، اختير =

« انى أرجـو من جلالة الملك أن يأذن لى بالاعـراب عن شكرى لجلالته وللأمة الفرنسـوية ، شـكرا يدوم فى قلبى مدى العمـــر ، ويتصل منى الى الأبنـــاء والأحفـــاد ... » .

وقد اتصل هذا الشكر فعلا من الأب للابن ، وأصبح واجبا مقدسا ، لا سيما فى نظر الجناب العالى حفيد ساكن الجنان محمد على باشا دائما ، يتبقى أن تلك الجملة التى فاه بها مؤسس العائلة الخديوية ، يتردد صداها الآن فى فرنسا ، وأن تقوم الجمهورية الفرنسية بدعوة انكلترا الى احترام حقوق مصر وسمو أميرها المقدسة .

ملكا لفرنسا ، وقد تخلق بالأخلاق البورجوازية ، وعرف (بالملك المواطن) وتميزت فترة حكمه بالتوسع الاستعمارى حيث استعمر الجزائر ، وبالحرية السياسية . الا أنه ظهرت فى عهده الحركة الراديكالية ، ولما نشبت الثورة فى فبراير ١٩٤٨ ، تنازل لويس عن العرش وغادر فرنسا الى انجلترا .

محمد شفيق غربال وآخرون : (الموسوعة العربية الميسرة (مجلد) ، ص ١٥٨٦ .

اتحاد الكلمة ★

يمم مولانا العباس دار السعادة وعاصمة الخلافة ليؤكد لجلالة سلطاننا الأعظم من جديد صدق الولاء وخالص الوفاء ، ويقطع بهذا السعى الجليل ألسنة الأعداء ، ويرد للشامتين بمصر والدولة العلية سهامهم فى صدورهم ، ويؤيد الأمة المصرية العزيزة فى تعلقها بالعرش الحميدى وارتباطها بصاحب السلطنة السنية والخلافة المقدسة ، فشكرا لك أيها الأمير المحبوب وحمدا ثم حمدا ٠

هذه الزيارة يستقبلها كل مصرى بمزيد الارتباط وعظيم انشراح ، لأنها تبعث الآمال فى القلوب وتحبط مساعى الأعداء ودسائس الدخلاء ، فكم دبروا من دسائس ، وكم أشاعوا من أكاذيب لزرع العداوة والشحناء بين مصر والأستانة ٠ ولما تحققوا أن سمو العباس قاصدا الأستانة بلا ريب أخـذوا يطعنون الطعن السـافل البذىء على المخلصين لسدته والمدافعين عن حقوقه الشرعية ٠ وانا لنقبل هذه المطاعن من الدخلاء بصفتها آخر دسائسهم ضد مصر والاسـتانة ، ودليـل عجزهم عن بلوغ مآربهم واعترافا منهم بأن لا استطاعة لهم ولا لغيرهم على تكدير العلائق بين التابع والمتبوع ، فلتطعن علينا جريدة الدخلاء ما استطاعت فما مطاعنها الا اعلان لنجاح سياستنا واعلان للتوفيق بين يلدز(١) وعابدين ٠

ولقد كان سمو العباس أول المناهضين لاتحاد الكلمة ، وجمع المصريين حول الراية السلطانية الرقيقة ، فاستحق وحده شرف هذه السياسة القويمة وحق للأمة أن تسأله فى كل ظرف وفى كل وقت أن يكون أمامها فى اشهار عواطفها نحو السلطنة السنية والمجاهرة باخلاصها لجلالة السلطان الأعظم ، وقد كان التعلق بالدولة العلية احساسا كامنا فى النفوس ، قبل جلوس العباس على أريكة الخديوية الجليلة ، مظهرا للوجود عند سفر العزيز لأول مرة الى دار السعادة ، وأخذ هذا الاحساس الشريف ينمو شيئا فشيئا حتى عم الأمة كبيرها وصغيرها ورأينا ورأى الناس كافة

(★) نشرت فى المؤيد العدد ٢٥٨٤ فى ٢ أكتوبر ١٨٩٨ ٠

(١) قصر السلطان فى الآستانة ٠

هذا الشعب الكريم قائما أيام الحرب (١) ـ الحرب العثمانية واليونانيه ـ بأقدس الواجبات ، وشاهدنا أبعد الناس عن السياسه ينتظر أخبار النصر والظفر بشغف جزيل وسهاد طويل ، وما الفضل الأول فى ذلك الا لسمو العباس .

وأن سياسة العباس من أول كلمة الى اليوم تدور على مبدأين خطيرين ، وهما احترام رغبة الأمة المصرية ، والارتباط بالدولة العلية ، فلقد رأينا سموه يجمع بين الأمرين فى سائر الظروف واخصها بالذكر الاعانة العسكرية الشاهانية ، فان سمو العباس افتتح هذه الاعانة بذاته الشريفة ، وقام فيها على رأس الأمة على حين أن حكومة سموه كانت تصدر الأوامر يوم الاكتتاب وكانت تعلن غضبها على كل موظف يشترك فى هذا العمل المبرور ، مع أن الواجب عليها كان : اما اتباع سمو الأمير فى خطته أو اعتزال الأعمال.

ورأينا سمو العباس ـ حفظه الله ـ فى مسئلة الحج الشريف (٢) محترما بالرغم عن قرارات وزارته لرعينه ولأوامر الذين الشريف ، فجاهد وأى جهاد ، ودافع وأى دفاع ، وثبت وأى ثبات ، حتى نال مبتغاه ، ونال من المسلمين كافة ـ والعثمانيين الصادقين ـ المكانة السامية ، والحب الخالص لذاته الشريفة ، وعرفت له الدولة العلية هذه المهمة الشجاعة ، وهذه العزيمة القوية .

وها هى مسئلة السكك الحديدية السودانية (٣) ، لا تزال حاضرة فى الأذهان ، ولا يزال العارفون ببواطن الأمور يؤكدون أن سمو العباس خاطب « السير بالمر(٣) » فى مجلس النظار قائلا : « انى جالس على أريكة الخديوية لاعلاء شأن أمتى ، والعمل فى صالحها ، واحترام رعيتها فاذا شعرت من نفسى بعدم القيـــام بالواجب ، أو

---

(١) وقعت عام ١٨٩٧ سيحة توره بعض المقاطعات اليونانيه على الحكم التركى ، وتاسست جمعيات سرية فى أثينا بزعامة اليونانيين والكريتيين ، حتى بدأ السلطان عبد الحميد الثانى يمنحهم الحـــكم الذاتى .

(أنور الرفاعى ، ساكر مصطفى : مرجع سابق ص ٢٨٥ . ٢٨٦) .

(٢) تدخلت انجلترا فى أمور سفر الحجيج المصريين ، بان حاولت تحديد عددهم تاره ، ورفع رسوم الحج تارة أخرى ، ثم لجأت الى الايعاز للحكومة المصرية بأن يكون السفر على سفن البوسته الخديوية ، بهدف معرفة هوية المسافرين ، وهى بهذا انما كانت تريد أن تقطع الصلات بين الوطن العربى حتى تنفرد بأجزاء هامة منه ، وعدم توصيل الأفكار التقدمية الى أنحائه وخصوصا أفكار المصريين الذين سوأوا فهمها آنذاك .

(للتفصيل يمكن الرجوع الى ما نشرته اللواء تباعا من يناير ١٩٠٣) .

(٣) اهتم الاحتلال بمد الخطوط الحديدية فى السودان لخدمة الاستثمارات البريطانيه هناك ، وأشرف الانكليز على مد تلك الخطوط فى عام ١٨٩٩ ولكنهم جعلوها أضيق من تلك التى فى جنوب مصر بمقدار ثلاث بوصات ونصف حتى لا تفكر مصر فى توصيل خطوط بها وبهذا تقطع السودان عن مصر .

(شوقى الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ، ط ٢ ، ص ص ٧١٩ ـ ٧٢٠) .

(٤) المستشار المالى للحكومة فى تلك الفترة .

أحسست بأن أمتي غير راضية عني ، فاني لا أجلس على هذه الأريكة » وهو قول كله شرف وكله شمم ، وليس بغريب ان يقوله العباس . ويذكر كذلك العارفون ببواطن الأمور أن سمو العباس أرسل تلغرافيا للحضرة السلطانيه يخبرها بتفاصيل المسئلة، ويسألها أمرها فى الأمر ، فلما جاءه الرد مؤيدا له فى خطته موافقا على مقاومته ، أجاب سمو العباس جلالة السلطان قائلا : « ما دام جلالة السلطان مساعدا لى معضدا فانى أقوم بواجباتى نحو الملة والدولة أحسن مقام » . وأى دليل بعد ذلك على أن المبدأ الأول والمبدأ الأهم فى سياسة العباس هو التعلق بجلالة السلطان الأعظم والعمل بأوامره وارشاداته ، ولذلك كله ولما تعلمه من أن الشـــقاق داعى الدمار والانحطاط وأن الاتحاد روح القوة والفلاح ، كنا أول من يحيى زيارة العباس لجلالة الخليفة الأعظم ، ونستقبلها بصدور ممتلئة بالسرور .

ومهما عمل الدخلاء على تفريق الكلمة ، فلا يجدون منا الا عمالا للاتحاد ، خداما أوفياء للدولة ، ننادى فى كل وقت وفى كل آن ، أن سائر العثمانيين وكافة المسلمين بالتشبه بالجندى العثمانى الفخيم الذى ينادى بأعلى صوته فى ساحة القتال والجراح على جسده كالنجوم فى السماء « ليحيى جلالة السلطان » .

التعليم ★

خطب أحد ساسة فرنسا أمام جمهور من الشعب فقال : « المستقبل بيد معلم الناشئة ، وهى حكمة جديرة بأن تكون محل نظر المصريين الراغبين فى اعلاء شأن وطنهم وترقية مدارك أمتهم ، واسعاد المستقبل ، فقد تغيرت الأحوال فى نظارة المعارف ، وأصبح التعليم محفوفا بالمكاره (١) والمصاعب ، وأمسى المعلمون المصريون يعلمون وهم متعبون من حالتهم ، ويشتكون من سوء معاملتهم ، ولو استطاعوا أن يعيشوا خارج نظارة المعارف لفارقوها اليوم قبل الغد فرحين مسرورين وهو أمر يدل على أن التعليم فى مصر انحط انحطاطا هائلا ، فان روح التعليم فى المعلم ، ولو نظرت الى التلامذة لوجدتهم أسوأ حالا وأشغل بالا من المعلم فهم يذهبون الى المدرسة وكل منهم يتوقع طرده أو رفته اذ أصبح الطرد موقوفا على أقل شىء ، كيف لا وقد رأتنا نظارة المعارف هذه الأيام العجيب والغريب ، فقد نقل الينا ثقة لا ريب فى صحة قوله ان ناظر المدرسة الخديوية طرد تلميذا من المدرسة لأنه كان عابس الوجه ، فليعلم المصريون من الآن فصاعدا أن قوانين المدارس تقضى بأن العابس الوجه يطرد من المدارس ، وأن هذا الناظر الانجليزى طرد تلميذا لأنه كان مبتسما ، وأظن ان هذا المسكين حسب أن التبسم يقربه من الناظر بقدر ما نال العابس الوجه من النصاب — وأنه أنزل تلميذا فرقة ، لأنه كان حاملا الكتب وسقط منه كتابان وهكذا من أمثال هذه المضحكات المبكيات •

(★) نشرت فى المؤيد ، العدد ٢٥٨٩ بتاريخ ٨ أكتوبر ١٨٩٨ •

(١) تدخلت انجلترا فى أمور التعليم العام فى مصر باعتبار أن التعليم يقف على قدم المساواة مع الاقتصاد ، يستطيعون منه الضغط على مقدرات مصر ، فتدخلت فى اختيار المواد وتعيين المدرسين ، وكان عدد كبير منهم من الانجليز ، وطبع الكتب ، أما الاشراف العام فى نظارة المعارف فكان للمستشار الانجليزى الذى كان يد مستعرة قوية داخل النظارة ، أودى بكرامة المدرس المصرى الوطنى ، ورفع الآخر البريطانى مركزا وأجرا •

(عن هذا الموضوع يمكن الرجوع الى : جرجس سلامة ، أثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فى مصر ، ١٨٨٢ — ١٩٢٢ ، القاهرة ١٩٦٦ ، حسن الفقى : مرجع سابق) •

وطالما قلنا وكررنا أن مقصد الانكليز فى نظارة المعارف قتل العواطف الوطنية واعدام كل احساس شريف عند الناشئين ــ فقد وضعت هذه النظارة مادة فى قانون مدارسها قالت فيها ما معناه : « كل تلميذ يشترك فى احتفال أو مظاهرة أو اكتتاب يطرد من المدرسة » فما معنى هذه المادة وما سبب وضعها ؟ أليس معناها أنه لا يجوز للتلامذة الاكتتاب للاحتفال بعيد جلوس سمو الخديو المعظم ، أو ليس سبب وضعها أن تلامذة المدارس عقدوا فى ٨ يناير من هذا العام احتفالا شائقا بمناسبة عيد جلوس الحضرة الفخيمة الخديوية ، وأعلنوا فيه مع مزيد الاحترام حبهم الخالص لسمو أميرهم وتعلقهم الصادق بذاته الشريفة ، واذا كان أساس التعليم فى المدارس قتل العواطف الوطنية ، فيا معشر المصريون « ارسلوا أبناءكم الى مدارس الحكومة » أتريدون أن يكونوا خداما للانكليز وعبادا لأعداء الوطن ؟ أم يبغون جعلهم آلات ضد الوطن العزيز ؟ ليت شعرى اذا كان التعليم خاليا من التربية الصحيحة والفضيلة الوطنية بل أساسه التربية اللاصحيحة والفضيلة اللاوطنية فما فائدة التعليم ؟ وهل ينكر أحد من الناس أن المتعلم السيء التربية هو أضر على نفسه وعلى قومه وعلى وطنه من الجاهل ٠

وإذا كان تحلى الناشئين فى البلاد الأخرى بالعواطف الوطنية مما يكافأ عليه ، فلماذا تسير مصر على عكس هذه القاعدة ؟ واذا قام الناشئون فى انكلترا بعمل مظاهرة وطنية يوم عيد جلالة الملكة فهل يكون جزاؤهم اللوم والتفريق ووضع مادة فى القانون تحرم عليهم مثل هذه المظاهرات ؟

قاتل الله الغرض ! فانه يعمى ويصم ولا يصح لعاقل أن يؤمل خيرا من نظارة المعارف ، بعد أن عملت وبلغت ما استطاعت فى التضييق على الناشئين وطلاب العلوم ٠

ولقد كانت مصر فى الماضى مشرقا لأنوار العلوم والمعارف مفتوحة مدارسها للطالبين والراغبين ، بل كانت الحكومة تأخذ التلامذة حتى بالرغم عن آبائهم وتعلمهم وتهذبهم ليكونوا خداما للوطن العزيز وعمالا نجباء على اسعاد الأمة وترقية شؤونها واليوم أراد الزمان وأراد سوء حظ مصر أن ينعكس الحال وتنقلب الأمور ، فماذا يجب أن يعمل المصريون ؟ أليس أول واجب عليهم أن يقوموا ويؤسسوا المدارس الأهلية (١) لتعليم أبنائهم على الأخص لتربيتهم لأن التعليم شيء والتربية شيء آخر ،

---

(١) فى مقابل عمل الانجليز هدم التعليم القومى فى مصر ، نادى مصطفى كامل بتأسيس تعليم أهلى يتحرر من ربقة الاشراف البريطانى ، وذلك بتأسيس شركات للتعليم تقوم على الجمعيات الخيرية والأهالى ، كل حسب قدرته فاسهم الموسرون أمثال حسين بك قرة جوللى ، والجمعيات الخيرية ، كجمعية العروة فى الاسكندرية ، والمساعى المشكورة فى المنوفية ، وغيرها من الجمعيات بالاستجابة لدعوته ، وكان لنشاطهم فى مجال التعليم أثره ٠

(عن الدعوة يمكن الرجوع الى : عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة القومية) ٠

وقد أهملت التربية بالمرة من مدارس الحكومة ، فيجب أن تكون الأساس الاول فى مدارس الأمة ٠

ومن غريب أمر مصر أنه لما كانت الحكومة تأخذ الأبناء قهرا لتعليمهم وتربيتهم ، كانت الأمة معارضة للحكومة فى ذلك ، ولما بذلت الحكومة جهدها فى التضحية على المتعلمين انجهت رغائب الأهالى نحو التعليم والتربية ، وصار الفقير كالغنى يسعى لتربية أبنائه ، ويحمل نفسه المصاريف الباهظة لبلوغ هذه الغاية ، وانا نعلم جيدا أن فى مصر رجالا يحبون وطنهم حبا صادقا ، ويودون له كل سعادة وكل هناء ، ولذلك جئنا نسألهم بلسان الوطن الأسيف أن ينهضوا لتأسيس المدارس الأهلية لا سيما وقد ظهرت همة ذوى الهمم عند نشر المؤيد لأول مرة رسالة فاضلين تعهد كل منهما بدفع جنيهين فى الشهر اذا أسست نظارة معارف أهلية ٠

نعم ان تأسيس نظارة معارف أهلية أمر مرغوب ، وشئ خطير ، ولكن اذا كان هذا الأمر صعبا أو مستحيلا اليوم ، فهل تقعد عزائم الذين تعهدوا بدفع مبالغ لتربية أبناء الأمة ؟ ان خير سبيل يجب على ذوى الهمم سلوكه الآن هو تأسيس مدارس متفرقة فاذا اسقامت أحوالها وسارت فى طريق النجاح ، اجتمعت هاته المدارس كلها تحت ادارة مشتركة ، ولزيادة الايضاح نقول : أنه لو اجتمع عشرة من الناس ويتبرع كل منهم بدفع جنيهين فى الشهر ، لأمكنهم أن يؤسسوا مدرسة ابتدائية نعلم الفقراء من أبنـــاء الأمة ، وتؤدى خـــدمة جليلة ، ولدينـا جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية (١) تقوم مثلا على ذلك ، فهذه الجمعية ليست من الجمعيات الفنية ، ولكنها وصلت الى تأسيس ثلاث مدارس سائرة فى طريق الفلاح والتحسين ، فالارادة وحدها كافية لعمل أكبر الأعمال ، فما بالك لو أجمع عديد من الناس على ارادة واحدة ورغبة مشتركة ٠

على أننا نرى المدارس الأجنبية فى مصر زاهية زاهرة ، غنية بأموال التلامذة ، تبنى القصور وتشيد المبانى الفخيمة لمدارسها ، فما على الراغبين فى تأسيس المدارس الأهلية ، الا أن يبدؤا فى العمل وهم يجدون من الأمة أكبر اقبال ، ولا يخسرون فى عملهم المبرور شيئا ٠

وقد علم القراء أن صاحب العزة والفضل « حسين بك قره جوللى » (٢) عزم

---

(١) ظهرت فكرة جمعية العروة الوثقى _ أول الأمر _ فى فكر كل من جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى باريس بشكل سرى ، وأنشأ جريدة تحمل هذا الاسم لاثارة الرأى العام فى الأقطار الاسلامية ، وتدعو للاتحاد ضد الاستعمار الأجنبى ، ثم ما لبث أن شكلت جمعية بهذا الاسم فى الاسكندرية ٠

(عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨ _ ١٩٣٦ ، ص ص ٢٩ ، ٣٠ ، عباس العقاد : محمد عبده، ص ١٣٦) ٠

(٢) أحد أعيان القاهرة ، من أصل تركى ، أول من استجاب لدعوة مصطفى كامل ٠

(الرافعى : مصطفى كامل ، ص ١٣٩) ٠

عزما أكيدا على انشـاء مدرسة أهلية ونزيدهم الآن أن كثيرا من فضلاء الأمة قدموا لهذا المفضال شكرهم وثناءهم ووعدهم بمعاونته فى العمل ومساعدته ، ونحن نعلم أنه صادق العزيمة ، قوى الارادة ، حى الاحسـاس ، ولذلك ننتظر منه تحقيق أمنية الناس ، ويتشوف من اليوم الى مدرسته التى لا شك فى أنها ستكون عامرة بالمتعلمين ، زاهرة كثيرة الفوائد على الأمة والوطن · وما رأيناه فى سعادة قره جولى بك أيام الاعانة العسكرية العثمانية من الهمة والعزم يحقق لنا أنه سينفذ مشروعه الجليل بعد قليل من الأيام ·

وجملة القول : أن الوطن فى أسد الحاجات لوجود مدارس أهلية حرة نتعلم فيها الأبناء والبنات وكل مصرى يقوم بتأسيس مدرسة أهلية يكون قد خدم وطنه أجل خدمة ، وأسماها ويحق له أن يفاخر قومه بعمله ويصبح ويمشى عالى الرأس مرتاح الضمير ·

أوروبا والاسلام ★

جاءتنا التلغرافات العمومية أمس بنبأ مدهش ، وهو أن جلالة السلطان الأعظم ، قبل انسحاب الجنود العثمانية من كريد اجابة لطلب فرنسا وانجلترا والروسيا وايطاليا ، وقد انتهز أعداء الدولة فرصة ورود هذا التلغراف فأخذوا يشنعون به ويطعنون على جلالة المتبوع الأعظم ، ولو كان عندهم شيء من العدل والانصاف لقضوا على أوربا ومدنيتها شر قضاء ، اذ أي لوم يستطيع عاقل أن يوجهه لجلالة الخليفة الأعظم ودول أوروبا كلها متحزبة ضد دولتنا العلية ، عاملة جهدها في نصرة الثوار والعصاة ؟

وأن التعصب القبيح ضد الدولة العلية ورعاياها المسلمين لواضح لكل ذي عينين ، والا فبأي حق تسوغ الدول لنفسها التداخل في شئون الدولة ، ولماذا تداخلت في كريد ولم تتداخل في كوبا والهند مثلا ؟ أليس لأن أسبانيا دولة مسيحية كانت تفتك بالكوبيين ، وانكلترا دولة مسيحية تفتك بالهنود مسلمين وغير مسلمين ؟ .

ومن الأمور البديهية التي لا يصح المناقشة فيها أن جلالة السلطان الأعظم من أكبر رجال السياسة في هذا العصر ، وأنه باعتراف (غلادستون) (١) نفسه لا يرضى أبدا الرضوخ لمطالب أوروبا ورغائب المسيحية ومسئلة الأرمن (٢) لا تزال كلها براهين

(★) نشرت بالمؤيد العدد ٢٥٩٠ في ٩ أكتوبر ١٨٩٨ .

(١) وليم ايوارت جلادستون (١٨٠٩ - ١٨٩٨) سياسي بريطاني من حزب الأحرار ترأسه من ١٨٦٨ - ١٩٨٤ دخل مجلس العموم عام ١٨٣٣ ، ووكيل وزارة الحرب والمستعمرات ١٨٣٤ - ١٨٣٥ ، عين وزيرا للمالية في وزارات الأحرار التي ألفها كل من ايرل أبردين وبالمرستون ورسل ، عين رئيسا للوزارة البريطانية أربع مرات : ١٨٦٨ - ١٨٧٤ ، ١٨٨٠ - ١٨٨٤ ، ١٨٨٦ ، ١٨٩٢ ، ١٨٩٤ .

(محمد شفيق غربال وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ١٩٥٩ ، ص ص ٦٣٥ ، ٦٣٦) .

(٢) كانت روسيا دائبة على تشجيع الولايات المسيحية ضد الدولة العثمانية المسلمة ، وبدأت جذور هذه المشكلة منذ عام ١٨٧١ ، الى أن وصلت الى حد مذبحة بين العنصرين في الروملي الشرقي قتل فيها عدد كبير من الأتراك ، ولم تتحرك بريطانيا الا عندما بدأت تركيا تفيق وتضرب أعداءها وتكسب الجولة الثانية .

(لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع الى : اسكندر سعيد عمون : مرجع سابق ، ص ص ٢٧ -) .

على هجمات السياسة الأوروبية واعتراضها فى كل ما يخالف مصلحة الدولة العلية ، فاذا كان جلالة السلطان الأعظم قبل خروج الجنود العثمانية من كريد وتسليم الجزيرة بصفة نهائية الى أوروبا - وهو ما نزال مرتابين فيه - فان ذلك يكون من اعتقاد جلالته بأن أوروبا تنوى السوء والشر للدولة ، وأنه لا نصير لها بين الدول الأوروبية ، والعبرة التى يجب اذا على كل مسلم أن يعتبر بها هو أن لا سلامة لنا الا بالاتحاد حول راية السلطنة السنية تعزيزها بكل استطاعتنا وعدم الاعتماد على أوروبا فى شىء ما ٠

والذى غرر بنا الى اليوم هو اعتقادنا بأن مدنية أوروبا غرضها المساواة الحقيقية والعدل الصحيح ، وكنا نعتقد ذلك عن سلامة نية ، ولذا احتفلنا طول هذا القرن بالأوروبيين وأكرمنا مثواهم ، وتلقينا تعاليمهم وارشاداتهم بمزيد الارتيـاح وصرنا ينافس بعضنا البعض الآخر فى تقليدهم والتشبه بهم ، ولكننا ضرعنا وسلبنا الكثير من عزنا ومجدنا ، ولم يبق الا أن نعتبر بالماضى ونعمل للمستقبل ٠

وقد كاد ينتهى القرن التاسع عشر وبعد قليل تحاسب كل أمة نفسهـا عما كسبت ، وعما خسرت ، واذا حاسبنا نحن كذلك أنفسنا نحسرنا الحسرات بعد الحسرات ورأينا هذا القرن فى ضيائه وسنائه أعدى القرون للشرق والاسلام وأكبرها ضررا ، وما ذلك الا لأننا فرطنا فيه كل التفريط ، وخالفنا أوامر الشريعة المطهرة ، فكان جزاؤنا ما كان ٠

أما الآن وقد أسمعتنا الحوادث والأيام أن سلامة مصر والدولة العلية فى الالتئام والاتحاد والحذر من العدو والدخيل ، فلنتنبه للخطر المحدق بنا ، ولنعمل على اصلاح أمورنا ، ولم شملنا ليعود لنا مجدنا القديم وعزنا السالف ٠

التربية الوطنية ★

كتبنا أول الأمس فى المؤيد مقالة على التعليم ، أبنا فيها الحالة السيئة التى وصلت اليها المعارف فى مصر ، وضرورة انشاء مدارس أهلية ننفق عليها ، وتعلم أبناءها ، واليوم نعود لهذا الموضوع نفسه . لأنه موضوع حيوى يجب البحث فيه والكلام عنه حتى تظهر للوجود المدارس المقصودة ، ونتم الغاية المرغوبة ، وقد لاحظنا أن كل مرة نشر فيها المؤيد أو غيره من الجرائد الوطنية نصائح سأل الأمة اتباعها أو أظهر لزوم انشاء شيء ما استحسن الناس كافة رأيه ، وقال كل واحد ، ولكن من الذى يعمل بهذا الرأى ، ومن الذى يجيب هذا النداء ، ولاحظنا أن كل فرد يعتبر نصيحة الناصح موجهة لغيره ، لا له فلذلك يلوم الآخرين على عدم اتباعها ، وهو أول مقصر فى اتباعها .

ولذلك كانت نصائح النصاح عقيمة فى أغلب الظروف ، فيما أيها القارىء عود نفسك من الآن فصاعدا على اعتبار ما تقرأه من النصيحة أو اللوم موجهــا اليك ، ولا تتهم غيرك بالتقصير ، فأنت مسئول عن خدمة الوطن ، ككل مصرى وأنت مشترك فى جريمة انحطاط الوطن ان كنت مع المقصرين .

واذا عرف كل قارىء من قراء المؤيد أن النصيحة موجهة اليه ، وأن الوطن ينادى أبناءه فردا فردا بلا تمييز فى الدرجة والرغبة والثروة استلفتنا أنظار كل مصرى الى حالة الوطن الأسيف وما وصـــل اليه فى هـــذه السنين من التقهقر والانحطاط على حين تقدم البلاد الأخرى ، وافتخار كل وطن برجاله وكل رجل بوطنه ، وليس لداء مصر من دواء سوى فى التربية الوطنية الصحيحة القاضية ببث روح الفضيلة فى نفوس الناشئين وتفهم كل واحد منهم بتاريخ بلاده وواجباته نحوها وحقوقه الوطنية ، حتى اذا شب كل رجلا شهما ووطنيا حرا يأبى الضيم لبلاده والاستعباد لقومه فينهض لاعلاء شأن الوطن ورفعة الأمة سمعنا أطفال النزلاء هنا

(١) نشرت فى المؤيد العدد ٢٠٩١ بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٨٩٨ .

ينشدون الأناشيد الوطنية أمامنا ويهتفون بالدعاء لبلادهم وممالكهم على بعد المزار فيستوقفنا هذا المنظر المؤثر ، ويملأ قلوبنا أسفا على فقدان التربية الوطنية من بلادنا ·

ولقد أضاع اليأس عند بعض النبهاء قوة الارادة وصدق العزيمة فنراهم يصبحون كسالى ويمسون ولا ينشطون لعمل شيء من الأشياء ، مع أن حسن الاعتقاد في الخالق جل شأنه ، هو روح كل العقائد وعماد سائر الأديان ، فكيف نجعل لليأس علينا سلطانا ·

وها هو التاريخ قائم بأحاديثه ، ينبهنا الى أن كل أمة عملة لحريتها واجتهدت في سبيل الحصول على استقلالها بلغت متمناها وأدركت أحقيتها ، فلم لا نعمل نحن كبقية الأمم التى كانت مستعبدة ، واستقلت ، فنحن نموت والوطن يبقى حيا وعمرنا في هذه الحياة قصيرة ، ولكن الوطن الطويل العمر محدود الأجل ، ولقد سمعت مرة المسيو (شارى ديبوى) رئيس وزراء فرنسا سابقا يخطب على سكان قرية فرنساوية بمناسبة اقامة تمثال لأحد أبنائها الذين أخلصوا للوطن الفرنساوى وخدموه بأمانة ووفاء ، فالتفت الخطيب بعد أن افتتح خطبته بالثناء على فرنسا نحو تلامذة هذه القرية ، وقال « علموا هؤلاء الناشئين أن فرنسا أول البلاد وأشرفها وأن أمتنا أجل الأمم وأكرمها واملؤا قلوبهم وطنية لفرنسا ، فربما خرج منهم رجل رفع الراية الفرنساوية الى أعلى منار وسار بالوطن فى طريق السعادة والفخار » ·

واليوم أنا أقف أمام أمتى هذا الموقف وأنادى أبناءها بصوتى الضعيف « ان كنتم لا تؤملون لمصر خيرا وأنتم أحياء مع أن المستقبل بيد الله وحده — فربوا أبناءكم واتركوا لهم الراية الوطنية ، ميراثا وعلموهم أن مصر خير الأوطان وأشرفها وأن أمتنا العزيزة أعرض الأمم فى المدينة وأكرمها وأن الموت خير من الحياة بغير الحرية والاستقلال ، فيشبون على محبة مصر ، وينهضون وهم رجال لتخليصها واسعادها » ، وأن أساس التربية الوطنية هى تقوية ملكة اللغة الوطنية عند الناشئين أى تعليم اللغة العربية الجليلة جيدا ، وتدريس كل العلوم والمعارف باللغة العربية وقد أدرك الانكليز ذلك ، فهزموا اللغة العربية بما لهم من القوة والحلول ودكوا أساسانها وقضوا بنيانها ، فأصبحت غريبة فى ربوعها ، كما أصبح الناطقون بها غرباء فى ربوعهم رأجانب فى بلادهم ·

ومادمنا مضطرين لتلقى العلوم والمعارف باللغات الأجنبية ، فكيف نرتقى الى أوج الكمال ونبلغ درجة الأمم الأخرى ، وما تقدمت هذه الأمم الا بتقوية ملكة لغتها ، وتدريس كل العلوم بها ، بل بلغت عناية الأمم الحية بلغاتها أنك اذا مررت فى شوارع مدائنها لا تجد كلمة واحدة مكتوبة على حوانيتها أو محلات التجارة فيها بلغة أجنبية ·

وأذكر بهذه المناسبة ما قصه لى صديق من المجر ، من أن رجلا مجريا دخل مرة مطعم فوجد فيه خادما صغيرا يجهل اللغة المجرية ، فنادى صاحب المطعم ووبخه أمام الناس كافة قائلا له : « كيف تكون مجريا ويجهل خادمك اللغة المجرية ؟ » ·

ثم وعد الخادم باعطائه فلوريتو (أى عشرة قروش صاغ تقريبا) على كل كلمة يحفظها من اللغة المجرية .

وتجد لكل أمة حية أمثالا تتعلق باللغة يقصد بها تشريف اللغة الوطنية على غيرها من اللغات كقولهم فى المجر مثلا « اللغة المجرية لغة الخالق » .

أما نحن : فقد سلمنا أولادنا لنظارة المعارف التى تقتل فيهم كل عاطفة شريفة وتميت اللغة العربية بقدر استطاعتها على أن اللغة هى العامل الأول لحياة الأمم واستقلالها .

فيا أصحاب الهمم من بنى مصر . ويا ذوى العزائم أجيبوا استغاثة الوطن الحزين ، وانهضوا لتأسيس المدارس الأهلية ، ويكفى الواحد منكم أن يؤسس فى بادىء الأمر مكتبا فى قريته أو بلده فأول الغيث قطر ثم ينهمر .

الداء والدواء ★

امتلأت الأرض بأخبار فشودة (١) ، وشاع فى كل الأنحاء أن الحرب أصبحت بين فرنسا وانكلترا قاب قوسين أو أدنى بسبب هذه المدينة الأفريقية المصرية ، وقد أخذ العجب منا مأخذه بسبب ذلك ، وأخذنا نتساءل كيف أن دولتين عظيمتين تعرضان أبناءها الأبطال للفناء والدمار بسبب بلد أو قرية تركناها نحن غير آسفين ، واذا كانت هاتان الدولتان تعزان الى هذا الحد فشوده ، فكيف أهملنا نحن أمر السودان ، بل كيف أهملنا أمر بلادنا العزيزة كلها ، بل كيف تمر علينا الحادثات المزعجات ونحن بغير حراك نتفرج علبها كأنها واقعة على غيرنا لا علينا ٠

اللهم ان الجواب على هاته الأسئلة كلها بسيط ، وهو أن الأمم الأوروبية أمم حية عرفت قيمة الحياة وعرفت أن دعامة المجد والشرف هى الوطنية الحقة والعمل على خدمة الأوطان ببسالة واقدام ، فظهر فى أبنائها كل شجاع مقدام مقتحم الأخطار ، بعد الأخطار ، ويرجب متن الأسفار فى البحر والبر طالبا لبلاده عزا جديدا ومجدا تليدا ساعيا فى توسيع نطاق أملاكها ، ونشر سطوتها وحكمتها ، ولذلك ارتفعت الأمم الأوروبية شأنا ، وسمت قدرا وانتشرت سيطرتها على الشرق والشرقيين ٠

ومن ذا الذى لا يعجب برجل كمارشال (٢) قضى السنين هو ورجاله بين نيران الحر والجوع والعذاب والسهر والألم حتى وصل الى بغيته ورفع الراية المثلثة الألوان

(★) نشرت فى المؤيد العدد ٢٦٠٢ بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٨٩٨ ٠

(١) فاشودة (كودوك) قرية سودانية حدثت بها معركة فى يوليه ١٨٩٨ بين القوات الفرنسيه الزاحفة من الغرب بقيادة القائد الفرنسى (مارشان Marchand) بهدف الضغط على النفوذ البريطانى الذى بدأ بسنشرى داخل أفريقية ، وقد أنهت انجلترا هذه المعركة بقوة معظمها جنود مصريون بقياده كتشنر رافعة شعار أنها أرض مصرية تدافع عنها انجلترا الصديقه ، ولكنها كانت بداية نحفر فنزاع سياسى بينهما فيما بعد (للتفصيل يمكن مراجعة : محمد فؤاد شكرى . مصر والسودان . عبد الرحمن الرافعى ٠ مصطفى كامل) ٠

(٢) جان باتيست مارشان (١٨٦٣ – ١٩٣٤) مكتشف وضابط فرنسى . حارب فى فاشوده ، ثم اشترك فى معارك الملاكمين عام ١٩٠٠ فى الصين ، كما اشترك فى الحرب العالميه الأولى فى صفوف بلاده (محمد شفيق غربال وآخرون . الموسوعة العربية الميسره ، ص ١٦١٥) ٠

على فشوده ، بل من ذا الذى يستطيع أن ينكر على رجال كهؤلاء الرجال شجاعتهم وأقدامهم ووطنيتهم ، ومن ذا الذى منا معاشر المصريين الشاعرين بخطارة الحال وتعاسة الوطن ، لا يبكى البكاء الشديد ويتحسر من صميم فؤاده عندما يرى أبناء الأمم الأخرى متعاضدين متحدين عاملين فى الليل والنهار لسعادة أوطانهم على حين أبناء مصر فى شقاق وافتراق ، لا تنحرك الا بعواطف الحسد والشحناء ولا نهتز لدمار بلاد هى بلادنا ، وشقاء وطن هو وطننا وخراب معاهد الآباء والأجداد وهى هى وحدها مجدنا وفخارنا ·

واننا مع عظيم كراهتنا لهم فى كل وقت وفى كل بلد بأنهم مغتصبون علينا ناكثون للعهد والميثاق نعجب غاية الاعجاب بنفانيهم فى خـــدمة الوطن البريطانى واتحادهم فيما بينهم لاعلاء شأن بلادهم ، وغاية آمالنا أن توجد فى المصريين هـذه العواطف السامية التى شيدت الملك البريطانى وشيدت السلطة البريطانية ·

وقد بحث كتاب مصر كثيرا فى أسباب اضمحلالها وتأخرها ، وذهب كل منهم مذهبا فى شرح العلل والأسباب ، أما أنا فقد قلت من أول يوم اشتغلت فيه بمسئلة بلادى ، وقمت (   ) وتأخرها وانعدام التربية الوطنية الجنسية من بيننا وجهل كل فرد لواجباته نحو الوطن وحقوقه فى هذا الوطن ، فمنشأ عن ذلك ظلم القادر للضعيف وسكوت الضعيف عن حقه ضد القادر واستقال كل فرد بنفسه وعدم اشتغال أحد بالوطن ومصالحه الكبرى ، وانحلت بهذا السبب ذاته عروة الاتحـاد بين أفراد الشعب لأن أصل الاتحاد فى كل أمة شعورها باتحاد مصالحها ، واتحاد واجباتها نحو الوطن المشترك ، وطالما اعتقدت أمتنا ولا يزال فى أبنائها من يعتقد أن الحكومة هى المسئولة وحدها عن كل شىء يفيد البلاد ، وأن لاحق للأمة فى عمل شىء بغير اذن الحكومة ، وأقرها ورسخ هذا الاعتقاد فى النفوس حتى اننا لا نزال نرى فى مصر رجالا يقدسون خدمة الحكومة ويرون العار منتهى العار فى الكسب خارجا عنها ، فاذا استجمع المصرى كل أسباب الانحطاط ، وأدرك أن جهل الأمة أولا واعتقادها بأنها آلة فى يد الحكومة ثانيا وانحلالها ثالثا ، وفقدان العقيدة رابعا . واستبداد الحكام خامسا ، وقبول كل شىء من الأجنبى سادسا ، وطمع الأجنبى فينا سابعا · كيف تأخرنا وكيف صارت هذه البلاد العزيزة تحت تأثير الانكليز الثقيل ·

فهذه أدواء مصر بل هى بعينها أدواء كل بلاد المسلمين ، فما هو الدواء وأين يوجد هذا الدواء وما ثمن هذا الدواء ؟ ·

أما الدواء ففى التعليم الصحيح وفى التربية الصحيحة ، فهما اللذان بزيلان الغباوة من الشعب ويهزمان جيوش الجهالة وهما اللذان يعلمان الأمة أنهـا صاحبة الكلمة الاولى فى بلادها وأن رجال الحكومة ليسوا الا عمالا لها وخداما لمصالحها ان رضيت عنهم ، حفظوا مراكزهم ، وان سخطت اعتزلوا الاعمال ، وهما اللذان يجمعان كلمة الأمة ويوجدان رابطة متينة بين سائر الأفراد وبعضها حتى اذا حل بالوطن أمر جسام قامت الأمة كلها كأنها رجل واحد وهما اللذان يوجدان عند الأمة عقيدة

دينيـــة صحيحة بهـــا تنصـــلح أحوالها (١) كما أنهمـــا يوجـدان عنـــدها عقيدة وطنية تهتز لها الجبال نفسها ويسهل أمامهـــا كل صعب وكل عسير وهما (أى التعليم والتربية) اللذان يردعان الحكام عن الاستبداد ويقيمان فى الأمة قسطاس العدل والانصاف وهما اللذان يرفعان من شأن التجارة الوطنية والصناعية الأهلية ، فلا يشترى الفرد الا من تجارة وصناعة بنى جنسه . ولا يترك المتـــاجر والمصانع الأجنبية تقتل المتاجر والمصانع الوطنية ، وأخيرا هما التعليم والتربية واللذان يقفان أمام الأجنبى كأسدين كاسرين يدفعان عن الوطن هجماته واعتداءاته ويحفظان للراية شرفها وللعلم مجده وجلاله .

فها هو الدواء أيها المصريون ان أردتم لبلادكم خيرا ولوطنكم برا ولأنفسكم سعادة ، ولأبنائكم من بعدكم مجدا وسؤددا تعليكم فيه ، وما هو بعزيز عليكم بل هو عندكم وفى بيت كل واحد منكم وما تحته الا همة من الأغنياء وهمة من النبهاء ، فان قصرتم فأنتم وحدكم المسئولون عن مصائب هذه البلاد الحالية ، والآتية وعار على المصرى أن يقضى حياته فى الطعن على أمته وبلاده بدون أن يخدم وطنه خدمة جديرة بالذكر مع أن الأجنبى يقدم حياته وقوته بل وعمره ضحية للوطن وقربانا .

واذا كان الأوربيون مع قوة أوطانهم وسعادة بلادهم يقتحمون الأقطار لتوسيع دائرة سلطانها وزيادة عدد مستعمراتها ، فكيف لا نهتم نحن معاشر المصريين بانقاذ الوطن العزيز واعادة قوته ومجده اليه ، بل كيف يعتبر الاوروبى توسيع أملاك بلاده فرضا مقدسا عليه ولا يعتبر المصرى اعادة مصر لنفسها واجبا محتما وأول الفروض .

اللهم هب أمة مصر العزيزة رجالا من أبنائها ينهضون بها ويرفعون شأنها ويردون للوطن حياته واستقلاله ويجعلون لراية مصر بين رايات الأمم المحل الأول والمقام الأعلى .

---

(١) عبارة لم تقرأ فى الجريدة .

شرف الراية ★

يرى العالم الآن منظرا من أغرب المناظر وأعجبها وهو منظر أمتين عظيمتين (١) الأولى منهما واقفة تطالب بابتلاعها مصر ووادى النيل وتدعى حقوقا على السودان لا ندرى من الذى أعطاها اياها ولا ندرى ما هى تلك الحقوق والسودان فائض بدماء المصريين التعساء ، ومال مصر الأسيفة · والثانية واقفة تدافع عن شرف رايتها الملونة الألوان الخافقة على فشودة تجيب انكلترا على مطالبها بأبلغ جواب ، وترد عليها بأحكم رد ، تقول لها ان كان السودان لمصر والسلطان (   ) معى وان كان لأول فاتـح فانا فتحت قبـلك ومصر تنظر الى هاتين الدولتين العظيمتين بعين الاستغراب بل بعين ملؤها عبرات منتظرة النتيجة وما وراء النتيجة ·

يظن قوم ان الحرب بين فرنسا وانكلترا قاب قوسين أو أدنى ، ويظن آخرون أن جلاء فرنسا عن فشودة قريب لاريب فيه · ولكن الذى يجب أن يلتفت اليه المصرى ويعتبر به هو أن فرنسا تدافع عن شرف رايتها وانكلترا تدافع عن آمالها وأطماعها وحكومة مصر الأسيفة تسأل انكلترا أن ترد اليها السودان كله أى أن تطرد فرنسا من فشودة ·

ولو قرىء خطاب الحكومة المصرية هذا على رجل بعيد عن مصر غريب عنها جاهل بأموالها ومركزها السياسى لقال : « أنعم بحكومة مصر من حكومة محافظة على حقوقها غيورة على أملاكها وأنعم بحكومة انكلترا من حكومة شفوقة على مصر رحيمة بالضعفاء ، عدوة لكل مقاتل ··· ولكن المصريين الذين عرفوا حالة بلادهم ومجرى سياستها قرءوا خطاب الحكومة المصرية للحكومة الانكليزية بمزيد من الكدر وعظيم الألم ، اذ أنهم يعلمون كما يعلم حضرات الوزراء الفخام أن مصر لا تملك نفسها فكيف أكون عنيدا وأطلب أن أشترى بل كيف تطالب وزارة مصر انكلترا أن ترد اليهما السودان فهل أنكلترا هى الدولة العلية ؟ أو ليس هذا الخطاب فى هذه الظروف من أكبر

(★) نشرت فى المؤيد العدد ٢٦١١ بتاريخ ٣ نوفمبر ١٨٩٨ ·

(١) انجلترا وفرنسا ·

المخجلات ، وأى خجل يستولى على المصرى منا . اذا اجتمع الفرنساوى يقول « بلادى تدافع عن رايتها » وانكليزى يقول « بلادى تطالب بما أرادته لنفسها من الأملاك ويدافع عن آمالها ومطالبها .. عندئذ ماذا يستطيع المصرى الحزين أن يقول لأقول له غير اللهم هب مصر وزراء يعرفون أنهم أبناء مصر وانهم وزراء مصر وأن مصر وطن لهم ولآبائهم من قبل ولأبنائهم من بعد وأن أول واجبانهم المحافظة على سلامتها والموت فى الدفاع عن حقوقها المقدسة .

الأمة والأمير ★

تعود المصريون من أول يوم ظهر فيه سمو العباس بمظهر الأمير المحب لشعبه المطالب بحقوقه الغيور . على الوطن وبنيه ، باضطهاد الانكليز للمخلصين لسدته واشهارهم آلعداء للمتعلقين بأريكته ، وكلما التقت الأمة بأميرها المعظم وناجته وناجاها رأينا الغل يملأ صدور المحتلين ، ورأيناهم بخلقون الحوادث المكدرة لهناء المصريين المشوشة لأذهانهم وكان الانكليز فى أمتنا المصرية العزيزة كما يقوله عنها خصومها وأعداؤها أنها أمة لا شعور لها ولا احساس عند أبنائها ، وأنها تحترم الحاكم لأنه صاحب السلطة وتحيي الأمير لأنه القابض على زمام الأمور ، فكانوا يحسبون أنهم باضطهادهم المخلصين للسدة العباسية يقتلون العواطف الوطنية فى مصر ، ويردون المصريين عن أبواب الأمير المعظم ، ولكن ساء حالهم وخابت مساعيهم وجاءت النتيجة بعكس ما كانوا ينتظرون وبغير ما كانوا يؤملون ، فلقد ازداد تعلق الأمة بأميرها ، وبازدياد جرحهم لعواطف الشعب وأمياله ٠

ولابدع اذا كان تعلق المصريين بسمو العباسى فى هذه الظروف من أشرف الاريحيات التى يهتز لها العاقل طربا ويتباهى بها المصرى ، عجبا نعم هى عواطف سامية وأريحيه شريفة تدل على ان الأمة المصرية أمة ذات شعور وادراك يقول لها المحتلون : « اننا أصحاب السلطة والكلمة والنفوذ والحل والعقد ، ومن احتفل بالخديو ورفع له الرايات والأعلام عاقبناه أشد عقاب ، ومن جارانا على أميالنا وابتعد عن العباس ساعدناه وقربناه وجعلنا له الشرف الأعلى » فتجيبهم الأمة بصوت واحد وما هو الا ترجمان ما فى القلوب » قولوا كما أردتم أن تقولوا وهددوا ما استطعتم أن تهددوا فاننا لا نخاف التهديد والوعيد « وان كان لكم سلطان على الأجسام فما لكم من سلطان على القلوب والأرواح ، نحن نحب العباس لأنه أمير شريف الاحساس رفيع العواطف يحب الشعب حبا صادقا وأول آماله بل كل آماله أن يرى وطنه

(★) نشرت فى المؤيد العدد ٢٦١٢ بتاريخ ٥ نوفمبر ١٨٩٨ ٠

وقد قصد مصطفى كامل بهذا المقال التعبير عن حب الشعب للخديو سد ثغرة طالما استغلها الاحتلال وهو احلال الضغينة بين الحاكم المصرى والشعب محل الحب والتآلف لعلها فرصة تستغل لوجوده ٠

حرا مستقلا عزيزا قويا ، وان أردنم أن يعرفوا فوق ذلك من أسباب تعلقنا بعزيز مصر قلنا لكم اننا نحبه لأنكم لا تحبونه ولأننا لا نحبكم · وكان الأجدر بالانكليز أمام اجتماع القلوب فى محبة العزيز أن يتحولوا عن هذه الخطة الدنيئة التى ساروا عليها مع الشعب والأمير ، ولكن اقتضت سياسة الانتقام القبيح أن يكون رجال الأمة البريطانية · التى أقسمت بشرفها وشرف تاجها أن تؤيد الكرسى الخديوى ، وتحفظ لصاحب النيل ملكه وشرف مقامه أن يكونوا هم بأنفسهم المعتدين على هذه السلطة الشرعية والمعارضين للأمة فى تمسكها بعرش أميرها وولى أمرها ·

أين اليوم شرف بريطانيا ؟ أين اليوم شرف التاج الانكليزى ؟ وأين اليوم العهود والمواثيق بل أين رجال السياسة البريطانية أنفسهم ، ما بالهم لا يبصرون ما يجرى بمصر ، وكيف يقوم المحتلون وآلات المحتلين باحترام العهود والوعود ، ما بالهم لا يسمعون ضجيج الأمة المصرية ضد المحتلين وتهليلها لأميرها المعظم ، أما من سبيل لسماعهم هذا الضجيج وهذا التهليل ليندموا على الأقل على ما فرط منهم من الوعود والأقسام ·

احتفلت الأمة بالأمير المعظم فى العام الماضى ، فما عاد لعاصمة بلاده حتى أوعز صنائع المحتلين الى سفلة لا أخلاق لهم بالطعن على الحضرة الخديوية ، فكانت قصيدة السفهاء ، وكان ما كان فى أمرها ، وقامت الأمة هذا العام بأكرم مظاهرة لأكرم أمير فساقوا مدير البحيرة (١) للمحاكمة ، كأنه جنى جناية لا تغتفر أو أتى ذنبا كبيرا ·

وكأن المحتلين شعروا بأن ميل الامة لاميرها المعظم فى ازدياد فأرادوا أن يكون اعتداؤهم هذا العام بنسبة انعطاف الأمة نحو أميرها ، فجعلوا فريستهم سعادة المفضال أحمد خيرى باشا ، بعد أن كانت الفريسة فى العام الماضى غلاما تأبى الفضيلة ذكره ، واننا لا تهمنا نتيجة المحاكمة اذا عرض المحتلين من الحاكم ظهر وبان سواء أعلنت المحاكمة براءة المدير أو أنكرت براءته ، فقد أصبح فى عداد الشرفاء الأجلاء الذين اضطهدهم الاحتلال ليضطهد فى أشخاصهم الأمة والأمير ، وما أكبر هذا الشرف فى أعين العقلاء بل ما أعظم هذا النيشان الذى أهداه الاحتلال لسعادة المفضال خيرى باشا ·

---

(١) وهو أحمد خيرى باشا : الذى شغل منصب ناظر المعارف فى ٢٨ أغسطس ١٨٨٢ ، ثم الداخلية فى مايو ١٨٨٣ ، وفى ١٨٩٨ عين مديرا للبحيرة ، وقد احتفل بمرور الخديو بمديريته لدى عودته من المصيف فى ٢٥ أكتوبر ١٨٩٨ ولم يرق هذا فى عين الانكليز ، فطلبوا محاكمته بتهمة ارغام الأهالى على اقامة الزينات ، ورغم تكذيب الشعب لهذا الادعاء الا أنه عقد له مجلس تاديب فى ٥ نوفمبر ١٨٩٨ وحكم باحالته الى المعاش ·

(أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ القسم الأول ، ص ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، فؤاد كرم : النظارات والوزارات المصرية ، القاهرة ١٩٦٩ ص ١٢٤) ·

أما أنت أيتها الأمة المصرية العزيزة فسيرى فى خطتك نحو أميرك ، وابقى على عهدك وكلما زادوك اضطهاد ازدادى ولاء واخلاص . وما بى فى التعلق بصاحب النيل وسيد مصر الشرعى نلك من الوطن العزيز جزيل الحمد وجميل الشكران ، وما دامت هذه خطتك وهذا احساسك فسيرى نفسك بالسلامة والنجاة وقرب تحقيق الآمال والله على ما يشاء قدير .

شماتة وتهويل ★

ما أعلن خبر جلاء فرنسا عن فشودة حتى صاحت أبواق الضلال بالشماتة فى مصر والمصريين، وهددت المصريين المحبين لبلادهم المنادين بحريتها المطالبين باستقلالها المذكرين لانكلترا بعهودها ووعودها وأقسامها وكأن جريدة المقطم حسبت الفرصة مناسبة لاعلان هذا التهديد فأعلنته بشكل يفهم منه السذج أنها مكلفة أو مأمورة من الانكليز بنشره مع أن جريدة المقطم تعلم كما يعلم سادتها ومعبوداتها أن المصرى المتعلق ببلاده لا يخاف التهديد والوعيد لأن احساسه الوطنى فوق كل احساس ، ومن كان قوى العقيدة ثابت الفكر والرأى فلا الوعيد يرهبه ولا المدافع تزعجه فليقل المقطم ما شاء أن الانكليز لا يحتملون معارضتنا لهم أكثر مما احتملوا ، فنحن نؤدى الواجب علينا نحو الوطن العزيز بكل رزانة وبكل ثبات وبدون أن تموت فى نفوسنا الآمال أو يضعف عندنا الرجاء فالمستقبل بيد الله وحده ويدبره كيف يشاء .

أما ما تقوله جريدة المقطم من أن الانكليز لا يخرجون من مصر أبدا فهو قول العدو الشامت والدخيل الكافر بالنعمة ، فليعقل أفراد المصريين الذين يقرءون هذه الصحيفة الشامتة معنى هذه الشماتة ومعنى هذا التهويل وقد كانت هذه الصحيفة نفسها تشير على المصريين بالمسالمة ، وتقول لهم « ان سالمتم الانكليز خرجوا من دياركم » فلما جاءت الوزارة الفهمية ، وسالمت بل وسلمت كل ما سلمت رأى المصريون أن المسالمة ليست الا استسلاما وموتا وهوانا ، فسخطوا على هذه الخطة السخط الشديد وحضرات النظار أنفسهم يعرفون ذلك جيدا ، فلما رأى فلاسفة السوء والضلال أن نتيجة نصيحتهم لم تكن الا خرابا ودمارا لم يخجلوا من أن يقدموا النصيحة نفسها قائلا « ان لم تسالموا أيها المصريون لأتيتم كل أنواع العذاب » وهكذا شأن العدو والمدلس والكذاب الخداع .

وقد انتشر سماسرة السوء يشيعون فى كل مكان أن خروج فرنسا من فشوده

(★) نشرت فى المؤيد العدد ٢٩١٣ فى ٩ نوفمبر ١٨٩٨ .

جر على مصر البلاء العظيم ، وحدنا ، ولا يمنع انكلترا من اعلان الحماية على مصر . الا زمن قليل ، وغير ذلك من الخزعبلات والأكاذيب التى لا يقبلها عاقل ولا تصدقها الأطفال فضلا عن الرجال ، فانسحاب فرنسا من فشوده لا يدل على أن الكلمة الأخيرة فى المسئلة المصرية قد قبلت أو أن فرنسا قبلت بقاء الانكليز فى مصر الى ما شاء الله ، وان كانت فرنسا جعلت جلاءها عن فشودة ضحية لسلام أوروبا فهل تقبل اعلان الحماية على مصر وامانة كل مصالحها الحالية والمستقبلة فى مصر وافريقية والشرق الأقصى ؟ وعلى فرض أن مصر فقدت من فرنسا كل عضد وكل نصير . فأين الدولة العلية حتى تعلن انكلترا الحماية على مصر ؟ وأين المانيا التى مهماجارت انكلترا فى احتلالها لمصر لتكيد لفرنسا ــ تعلم علم اليقين أن مصر من السلطنة السنية روحها من الخلافة فؤادها ، وأن اتفاقها مع تركيا واتحادها نفسها لا يكون له أساس بل لا يكون لها وجود اذا ضاعت مصر من يد الدولة العلية ؟ وهل يظن المصريون أن جلالة السلطان الأعظم الذى شهد له العالم كله بالدهاء السياسى والحرص الشديد على سلامة الدولة ويترك مصر لتخرج من قبضته . على حين أن ألمانيا هى المساعدة على ذلك .

لا تضطربوا أيها المصريون بأقوال الأعداء المدلسين ولا تجعلوا للأوهام عليكم سلطانا . بل اعتقدوا بالله وتوكلوا عليه واعلموا أن الليالى حبالى واذا كان اليوم لهم يطانيا فغدا لكم ولتذكروا قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام : (مصر كنانة الله فى أرضه من أرادها بسوء قصمه الله) .

مدرسة مصطفى كامل ★

حضرة مدير جريدة المؤيد :

علم قراء جريدتكم الغراء أن المدرسة المسماة باسمي بباب الشعرية قد آل أمرها الى وأصبح شقيقي المدير لها ·

واني أعلم أن حمل المدرسة ثقيل ، وأتعابها كثيرة ، ونفقاتها طائلة ، ولكنى قبلتها بكل ارتيـــاح ، أملا منى فى خـدمة أبنـــاء الوطن العـــزيز ، وترقيــة مدارك الناشئين ·

واني أتشرف اليوم باعلان الجمهور أن التعليم فى هذه المدرسة مقرون بالتربية الاسلامية المحضة ، لأن أساس التربية الدين ، وكل أمة تربى أبناؤها على غير قواعد الدين تكون عرضة للدمار والانحطاط ، وقد رأيت بنفسى فى أغلب مدارس أوروبا اهتماما فائقا ، بتعليم الدين المسيحى للناشئين ، لذلك عولت على جعل الغرض الأول من المدرسة ترقية الملكة الاسلامية عند التلاميذ ، وتمكين مبادىء محبة الوطن والاتحاد والائتلاف من نفوسهم ، وتقديم اللغة العربية ثم اللغة التركية على كل لغة مع ترك الحرية التامة لآباء التلامذة فى الاختيار لأبنائهم بين اللغــة الفرنساوية واللغــة الانكليزية · ورغبــة منى فى نفع أبنــاء الفقرات قررت قبول ثلاثين فى المائة منهم مجانا · أما مصاريف المدرسة فهى كمصاريف المدارس الأميرية الابتدائية ولا يكلف آباء التــلامذة بثمن الكتب والأدوات ، بل تصرفهــا المدرســـة ، لجميع التــلامذة على السواء ·

(★) نشرت في جريدة المؤيد ، في ٢٨ مارس ١٨٩٩ ·

وانى أســأل الحق ســبحانه وتعالى أن يوفقنى وجميع المصريين لخدمة الوطن العزيز ، الذى أرى السعادة الكبرى فى التفانى لأجل سعادته ٠

هذا ، وأرجوكم أن تتفضلوا بنشر هذه الكلمات فى محليات جريدتكم ، وأن تقبلوا الخ ٠٠٠

المراجع

باللغـــة العربيـــة :

ـ ابراهيم عبـــده (دكتور) : جريدة الأهرام ـ تاريخ مصر فى ٧٥ ســـــنة القاهرة ١٩٥١ .

ـ أحمد أمين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ، القاهرة ١٩٤٨ .

ـ أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، القاهرة ١٦٦٤ .

ـ أحمد شفيق :

١ ـ مذكراتى فى نصف قرن ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٣٤ .

٢ ـ أعمالى بعد مذكراتى ، القاهرة ١٩٤١ .

ـ أحمد صادق سعد : تاريخ الدين المصرى العام ـ المالى والسياسى ١٩٤١ ، القاهرة ١٩٤٤ .

ـ أحمد عبد الرحيم مصطفى (دكتور) ، كامل جرجس : أوربا المعـــاصرة ، القاهرة ١٩٥٠ .

ـ أحمد نجيب هاشم ، محمد مأمون نجـــا : أطلس القرن التاســـع عشر ، القاهرة ١٩٣٨ .

ـ اسكندر سعيد عمون : الامتيازات الأجنبية والأقليات التركية ، القاهرة د.ت .

ـ السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، ١٩٠٧ ـ ١٩٤٨ ، القاهرة ١٩٧١ .

ـ السيد رجب حراز (دكتور) : أفريقيـــا الشرقية والاســـتعمار الأوربى ، القاهرة ١٩٦٨ .

ـ اليــاس زاخــورة : مــرآة العصر فى تاريخ ورســوم أكابر مصر ج ١ ، الفاهرة ١٨٩٧ ·

ـ أمين سامى :

١ ـ التعليم فى مصر ج ٣ ، القاهرة

٢ ـ تقويم النيل ج ٢ ، القاهرة ١٩١٨ ·

ـ أنور الرفاعى ، شاكر مصطفى : العالم الحديث ، دمشق ١٩٥٠ ·

ـ بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥ ـ ١٩١٤
تعريب جلال يحيى (دكتور) ط ٢ ، القاهرة ١٩٧١ ·

ـ تيودور روذشتين :

١ ـ تاريخ المسألة المصرية ١٨٧٥ ـ ١٩١٠
ترجمة عبد الحميد العبادى ومحمد بدران ط ٢ ، بيروت ١٩٨١ ·

٢ ـ تاريخ مصر قبل الاحتلال وبعده ، الفاهرة ١٩٢٧ ·

٣ ـ فصول من المسألة المصرية : ترجمة عبد الحميد العبادى ، محمد بدران القاهرة ١٩٥٦ ·

ـ ثروت عكاشة (دكتور) مصر فى عيون الغرباء ، القاهرة ١٩٨٥ ·

ـ جرانت أ·ج· ، هارولد تمبرلى : أوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، ترجمة محمد على أبو درة ج ٢ ، القاهرة ١٩٦٧
وترجمة أخرى لبهاء فهمى ، القاهرة ١٩٥٠ ·

ـ جرجس سلامة (دكتور) :
١ ـ أثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فى مصر ، القاهرة ١٩٦٢ ·
٢ ـ تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر ، القاهرة ١٩٦٢ ·

ـ الجمعية المصرية للدراسات التاريخية : مصطفى كامل ـ مجموعة بحوث ألقيت بمناسبة مرور مائة عام على مولده ، القاهرة ١٩٧٦ ·

ـ جولييت آدم : انجلترا فى مصر ـ تعريب على فهمى كامل ، القاهرة ١٩٠٨ ·

ـ جون مارلو : تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ، تعريب عبد العظيم رمضان (دكتور) ، القاهرة ١٩٧٦ ·

ـ جيفرى براون : المدنية الأوربية فى القرن التاسع عشر ، ترجمة محمد أحمد على مراجعة محمد أنيس (دكتور) ، القاهرة ١٩٦٦

- حسن الفقى (دكتور) : التاريخ الثقافى للتعليم ، القاهرة ١٩٦٦ .
- رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام ج ١ ط ١ القاهرة ١٣٢٤هـ .
- رؤوف عباس حامد (دكتور) : مذكرات محمد فريد القسم الأول ، القاهرة ١٩٧٥ .
- رينيه قطاوى ، جورج قطاوى : محمد على وأوربا ، تعريب ألفريد يلوز ، القاهرة ١٩٥٢ .
- زكريا سليمان بيومى (دكتور) :
  ١ - التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين ، دراسة تاريخية فى فكر الشيخ محمد عبده ، القاهرة ١٩٨٣ .
  ٢ - الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، القاهرة ١٩٨١ .
- سامى عزيز (دكتور) الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى ، القاهرة ١٩٦٨ .
- سميرة بحر (دكتورة) : الأقباط فى الحياة السياسية المصرية ، القاهرة ١٩٧٩ .
- شوقى الجمل (دكتور) :
  ١ - تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، القاهرة ١٩٧٥ .
  ٢ - قضية روديسيا بين الأمم المتحدة والمنظمة الافريقية ، القاهرة ١٩٧٧ .
- صبرى أبو المجد : محمد فريد ، ذكريات ومذكرات ، كتاب الهلال العدد ٢٢٣ .
- طارق البشرى : المسلمون والأقباط في اطار الجماعة الوطنية ، القاهرة ، ١٩٨٠
- عباس العقاد : محمد عبده ، أعلام العرب ، العدد الأول ، القاهرة د.ت .
- عبد الرحمن الرافعى :
  ١ - عصر اسماعيل ج ١ ، ٢ ، القاهرة ١٩٤٨ .
  ٢ - عصر محمد على ط ٣ ، القاهرة ١٩٥١
  ٣ - الثورة العرابية والاحتلال البريطانى ، القاهرة ١٩٦٦ .
  ٤ - مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، القاهرة ١٩٦٢ .
- عبد القدوس الأنصارى : تاريخ مدينة جدة ، جدة ١٩٦٣ .
- عبد المنعم الجميعى (دكتور) : الخديوى عباس حلمى الثانى والحزب الوطنى ١٨٩٢ - ١٩١٤ ، القاهرة ١٩٨٢ .

ـ عبد المنعم النمر (دكتور) كفاح المسلمين فى تحرير الهند : القاهرة ١٩٧٤ ·
ـ عبد العزيز سليمان نوار (دكتور) : التاريخ المعاصر لأوربا ١٨٧١ ـ ١٩٤٥ ، القاهرة ١٩٧٧ ·
ـ عبد العظيم رمضان (دكتور) :
١ ـ الجيش المصرى ودوره فى السياسة ١٨٨٢ ـ ١٩٣٦ ، القاهرة ١٩٧٧ ·
٢ ـ تطور الحركة الوطنية من ١٩١٨ ـ ١٩٣٦ ، القاهرة ١٩٦٨ ·
ـ على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا (تسعة أجزاء) (الطبعتان) ١٩٠٨ ·
ـ على محمد بركات (دكتور) : السياسة البريطـــانية واسترداد السودان ، القاهرة ١٩٧٧ ·
ـ عمر عبد العزيز (دكتور) : دراسات فى تاريخ مصر الحديث ١٧٩٨ ـ ١٩١٤ ، القاهرة ١٩٧٤ ·
ـ عمر طوسون (الأمير) : البعثات العلمية فى عهد محمد على وعباس وسـعيد القاهرة ١٩٣٤ ·
ـ فاروق عثمان أباظة (دكتور) :
١ ـ عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ، القاهرة ١٩٧٦ ·
٢ ـ الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢ ـ ١٩١٨ ، القاهرة ١٩٧٥ ·
ـ فتحى رضوان : مصطفى كامل ، القاهرة ·
ـ فؤاد كرم : النظارات والوزارات المصرية ، القاهرة ١٩٦٩ ·
ـ فيشر هـ أ· تاريخ أوربا فى العصر الحديث ، تعريب أحمـــد نجيب هاشم ووديع الضبع ط ٤ ، القاهرة ١٩٦٤ ·
ـ ماكولى ، توماس بابنجتـــون : لورد كلايف ، ترجمـة محمـــــد منير ، القاهرة ١٩٢٢ ·
ـ مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر : أوراق مصطفى كامل (المراســـلات) ، اشراف شوقى الجميل (دكتور) ، القاهرة ١٩٨٢ ·
ـ محمد أنيس (دكتور) ، السيد رجب حراز (دكتور) : مذكرات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، القاهرة ١٩٦٦ ·
ـ محمد أنيس (دكتور) : الدولة العثمانية والمشرق العربى ، القاهرة ١٩٦٢ ·
ـ محمد فؤاد شكرى :
١ ـ مصر والسودان . القاهرة ١٩٦٣ ·

٢ ــ مصر والسيادة على السودان ، القاهرة ١٩٤٦ ٠

ــ محمد لطفى جمعة (المحامى) : حياة الشرق ، القاهرة ١٩٣٢ ٠

ــ محمد محمد حسنين (دكتور) : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر جـ ١ ، القاهرة ١٩٦٢ ٠

ــ محمد مسعود : مصر والاحتلال الانكليزى : القاهرة ١٣١٣هـ

ــ محمود نجيب أبو الليل (دكتور) : الاحتلال البريطانى والصحف الفرنسية ، القاهرة ١٩٥٣ ٠

ــ يواقيم رزق مرقص (دكتور) :

١ ــ تطور نظام الادارة فى السودان فى عهد الحكم العثمانى الأول ١٨٩٩ ــ ١٩٢٤ ، القاهرة ١٩٨٤ ٠

٢ ــ أوراق مصطفى كامل (الخطب) ، القاهرة ١٩٨٤ ٠

٣ ــ العلاقات الثقافية بين مصر وفرنسا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، بحث تحت الطبع بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٨٥ ٠

ــ يونان لبيب رزق (دكتور) : تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ ــ ١٩٥٣ ، القاهرة ١٩٧٥ ٠

مراجع باللغة الانجليزية :

Gray, R. : A history of the eastern Sudan, 1839-1899, Oxford 1961.

Fox, Bourne : The other side of Emin Pacha Relief Expedition, London 1891.

موسوعات ودوائر معارف :

(ا) باللغة العربية :

١ ــ الموسوعة العربية الميسرة ، طبعتا ١٩٥٩ ، ١٩٦٥ ٠

٢ ــ دائرة معارف القرن العشرين ، بيروت ١٩٧١ ٠

(ب) باللغة الانجليزية :

— Chamber's Encyclopedia Vol. 6.

— Encyclopedia Britanica, Vol. 3.

دوريـــات :

المؤيــد ٠

الأهــرام ٠

الفـلاح ٠

المصرى ٠

رسائل علمية غير منشورة :

ـ توفيق علي برو : العرب والترك في العهد العثماني ، رسالة ماجســتير ، معهد الدراسات العربية ١٩٦٠ ٠

ـ يواقيم رزق مرقص (دكتور) : تطور نظام الادارة في السودان في عهد الحكم العثماني الأول ١٨٩٩ ــ ١٩٢٤ ، جامعة عين شمس ١٩٨١ ٠

كشاف الأعلام

(ف)

(ك)

(ل)

(م)

كشاف البلاد والشعوب والقارات

(و)

كشاف الحوادث ، المواقع ، المعارك ، الأماكن (١)

(١) « ال » التعريف لم تلغ أثناء الترتيب الابجدى .

المحتـــويات

صفحة

صفحة

صفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٥٦٤/١٩٨٦

ISBN — ٩٧٧ — ٠١ — ١٠٧٨ — ٧

وبعد أن برَّ مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر بوعده فى نشر تراث زعيم مصر الراحل مصطفى كامل ـ بأن أخرج المراسلات ثم الخطب . يقدم فى هذا الكتاب الجزء الأول من المقالات التى دبجها راحلنا فى الفترة من بداية إمساكه بالقلم لينشر رأيه إلى عام ١٨٩٩

تناول فيها خطوط الوطنية ، نافضاً عن النفوس التى أوشكت ريح الضياع أن يقصف بها غبار اليأس ، راسماً المستقبل ، وباعثاً الأمل ـ مقدماً مصر المستقبل ، صورة حية نابضة من خلال كل كلمة خطها قلمه .

وأمام هذا العمل الوطنى ، قدم المركز جهداً علمياً مناسباً له ، وهو إيضاح ما كان ظاهراً أيام كتابتها وأصبح فى ذمة التاريخ الآن من مواقع أو شخصيات أو معاهدات .

فضلاً عن تحليل بعض المواقف ـ وبذلك استطاع أن يضع لهذه اللوحة الوطنية إطاراً أكاديمياً يخدم دارس تاريخ مصر الحديث من هذه الزاوية . .

٣٥٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب